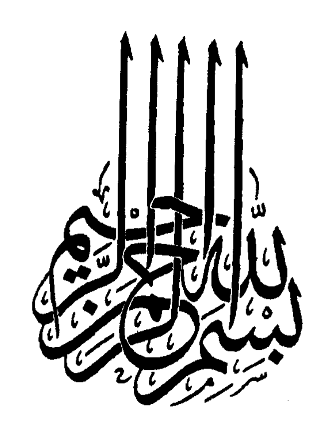
الصَّحِيحُ المُسْنَدُ مِنْ
أَحَادِيثِ الفِتَنِ وَالمَلَاحِمِ
وَأَشْرَاطِ السَّاعَةِ

تأليف

أبي عبد الله مُصطفى بن العدوي

مكتبة مكة



الصحيح المسند من
أحاديث الفتن والملاحم
وأشراط الساعة

الطبعة الأولى
١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية
٢٠٠٢/١٩٩٣٠

مكتبة مكة
طنطا ت: ٠٤٠٣٣٤٥٧٤٥ - ٠١٢٣٤٨٩٨٥٣



مقدمة

إن الحمد لله[1] نحمده، ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

---

(١) البدء بخطبة الحاجة ليس بواجب، فقد خطب النبي ﷺ أصحابه بعد صلاة العشاء بقوله: «ما من نفس منفوسة يأتي عليها مائة عام وهي على وجه الأرض»، وفي قصة الواهبة قال عليه السلام: «زوجتكها بما معك من القرآن»، ولم تذكر خطبة الحاجة بين يدي التزويج، فيبقى أمر خطبة الحاجة دائراً بين الاستحباب والجواز، فمن قال بالاستحباب مستنده حديث ابن مسعود رضي الله عنه «علمنا رسول الله ﷺ خطبة الحاجة «إن الحمد لله...»، ومن قال بالجواز مستنده التنويع الوارد عن رسول الله ﷺ. وقد فصلنا القول في ذلك في كتابنا «الصحيح المسند من أحكام النكاح» ص (١٨٥ - ١٨٦) فليراجعه من شاء.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

وبعد: فهذا كتابنا «الصحيح المسند من أحاديث الفتن والملاحم وأشراط الساعة» قمنا بجمعه وانتقائه امتداداً للخطة العامة التي بدأنا فيها منذ سنوات طويلة، ألا وهي: جمع الأحايث الصحيحة المسندة في الموضوعات المتنوعة، كل موضوع في كتاب، حتى يكون مرجعًا في بابه لمن أراد الرجوع إليه.

ولعظم الموضوع وكبر حجمه فقد عمل فيه بعض إخواننا أيضًا، فابتدأه شيخنا وأخونا في الله: مقبل بن هادي الوادعي ـ رحمه الله ـ بكتابه: «الصحيح المسند من أسباب النزول» ثم ثنيتُ أنا بكتاب: «الصحيح المسند من أذكار اليوم والليلة»، ثم صنَّف هو: «الصحيح المسند من دلائل النبوة»، و«الجامع الصحيح في القدر»، ثم صنَّفتُ: «الصحيح المسند من أحكام النكاح»، وكذلك ما يتعلق بأحكام النساء المبني على الأحاديث الصحيحة(١)، وصنَّفت أيضًا: «الصحيح المسند من فضائل الصحابة».

---

(١) وهو مشروع يحوي ما يتعلق بالنساء في جوانب الفقه المختلفة. صدر منه حتى الآن أحد عشر جزءًا، والباقي في طريقها للصدور ـ إن شاء الله.

وها هو شيخنا - جزاه الله خيراً - يعمل في مشروعه الكبير: «الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين».

وقد عمل بعض إخواننا كتاب «الصحيح المسند من التفسير النبوي للقرآن» في جزء لطيف.

وها هو كتابنا «الصحيح المسند من أحاديث الفتن والملاحم وأشراط الساعة»، مستندنا في جمعه حديثُ حذيفةَ بنِ اليمان رضي الله عنه: «كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني»[1].

هذا، وقد كَثُر تداول أحاديث الفتن على الألسنة، ورتبت جماعاتٌ أسسها على أحاديث منها، وأغلب هذه الأحاديث لا تكاد تثبت، بل لا تثبت - عن رسول الله ﷺ، ثم يأتي بعد ذلك خطر هو أعظم من الخطر الأول، أي: أعظم من كون الأحاديث لا تثبت عن رسول الله ﷺ، ألا وهو: التسرع في تنزيل هذه الأحاديث الضعيفة والواهية على الواقع وبدون تريثٍ ولا تعقلٍ، فينشأ عن ذلك هناتٌ وهناتٌ، وتعظُم الزلاتُ والكبواتُ من أقوامٍ صالحين يظنون أنهم يحسنون صنعًا، فتكثر منهم القصص والمواعظ والروايات والحكايات والتعلق بأوهى الأحاديث، وإثارة ما بها من غرابة في أوساط الناس، فيحمّلون الشريعة الغراء ما لا تتحمله، والشريعة من أفعالهم براء، فأردنا في كتابنا هذا - والله المستعان - جمع ما صح بالسند إلى خير الأنام - عليه أفضل الصلاة وأتم السلام - في موضوع

(١) وسيأتي تخريجه بإذن الله.

الفتن والملاحم وسائر أشراط الساعة، الصغار منها والعظام، سائلين رب البرية سبحانه وتعالىٰ أن ينفعنا بها وسائر المسلمين، إن ربي لسميع الدعاء، وإنه لغفور رحيم.

أما عن خطة العمل في هذا الكتاب المبارك(١)، فهي لا تختلف كثيرًا عن خطة العمل في سائر كتبنا التي هي علىٰ هذا النمط، وتتلخص في الآتي:

أولاً: مبدأ الاستقراء التام، وهو المرور علىٰ كتب السنة المسندة بالجملة واستقراؤها حديثًا حديثًا(٢)، وجمع ما يتعلق بالموضوع بصفة مبدئية.

ثانيًا: تحقيق كمٍّ الأحاديث، وانتقاء الصحيح منها وطرح الضعيف جانبًا(٣)، والحكم علىٰ كل حديث بما يستحق صحةً أو حسنًا.

ثالثًا: النظر في كتب العلل، ومراجعة هل أُعِلَّ حديث مما صُحِّح سنده أم لا؟

رابعًا: وضع أبواب مناسبة لكل حديث أو لكل مجموعة أحاديث.

خامسًا: إيراد بعض الشروح لكثير من الأحاديث التي تحتاج إلىٰ شروح.

سادسًا: النظر في كتب اللغة لشرح بعض المفردات اللغوية التي تحتاج إلىٰ شروح.

---

(١) بركته في: أنه يجمع عددًا من آيات الكتاب العزيز، وكمًّا هائلاً من سنة سيد المرسلين ﷺ.

(٢) ولا نقتصر عن المظان فقط في أغلب الأحيان.

(٣) وهناك عدد يسير جدًا من الأحاديث الضعيفة أوردناها ونبهنا عليها، إما لشهرتها أو لأن ظاهرها السلامة وهي ضعيفة.

سابعًا: أوردنا بعض الآيات التي تخدم الموضوع مع أقوال أهل العلم فيها، وتحقيق الآثار الواردة في تفسيره.

أما عن خطة ترتيب الكتاب، فهي من الناحية العامة تتجه نحو الترتيب الزمني:

فأوردنا بعض الفتن لمن كان قبل أمة محمد ﷺ، ثم بعد ذلك بعض الفتن الواردة في القرون المفضلة.

ثم متفرقات من أبواب الفتن.

ثم المَخْرج من الفتنة.

ثم الأشراط الصغرىٰ للساعة، والملاحم عقب ذلك.

ثم الأشراط الكبرىٰ والأحداث الجسام بين يدي الساعة، ثم الختام.

أما عن خطة التخريج للأحاديث الواردة في الكتاب: فإذا كان الحديث في الكتب الستة اقتصرنا علىٰ تخريجه منها بواسطة «تحفة الأشراف»، وإذا لم يكن في الكتب الستة فتخريجه بالاستقراء أو عن طريق المظان، والعزو يقتصر علىٰ عدد منها.

فقد يكون الحديث في أكثر من موضع؛ في البخاري أو في مسلم أو في أحمد، ولكننا نكتفي بالعزو لمصدر واحد في البخاري ومسلم وأحمد علىٰ سبيل المثال، وقد نزيد للحاجة.

هذا، ولا يلزمنا أحد بما صحَّحه غيرنا من أهل العلم، فقد تكون في الإسناد علة جعلتنا نحجم علىٰ إيراد الأحاديث، أو راوٍ له تفردات

والحديث مما استنكر عليه، أو راوٍ يأتي بغرائب وعجائب ورأينا أن الحديث من غرائبه وعجائبه، إلى غير ذلك مما يجعل الحديث في مرتبة المردود.

هذه هي الخطوط العامة التي سرنا عليها في تأليف هذا الكتاب، ولا ننزه أنفسنا عما يعتري البشر من الخطأ والنسيان والقصور، فنرجو رحمة ربنا التي وسعت كل شيء، ونسأله سبحانه أن يتجاوز عن هفواتنا وزلاتنا، ويغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا، وأن يستر علينا وعلى سائر عباده المسلمين في الدنيا والآخرة، وأن يجنبنا والمسلمين الفتن ما ظهر منها وما بطن، ويصرف عنا وعن ديار المسلمين كل مكروه وسوء، وأن يتوفنا على الإيمان والهدى وهو سبحانه راضٍ عنا، ونسأله سبحانه أن يسكننا الفردوس مع الذين أنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقًا.

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

كتبه

أبو عبد الله

مصطفى بن العدوي

مصر ـ الدقهلية ـ منية سمنود

غرة رمضان عام ١٤١١ من هجرة المصطفى ﷺ

تعريف الفتنة

قال الحافظ في «الفتح» (١٣/ ٣):

«والفتن» جمع فتنة، قال الراغب: أصل الفَتْنِ: إدخال الذهب في النار لتظهر جودته من رداءته، ويستعمل في إدخال الإنسان النار.

ويطلق على العذاب، كقوله تعالى: ﴿**ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ**﴾ وعلى ما يحل عند العذاب، كقوله تعالى: ﴿**أَلا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا**﴾ وعلى الاختبار، كقوله: ﴿**وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا**﴾.

وفيما يدفع إليه الإنسان من شدة ورخاء، وفي الشدة أظهر معنى وأكثر استعمالاً، قال تعالى: ﴿**وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً**﴾ ومنه قوله: ﴿**وَإِن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ**﴾ أي: يوقعونك في بلية وشدة في صرفك عن العمل بما أوحي إليك.

وقال أيضًا: الفتنة تكون في الأفعال الصادرة من الله ومن العبد كالبَلية والمصيبة والقتل والعذاب والمعصية وغيرها من المكروهات، فإن كانت من الله فهي على وجه الحكمة، وإن كانت من الإنسان بغير أمر الله فهي مذمومة، فقد ذم الله الإنسان بإيقاع الفتنة، كقوله: ﴿**وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ**﴾ وقوله: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ**﴾، وقوله: ﴿**مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ**﴾ وقوله: ﴿**بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُونُ**﴾ وكقوله: ﴿**وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ**﴾.

وقال غيره (أي: الراغب): أصل الفتنة الاختبار، ثم استعملت فيما

أخرجته المحنة والاختبار إلىٰ المكروه، ثم أطلقت علىٰ كل مكروه أو آيل إليه كالكفر والإثم والتحريق والفضيحة والفجور وغير ذلك.

وفي «لسان العرب» مادة (فتن):

الأزهري وغيره: جماع معنىٰ الفتنة: الابتلاء والامتحان والاختبار، وأصلها مأخوذ من قولك: «فتنت الفضة والذهب» إذا أذبتهما بالنار لتميز الخبيث من الجيد، وفي «الصحاح»: إذا أدخلتَه النارَ لتنظر ما جودته، ودينار مفتون، والفتن الإحراق، ومن هذا قوله عز وجل: ﴿**يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ**﴾ أي: يحرقون بالنار، ويسمىٰ الصائغ: الفتَّان، وكذلك الشيطان، ومن هذا قيل للحجارة السود التي كأنها أحرقت بالنار: الفتين، وقيل في قوله: ﴿**يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ**﴾ قال: يقرون بذنوبهم، و«ورق فتين»: أي: فضة محرقة.

ابن الأعرابي: الفتنة: الاختبار، والفتنة: المحنة، والفتنة: المال، والفتنة: الأولاد، والفتنة: الكفر، والفتنة: اختلاف الناس بالآراء، والفتنة: الإحراق بالنار.

وقيل: الفتنة في التأويل: الظلم.

يقال: «فلان مفتون بطلب الدنيا» قد غلا في طلبها.

ابن سيده: الفتنة: الخبرة، وقوله عز وجل: ﴿**إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِّلظَّالِمِينَ**﴾ أي: خبرة، ومعناه: أنهم أفتتنوا بشجرة الزقوم وكذبوا بكونها، وذلك أنهم لما سمعوا أنها تخرج في أصل الجحيم، قالوا: الشجر يحترق في النار

فكيف ينبت الشجر في النار؟! فصارت فتنة لهم.

وقوله عز وجل: ﴿رَبَّنَا لا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ يقول: لا تظهرهم علينا فيعجبوا ويظنوا أنهم خير منا، فالفتنة ها هنا إعجاز الكفار بكفرهم، ويقال: فتن الرجل بالمرأة وافتتن، وأهل الحجاز يقولون: فَتَنَتْه المرأة إذا ولَّهته وأحبَّها، وأهل نجد يقولون: أَفْتَنَتْه.

قال أعشى همدان ـ فجاء باللغتين ـ:

لئن فتنتني لهي بالأمس أفتنتْ   سعيدًا فأمسى قد قال كلَّ مسلم

قال ابن أبزى: قال ابن جنِّي: ويقال: هذا البيت لابن قيس، وقال الأصمعي: هذا سمعناه من مخنث وليس يثبت؛ لأنه كان ينكر «أفتن»، وأجازه أبو زيد، وقال: هو في رجز رؤبة، يعني قوله: «يعرضن إعراضًا لدين المفتن».

وقوله أيضًا:

إني وبعضُ المفتنين داودُ   ويوسف كادت به المكايد

قال: وحكى أبو القاسم الزجاج في «أماليه» بسنده عن الأصمعي، قال: حدثنا عمر بن أبي زائدة: قال: حدثتني أم عمر بنت الأهتم، قالت: مررنا ونحن جوار بمجلسٍ فيه سعيد بن جبير، ومعنا جارية تغني بدفٍّ معها وتقول:

لئن فتنتني لهي بالأمس أفتنتْ   سعيدًا فأمسى قد قال كل مسلم

وألقى مصابيح القراءة واشترى   وصال الغواني بالكتاب المتمم

فقال سعيد: كذبتُنَّ، كذبتُنَّ.

والفتنة إعجابك بالشيء، فتنه يفتنه فتنًا وفتونًا فهو أفتنه فاتن وأفتنه، وأباها الأصمعي بالألف، فأنشد بيت رؤبة:

يُعرضن إعراضًا لدين المفتن

فلم يعرف البيت في الأرجوزة، وأنشد الأصمعي أيضًا:

لئن فتنتني لهي بالأمس أفتنتْ

فلم يعبأ به ولكن أهل اللغة أجازوا اللغتين، وقال سيبويه: فتنه: جعل فيه فتنة، وأفتنه: أوصل الفتنة إليه.

قال سيبويه: إذا قال: «أفتنته» فقد تعرض لفتن وإذا قال: «فتنته» فلم يتعرض لفتن، وحكى أبو زيد «أفتن الرجل» بصيغة ما لم يُسم فاعله أي: فتن، وحكى الأزهري عن ابن شميل: افتتن الرجل وافتتن، لغتان وقال: وهذا صحيح.

قال: وأما «فتنته ففتن» فهي لغة ضعيفة.

ثم قال صاحب «اللسان»: وقوله تعالى: ﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ۝ بِأَيِّكُمُ الْمَفْتُونُ﴾ قال أبو إسحاق: معنى «المفتون»: الذي فتن بالجنون.

وقال صاحب «اللسان»: أيضًا: «وافتتن في الشيء: فُتن به، وفُتن إلى النساء فتونًا وفتن إليهن، أراد الفجورَ بهن.

والفتنة: الضلال والإثم، والفاتن: المضل عن الحق، والفاتن: الشيطان».

ثم أورد معان أُخر للفتنة منها: الفضيحة، ومنها: ما يقع بين الناس من قتال، ومنها: الكفر، وقال: «وفتنة الصدر: الوسواس، وفتنة المحيا: أن يعدل عن الطريق، وفتنة الممات: أن يُسأل في القبر»، ومن أراد المزيد فليرجعْ إلىٰ «اللسان».

* * *



فصلٌ
فِيمَا ابتُلِيَ بِهِ بَعْضُ مَنْ كَانَ قَبْلَنَا

النشر بالمياشير والتمشيط بأمشاط الحديد

قال الإمام البخاري رحمه الله (٣٦١٢):

حدثنا محمد بن المثنى: حدثني يحيى، عن إسماعيل، حدثنا: قيس، عن خباب بن الأرت، قال: شكونا إلى رسول الله ﷺ - وهو مُتوسد بُردةً له في ظل الكعبة - قلنا له: ألا تستنصر لنا؟ ألا تدعو الله لنا؟ قال: «**كان الرجل فيمن قبلكم يحفر له في الأرض، فيُجعل فيه، فيجاء بالميشار فيوضع على رأسه فيشق باثنتين، وما يصده ذلك عن دينه، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم أو عصب وما يصده ذلك عن دينه، والله ليتمنَّ هذا الأمر(١) حتى يسيرَ الراكبُ من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله أو(٢) الذئبَ على غنمه، ولكنكم تستعجلون**».

صحيح

وأخرجه: أبو داود (٢٦٤٩)، وعزاه المزي للنسائي.

---

(١) «الأمر»: المراد به: الإسلام.

(٢) في رواية: «والذئب على غنمه».

قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (٧/ ١٦٧): (تنبيه: قوله: «والذئب» هو بالنصب عطفًا على المستثنى منه لا المستثنى، كذا جزم به الكرماني، ولا يمتنع أن يكون عطفًا على المستثنى، والتقدير: ولا يخاف إلا الذئب على غنمه؛ لأن مساق الحديث إنما هو للأمن من عدوان بعض الناس على بعض كما كانوا في الجاهلية، لا للأمن من عدوان الذئب، فإن ذلك إنما يكون في آخر الزمان عند نزول عيسى).

فتنة أصحاب الأخدود

وقـول الله ـ عـز وجل ـ: ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الأُخْدُود ﴿٤﴾ النَّار ذَات الْوَقُود ﴿٥﴾ إذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إلاَّ أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٨﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾ إنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾ [البروج: ٤ـ١٠].

أقوال أهل العلم في الآية:

قال الحافظ ابن كثير (٤/ ٤٩٢):

«وقوله تعالىٰ: ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الأُخْدُود﴾ أي: لُعن أصحاب الأخدود، وجمعه «أخاديد» وهي: الحفر في الأرض، وهذا خبر عن قوم من الكفار عمدوا إلىٰ من عندهم من المؤمنين بالله عز وجل، فقهروهم وأرادوهم أن يرجعوا عن دينهم فأَبَوا عليهم، فحفروا لهم في الأرض أخدودًا وأججوا فيه نارًا وأعدوا لها وقودًا يسعرونها به، ثم أرادوهم فلم يقبلوا منهم فقذفوهم فيها، ولهذا قال تعالىٰ: ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الأُخْدُود ﴿٤﴾ النَّار ذَات الْوَقُود ﴿٥﴾ إذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ﴾ أي: مشاهدون لما يفعل بأولئك المؤمنين، قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إلاَّ أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ أي: وما كان لهم عندهم من ذنب إلا إيمانهم بالله العزيز الذي لا يضام من لاذ بجنابه المنيع، الحميد في جميع أقواله وأفعاله وشرعه وقدره، وإن خفي سبب ذلك علىٰ كثير من الناس، ثم قال تعالىٰ: ﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ من تمام الصفة أنه المالك لجميع السموات والأرض وما فيهما وما بينهما ﴿وَاللَّهُ

عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ أي: لا يغيب عنه شيء في جميع السموات والأرض ولا تخفىٰ عليه خافية».

ثم أورد ابن كثير اختلاف المفسرين في أهل هذه القصة، وهذا الاختلاف في أصحابها لا يضر، فالعبرة قائمة علىٰ كل حال.

وفي «أضواء البيان» (٩/ ١٣٧):

«قال أبو حيان: وجواب القسم في قوله تعالىٰ: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾ قيل: محذوف، فقيل: لتبعثن ونحوه، وقيل: مذكور. فقيل: إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ونحوه. وقيل: قتل. وهذا نختاره، وحذفت اللام، أي «لقتل»، وحسن حذفها كما حَسن في قوله: ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾، ثم قال: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا﴾ أي: لقد أفلح، ويكون الجواب دليلاً علىٰ لعنة الله علىٰ من فعل ذلك، وتنبيهًا لكفار قريش الذين يؤذون المؤمنين ليفتنوهم عن دينهم.

وإذا كان «قتل» هي الجواب فهي جملة خبرية، وإذا كان الجواب غيرها فهي جملة إنشائية دعاءٌ عليهم.

وقريء «قتِّل» بالتشديد، قرأها الحسن وابن مقسم، وقرأها الجمهور بالتخفيف. (والأخدود) جمع: «خد» وهو: الشق في الأرض طويلاً، وقوله: ﴿النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ﴾ الوقود بالضم وبالفتح، والقراءة بالفتح كالسحور والوضوء، فَبِالفَتح: ما توقد به كصبور والماء المتوضأ به الطعام المتسحر به، وبالضِّم: المصدر، والفعل الوقود بالضم ما تقود به.

ذكر صاحب «القاموس»: والنار ذات الوقود بدل من الأخدود. وقيل: في معناها عدة أقوال، حتىٰ قال أبو حيان: كسلت عن نقلها.

حديث الساحر والراهب والملك والغلام

قال الإمام مسلم رحمه الله (٣٠٠٥):

حدثنا هذاب بن خالد، حدثنا حماد بن سلمة، حدثنا ثابت، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن صهيب، أن رسول الله ﷺ قال: «**كان ملك فيمن كان قبلكم، وكان له ساحرٌ، فلما كَبرَ قال للملك: إني قد كبرت فابعث إليَّ غلامًا أعلمه السحر، فبعث إليه غلامًا يعلمه، فكان في طريقه إذا سلك راهبٌ فقعد إليه وسمع كلامه فأعجبه، فكان إذا أتى الساحر مر بالراهب وقعد إليه، فإذا أتى الساحر ضربه، فشكا ذلك إلى الراهب، فقال: إذا خشيت الساحر فقل: حبسني أهلي، وإذا خشيت أهلك فقل: حبسني الساحر. فبينما هو كذلك إذ أتى على دابة عظيمة قد حبست الناس، فقال: اليوم أعلم ألساحر أفضل، أم الراهبُ أفضلُ؟ فأخذ حجرًا، فقال: اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يمضي الناس، فرماها فقتلها ومضى الناس، فأتى الراهب فأخبره، فقال له الراهب: أي بُني، أنت اليوم أفضل مني، قد بلغ من أمرك ما أرى، وإنك ستبتلي، فإن ابتليت فلا تدل عليَّ.**

وكان الغلام يبريء الأكمه والأبرص ويداوي الناس من سائر الأدواء، فسمع جليس للملك كان قد عمي فأتاه بهدايا كثيرة، فقال: ما ههنا لك أجمع إن أنت شفيتني. فقال: إني لا أشفي أحدًا إنما يشفي الله، فإن أنت آمنت بالله دعوت الله فشفاك. فآمن بالله فشفاه الله، فأتى الملك فجلس إليه كما كان يجلس، فقال له الملك: من رد عليك بصرك؟ قال: ربي. قال: ولك رب غيري؟ قال: ربي وربك الله. فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الغلام،

فجيء بالغلام، فقال له الملك: أي بُني، قد بلغ من سحرك ما تبريء الأكمه[١]، والأبرص وتفعل وتفعل! فقال: إني لا أشفي أحدًا، إنما يشفي الله، فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الراهب، فجيء بالراهب فقيل له: ارجع عن دينك. فأبى، فدعا بالمئشار[٢] فوضع المئشار في مفرق رأسه فشقه حتى وقع شقاه، ثم جيء بجليس الملك فقيل له: ارجع عن دينك. فأبى، فوضع المئشار في مفرق رأسه فشقه به حتى وقع شقاه، ثم جيء بالغلام فقيل له: ارجع عن دينك. فأبى، فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال: اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا فاصعدوا به الجبل فإذا بلغتم ذروته[٣] فإن رجعْ عن دينه وإلا فاطرحوه. فذهبوا به فصعدوا به الجبل، فقال: اللهم اكْفنيهم بما شئت. فرجف بهم الجبل فسقطوا وجاء يمشي إلى الملك، فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟! قال: كفانيهم الله. فدفعه إلى نفرٍ من أصحابه فقال: اذهبوا به فاحملوه في قُرقُور[٤] فتوسطوا به البحْرَ فإن رجع عن دينه وإلا فاقذفوه. فذهبوا به، فقال: اللهم اكفنيهم بما شئت. فانكفأت[٥] بهم السفينة فغرقوا، وجاء يمشي إلى الملك، فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟! قال: كفانيهم الله. فقال للملك: إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما آمرك به. قال: وما هو؟ قال: تجمع الناس في صعيدٍ واحد، وتصلبني على جذع، ثم خذ سهمًا من كنانتي ثم ضع السهم

---

(١) «الأكمه»: الذي خُلق أعمى.

(٢) قال النووي: «المئشار»: مهموز في رواية الأكثرين، ويجوز تخفيف الهمزة بقلبها ياء، ورُوِيَ «المنشار» بالنون، وهما لغتان صحيحتان.

(٣) «ذروة الجبل»: أعلاه.

(٤) «القرقور»: قال النووي: بضم القافين، السفينة الصغيرة، وقيل: الكبيرة، واختار القاضي: الصغيرة - بعد حكايته خلافًا كثيرًا.

(٥) «انكفأت»: أي: انقلبت.

في كبد القوس، ثم قل: باسم الله رب الغلام. ثم ارمني، فإنك إذا فعلت ذلك قتلتني. فجمع الناس في صعيد واحد، وصلبه على جذع، ثم أخذ سهمًا من كنانته، ثم وضع السهم في كبد[1] القوس، ثم قال: باسم الله رب الغلام، ثم رماه، فوقع السهم في صدغه، فوضع يده في صدغه في موضع السهم فمات، فقال الناس: آمنا برب الغلام، آمنا برب الغلام، آمنا برب الغلام. فأتى الملك فقيل له: أرأيت ما كنت تحذر؟ قد والله نزل بك حذرك[2]، قد آمن الناس، فأمر بالأخدود[3] في أفواه السكك فخدت، وأضرم النيران، وقال: من لم يرجع عن دينه فَأَحْمُوه[4] فيها، أو قيل له: اقتحم. ففعلوا حتى جاءت امرأة ومعها صبي لها فتقاعست[5] أن تقع فيها، فقال لها الغلام: يا أُمَّه؛ اصبري فإنك على الحق».

صحيح

وأخرجه: الترمذي (٣٣٤٠) وقال: «هذا حديث حسن غريب».

وعزاه المزي للنسائي، وأخرجه ابن جرير الطبري في «التفسير» (٣٠/ ٨٥).

---

(١) «كبد القوس»: مقبضها عند الرمي.

(٢) «حذرك»: أي: ما كنت تحذر وتخاف.

(٣) «الأخدود»: هو: الشق العظيم في الأرض.

(٤) «أحموه»: أي: ارموه فيها، من قولهم: «حميت الحديدة» وغيرها إذا أدخلتها النار لتحمى، قال النووي: ووقع في نسخ بلادنا: «فأقحموه» بالقاف ومعناه: اطرحوه فيها كرهًا.

(٥) «تقاعست»: أي: توقفت ولزمت موضعها وكرهت الدخول في النار، وبالله التوفيق. قاله النووي.

فوائد متعلقة بهذا الحديث

هذا؛ وقد ذكر هذا الحديث في «أضواء البيان» - تتمة «أضواء البيان» (٩/ ١٤١) - وفيه ما نصه: وقد سقنا هذه القصة وهي من أمثل ما جاء في هذا المعنى، والتي يمكن أن يستفاد منها بعض الأحكام، حيث إن ابن كثير عزاها للإمام أحمد بن حنبل ومسلم، أي: لصحة سندها مرفوعة إلى النبي ﷺ، من ذلك الآتي:

الأول: أن السحر بالتعلم، كما جاء في قصة الملكين ببابل هاروت و ماروت يعلمان الناس السحر.

الثاني: إمكان اجتماع الخير مع الشر إذا كان الشخص جاهلاً بحال الشر، كاجتماع الإيمان مع الراهب مع تعلم السحر من الساحر.

الثالث: إجراء خوارق العادات على أيدي دعاة الخير لبيان الحق والتثبت في الأمر، كما قال الغلام: اليوم أعلم؛ أمر الراهب أحب إلى الله عن أمر الساحر؟

الرابع: أنه كان أميل بقلبه إلى أمر الراهب، إذ قال: اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك، فسأل عن أمر الراهب ولم يَسَلْ عن أمر الساحر.

الخامس: اعتراف العالم بالفضل لمن هو أفضل منه، كاعتراف الراهب للغلام.

السادس: ابتلاء الدعاة إلى الله، ووجوب الصبر على ذلك، وتفاوت درجات الناس في ذلك.

السابع: إسناد الفعل كله لله، إنما يُشفي الله.

الثامن: رفض الداعي إلى الله الأجر على عمله وهدايته؛ ﴿**قل لا أسألكم عليه أجرا**﴾.

التاسع: بيان ركن أصيل في قضية التوسل، وهو: أن مبناه على الإيمان بالله، ثم الدعاء وسؤال الله.

العاشر: غباوة الملك المشرك المغلق قلبه بظلام الشرك، حيث ظن في نفسه أنه الذي شفى جليسه، وهو لم يفعل له شيئًا، وكيف يكون وهو لا يعلم؟

الحادي عشر: اللجوء إلى العنف والبطش عند العجز عن الإقناع والإفهام أسلوب الجهلة والجبابرة(١).

الثاني عشر: منتهى القسوة والغلظة في نشر الإنسان بدون هوادة.

---

(١) ومن ذلك: مناقشة فرعون مع موسى أول الأمر بقوله: ﴿وما رب العالمين. قال رب السموات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين. قال لمن حوله ألا تستمعون. قال ربكم ورب آبائكم الأولين. قال إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون. قال: رب المشرق والمغرب وما بينهما إن كنتم تعقلون. قال لئن اتخذت إلهًا غيري لأجعلنك من المسجونين﴾ [الشعراء: ٢٣-٢٩].

فلما لم يأت بحجة على موسى عليه السلام بدأ في التهديد بالسجن.

ولما فشل فرعون فيما أتي به من سحر، وألقي السحرة سجدًا، قال فرعون: ﴿آمنتم له قبل أن آذن لكم إنه كبيركم الذي علمكم السحر فلسوف تعلمون لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم أجمعين﴾ [الشعراء: ٤٩].

وهؤلاء قوم نوح لما عجزوا من إثنائه عن رأيه وأفحمهم بالحجة ﴿قالوا لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين﴾ [الشعراء: ١١٦].

وكذلك قوم لوط ﴿قالوا لئن لم تنته يا لوط لتكونن من المخرجين﴾ [الشعراء: ١٦٧].

الثالث عشر: منتهى الصبر وعدم الرجوع عن الدين، وهكذا كان في الأمم الأولى وبيان فضل الله على هذه الأمة؛ إذ جاز لها التلفظ بما يخالف عقيدتها وقلبها مطمئن بالإيمان.

وقد جاء عن الفخر الرازي قوله: «الآية تدل على أن المكره على الكفر بالإهلاك العظيم الأولى به أن يصبر على ما خوف منه، وأن إظهار كلمة الكفر كالرخصة في ذلك، وقال: وروى الحسن: أن مسيلمة أخذ رجلين من أصحاب النبي ﷺ، فقال لأحدهما: تشهد أني رسول الله؟ فقال: نعم. فتركه، وقال للآخر مثله، فقال: لا، بل أنت كذاب. فقتله: فقال النبي ﷺ: «**أما الذي ترك فأخذ بالرخصة؟ فلا تبعة عليه، وأما الذي قُتل فأخذ بالأفضل فهنيئًا له**»(١).

وتقدم بحث هذه المسألة للشيخ، رحمة الله تعالى علينا وعليه.

الرابع عشر: إجابة دعوة الغلام ونصرة الله لعباده المؤمنين: «اللهم اكفنيهم بما شئت».

الخامس عشر: التضحية بالنفس في سبيل نشر الدعوة، حيث دل الغلام الملك على الطريقة التي يتمكن الغلام بها من إقناع الناس بالإيمان بالله، ولو كان الوصول لذلك على حياته هو.

السادس عشر: إبقاء جسمه حتى زمن عمر رضي الله عنه(٢) إكرامًا لأولياء الله والدعاة من أن تأكل الأرض أجسامهم.

السابع عشر: إثبات دلالة القدرة على البعث.

---

(١) هذا الحديث مرسل، ومراسيل الحسن من أضعف المراسيل.

(٢) ولم نقف على مستند صحيح لذلك.

الثامن عشر: حياة الشهداء لوجود الدم وعودة اليد مكانها بحركة مقصودة .

التاسع عشر: معرفة تلك القصة عند أهل مكة ، حيث حدثوا بها تخويفًا من عواقب أفعالهم بضعفة المؤمنين كما هو موضح في تمام القصة .

العشرون: نطق الصبي الرضيع بالحق .

❊ ❊ ❊

ابتلاء نبيّ الله أيوب عليه السلام

وقول الله تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِراً نِّعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾

قال ابن حبان رحمه الله (موارد الظمآن ٢٠٩١):

أنبأنا محمد بن الحسن بن قتيبة، حدثنا حرملة بن يحيى، حدثنا ابن وهب، أنبأنا نافع بن يزيد، عن عقيل، عن ابن شهاب، عن أنس بن مالك، أن رسول الله ﷺ قال: «**إن أيوب نبي الله لبث في بلائه ثماني عشرة سنة، فرفضه القريب والبعيد، إلا رجلين من إخوانه كانا يغدوان إليه ويروحان، فقال أحدهما لصاحبه: تعلم والله، لقد أذنب أيوب ذنبًا ما أذنبه أحد من العالمين. فقال له صاحبه: وما ذاك؟ قال: منذ ثماني عشرة سنة لم يرحمه الله فيكشف ما به. فلما راح إليه لم يصبر الرجل حتى ذكر ذلك له، فقال أيوب: لا أدري ما تقول، غير أن الله يعلم أني كنت أمر على الرجلين يتنازعان فيذكران الله، وأرجع إلى بيتي فأكفر عنهما كراهية أن يذكر الله إلا في حق. قال: وكان يخرج إلى حاجته، فإذا قضى حاجته أمسكتْ امرأتُه بيده، فلما كان ذلك يوم أبطأ عليها، فأوحى الله إلى أيوب في مكانه: ﴿ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ فاستبطأته فبلغته، فأقبل عليها قد أذهب الله ما به من البلاء فهو أحسن ما كان، فلما رأته قالت: أي بارك الله فيك، هل رأيت نبي الله هذا المبتلى؟ والله على ذلك ما رأيت أحدًا كان أشبه به منك إذْ كان صحيحًا. قال: إني أنا هو. وكان له أبدران[1] : أبدر القمح وأبدر الشعير، فبعث الله سحابتين، فلما كانت إحداهما على أبدر القمح أفرغت فيه الذهب حتى**

(١) في رواية: «أندران» بالنون، وهو بمعنى: الوعاء.

فاضت، وأفرغت الأخرى على أبدر الشعير الوَرِقَ حتى فاضتْ».

صحيح

وأخرجه: أبو يعلى الموصلي في «مسنده» (٦/ ٢٩٩)، والحاكم في «مستدركه» (٢/ ٥٨١ ـ ٥٨٢)، وقال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي.

وأخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٣/ ٣٧٤ ـ ٣٧٥) وقال: «غريب من حديث الزهري، ولم يروه عنه إلا عقيل، ورواته متفق على عدالتهم تفرد به نافع».

وأخرجه أيضًا ابن جرير الطبري في «التفسير» (٢٣/ ١٠٧).

* * *

ماشطة بنت فرعون

قال الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ (١/ ٣٠٩):

حدثنا أبو عمر الضرير، أنا حماد بن سلمة، عن عطاء بن السائب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: «**لما كانت الليلة التي أسرى بي فيها، أتت عليّ رائحة طيبة، فقلت: يا جبريل ما هذه الرائحة الطيبة؟ فقال: هذه رائحة ماشطة ابنة فرعون وأولادها، قال: قلت: وما شأنها؟ قال: بينا هي تمشط ابنة فرعون ذات يوم، إذْ سقطت المدرى من يديها، فقالت: بسم الله. فقالت لها ابنة فرعون: أبي؟ قالت: لا، ولكن ربي ورب أبيك: الله. قالت: أُخبره بذلك؟ قالت: نَعم. فأخبرته، فدعاها، فقال: يا فلانة، وإن لك ربًا غيري؟ قالت: نَعم، ربي وربك الله. فأمر ببقرة من نحاس فأحميت، ثم أمر بها أن تلقى هي وأولادها فيها. قالت له: إن لي إليك حاجة. قال: وما حاجتك؟ قال: أحب أن تجمع عظامي وعظام ولدي في ثوب واحد وتدفننا. قال: ذلك لك علينا من الحق، قال: فأمر بأولادها فألقوا بين يديها واحدًا واحدًا إلى أن انتهى ذلك إلى صبي لها مرضع، وكأنها تقاعست من أجله. قال: يا أمه، اقتحمي فإن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة، فاقتحمت**».

صحيح لغيره[1]

---

(١) فله شاهد عند ابن ماجه (٤٠٣٠) من طريق: سعيد بن بشير، عن قتادة، عن مجاهد، عن ابن عباس، عن أبي بن كعب، عن رسول الله ﷺ ـ ببعض معناه هذا، وقد ذكر عدد من أهل العلم أن حماد بن سلمة قد سمع من عطاء بن السائب قبل الاختلاط (انظر: «الكواكب النيرات في معرفة المختلطين من الرواة الثقات» لابن الكيال).

قال ابن عباس: تكلم في المهد أربعة صغار: عيسى ابن مريم عليه السلام، وصاحب جريج، وشاهد يوسف، وابن ماشطة فرعون.

موقوف حسن

* * *

= وعلى هذا فلا تعويل على ما ذكره الشيخ ناصر الدين الألباني - رحمه الله - في «سلسلة الأحاديث الضعيفة» تحت رقم (٨٨٠) (جـ٢/ ص٢٧٣) حيث قال: «وقد علمت مما سبق - كذا قال -: أن حماد بن سلمة سمع منه في اختلاطه أيضًا، ولا يمكن تمييز ما سمعه في هذه الحال عن ما سمعه قبلها، فلذا يتوقف عن تصحيح روايته عنه». كذا قال. وقد علمت مما أوردناه أن كثيرًا من أهل العلم ذكروا أن حمادًا سمع من عطاء قبل الاختلاط.

حديث الفُتُون الطويل

قال الحافظ أبو يعلى الموصلي رحمه الله («المسند» ٥/ ١٠):

حدثنا أبو خيثمة، حدثنا يزيد بن هارون، حدثنا أصبغ بن زيد الجهني، حدثنا القاسم بن أبي أيوب، حدثنا سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما، في قول الله تعالى: ﴿وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا﴾ [طه: ٤٠]: سألته عن «الفُتُون» ما هو؟ قال: استَأنِفِ النَّهَارَ يا ابن جبير؛ فإن لها حديثًا طويلاً، فلما أصبحتُ غَدَوْتُ إلى ابن عباس لأَنْتَجِزَ منه ما وعدني من حديث الفتون، فقال: تذاكر فرعون وجلساؤه ما كان الله وعد إبراهيم من أن يجعل في ذريته أنبياء وملوكًا، فقال بعضهم: إن بني إسرائيل لينتظرون ذلك ما يشكُّون فيه، وقد كانوا يظنون أنه يوسف بن يعقوب، فلما هلك قالوا: ليس كذلك، إن الله عز وجل وعد إبراهيم. قال فرعون: فكيف ترونه؟ فائتمروا وأجمعوا أمرهم على أن يبعث رجالاً معهم الشفار يطوفون في بني إسرائيل فلا يجدون مولودًا ذكرًا إلا ذبحوه، ففعلوا ذلك، فلما رأوا أن الكبار من بني إسرائيل يموتون بآجالهم، والصغار يذبحون، قالوا: يوشك أن تفنوا بني إسرائيل فتصيرون أن تباشروا من الأعمال التي كانوا يكفونكم، فاقتلوا عامًا كل مولود ذكر فيقل نباتهم، ودعوا عامًا فلا يقتل منهم فينشأُ الصغار مكان من يموت من الكبار، فإنهم لن يكثروا بمن تَستحيون منهم فتخافوا مكاثرتهم إياكم، ولن يفنوا بمن تقتلون فتحتاجون إلى ذلك. فأجمعوا أمرهم على ذلك.

فحملت أم موسى بهارون في العام الذي لا يذبح فيه الغلمان فولدته علانيةً آمنةً، فلما كان من قابلٍ حملت بموسى، فوقع في قلبها الهم والحُزن ـ وذلك من

الفتون يا ابن جبير - ما دخل منه في قلب أمه مما يراد به، فأوحى الله تبارك وتعالى إليها: ﴿ **وَلا تَخَافِي وَلا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ** ﴾ [القصص: ٧] وأمرها إذا ولدت أن تجعله في تابوتٍ ثم تلقيه في اليم، فلما ولدت فعلت ذلك به، فلما توارى عنها ابنها، أتاها الشيطان فقالت في نفسها: ما صنعت بابنٍ لو ذبح عندي فواريته وكفنته كان أحب إليَّ من أن ألقيه بيدي إلى زفرات البحر وحيتانه؟ فانتهى الماء به حتى انتهى به فرضةَ مُسْتَقى جواري امرأة فرعونٍ. فلما رأينه أخذنه فهممن أن يفتحن التابوت، فقال بعضهم: إن في هذا مالاً، وإنا إن فتحناه لم تصدقنا امرأة الملك بما وجدنا فيه. فحملنه بهيئته لم يحركن منه شيئًا حتى دفعنه إليها، فلما فتحته رأت فيه غلامًا، فألقي عليه منها محبة لم تجد مثلها على أحدٍ من البشر قط، فأصبح فؤاد أم موسى فارغًا من ذكْر كل شيء إلا من ذكر موسى.

فلما سمع الذباحون بأمره أقبلوا بشفارهم إلى امرأة فرعون ليذبحوه - وذلك من الفتون يا ابن جبير - فقالت لهم: اتركوه، فإن هذا الواحد لا يزيد في بني إسرائيل، حتى آتي فرعونَ فأستوهبه منه، فإن وهبه لي كنتم قد أحسنتم وأجملتم، وإن أمر بذبحه لم ألمكم. فأتت به فرعون فقالت: قرة عين لي ولك. قال فرعون: يكون لكِ، فأما لي فلا حاجة لي في ذلك.

قال رسول الله ﷺ: «**والذي أحلف به لو أقر فرعون بأن يكون له قرة عين كما أقرت أمرأته، لهداه الله به كما هدى امرأته، ولكن حرمهُ ذلك**».

فأرسلت إلى مَن حولها مِن كل امرأة لها لبن لتختار له ظِئرًا، فجعل كلما أخذته امرأة منهن لترضعه لم يقبل ثديها، حتى أشفقت عليه امرأة فرعون أن يمتنع من اللبن فيموت، فأحزنها ذلك.

فأخرج إلى السوق ومجمع الناس ترج أن تجد له ظئرًا يأخذ منها، فلم يقبل. فأصبحت أم موسى والهة، فقالت لأخته: قُصيه؛ قُصي أثره واطلبيه، هل تسمعين له ذِكرًا؟ أحيٌّ ابني أم قد أكلته الدوابُّ؟ ونسيت ما كان الله وعدها فيه، فبصرت به أخته عن جُنبٍ وهم لا يشعرون - و«الجُنُب»: أن يَسموا بصر الإنسان إلى الشيء البعيد وهو إلى جَنْبه لا يشعر به - فقالت من الفرح حين أعياهم الظؤار: أنا أدلُّكم على أهل بيتٍ يكلفونه لكم وهم له ناصحون. فأخذوها فقالوا: ما يدريكِ ما نصحهم له؟ هل تعرفونه؟ حتى شكوا في ذلك - وذلك من «الفُتُون» يا ابن جبير - فقالت: نصيحتهم له، وشفقتهم عليه رغبةً في صهر الملك ورجاء منفعته. فأرسلوها، فانطلقت إلى أمها فأخبرتها الخبرَ، فجاءت أمه، فلما وضعته في حِجرها نَزَا إلى ثديها فمصَّه حتى امتلأ جَنْباه ريًا.

وانطلق البشيرُ إلى امرأة فرعون يُبشرها أن قد وجدنا لابنك ظئرًا. فأرسلت إليها، فأتيت بها وبه، فلما رأت ما يصنع بها قالت لها: امكثي عندي ترضعين ابني هذا، فإني لم أحب حبه شيئًا قط. فقالت أم موسى: لا أستطيع أن أدع بيتي وولدي فنضيع. فإن طابت نفسك أن تعطينيه فأذهب به إلى بيتي فيكون معي لا آلوه خيرًا، وإلاَّ فإني غير تاركة بيتي وولدي، وذكرت أم موسى ما كان الله عز وجل وعدها، فتعاسرت على امرأة فرعون، وأيقنت أن الله منجز وعده، فرجعت إلى بيتها بابنها [فأصبح أهل] القرية مجتمعين يمتنعون من السُّخرة والظلم ما كان فيهم.

قال: فلما ترعرع قالت امرأة فرعون لأم موسى: [أريد] أن تريني ابني. فوعدتها يومًا تريها إياه، فقالت امرأة فرعون لخزانها وقهارمتها وظؤورتها: لا يبقين أحد منكم إلا استقبل ابني اليوم بهديةٍ وكرامةٍ لأرى ذلك فيه، وأنا باعثة

أمينًا يحصي كل ما يصنع كل إنسان منكم . فلم تزل الهدية والكرامة والتحف لتستقبله من حين خرج من بيت أمه إلىٰ أن دخل علىٰ امرأة فرعون . فلما دخل عليه بجَّلته وأكرمته وفرحت به وأعجبها ، وبجلت أمه بحسن أثرها عليه ، ثم قالت : لآتين به فرعون فليبجلنه وليكرمنه . فلما دخلت به عليه جعلته في حِجره ، فتناول موسىٰ لحيةَ فرعون ، فمدها إلىٰ الأرض ، فقال الغواة أعداءُ الله لفرعون : ألا ترىٰ إلىٰ ما وعد الله إبراهيم نبيه أن يربك ويعلوك ويصرعك؟! فأرسل إلىٰ الذبَّاحين ليذبحوه - وذلك من «الفُتُون» يا ابن جبير - بعد كل بلاء ابتلىٰ وأريك به فتونًا .

فجاءت امرأة فرعون تسعىٰ إلىٰ فرعون فقال : ما بدا لك في هذا الغلام الذي وهبته لي؟ قال : ترينه يزعم أنه يصَرعني ويعلوني؟ قالت : اجعل بيني وبينك أمرًا تعرف الحقَّ فيه : ائت بجمرتين ولؤلؤتين فقرَّ بهن إليه ، فإن بطش اللؤلؤتين ، علمتَ أن أحدًا لا يؤثر الجمرتين علىٰ اللؤلؤتين وهو يعقل . فقرَّب ذلك ، فتناول الجمرتين فانتزعوهما من يده مخافة أن تحرقاه . فقالت المرأة : ألا ترىٰ؟ فصرفهُ الله عنه بعدما كان قد همَّ به ، وكان الله عز وجل ، بالغًا فيه أمره .

فلما بلغ أشده وكان من الرجال ، لم يكن أحد من آل فرعون يخلص إلىٰ أحدٍ من بني إسرائيل منه بظُلمٍ ، ولا سخرةٍ ، حتىٰ امتنعوا كل الامتناع .

فبينما موسىٰ في ناحية المدينة إذا هو برجلين يقتتلان أحدهما فرعوني والآخر إسرائيلي ، فاستغاثه الإسرائيلي علىٰ الفرعوني ، فغضب موسىٰ غضبًا شديدًا لأنه تناوله وهو يعلم منزلة موسىٰ من بني إسرائيل وحِفظه لهم ، لا يعلم الناس أنَّما ذلك من الرضاع ، إلاَّ أم موسىٰ ، إلا أن يكون الله أَطلع موسىٰ من ذلك علىٰ ما لم يُطلع عليه غيره . فوكز موسىٰ الفرعونيَّ فقتله ، وليس يراهما أحد إلاَّ الله

والإسرائيلي. فقال موسى حين قتل الرجل: ﴿هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ﴾ [القصص:١٥]، ثم قال: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [القص: ١٦]، وأصبح في المدينة خائفًا يترقب الأخبار، فأتى فرعون فقيل له: إن بني إسرائيل قتلوا رجلاً من آل فرعون، فَخُذ لنا حقنا ولا ترخص لهم. فقال: ابغوني قاتله ومن يشهد عليه، فإن الملك وإن كان صفوه مع قوم لا يستقيم له أن يقيد بغير بينةٍ ولا ثبتٍ، فاطلبوا لي علم ذلك آخُذْ لكم بحقكم.

فبينما هم يطوفون لا يجدون ثبتًا، إذا موسى قد رأى من الغد ذلك الإسرائيلي يقاتل رجلاً من آل فرعون آخر، فاستغاثه الإسرائيليُّ على الفرعونيِّ، فصادف موسى قد ندم على ما كان منه فكره الذي رأى لغضب الإسرائيلي، وهو يريد أن يبطش بالفرعونيِّ، فقال للإسرائيليِّ - لما فعل أمس واليوم -: ﴿إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُّبِينٌ﴾ [القصص:١٨]، [فنظر الإسرائيلي إلى موسى حين قال له ما قال، فإذا هو غضبان كغضبه بالأمس، فخاف] أن يكون إياه أراد، وما أراد الفرعونيَّ، ولم يكن أراده، إنما أراد الفرعونيّ فخاف الإسرائيليُّ، فحاجزَ الفرعوني ﴿قَالَ يَا مُوسَىٰ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ﴾ [القصص:١٩]، وإنما قال ذلك مخافة أن يكون إياه أراد موسى ليقتله، وتنازعًا وتطاوعًا، وانطلق الفرعوني إلى قومه فأخبرهم بما سمع من الإسرائيلي من الخبر حين يقول: ﴿أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ﴾، فأرسل فرعون الذباحين ليقتلوا موسى، فأخذ رسل فرعون الطريق الأعظم يمشون على هيئتم يطلبون لموسى، وهم لا يخافون أن يفوتهم، إذ جاء رجل من شيعة موسى من أقصى المدينة فاختصر طريقًا قريبًا حتى يسبقهم إلى موسى فأخبره الخبر. وذلك من «الفتون» يا ابن جبير.

فخرج موسىٰ متوجهًا نحو مدين، لم يلق بلاءً قبل ذلك، وليس له بالطريق علم إلا حُسن ظنه بربه عز وجل، فإنه قال: ﴿ **عَسَىٰ رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ** ﴿٢٢﴾ **وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ** ﴾ [القصص: ٢٢ ـ ٢٣] يعني بذلك: حابستين غنمهما، فقال لهما: ما خطبكما معتزلتين لا تَسقيان مع الناس؟ قالتا: ليس لنا قوة نزاحم القوم، وإنما ننتظر فضول حياضهم، فسقىٰ لهما، فجعل يغرف في الدلو ماءً كثيرًا حتىٰ كان أول الرعاء فراغًا، فانصرفتا بغنمهما إلىٰ أبيهما، وانصرف موسىٰ فاستظل بشجرةٍ ﴿ **فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ** ﴾ [القصص: ٢٤] فاستنكر أبوهما سرعة صدورهما بغنمهما حُفَّلاً بُطانًا، فقال: إن لكما اليوم لشأنًا، فأخبرتاه بما صنع موسىٰ، فأمر إحداهما تدعوه له، فأتت موسىٰ فدعته، فلما كلمه قال: ﴿ **لا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ** ﴾ [القصص: ٢٥]، ليس لفرعون ولا لقومه علينا سلطان، ولسنا في مملكته.

قال: ﴿ **قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ** ﴾ [القصص: ٢٦]، فاحتملته الغيرة علىٰ أن قال: وما يدريك ما قوته وما أمانته؟ قالت: أما قوته؟ فما رأيتُ منه في الدلو حين سقىٰ لنا، لم أرَ رجلاً أقوىٰ في ذلك السقي منه، وأما أمانته: فإنه نظر إليَّ حين أقبلت إليه وشخصتْ له، فلما علم أني امرأة صوب رأسه ولم يرفعه، ولم ينظر إليَّ حتىٰ بلَّغته رسالتك، ثم قال: امشي خلفي وانعتي لي الطريق. فلم يفعل هذا الأمر إلاَّ وهو أمين. فسرِّي عن أبيها فصدّقها، وظن به الذي قالت. فقال له: هل لك: ﴿ **أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَىٰ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ** ﴾ [القصص: ٢٧]، ففعل، فكانت علىٰ نبي

الله موسىٰ ﷺ ثمان سنين واجبةً، وكانت سنتان عدةً منه، فقضىٰ الله عنه عدته فأتمها عشراً.

قال سعيد: فلقيني رجل من أهل النصرانية من علمائهم. فقال: هل تدري أيَّ الأجلين قضىٰ موسىٰ؟ قلت: لا. وأنا يومئذٍ لا أدري، فلقيت ابن عباس فذكرت ذلك له فقال: أما علمت أن ثمانيًا كان علىٰ موسىٰ واجبة ولم يكن نبي الله لينقص منها شيئًا، ويعلم أن الله قاضٍ عن موسىٰ عِدَتَهُ التي وَعَد، فإنه قضىٰ عشر سنين، فلقيت النصرانيَّ فأخبرتُه ذلك فقال: الذي سألته فأخبركَ أعلم منكَ بذلك؟ قال: قلت أجَلْ، وأَولىٰ.

فلمَّا سار موسىٰ بأهله كان من أمر «النار» و«العصا» و«يده» ما قص الله عليك في القرآن، فشكا إلىٰ ربه تبارك وتعالىٰ ما يتخوف من آل فرعون في القتل وعقد لسانه، فإنه كان في لسانه عقدة تمنعه من كثير من الكلام. وسأل ربه أن يعينه بأخيه هارون يكون له رِدءًا، ويتكلم عنه بكثير مما لا يفصح به لسانه، فآتاه الله سؤْله وحل عقدةً من لسانه، فأوحىٰ الله إلىٰ هارون وأمره أن يلقاه، فاندفع موسىٰ بعصاه حتىٰ لقي هارون، فانطلقا جميعًا إلىٰ فرعون، فأقاما علىٰ بابه حينًا لا يؤْذن لهما، ثم أُذن لهما بعد حجاب شديدٍ فقالا: ﴿**إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ**﴾ [طه:٤٧]، ﴿**قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَا مُوسَى**﴾ [طه:٤٩]، فأخبره بالذي قص الله عليك في القرآن، قال: فما تريد؟ وذكَّره القتيل فاعتذر بما قد سمعت، وقال: إني أريد أن تؤمن بالله وترسل معي بني إسرائيل. فأبىٰ عليه ذلك وقال: ائت بآية إن كنت من الصادقين. فألقىٰ عصاه فإذا هي حيةٌ عظيمةٌ فاغرةٌ فاها، مسرعةٌ إلىٰ فرعون، فلما رآها فرعون قاصدة إليه خافها فاقتحم عن سريره، واستغاث بموسىٰ أن يكفها عنه ففعل، ثم أخرج يده من جيبه فرآها بيضاء من غير سوء - يعني: من

غير برص ـ، ثم ردها فعادت إلى لونها الأول. فاستشار الملأ حوله فيما رأى فقالوا له: ﴿ إِنْ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَى ﴾ [طه: ٦٣] يعني: ملكهم الذي هم فيه والعيش ـ، فأبوا أن يعطوه شيئًا مما طلب وقالوا له: اجمع لنا السحرة فإنهم بأرضك كثيرٌ حتى يغلب سحرهم سحرهما، فأرسل في المدينة فحشر له كل ساحرٍ متعالم، فلما أتوا فرعون قالوا: بم يعمل هذا الساحر؟ قالوا: يعمل بالحيات، قالوا: فلا والله ما أحدٌ في الأرض يعمل السحر بالحيات والعصي الذي نعمل؛ فما أجرنا إن نحن غلبنا؟ فقال لهم: إنكم أقاربي وخاصتي، فأنا صانع إليكم كل ما أحببتم، فتواعدوا يوم الزينة ﴿ وَأَن يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى ﴾ [طه: ٥٩].

قال سعيد: حدثني ابن عباس: أن يوم الزينة: اليوم الذي أظهر الله فيه موسى على فرعون والسحرة، وهو يوم عاشوراء، فلما اجتمعوا في صعيدٍ قال الناس بعضهم لبعض: انطلقوا فلنحضر هذا الأمر؛ ﴿ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِن كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ ﴾ [الشعراء: ٤٠] ـ يعنون: موسى وهارون استهزاءً بهما ـ، فقالوا: يا موسى ـ لقدرتهم بسحرهم ـ: ﴿ إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ ﴾ [الأعراف: ١١٥]، قال: بل ألقوا ﴿ فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ ﴾ [الشعراء: ٤٤]، فرأى موسى من سحرهم ما أوجس في نفسه خيفة، فأوحى الله تبارك وتعالى إليه ﴿ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ﴾ [الأعراف: ١١٧]، فلما ألقاها صارت ثعبانًا عظيمًا فاغرةً فاها، فجعلت العصي بدعوة موسى تلبس بالحبال حتى صارت جرزًا إلى الثعبان تدخل فيه، حتى ما أبقت عصًا ولا حبلاً إلا ابتلعته. فلما عرف السحرة ذلك قالوا: لو كان هذا سحرًا لم يبلغ من سحرنا هذا، ولكنه أمرٌ من أمر الله تبارك وتعالى، آمنا بالله وبما جاء به موسى، ونتوب إلى الله عز وجل مما كنا

عليه. وكسر الله ظهر فرعون في ذلك الموطن وأشياعه، وأظهر الحقَّ ﴿وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١١٨) فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانقَلَبُوا صَاغِرِينَ﴾ [الأعراف: ١١٨، ١١٩]، وامرأة فرعون بارزة متبذلة تدعو الله بالنصر لموسىٰ علىٰ فرعون، فمن رآها من آل فرعون ظن أنها ابتذلت للشفقة علىٰ فرعون وأشياعه، وإنما كان حزنها وهمّها لموسىٰ.

فلما طال مُكثُ موسىٰ لمواعيد فرعون الكاذبة، كلما جاءه بآيةٍ وعَدَهُ عندها أن يرسل بني إسرائيل، فإذا مضتْ أخلف مواعيده وقال: هل يستطيع ربك [أن] يصنع غير هذا؟ فأرسل الله عليه وعلىٰ قومه الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات. كل ذلك يشكو إلىٰ موسىٰ ويطلب إليه أن يكفها عنه، ويوافقه أن يرسل معه بني إسرائيل، فإذا كف ذلك عنه أخلف موعده ونكث عهده، حتىٰ أُمر بالخروج بقومه، فخرج بهم ليلاً، فلما أصبح فرعون ورأىٰ أنهم قد مضوا، أرسل في المدائن حاشرين يتبعهم بجنودٍ عظيمةٍ كثيرةٍ، فأوحىٰ الله إلىٰ البحر: أن إذا ضربك عبدي موسىٰ بعصاه فانفرقْ اثنىٰ عشر فِرقًا حتىٰ يجوز موسىٰ ومن معه، ثم التقِ علىٰ من بقي بعده من فرعون وأشياعه، فنسيَ موسىٰ أن يضرب البحر بالعصا، فانتهىٰ إلىٰ البحر وله قصيف مخافة أن يضربه موسىٰ بعصاه وهو غافل فيصير عاصيًا.

فلما تراءىٰ الجمعان وتقاربا، قال قوم موسىٰ: ﴿إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾ [الشعراء: ٦١]، افعَلْ ما أمرك ربُّك، فإنك لن تكذِب ولن تُكذب. فقال: وعدني إذا أتيتُ البحرَ أن يفرق لي اثنىٰ عشر فرقًا حتىٰ أجاوزه. ثم ذكر بعد ذلك العصا، فضرب البحر بعصاه فانفرقَ له حين دنا أوائل جند فرعون من أواخر جُنْد موسىٰ وأصحابه كلهم، ودخل فرعون وأصحابه، التقىٰ عليهم كلما أمر الله.

فلما أن جاوز موسىٰ البحر قالوا: إنا نخاف أن لا يكون فرعون غرق فلا نؤمن بهلاكه، فدعا ربه فأخرجه له ببدنه حتىٰ استيقنوا بهلاكه.

ثم مروا علىٰ قوم يعكفون علىٰ أصنام لهم، ﴿قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَل لَّنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَؤُلاءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٨ ـ ١٣٩]، قد رأيتم من العبر وسمعتم ما يكفيكم، ومضىٰ فأنزلهم موسىٰ منزلاً ثم قال لهم: أطيعوا هارون؛ فإني قد استخلفته عليكم، وإني ذاهب إلىٰ ربي. وأجَّلهم ثلاثين يومًا أن يرجع إليهم.

فلما أتىٰ ربَّه أن يكلمه في ثلاثين وقد صامهن: ليلهن ونهارهن، كره أن يكلم ربَّه ويخرج من فمه ريح فم الصائم. فتناول موسىٰ شيئًا من نبات الأرض فمضغه، فقال له ربه حين أتاه: أفطرتَ؟ وهو أعلم بالذي كان؟ قال: رب كرهتُ أن أكلمك إلا وفمي طيب الريح. قال: أو ما علمت يا موسىٰ أن ريح فم الصائم أطيب عندي من ريح المسك؟ ارجع حتىٰ تصوم عشراً. ثم ائتني. ففعل موسىٰ ما أُمر به.

فلما رأىٰ قوم موسىٰ أنه لم يرجع إليهم للأجل؛ قال: ساءهم ذلك. وكان هارون قد خطبهم فقال: إنكم خرجتم من مصر ولقوم فرعون عوارٍ وودائعُ، ولكم فيها مثل ذلك، وأنا أرىٰ أن تحتسبوا مالكم عندهم، ولا أحل لكم وديعةً ولا عاريةً، ولسنا برادِّين إليهم شيئًا من ذلك ولا ممسكيه لأنفسنا. فحفر حفيراً وأمر كل قومٍ عندهم شيءٌ من ذلك من متاع أو حليةٍ أن يقذفوه في ذلك الحفير. ثم أوقد عليه النار فأحرقه، فقال: لا يكون لنا ولا لهم.

وكان السامري رجلاً من قومٍ يعبدون البقر ـ جيرانٍ لهم ولم يكن من بني إسرائيل ـ فاحتمل مع موسىٰ وبني إسرائيل حين احتملوا فقضىٰ له أن رأىٰ أثرًا،

فأخذ منه قبضةً فمر بهارون فقال هارون: يا سامري؛ ألا تلقي ما في يدك - وهو قابض عليه لا يراه أحد طوال ذلك؟ قال: هذه قبضةٌ من أثر الرسول الذي جاوز بكم البحر، فلا أُلقيها بشيء إلا أن تدعو الله إذا أَلقيتها أن يكون ما أريد، فألقاها ودَعا له هارون. وقال: أريد أن أكون عِجْلاً. فاجتمع ما كان في الحفرة من متاعٍ أو حليةٍ أو نحاسٍ أو حديدٍ فصار عِجْلاً أجوف ليس فيه روح، له خوارٌ.

قال ابن عباس: ولا والله، ما كان له صوتٌ قَط؛ إنما كان الريح تدخل من دبره وتخرج من فِيهِ. وكان ذلك الصوت من ذلك، فتفرق بنو إسرائيل فرقًا: فقالت فرقة: يا سامري ما هذا؛ فأنت أعلم به؟ قال: هذا ربكم، ولكن موسىٰ أضل الطريق.

وقالت فرقة: لا نكذب بهذا حتىٰ يرجع إلينا موسىٰ، فإن كان ربنا لم نكن ضيعناه وعجزنا فيه حين رأيناه، وإن لم يكن ربنا فإنا نتبع قول موسىٰ.

وقالت فرقة: هذا عمل الشيطان، وليس بربنا، ولا نؤمن به، ولا نصدق.

وأُشرب فرقةٌ في قلوبهم التصديق بما قال السامريُّ في العِجْل وأَعلنوا التكذيبَ به.

فقال لهم هارون: ﴿ **يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَٰنُ** ﴾ [طه: ٩٠] ليس هكذا.

قالوا: فما بال موسىٰ وعدنا ثلاثين يومًا ثم أخلفنا؟ هذه أربعون قد مضت؟! فقال سفهاؤهم: أخطأ ربَّه فهو يطلبه ويتبعه.

فلمَّا كلَّم الله موسىٰ وقال له ما قال، أخبره بما لقي قومه من بعده ﴿ **وَلَمَّا رَجَعَ**

مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا﴾ [الأعراف: ١٥٠]، فقال لهم ما سمعتم من القرآن ﴿وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ﴾ [الأعراف: ١٥٠]، وألقىٰ الألواح، ثم إنه عذر أخاه واستغفر له وانصرف إلىٰ السامري فقال له: ما حملك علىٰ ما صنعت؟ قال: قبضتُ قبضة من أثر الرسول وفطنتُ لها، وعميتُ عليكم فقذفتُها ﴿وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ﴿٩٦﴾ قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُ وَانظُرْ إِلَىٰ إِلَٰهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا﴾ [طه: ٩٦-٩٧] ولو كان إلهًا لم تخلص إلىٰ ذلك منه، فاستيقن بنو إسرائيل، واغتبط الذين كان رأيهم فيه مثل رأي هارون؛ وقالوا - جماعتهم - لموسىٰ: سَلْ لنا ربك أن يفتح لنا باب توبةٍ نصنعها فتكفّر لنا ما عملنا. فاختار قومه سبعين رجلاً لذلك - لإتيان الجبل - ممَّن لم يُشرِكْ في العجل؛ فانطلق بهم ليسأل لهم التوبة، فرجفتْ بهم الأرض، فاستحيا نبيُّ الله من قومه ووفده حين فعل بهم ما فعل؛ فقال: ﴿رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلُ وَإِيَّايَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا﴾ [الأعراف: ١٥٥]، وفيهم من كان الله اطّلع علىٰ ما أُشرب من حُب العجل إيمانًا به، فلذلك رجفتْ بهم الأرض، فقال: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ﴾ [الأعراف: ١٥٦-١٥٧]، فقال: ربّ سألتُك التوبة لقومي فقلتَ: إن رحمتك كتبتُها لقومٍ غيرِ قومي، فليتك أخَّرتني حتىٰ تُخرجني حيًا في أُمة ذلك الرجلِ المرحومة. فقال الله عز وجل له: إن توبتهم أن يقتل كلُّ رجلٍ منهم كل مَن لقِيَ من والدٍ وولدٍ، فيقتله بالسيف لا يُبالي من قتل في ذلك الموطن. ويأتي أولئك الذين خفيَ علىٰ موسىٰ وهارون ما اطلع الله عليه من ذنوبهم واعترفوا بها وفعلوا ما أمروا به، فغفر الله للقاتل

والمقتول، ثم سار بهم موسىٰ متوجهًا نحو الأرض المقدسة، وأخذ الألواح بعدما سكت عنه الغضب، فأمرهم بالذي أمر به أن يبلغهم من الوظائف، فثقل ذلك عليهم وأبوا أن يقروا بها؛ فنتق الله عليهم الجبل كأنه ظلة، ودنا منهم حتىٰ خافوا أن يقع عليهم، فأخذوا الكتاب بأيمانهم وهم مُصغُون إلىٰ الجبل والأرض، والكتاب بأيديهم وهم ينظرون إلىٰ الجبل مخافة أن يقع عليهم، ثم مضوا حتىٰ أتوا الأرض المقدسة، فوجدوا فيها مدينة فيها قوم جبارون، خلقهم خلقٌ منكَرٌ، وذكَروا من ثمارهم أمرًا عجيبًا من عظمها فقالوا: ﴿ **يَا مُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا** ﴾ [المائدة: ٢٢]، لا طاقة لنا بهم، ولا ندخلها ما داموا فيها، ﴿ **فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ** ﴾ [المائدة: ٢٢]، ﴿ **قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ** ﴾ [المائدة: ٢٣]من الجبارين، آمنا بموسىٰ، فخرجنا إليه، فقالا: نحن أعلم بقومنا، إن كنتم إنما تخافون مما ترون من أجسامهم وعدتهم فإنهم لا قلوب لهم، ولا منعة عندهم؛ فادخلوا عليهم الباب، ﴿ **فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ** ﴾.

ويقول ناس: إنهما من قوم موسىٰ. وزعم عن سعيد بن جبير: «أنهما من الجبابرة آمنا بموسىٰ. يقول: ﴿ **مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ** ﴾ إنما عني بذلك: الذين يخافون بنو إسرائيل، ﴿ **قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ** ﴾ [المائدة: ٢٤]. فأغضبوا موسىٰ، فدعا عليهم وسمَّاهم فاسقين، ولم يدعُ عليهم قبل ذلك لما رأىٰ منهم من المعصية وإساءتهم حتىٰ كان يومئذٍ فاستجاب الله له فسماهم كما سماهم موسىٰ: فاسقين، وحرَّمها عليهم أربعين سنة يَتيهون في الأرض، يُصبحون كل يومٍ فيسيرون ليس لهم قَرار، ثم ظلَّل عليهم الغمامَ في التيه. وأنزل عليهم المنَّ والسلوىٰ، وجعل لهم ثيابًا لا تَبلىٰ ولا تَتسخ، وجعل بين ظهورهم حَجرًا مُربعًا، وأمَر موسىٰ فَضَربه

بعصاه، ﴿فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ [البقرة: ٦٠]، في كل ناحية ثلاثة أعين، وأعلم كل سبط عينهم التي يشربون منها، لا يرتحلون من منقلة إلا وجد ذلك الحجر فيهم بالمكان الذي [كان فيه][(١)] بالأمس».

رفع ابن عباس هذا الحديثَ إلى النبي ﷺ. وصدَّق ذلك عندي: أن معاوية سمع ابن عباس حدث هذا الحديث فأنكره عليه: أن يكون الفرعوني هذا الذي أفشى على موسى أمر القتيل الذي قتل، قال: فكيف يفشي عليه ولم يكن علم به، ولا ظهر عليه إلاَّ الإسرائيلي الذي حضر ذلك، وشهده؟ فغضب ابن عباس وأخَذ بيد معاوية فذهب به إلى سعد بن مالكٍ الزهري فقال: يا أبا إسحاق، هل تذكر يوم حدَّثنا رسول الله ﷺ عن قتيل موسى الذي قتله من آل فرعون؛ الإسرائيلي أفشى عليه أم الفرعوني؟ فقال: إنما أفشى عليه الفرعوني بما سمع من الإسرائيلي الذي شهد ذلك وحضره.

إسناده حسن

وأخرجه: ابن جرير الطبري (١٦/ ١٢٥)، عزاه ابن كثير إلى النسائي في «السنن الكبرى» في «التفسير»، وإلى ابن أبي حاتم، وقال الحافظ ابن كثير: «وهو موقوف من كلام ابن عباس، وليس فيه مرفوع إلا قليل منه، وكأنه تلقاه ابن عباس رضي الله عنهما مما أبيح نقله من الإسرائيليات[(٢)] عن كعب الأحبار أو غيره، والله أعلم. وسمعت شيخنا الحافظ أبا الحجاج المزي يقول ذلك أيضًا».

* * *

---

(١) ما بين حاصرتين زيادة من مصادر التخريج.

(٢) قلت: والجزم بأنه أخذه من الإسرائيليات فيه نظر، ففي قوله في آخر الحديث: «رفع ابن عباس هذا الحديث إلى النبي ﷺ» ما يدفع هذا التردد، والله أعلم.

بعض ما لقيه النبي ﷺ وأصحابه من أذى المشركين(*)

قال الإمام البخاري رحمه الله (٣٨٥٤):

حدثنا محمد بن بشار، حدثنا غندر، حدثنا شعبة، عن أبي إسحاق، عن عمرو بن ميمون، عن عبد الله رضي الله عنه، قال: بينا النبي ﷺ ساجد وحوله ناس من قريش، جاء عقبة بن أبي معيط بسلىٰ جزور(١) فقذفه علىٰ ظَهر النبي ﷺ، فلم يرفع رأسه، فجاءت فاطمة عليها السلام فأخذته من ظهره ودعت علىٰ من صنع، فقال النبي ﷺ: «**اللهم عليك الملأ من قريش: أبا جهل بن هشام، وعُتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وأُمية بن خلف - أو أُبيَّ بن خلف - شعبةُ الشاكُّ - فرأيتهم قُتلوا يوم بدر، فأُلقوا في بئرٍ غير أُمية بن خلف أو أُبي تقطعتْ أوصاله فلم يُلق في البئرِ**».

صحيح

وأخرجه: مسلم (١٧٩٤، والنسائي (١/ ١٦٢).

قال الإمام البخاري رحمه الله (٣٨٥٦):

حدثنا عياش بن الوليد، حدثنا الوليد بن مسلم، حدثني الأوزاعي، حدثني يحيىٰ بن أبي كثير، عن محمد بن إبراهيم التيمي، قال: حدثني عروة بن الزبير،

(*) وحياةُ النبي ﷺ كلها ابتلاءات، وإنما ذكرنا طرفًا منها حتىٰ لا يخلو منها أصل الكتاب، وبالله التوفيق.

(١) قال الحافظ في «الفتح» (١/ ٣٥٠): «والجَزور من الإبل ما يجزر أي يقطع وهو بفتح الجيم، والسَّلىٰ - مقصور بفتح المهملة - هي: الجِلدة التي يكون فيها الولد، يقال لها ذلك من البهائم، وأما من الآدميات فالمشيمة. وحكىٰ صاحب «المحكم» أنه يقال فيهن أيضًا: سلي».

قال: سألت ابن عمرو بن العاص، أخبرني بأشد شيء صنعه المشركون بالنبي ﷺ؟ قال: بينا النبي ﷺ يُصلي في حجر الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبي معيط، فوضع ثوبه في عنقه فخنقه خنقًا شديدًا، فأقبل أبو بكر حتى أخذ بمنكبه ودفعه عن النبي ﷺ، وقال: ﴿**أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ**﴾ [غافر: ٢٨].

صحيح

تابعه ابن إسحاق: حدثني يحيى بن عروة، عن عروة، قلت لعبد الله بن عمرو.

وقال عبدة عن هشام: عن أبيه: قيل لعمرو بن العاص.

وقال محمد بن عمرو، عن أبي سلمة: حدثني عمرو بن العاص.

قال ابن سعد رحمه الله «الطبقات» (٣/ ١/ ١٧٨):

أخبرنا مسلم بن إبراهيم، قال: حدثنا هشام الدستوائي، قال: حدثنا أبو الزبير، أن النبيَّ ﷺ مرَّ بآل عمار وهم يُعذبون، فقال لهم: «**أبشروا آل عمار فإن موعدكم الجنَّة**».

صحيح لشواهده(١)

قال الإمام أحمد رحمه الله (٣/ ١٢٠):

حدثنا وكيع، ثنا حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: «**لقد أُوذيتُ في الله عز وجل وما يُوذى أحدٌ، وأُخفتُ في الله وما يُخافُ أحد، ولقد أتَتْ عليَّ ثلاثةٌ من بين يومٍ وليلةٍ ومالي ولِعيالي**

---

(١) فهو من هذا الوجه مرسل، لكن له طرق يتقوى بها، أوردناها بتفصيل في كتابنا: «الصحيح المسند من فضائل الصحابة».

طعام يَأْكُلُهُ ذُو كبدٍ، إلا ما يُواري إبطُ بلالٍ».

صحيح

وأخرجه أبو نعيم في «الحلية» (١/ ١٥٠).

قال ابن ماجه رحمه الله (حديث ١٥٠):

حدثنا أحمد بن سعيد الدارمي، ثنا يحيىٰ بن أبي بكير، ثنا زائدة بن قدامة، عن عاصم بن أبي النجود، عن زر بن حبيش، عن عبد الله بن مسعود، قال: كان أول من أظهر إسلامه سبعة: رسولُ الله ﷺ، وأبو بكر، وعمار، وأمه سمية، وصهيب، وبلال، والمقداد. فأما رسولُ الله ﷺ: فمنعه الله بعمه أبي طالب، وأما أبو بكر: فمنعه الله بقومه، وأما سائرهم: فأخذهم المشركون وألبسوهم أدراع الحديد وصهروهم في الشمس، فما منهم من أحدٍ إلا وقد واتاهم علىٰ ما أرادوا، إلا بلالاً؛ فإنَّه هانتْ عليه نفسه من الله وهان علىٰ قومه، فأخذوه فأعطوه الوِلدان فجعلوا يطوفون به في شعاب مكة وهو يقول: أَحدٌ أَحدٌ.

إسناده حسن[١]

وأخرجه أحمد (١/ ٤٠٤)، وابن أبي شيبة في «المصنف (١٢٣٨٣)، والحاكم في «المستدرك» (٣/ ٣٨٤)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ١٤٩).

* * *

(١) وقد سئل الدارقطني - كما في «العلل» له (٥/ ٦٣) عن هذا الحديث - فقال: «تفرد به يحيىٰ بن أبي بكير وقال: إنه وهم، وإنما رواه زائدة عن منصور عن مجاهد قوله» فالله أعلم.

أشد ما لقيه النبي ﷺ من قومه

قال الإمام البخاري رحمه الله (٣٢٣١):

حدثنا عبد الله بن يوسف، أخبرنا ابن وهب، قال: أخبرني يونس، عن ابن شهاب، قال: حدثني عروة، أن عائشة زوج النبي ﷺ حدثته أنها قالت للنبي ﷺ: هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أُحد؟ قال: **«لقد لقيتُ من قومك ما لقيتُ، وكان أشد ما لقيتُ منهم يوم القيامة إذ عرضتُ نفسي على ابن عَبد ياليل بن عبد كلال فلم يُجبني إلى ما أردتُ، فانطلقتُ وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفقْ إلا وأنا بقرنِ الثعالب[(١)]، فرفعتُ رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرتُ فإذا فيها جبريل، فناداني، فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردُّوا عليك، وقد بعث الله إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، فناداني ملك الجبال، فسلم عليَّ، ثم قال: يا محمد؛ ذلك فيما شئتَ، إن شئتَ أن أطبق عليهم الأخشبين[(٢)]؟ فقال النبي ﷺ: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئًا»**.

صحيح

وأخرجه مسلم (١٧٩٥)، وعزاه المزيُّ للنسائي.

---

(١) هو مكان، وهو ميقات أهل نجد.

(٢) قال الحافظ «فتح الباري» (٦/ ٣١٦): قوله: (الأخشبين) بالمعجمتين. هما جَبَلا مكة: أبو قبيس والذي يقابله، وكأنه قعيقعان، وقال الصغاني: بل هو الجبل الأحمر الذي يشرف على قعيقعان. ووَهِم من قال: هو ثور كالكرماني، وسُميا بذلك لصلابتهما وغلظ حجارتهما، والمراد بإطباقهما: أن يلتقيا على من بمكة، ويحتمل أن يراد: أنهما يصيران طبقًا واحدًا.

وقد أُخرج النبي ﷺ من مكة مع أصحابه لقولهم: «ربنا الله»

قال الله عز وجل ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلاَّ أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾ [الحج: ٤٠].

قال الإمام البخاري رحمه الله (٤٣١٢):

حدثنا إسحاق بن يزيد، حدثنا يحيى بن حمزة، حدثني الأوزاعي، عن عطاء بن أبي رباح، قال: زرت عائشة مع عبيد بن عمير، فسألها عن الهجرة؟ فقالت: لا هجرة اليوم، كان المؤمن(١) يفر أحدهم بدينه إلى الله وإلى رسوله ﷺ مخافةَ أن يفتن عليه، فأما اليوم فقد أظهر الله الإسلام، فالمؤمن يعبد ربه حيث شاء ولكن جهاد ونية.

صحيح

= قلت: وفي الحديث: أن الابتلاء النفسي أشق على الإنسان من الابتلاء البدني، فالنبي ﷺ شج رأسه يوم أُحد وكُسرت رُباعيته، ومع ذلك فما لقيه من ابن عبد ياليل بن عبد كلال من عدم إجابته إياه أشق مما حل به يوم أُحد، صلوات الله وسلامه عليه.

(*) وقد هدد الكفار ـ على مدار الأزمان ـ أنبياءهم بذلك. قال الله عز جل: ﴿وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن في ملتنا﴾ [إبراهيم: ١٣]، وقال سبحانه: ﴿... قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن في ملتنا﴾ [الأعراف: ٨٨]. وقال قوم لوط: ﴿أخرجوا آل لوط من قريتكم﴾ [النمل: ٥٦]. فلا غرابة أن يبتلى المؤمن بمثل هذا النوع من الابتلاء.

(١) في رواية للبخاري: «كان المؤمنون».

وقال الحافظ في «الفتح» (٧/ ٢٢٩): «أشارت عائشة إلى بيان مشروعية الهجرة، وأن سببها خوف الفتنة، والحكم يدور مع علته، فمقتضاه: أن من قدر على عبادة الله في =

قال الإمام أحمد رحمه الله (٤/ ٣٠٥):

حدثنا أبو اليمان، أنا شعيب، عن الزهري، أنا أبو سلمة بن عبد الرحمن، أن عبد الله بن عدي بن الحمراء الزهري أخبره، أنه سمع النبي ﷺ وهو واقف بالحزورة في سوق مكة[1]: «**والله، إنك لخير أرض الله، وأحب أرض الله إلى الله عز وجل، ولولا أني أُخرِجْتُ منك ما خرجت**».

صحيح

وأخرجه عبد بن حميد في «المنتخب» (بتحقيقي رقم/ ٤٩٠)، والترمذي في «المناقب» (٥/ ٧٢٢)، وقال: «حسن غريب صحيح»، وابن ماجه (٣١٠٨)، والدارمي (ص٢٣٩)، ولمزيد بحثٍ حوله انظر: «المنتخب».

* * *

= أي موضع اتفق لم تجب عليه الهجرة منه، وإلا وجبت، ومن ثَم قال الماوردي: إذا قدر على إظهار الدين في بلد من بلاد الكفر فقد صارت البلد به دار إسلام، فالإقامة فيها أفضل من الرحلة منها لما يترجئ من دخول غيره في الإسلام».

(١) يعني: (يقول)، كما هو واضح في طُرق الحديث، وهذا لا يخفى.

إخبار النبي ﷺ بما كان وسيكون إلى قيام الساعة

قال الإمام مسلم رحمه ا لله (٢٨٩٢):

وحدثني يعقوب بن إبراهيم الدورقي وحجاج بن الشاعر جميعًا، عن أبي عاصم، قال حجاج: حدثنا أبو عاصم، أخبرنا عزرة بن ثابت، أخبرنا علياء بن أحمر، حدثني أبو زيد - يعني: عمرو بن أخطب - قال: صلىٰ بنا رسول الله ﷺ الفجر، وصعد المنبر فخطبنا حتىٰ حضرتِ الظُّهرُ، فنزل فصلىٰ، ثم صعد المنبر فخطبنا حتىٰ حضرت العصرُ، ثم نزل فصلىٰ، ثم صعد المنبرِ فخطبنا حتىٰ غربتِ الشمسُ، فأخبرنا بما كان وبما هو كائن، فأَعْلمُنا أحفظُنا.

صحيح

* * *

عِلم حذيفة(*) رضي الله عنه بأحاديث الفتن

قال الإمام البخاري رحمه الله (٦٦٠٤):

حدثنا موسى بن مسعود، حدثنا سفيان، عن الأعمش، عن أبي وائل، عن حذيفة رضي الله عنه قال: لقد خطبنا النبيُّ ﷺ خُطبةً ما ترك فيها شيئًا إلى قيام الساعة إلا ذَكَرَه، عَلِمَهُ من عَلِمَهُ وجَهِلَهُ من جهله، إن كنت لأرى الشيء قد نسيتُه فأعرفَه كما يَعرِفُ الرَّجُلُ الرجُلَ إذا غاب عنه فرآه فَعَرَفَهُ.

صحيح

وأخرجه مسلم (ص٢٢١٧)، وأبو داود (٤٢٤٠).

قال الإمام مسلم رحمه الله (٢٨٩١):

حدثني حرملة بن يحيى التجيبي، أخبرنا ابن وهب، أخبرني يونس، عن ابن شهاب، أن أبا إدريس الخولاني كان يقول: قال حذيفة بن اليمان: واللهِ إني لأَعْلَمُ الناس بكل فتنة هي كائنة فيما بيني وبين الساعة، وما بي إلا أن يكون رسولُ الله ﷺ أسَرَّ إليَّ في ذلك شيئًا لم يُحدثه غيري، ولكن رسولُ الله ﷺ قال وهو يُحَدِّث مجلسًا - أنا فيه - عن الفتن، فقال رسولُ الله ﷺ وهو يَعُدُّ الفتنَ: **«منهن ثلاث لا يكدن يَذَرْنَ شيئًا، ومنهن فتن كرياح الصيف، منها صغار ومنها كبار»**، قال حذيفة: فذهب أولئك الرهطُ كلهم غيري.

صحيح

وأخرجه أحمد (٥/ ٣٨٨، ٤٠٧).

(*) وسيأتي حديث حذيفة رضي الله عنه، وفيه: «كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يُدركني»... الحديث.

قال الحاكم رحمه الله (المستدرك ٤/ ٥٤٦):

حدثنا أبو بكر محمد بن أحمد بن بالويه، ثنا محمد بن غالب، ثنا عفان بن مسلم ومسلم بن إبراهيم، قالا: ثنا شعبة، عن عمرو بن مرة، قال: سمعت أبا البختري يحدث عن أبي ثور[1]، قال: كنتُ جالسًا مع حذيفة وأبي مسعود حيث ازدرأ أهل الكوفة سعيد بن العاص يوم الجرعة، فقال أبو مسعود: ما كنت أظن أن نرجع ولم يُهرق فيها دم، فقال حذيفة: لكني والله علمتُ أنَّا سنرجع على عقبنا ولم نهرق فيها محجمةَ دمٍ، وما علمتُ من ذاك شيئًا، إلاّ شيء علمته ومحمد ﷺ حيٌّ «**إن الرجل يصبح مؤمنًا ويمسي كافرًا ما معه من دينه شيء، ويمسي مؤمنًا ويصبح كافرًا وما معه من دينه شيء، يقاتل في فتنة اليوم ويقتله الله عز وجل غدًا، ينكس قلبه وتعلوه إسته.** قلت: أسفله؟ قال: **إسته**».

صحيح

* * *

(١) قال الآجري: قلت لأبي داود: أبو ثور الحداني؟ فقال: كوفي جليل، أدرك الصحابة. «تهذيب التهذيب» (١٢/ ٥١).

إخبار النبي ﷺ أمته بما سيصيبهم من بلاء وفتن

قال الإمام مسلم رحمه الله (١٨٤٤):

حدثنا زهير بن حرب و إسحاق بن إبراهيم (قال إسحاق: أخبرنا، وقال زهير: حدثنا) جرير، عن الأعمش، عن زيد بن وهب، عن عبد الرحمن بن عبد رب الكعبة. قال: دخلت المسجد فإذا عبد الله بن عمرو بن العاص جالس في ظل الكعبة، والناس مجتمعون عليه، فأتيتهم، فجلست إليه، فقال: كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فنزلنا منزلاً، فمنا من يصلح خباءه، ومنا من ينتضل[١]، ومنا من هو في جشره[٢]، إذ نادىٰ منادي رسول الله ﷺ: الصلاة جامعةٌ. فاجتمعنا إلىٰ رسول الله ﷺ، فقال: «**إنه لم يكن نبي قبلي إلا كان حقًا عليه: أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم، وينذرهم شر ما يعلمه لهم، وإن أمتكم هذه جُعل عافيتُها في أولها، وسيصيب آخرها بلاءٌ وأمورٌ تنكرونها، وتجئ فتنةٌ فيرقق[٣] بعضُها بعضًا، وتجئ الفتنةُ فيقول المؤمنُ: هذه مُهلكتي. ثم تنكشف، وتجئ الفتنة فيقول المؤمن: هذه هذه، فمن أحَبَّ أن يُزحزح عن النار ويُدخلَ الجنةَ: فلتأته مَنيَّتُهُ وهو يؤمن بالله واليوم الآخر، وليأت إلى الناس الذي يحب أن يؤتى إليه، ومن بايع إمامًا فأعطاه صفقةَ يَدِه وثمرةَ قلبه فليُطعه إن استطاع،**

(١) قال النووي: هو من المناضلة، وهي المراماة بالنشاب.

(٢) قال النووي: هو بفتح الجيم والشين، وهي الدواب التي ترعىٰ وتبيت مكانها.

(٣) «يرقق بعضها بعضًا» أي: يصير بعضها رقيقًا أي خفيفًا لعظم ما بعده، فالثاني يجعل الأول رقيقًا، وقيل: معناه يشبه بعضها بعضًا، وقيل: يدور بعضها في بعض ويذهب ويجيء، وقيل: معناه يسوق بعضها إلىٰ بعض بتحسينها وتسويلها.
والوجه الثاني: (فيرفق) بفتح الياء وإسكان الراء وبعدها فاء مضمومة، والثالث: (فيدفق) بالدال المهملة الساكنة وبالفاء المكسورة، أي يدفع ويصب، والدفق الصب.

فإن جاء آخر يُنازعه فاضربوا عُنُق الآخر»(١) ، فدنوت منه، فقلت له: أنشدك الله؛ آنت سمعتَ هذا من رسول الله ﷺ؟ فأهوىٰ إلىٰ أُذنيه وقلبه بيديه وقال: سمعته أُذناي ووعاه قلبي، فقلت له: هذ ابن عمك معاويةُ يأمرنا أن نأكل أموالنا بيننا بالباطل ونقتل أنفسنا، والله يقول: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا**﴾(٢) [النساء: ٢٩]، قال: فسكت ساعةً، ثم قال: أطعه في طاعة الله، واعصه في معصية الله(٣) .

صحيح

وأخرجه النسائي (٧/ ١٥٢ ـ ١٥٣)، وابن ماجه (٣٩٥٦) .

وأخرج أبو داود بعضه (٤٢٤٨) .

---

(١) قال النووي: معناه: ادفعوا الثاني فإنه خارج على الإمام، فإن لم يندفع إلا بحرب وقتال فقاتلوه، فإن دعت المقاتلة إلىٰ قتله جاز قتله، ولا ضمان فيه؛ لأنه ظالم متعد في قتاله .

(٢) قال النووي: المقصود بهذا الكلام: أن هذا القائل لَمَّا سمع كلام عبد الله بن عمرو بن العاص، وذكَر الحديثَ في تحريم منازعة الخليفة الأول وأن الثاني يقتل، فاعتقد هذا القائل هذا الوصف في معاوية لمنازعته عليًا رضي الله عنه، وكانت قد سبقت بيعة عليٍّ، فرأىٰ هذا أن نفقة معاوية علىٰ أجناده وأتباعه في حرب عليٍّ ومنازعته ومقاتلته إياه، من أكلِ أموالِ الناسِ بالباطل ومن قتلِ النفسِ، لأنه قتال بغير حقٍ، فلا يستحق أحد مالاً في مقاتلته .

(٣) قال النووي: قوله: «أطعه في طاعة الله واعصه في معصية الله» هذا فيه: دليلٌ لوجوب طاعة المتولين للإمامة بالقهر من غير إجماع ولا عهد .

قلت: كذا قال النووي رحمه الله، ومن الواضح أن هذا الكلام موقوف علىٰ عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما .

تنبيه:

لهذا الحديث طريق آخر معلولة ذكرها ابن أبي حاتم في «العلل» (٢/ ٤١٦)، ووهَّمها =

قال الإمام البخاري رحمه الله (٣٠٦٠):

حدثنا محمد بن يوسف، حدثنا سفيان، عن الأعمش، عن أبي وائل، عن حذيفة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: **«اكتبوا لي من تلفظ بالإسلام من الناس»**، فكتبنا له ألفًا وخمسمائة رجل، فقلنا: تخاف علينا ونحن ألف وخمسمائة[١]؟! فلقد رأيتنا[٢] ابتلينا حتى إن الرجل ليصلي وحده وهو خائف.

صحيح

= وصوَّب روايةَ إسناد حديث الباب (الذي ذكرناه)، أي: صوَّب روايةَ الأعمش عن زيد ابن وهب عن عبد الرحمن بن عبد رب الكعبة، وذكر أن الرواية الأخرى مضطربة.

(١) في رواية مسلم من طريق أبي معاوية عن الأعمش: «أتخاف علينا ونحن ما بين الستمائة إلى السبعمائة؟!». ووجه الجمع يتلخص في: أن من قال: «ألف وخمسمائة» ذكر الرجال والنساء والمقاتلة من أهل المدينة ومن غيرهم، ومن اقتصر على: «الستمائة إلى السبعمائة» وكذلك من قال: «بالخمسمائة» اقتصر على نوع مخصوص منهم، كأنه قال: «ستمائة» أو «سبعمائة» من الرجال المقاتلين.

وإذا اخترنا مسلك الترجيح فرواية الثوري أقوى؛ لأنه أحفظُ مَن روى عن الأعمش، وأبو معاوية وإن كان دون الثوري في الحفظ بمراحل إلا أنه روايه الأعمش، لكن لما تردد في العدد قُدمت رواية الثوري. والله أعلم.

وهذا، وقد عكر الحافظ ابن حجر على أوجه الجمع هذه «فتح الباري» (٦/ ١٧٩)، بقوله: «ويخدش في وجوه هذه الاحتمالات كلها اتحاد مخرج الحديث، ومداره على الأعمش بسنده، واختلاف أصحابه عليه في العدد المذكور، والله أعلم».

قلت: لعلَّ الصحابي نفسه رواها مرة بهذا العدد ومرة بذاك، فينتفي الإشكال. والله أعلم.

هذا، وفي رواية مسلم قبل قوله: «فلقد رأيتنا...» قال النبي ﷺ: «إنكم لا تدرون لعلكم أن تبتلوا».

(٢) قال النووي رحمه الله (١/ ٣٦١): (أما قوله: «فابتلينا فجعل الرجل لا يصلي إلا سرًا»، فلعله كان في بعض الفتن التي جرت بعد النبي ﷺ، فكان بعضهم يخفي نفسه ويصلي =

حدثنا عبدان، عن أبي حمزة، عن الأعمش: (فوجدناهم خمسمائة). قال أبو معاوية: (ما بين ستمائة إلى سبعمائة).

والحديث أخرجه مسلم (١٤٩)، وابن ماجه (٤٠٢٩).

وعزاه المزي للنسائي.

قال الإمام أحمد رحمه الله (٣/ ٤٧٧):

حدثنا سفيان، عن الزهري، عن عروة، عن كرز بن علقمة الخزاعي، قال: قال الرجل: يا رسول الله، هل للإسلام مِن مُنتهى؟ قال: «**أيما أهل بيت - وقال في موضع آخر: قال: نعم، أيما أهل بيت - من العرب أو العجم أراد الله بهم خيراً أدخل عليهم الإسلام**. قال: ثُم مَهْ؟ قال: **ثم تقع الفتنُ كأنها الظلل**، قال: كلاً، والله إن شاء الله، قال: **بلى، والذي نفسي بيده، ثم تعودون فيها أساود صبا، يضرب بعضُكم رقاب بعضٍ**»[1].

صحيح

وقرأ على سفيان: قال الزهري: «أساود صُبا»، قال سفيان: الحية السوداء

= سراً مخافةً من الظهور والمشاركة في الدخول بعد الفتنة والحروب. والله أعلم).

وقال الحافظ ابن حجر «فتح الباري» (٦/ ١٧٨): «وأما قول حذيفة: (فلقد رأيتنا ابتلينا - إلى آخره) فيشبه أن يكون أشار بذلك إلى ما وقع في أواخر خلافة عثمان من ولاية بعض أمراء الكوفة كالوليد بن عقبة، حيث كان يؤخر الصلاة أو لا يقيمها على وجهها، وكان بعض الورعين يصلي وحده سراً خشية الإنكار عليه، ووهم من قال: «إن ذلك كان أيام قتل عثمان» لأن حذيفة لم يحضر ذلك، وفي ذلك علم من أعلام النبوة من الإخبار بالشيء قبل وقوعه، وقد وقع أشد من ذلك بعد حذيفة في زمن الحجاج وغيره».

(١) في بعض روايات أحمد من الزيادة: «وأفضل الناس يومئذ: مؤمن معتزل في شِعب من الشِّعاب، يتَّقي ربَّه تبارك وتعالى ويدع الناس من شره».

تنصب - أي: ترتفع.

وأخرجه ابن حبان («موارد الظمآن» ١٨٧٠)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٤٥٥)، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه بهذه السياقة، وقال الذهبي: صحيح».

قال ابن حبان رحمه الله (١٨٦٠ «موارد الظمآن»):

أخبرنا عبد الله بن محمد بن سلم، حدثنا عبد الرحمن بن إبراهيم، حدثنا الوليد بن مسلم وعمر بن عبد الواحد، قالا: حدثنا الأوزاعي، حدثني ربيعة بن يزيد، قال: سمعت واثلة بن الأسقع يقول: خرج علينا رسول الله ﷺ فقال: «**يزعمون أني مِن آخركم وفاة! إني من أولكم وفاة، وتتبعوني أفنادًا يضرب بعضكم رقاب بعض**».

صحيح

قال الإمام أحمد رحمه ا لله (٤/ ٤٢٠):

حدثنا يونس، ثنا أبو الأشهب، عن علي بن الحكم، عن أبي برزة الأسلمي - قال أبو الأشهب: لا أعلمه إلا عن النبي ﷺ - قال: «**إن مما أخشى عليكم: شهوات الغي في بطونكم وفُروجِكم، ومضلات الفتن**».

رجاله ثقات

* * *

قول الله عز وجل
﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾

قال الإمام البخاري رحمه الله (٤٦٢٨):

حدثنا أبو النعمان، حدثنا حماد بن زيد، عن عمرو بن دينار، عن جابر رضي الله عنه قال: لما نزلت هذه الآية: **﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾** [الأنعام: ٦٥]، قال رسول الله ﷺ: **«أعوذ بوجهك»**. قال: **﴿أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾** [الأنعام: ٦٥]، قال: **«أعوذ بوجهك»** **﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾** [الأنعام: ٦٥] قال رسول الله ﷺ: **«هذا أهون»** - أو: **«هذا أيسر»**[1].

صحيح

وعزاه المزي للنسائي.

* * *

(١) قال الحافظ في «الفتح» (١٣/ ٢٩٦): «قال ابن بطال: أجاب الله تعالى دعاء نبيه في عدم استئصال أمته بالعذاب، ولم يجبه في أن لا يلبسهم شيعًا، أي فرقًا مختلفين، وأن لا يذيق بعضهم بأس بعض، أي بالحرب والقتل بسبب ذلك، وإن كان ذلك من عذاب الله، لكن أخف من الاستئصال، وفيه للمؤمنين كفارة».

نزول الفتن

قال الإمام البخاري رحمه الله (١٨٧٨):

حدثنا عليّ بن عبد الله، حدثنا سفيان، حدثنا ابن شهاب، قال: أخبرني عروة: سمعت أسامة رضي الله عنه قال: أشرف[١] النبي ﷺ على أطم[٢] من آطام المدينة، فقال: «**هل ترون ما أرى؟! إني لأرَى مواقع الفتن خلالَ بُيُوتِكم كمواقع القَطْر**»[٣].

صحيح

تابعه معمر وسليمان بن كثير، عن الزهري.

وأخرجه مسلم (٢٨٨٥).

---

(١) «أشرف»: نظر واطّلع.

(٢) في «اللسان»: «الأطمُ»: حصن مبني بالحجاة، وقيل: هو كل بيت مربع مسطح.

(٣) قال الحافظ ابن حجر رحمه الله في شرح هذا الحديث «فتح الباري» (٤/ ٩٥): «قوله: (مواقع) أي: مواضع السقوط، و(خلال): أي: نواحيها، شبه سقوط الفتن وكثرتها بالمدينة بسقوط القطر في الكثرة والعموم، وهذا من علامات النبوة لإخباره بما سيكون، وقد ظهر مصداق ذلك من قتل عثمان وهلم جرّا ولا سيما يوم الحرة، والرؤية المذكورة يحتمل أن تكون بمعنى العلم أو رؤية العين بأن تكون الفتن مثلث له حتى رآها، كما مثلت له الجنة والنار في القبلة حتى رآهما وهو يصلي».

وقال رحمه الله «الفتح» (١٣/ ١٣): «وإنما اختصت المدينة بذلك، لأن قتل عثمان رضي الله عنه كان بها، ثم انتشرت الفتن في البلاد بعد ذلك، فالقتال بالجمل وبصفّين كان بسبب قتل عثمان، والقتال بالنهروان كان بسبب التحكيم بصفّين، وكل قتال وقع في ذلك العصر إنما تولد عن شيء من ذلك أو عن شيء تولد عنه، ثم إن قتل عثمان كان أشد أسبابه الطعن على أمرائه ثم عليه بتوليته لهم، وأول ما نشأ ذلك: من العراق، وهي من جهة المشرق، فلا منافاة بين حديث الباب وبين الحديث الآتي: «إن الفتنة من قبل المشرق»، وحسن التشبيه بالمطر لإرادة التعميم لأنه إذا وقع في أرض معينة عمها ولو في بعض جهاتها».

قال الإمام البخاري رحمه الله (٧٠٥٩):

حدثنا مالك بن إسماعيل، حدثنا ابن عيينة، أنه سمع الزهري، عن عروة، عن زينب بنت أم سلمة[١]. عن أم حبيبة، عن زينب ابنة جحش رضي الله عنهن، أنها قالت: استيقظ النبي ﷺ من النوم محمرًا وجهه[٢]، وهو يقول: «**لا إله إلا الله ويلٌ للعرب[٣] من شر قد اقترب** ....،

(١) زاد عدد من الرواة عن ابن عيينة في هذا الحديث «حبيبة بنت أم حبيبة» بين «زينب بنت أم سلمة» و«أم حبيبة»، فقالوا: عن زينب بنت أم سلمة، عن حبيبة بنت أم حبيبة، عن أمها أم حبيبة، عن زينب بنت جحش.
قال الدارقطني رحمه الله: «أظن أن سفيان كان تارة يذكرها وتارة يسقطها».
قلت: فعلى رواية من زاد حبيبة بنت أم حبيبة (وهي حبيبة بنت عبيد الله بن جحش) - ربيبة النبي ﷺ - والذين زادوها ثقات، يكون في الإسناد أربع صحابيات: ثنتان من ربائب النبي ﷺ، وثنتان من أزواجه رضي الله عنهن.
وقد قال الحميدي رحمه الله: قال سفيان: أحفظ في هذا الحديث عن الزهري أربع نسوة قد رأين النبي ﷺ: ثنتين من أزواجه: أم حبيبة وزينب بنت جحش وثنتين ربيبتاه: زينب بنت أم سلمة، وحبيبة بنت أم حبيبة أبوها عبيد الله بن جحش مات بأرض الحبشة.

(٢) وفي رواية «فزعًا».

(٣) قال الحافظ في «الفتح» (١٣/ ١٠٧): «خص العرب بذلك لأنهم كانوا حينئذ معظم من أسلم، والمراد بالشر ما وقع بعده من قتل عثمان، ثم توالت الفتن حتى صار العرب بين الأمم كالقصعة بين الأكلة كما جاء في الحديث الآخر «يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة على قصعتها» - (قلت: وسيأتي تحقيقه) - قال: وإن المخاطب بذلك العرب، قال القرطبي: ويحتمل أن يكون المراد بالشر ما أشار إليه في حديث أم سلمة: «ماذا أنزل الليلة من الفتن؟ وماذا أنزل من الخزائن؟»، فأشار بذلك إلى الفتوح التي فتحت بعده، فكثرت الأموال في أيديهم، فوقع التنافس الذي جر الفتن، وكذلك التنافس على الإمرة، فإن معظم ما أنكروه على عثمان تولية أقاربه من بني أمية وغيرهم حتى أفضى ذلك إلى قتله، وترتب على قتله من القتال بين المسلمين ما اشتهر واستمر».

فُتِحَ اليومَ من رَدْمِ يأجوج ومأجوجَ[١] **مثل هذه**» ـ وعقد سفيان تسعين أو مائة ـ قيل: أنهلك وفينا الصالحون؟! قال: «**نعم، إذا كثر الخبث**»[٢].

صحيح

وأخرجه مسلم (٢٨٨٠)، والترمذي (٢١٨٧)، وقال: «هذا حديث حسن صحيح»، وابن ماجه (٣٩٥٣)، وعزاه المزي للنسائي.

* * *

(١) سيأتي الكلام على يأجوج ومأجوج في باب مستقل إن شاء الله تعالى.

(٢) قوله: (نعم، إذا كثر الخبث). قال الحافظ في «الفتح» (١٣/ ١٠٩): «الخبث: بفتح المعجمة والموحدة ثم مثلثة، فسَّروه بالزنا وبأولاد الزنا، وبالفسوق والفجور، وهو أولى لأنه قابله بالصلاح».
وقال ابن العربي: «فيه البيان بأن الخيِّر يهلك بهلاك الشرير إذا لم يغير عليه خبثه، وكذلك إذا غير عليه لكن حيث لا يجدي ذلك ويصر الشرير على عمله السيئ، ويفشو ذلك ويكثر حتى يعم الفساد، فيهلك حينئذ القليل والكثير ثم يحشر كل أحد على نيته، وكأنها فهمت من فتح القدر المذكور من الردم أن الأمر إن تمادى على ذلك اتسع الخرق بحيث يخرجون، وكان عندها علم أن في خروجهم على الناس إهلاكًا عامًا لهم».
وقال الحافظ في «الفتح» (١٣/ ١٣): «قال ابن بطال: أنذر النبي ﷺ في حديث زينب بقرب قيام الساعة كي يتوبوا قبل أن تهجم عليهم، وقد ثبت أن خروج يأجوج ومأجوج قرب قيام الساعة، فإذا فتح من ردمهم ذاك القدر في زمنه ﷺ لم يزل الفتح على مر الأوقات، وقد جاء في حديث أبي هريرة رفعه: «ويل للعرب من شر قد اقترب، موتوا إن استطعتم» قال: وهذا غاية في التحذير من الفتن والخوض فيها، حيث جعل الموت خيرًا من مباشرتها، وأخبر في حديث أسامة بوقوع الفتن خلال البيوت ليتأهبوا لها فلا يخوضوا فيها، ويسألوا الله الصبر والنجاة من شرها».

جَعْل بأس هذه الأمة بينها وتسليط بعضها على بعض

قال الإمام مسلم رحمه الله (٢٨٩٠):

حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا عبد الله بن نمير /ح/ . وحدثنا ابن نمير (واللفظ له): حدثنا أبي، حدثنا عثمان بن حكيم، أخبرني عامر بن سعد، عن أبيه، أن رسول الله ﷺ أَقْبَلَ ذات يوم من العالية، حتى إذا مرَّ بمسجد بني معاوية دخل فَرَكَعَ فيه ركعتين، وصلينا معه، ودعا ربَّه طويلاً، ثم انصرف إلينا، فقال ﷺ: «**سألت ربي ثلاثًا، فأعطاني ثنتين ومنعني واحدة؛ سألت ربي أن لا يُهْلك أُمتي بالسَّنَة فأَعْطانيها، وسألته أن لا يهلك أُمتي بالغرق فَأعطانيها، وسألتُهُ أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها**».

صحيح

قال الإمام أحمد رحمه الله (٥/ ٢٤٧):

حدثنا حسين بن علي، عن زائدة، عن عبد الملك بن عمير، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن معاذ، قال: صلى رسول الله ﷺ صلاة، فأحسن فيها القيام والخشوع والركوع والسجود، قال: «**إنها صلاة رغب ورهب، سألت الله فيها ثلاثًا فأعطاني اثنتين وزَوَى عنِّي واحدةً، سألته أن لا يبعث على أمتي عدوًا من غيرهم فيجتاحهم. فأعطانيه، وسألته أن لا يبعث عليهم سَنَةً تقتلهم جوعًا. فأعطانيه، وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم. فردها عليَّ**».

حسن لغيره[1]

---

(١) ففي إسناده هنا انقطاع بين «عبد الرحمن بن أبي ليلى» و«معاذ» فقد قال ابن المديني والترمذي: «إنه لم يسمع من معاذ». لكن طريق ابن ماجه يرقيه إلى الحسن. والله أعلم.

وأخرجه أحمد أيضًا (٥/ ٢٤٣). وله طريق أخرىٰ عن معاذ عند ابن ماجه[١] (٣٩٥١).

قال الإمام مسلم رحمه الله (٢٨٨٩):

حدثنا أبو الربيع العتكي وقتيبة بن سعيد، كلاهما: عن حماد بن زيد (واللفظ لقتيبة)، حدثنا حماد، عن أيوب، عن أبي قلابة، عن أبي أسماء، عن ثوبان، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله زوى لي الأرض فرأيتُ مشارقها ومغاربها، وإن أُمتي سيبلغ ملكها ما زُوِيَ لي منها، وأُعطيت الكنزين الأحمر والأبيض**[٢]، **وإني سألتُ ربي لأُمتي أن لا يهلكها بسَنَة عامة، وأن لا يُسلط عليهم عدوًا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم، وإن ربي قال: يا محمد؛ إني إذا قضيتُ قضاءً فإنه لا يُرد، وإني أعطيتُك لأُمتك: أن لا أهلكهم بسنة عامة**[٣]، **وأن لا أُسلط عليهم عدوًا من سوى أنفسهم يستبيح بيضتهم**[٤]، **ولو اجتمع عليهم من بأقطارها ـ أو قال: من بين أقطارها ـ، حتى يكون بعضهم يهلك بعضًا ويُسبي بعضهم بعضًا**».

صحيح

وأخرجه أبو داود (٤٢٥٢)، والترمذي (٢١٧٦) وقال: «هذا حديث حسن صحيح» وابن ماجه (٣٩٥٢).

---

(١) في رواية ابن ماجه: «وسألته ألا يهلكهم غرقًا»، بدلاً من قوله: «وسألته أن لا يبعث عليهم سنة».

(٢) قال النووي رحمه الله: «قال العلماء: المراد بالكنزين: الذهب والفضة، والمراد: كنزي كسرىٰ وقيصر ملكي العراق والشام».

(٣) قال النووي رحمه الله «شرح مسلم» (٥/ ٧٣٩): «أي: لا أهلكهم بقحطٍ يعمهم، بل إن وقع قحط فيكون في ناحيةٍ يسيرةٍ بالنسبة إلىٰ باقي بلاد الإسلام. فلله الحمد والشكر =

قال الإمام الترمذي رحمه الله (٢٢٠٢):

حدثنا قتيبة، حدثنا حماد بن زيد، عن أيوب، عن أبي قلابة، عن أبي أسماء، عن ثوبان، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا وضع السيف في أُمتي لم يُرفع عنها إلى يوم القيامة**».

صحيح

وقال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح».

قلت: والحديث أخرجه أبو داود (٤٢٥٢) ضمن حديثٍ طويلٍ.

* * *

على جميع نعمه».

(٤) «بيضتهم»: أي: جماعتهم ومُلكهم، والبيضة أيضًا العزّ والمُلك.

إخبار النبي ﷺ بافتراق أمته إلى ثلاث وسبعين فرقة

قال أبو داود رحمه الله (٤٥٩٦):

حدثنا وهب بن بقية، عن خالد، عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «**افترقتِ اليهودُ على إحدى** ـ أو: ثنتين ـ **وسبعين فرقة، وتفرقتِ النصارى على إحدى** ـ أو: ثنتين ـ **وسبعين فرقة، وتفترق أُمتي على ثلاثٍ وسبعين فرقة**».

حسن

وأخرجه الترمذي (٢٦٤٠) وقال: «حديث حسن صحيح»، وأخرجه ابن ماجه (٣٩٩١)، وأحمد (٢/ ٣٣٢)، وابن حبان («موارد الظمآن» ١٨٣٤)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ١٢٨) وقال: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه». ووافقه الذهبي.

وأخرجه الحاكم أيضًا (١/ ٦)، وقال: «وقد احتج مسلم بمحمد بن عَمرو، عن أبي سلمة عن أبي هريرة»، لكن تعقبه الذهبي بقوله: «ما احتج مسلم بمحمد بن عمرو منفردًا، بل بانضمامه إلى غيره».

قال أبو داود رحمه الله (٤٥٩٧):

حدثنا أحمد بن حنبل ومحمد بن يحيى، قالا: حدثنا أبو المغيرة: حدثنا صفوان/ ح/ وحدثنا عمرو بن عثمان: حدثنا بقية، قال: حدثني صفوان نحوه. قال: حدثني أزهر بن عبد الله الحرازي، عن أبي عامر الهوزني، عن معاوية بن أبي سفيان، أنه قام فينا فقال: ألا إن رسول الله ﷺ قام فينا فقال: «**ألا إن من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على ثنتين وسبعين ملة، وإن هذه الملة ستفترق**

على ثلاث وسبعين: ثنتان وسبعون في النار، وواحدة في الجنة، وهي الجماعة»(١) .

حسن لشواهده(٢)

وأخرجه أحمد (٤/ ١٠٢)، والدارمي (٢/ ٢٤١)، والحاكم (١/ ١٢٨)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٦٤، ٦٥).

* * *

(١) قال أبو داود عقب هذا الحديث: «زاد ابن يحيى وعمرو في حديثهما: «وإنه سيخرج من أمتي أقوام تتجارى بهم تلك الأهواء كما يتجارى الكَلَب لصاحبه» ـ وقال عمرو: (الكلب صاحبه) ـ لا يبقى منه عرق ولا مفصل إلا دخله».

(٢) ففي إسناده أزهر بن عبد الله الحرازي: لم يوثقه معتبرٌ، اللهم إلا العجلي، والعجلي معروفٌ بالتساهل في التوثيق، إلا أن للحديث شواهد:

منها: ما أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (٦٣)، وابن ماجه في «السنن» (٣٩٩٢)، من طريق: عباد بن يوسف، ثنا صفوان بن عمرو، عن راشد بن سعد، عن عوف بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: «افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة: فواحدة في الجنة وسبعون في النار، وافترقت النصارى على ثنتين وسبعين فرقة: فإحدى وسبعون في النار وواحدة في الجنة، والذي نفس محمد بيده لتفترقن أمتي على ثلاثة وسبعين فرقة: واحدة في الجنة وثنتان وسبعون في النار» قيل: يا رسول الله، مَن هُم؟ قال: «الجماعة».

وفي هذا الإسناد عباد بن يوسف، وثقه بعض أهل العلم، لكن قال ابن عدي: «روى أحاديث ينفرد بها». قال الذهبي في «الميزان»: ذكره ابن عدي فقال: روى أحاديث ينفرد بها، روى عنه عمرو بن عثمان وغيره. وقد وثقه ابن ماجه وابن أبي عاصم قالا: حدثنا عمرو بن عثمان، حدثنا عباد بن يوسف. . . » فذكر الحديث.

* وللحديث شاهد آخر من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه مرفوعًا.

. . . .

= أخرجه : ابن ماجه (٣٩٩٣)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٦٤)، من طريق : هشام بن عمار، ثنا الوليد بن مسلم، ثنا الأوزاعي، ثنا قتادة، عن أنس، قال : قال رسول الله ﷺ : «إن بني إسرائيل افترقت على إحدىٰ وسبعين فرقة، وإن أمتي ستفترق على ثنتين وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة» .

قلت (القائلُ مصطفي) : والذي أخشاه من هذا الإسناد : أن يكون الحديث قد اختلط سنده على هشام بن عمار رحمه الله ، فقد أخرج ابن أبي عاصم في «السنة» (حديث ١ ، ٦٥) هذا الحديث من طريق : هشام بن عمار، عن إسماعيل بن عياش، عن صفوان بن عمرو، عن الأزهر بن عبد الله الحرازي، عن أبي عامر الهوزني عبد الله بن لحي، عن معاوية بن أبي سفيان، قال : قال رسول الله ﷺ : «إن هذه الأمة ستفترق على إحدىٰ وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة، وهي الجماعة» لفظ حديث (٦٥) عند ابن أبي عاصم، أما حديث (١) فلفظه جزء من حديث معاوية المتقدم ألا وهو : «يكون أقوام تتجارىٰ بهم تلك الأهواء كما يتجارىٰ الكلب بصاحبه، فلا يبقىٰ منه مفصل إلا دخله» .

فهذا الذي أخشاه من هشام بن عمار؛ أن يكون انقلب عليه سند الحديث، وهو ظنّ قويٌّ عندي . والله أعلم .

وأيضًا فثمة اختلاف آخر على هشام، وهو : أنه روىٰ هذا الحديث عن الوليد بن مسلم، عن بكير بن معروف، عن مقاتل بن حيان، عن القاسم، عن أبيه، عن جده مرفوعًا (كما عند ابن أبي عاصم ٧١) .

وعلىٰ كل حال فلحديث أنس طرق أخرىٰ لا تخلو من مقال، منها :

ما أخرجه أحمد في «المسند» (٣/ ١٤٥)، فقال : حدثنا حسن، ثنا ابن لهيعة، ثنا خالد ابن يزيد، عن سعيد بن أبي هلال، عن أنس بن مالك، أن رسول الله ﷺ قال : «إن بني إسرائيل تفرقت إحدىٰ وسبعين فرقة، فهلكت سبعون فرقة وخلصت فرقةٌ واحدة، وإن أُمتي ستفترق على اثنتين وسبعين فرقة، فتهلك إحدىٰ وسبعين وتخلص فرقةٌ» قالوا : يا رسول الله، من تلك الفرقة؟ قال : «الجماعة، الجماعة» .

قلت : وفي إسناده ابن لهيعة، وهو مختلط، وكذلك رواية سعيد بن أبي هلال عن أنس مرسلة .

وأيضًا هل لفظة (فتهلك إحدىٰ وسبعين) معناها أنه محكوم عليهم بالنار أم الهلاك دون =

قول النبي ﷺ: «لا يأتي زمان إلا والذي بعده شرٌّ منه»

قال الإمام البخاري رحمه الله (٧٠٦٨):

حدثنا محمد بن يوسف، حدثنا سفيان، عن الزبير بن عدي، قال: أتينا أنس بن مالك فشكونا إليه ما يلقون من الحَجَّاج، فقال: **«اصبروا؛ فإنه: لا يأتي عليكم زمان إلا والذي بعده شر منه حتَّى تلقوا ربكم»**، سمعته من نبيكم ﷺ(١).

صحيح

وأخرجه الترمذي (٢٢٠٦)، وقال: «هذا حديث حسن صحيح».

= ذلك؟ ينظر في هذا أيضًا.
وثمة شاهد آخر ضعيف واهٍ عند ابن أبي عاصم في «السنة» (٦٨) من حديث أبي أمامة رضي الله عنه مرفوعًا.
وبالجملة، فالحديث بمجموع هذه الطرق يرتقي للحسن، وإن نازعنا منازع ورأى أن الحديث بزيادة: (كلها في النار إلا واحدة) لا يرتقي للحسن، - أي أنه رأى أن لفظة (كلها في النار إلا واحدة) ضعيفة -، لكان له وجه، والله تعالى أعلم.
نقول هذا؛ ولا يخفى علينا ما ذكره الشيخ ناصر الدين الله في «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (تحت رقم ٢٠٤)، فالطرق التي ذكرها - خلاف ما أوردناه - طرق متهافتة ضعيفة، وقد قصر في بيان الضعف الوارد في كثير منها.
من ذلك: طريق قتادة عن أنس لم يشر إلى الضعف الوارد فيها.
وطريق ابن لهيعة عن خالد بن يزيد، عن سعيد بن أبي هلال، عن أنس كذلك؛ لم يشر إلى الضعف الوارد فيها.
وطريق سويد بن سعيد، حدثنا مبارك بن سخيم، عن عبد العزيز بن صهيب، عن أنس.
لم يشر إلا إلى ضعف سويد، بينما في الإسناد «مبارك بن سحيم»: ضعيف جدًا، بل متروك. وكذلك لم يسمع من عبد العزيز صهيب. والله أعلم.

(١) قال الحافظ في «الفتح» (١٣/ ٢١): «قال ابن بطال: هذا الخبر من أعلام النبوة لإخباره =

. . . .

= ﷺ بفساد الأحوال، وذلك من الغيب الذي لا يعلم بالرأي، وإنما يعلم بالوحي. انتهى.
وقد استشكل هذا الإطلاق مع أن بعض الأزمنة تكون في الشر دون التي قبلها، ولو لم يكن في ذلك إلا زمن عمربن عبد العزيز وهو بعد زمن الحجاج بيسير، وقد اشتهر الخير الذي كان في زمن عمر بن عبد العزيز، بل لو قيل: إن الشر اضمحل في زمانه لما كان بعيدًا، فضلاً عن أن يكون شرًا من الزمن الذي قبله، وقد حمله الحسن البصري على الأكثر الأغلب، فسئل عن وجود عمر بن عبد العزيز بعد الحَجَّاج؟ فقال: لا بد للناس من تنفيس.
وأجاب بعضهم: أن المراد بالتفضيلِ تفضيلُ مجموع العصر على مجموع العصر، فإن عصر الحجاج كان فيه كثير من الصحابة في الأحياء، وفي عصر عمر بن عبد العزيز انقرضوا، والزمان الذي فيه الصحابة خير من الزمان الذي بعده، لقوله ﷺ: «خير القرون قرني»، وهو في «الصحيحين»[1] وقوله ﷺ: «أصحابي أمنة لأمتي، فإذا ذهب أصحابي أتى أُمتي ما يعدون» أخرجه مسلم.
ثم وجدت عن عبد الله بن مسعود التصريح المراد وهو أولى بالاتباع، فأخرج يعقوب ابن شيبة من طريق الحارث بن حصيرة، عن زيد بن وهب، قال: سمعت عبد الله بن مسعود يقول: «لا يأتي عليكم يوم إلا وهو شر من اليوم الذي كان قبله حتى تقوم الساعة، لست أعني رخاءً من العيش يصيبه ولا مالاً يفيده، ولكن لا يأتي عليكم يوم إلا وهو أقل علمًا من اليوم الذي مضى قبله، فإذا ذهب العلماء استوى الناس فلا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر، فعند ذلك يهلكون».
ومن طريق أبي إسحاق، عن أبي الأحوص، عن ابن مسعود إلى قوله: (شر منه) قال: «فأصابتنا سَنة خصب، فقال: ليس ذلك أعني، إنما أعني: ذهاب العلماء».
ومن طريق الشعبي، عن مسروق، عنه، قال: «لا يأتي عليك زمان إلا وهو أشر مما كان قبله، أما إني لا أعني أميرًا خيرًا من أمير ولا عامًا خيرًا من عام، ولكن علماؤكم وفقهاؤكم يذهبون ثم لا تجدون منهم خلفًا، ويجيء قوم يفتون برأيهم».
وفي لفظ عنه من هذا الوجه: «وما ذاك بكثرة الأمطار وقلتها ولكن بذهاب العلماء، ثم =

(١) هكذا بالفتح، والذي في مسلم «خير الناس . . . ، خير أمتي . . .».

. . . .

= يحدث قوم يفتون في الأمور برأيهم فيثلمون الإسلام ويهدمونه».
وأخرج الدارمي الأول من طريق الشعبي بلفظ: «لست أعني عامًا أخصب من عام»، والباقي مثله، وزاد: «وخياركم» قبل قوله: «وفقهاؤكم».
واستشكلوا أيضًا زمان عيسى ابن مريم بعد زمان الدجال، وأجاب الكرماني: بأن المراد: الزمان الذي يكون بعد عيسى؟ أو المراد: جنس الزمان الذي فيه الأمراء. وإلا فمعلوم من الدين بالضرورة أن زمان النبي المعصوم لا شر فيه.
قلت: (القائل هو الحافظ): ويحتمل أن يكون المراد بالأزمنة المذكورة أزمنة الصحابة، بناء على أنهم المخاطبون بذلك فيختص بهم، فأما من بعدهم فلم يقصد في الخبر المذكور، لكن الصحابي فهم التعميم، فلذلك أجاب من شكا إليه الحَجَّاج بذلك وأمرهم بالصبر، وهُم - أو: جُلّهم - من التابعين.
واستدل ابن حبان في «صحيحه» بأن حديث أنس ليس على عمومه بالأحاديث الواردة في المهدي وأنه «يملأ الأرض عدلاً بعد أن مُلئت جورًا» ثم وجدت عن ابن مسعود ما يصلح أن يفسر به الحديث، وهو ما أخرجه الدارمي بسند حسن، عن عبد الله قال: «لا يأتي عليكم عام إلا وهو شر من الذي قبله، أما إني لست أعني عامًا...».
قلت (القائل مصطفى): ويزيد الأمر تعكيرًا بحديث: «إن الله يبعث على رأس كل قرن من يجدد لهذه الأمة أمر دينها».
وحاصل الأجوبة التي تقدمت تتلخص في الآتي:
١ - أن المر . بهذا الحديث هُم الصحابة خاصة، فكلما كان عدد الصحابة كبيرًا كان الخير وافرًا والشر قليلاً، وكلما قلَّ الصحابة قلَّ الخير، ويشهد لذلك حديث: «أصحابي أمنة لأُمتي، فإذا ذهب أصحابي أتى أُمتي ما يوعدون».
٢ - أن المراد: الأكثر والأغلب، فغالب الأزمنة شر من التي سبقتها، وهذا (أعني: الحكم للأغلب) مطرد في القرآن، قال الله تعالى: ﴿قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا﴾ [الحجرات: ١٤]، وقال عز وجل: ﴿ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر﴾ [التوبة: ٩٩].
٣ - أن المراد: قلة العلم، وهذا يأباه سياق الحديث.
٤ - أن المراد: عموم العصر لا بعض البلاد والأمم. والله تعالى أعلم.

قول النبي ﷺ: «هلكة أمتي على يد غلمة من قريش»

قال الإمام البخاري رحمه الله (٧٠٥٨):

حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا عَمرو بن يحيى بن سعيد بن عمرو بن سعيد، قال: أخبرني جدي، قال: كنت جالسًا مع أبي هريرة في مسجد النبي ﷺ بالمدينة ومعنا مروان، قال أبو هريرة: سمعتُ الصادق المصدوق يقول: «**هلكة أُمتي على يد غلمة**[1] **من قُريش**» فقال مروان: لعنة الله عليهم غلمة. فقال أبو هريرة: لو شئتُ أن أقول «بني فلان بني فلان» لفعلتُ.

صحيح

فكنت أخرج مع جدي إلى بني مروان حين ملكوا الشام، فإذا رآهم غلمانًا أحداثًا، قال لنا: عسى هؤلاء أن يكونوا منهم. قلنا: أنت أعلم.

وأخرجه أحمد (٢/ ٢٨٨، ٢٩٩، ٣٢٨، ٤٠٤) من طريق آخر عن أبي هريرة.

---

(١) وقع في بعض الطرق عند أحمد: «غلمة سفهاء» وهي من طريق مالك بن ظالم وفي رواية عبد الله بن ظالم وكلاهما مجهول.

قال الحافظ في «الفتح» (١٣/ ١٠): «ويؤخذ من هذا الحديث استحباب هجران البلدة التي يقع فيها إظهار المعصية فإنها سبب وقوع الفتن التي ينشأ عنها عموم الهلاك. قال ابن وهب عن مالك: تهجر الأرض التي يصنع فيها المنكر جهارًا، وقد صنع جماعة من السلف.

وقال ابن بطال: وفي هذا الحديث أيضًا حجة لما تقدم من ترك القيام على السلطان ولو جار؛ لأنه ﷺ أعلم أبا هريرة بأسماء هؤلاء وأسماء آبائهم، ولم يأمرهم بالخروج عليهم مع إخباره أن هلاك الأمة على أيديهم، لكون الخروج أشد في الهلاك وأقرب إلى الاستئصال من طاعتهم، فاختار أخف المفسدتين وأيسر الأمرين».

قال الحافظ: «تنبيه: يتعجب من لعن مروان الغلمة المذكورين مع أن الظاهر أنهم من =

ما جاء في خلافة النبوة

قال أبو داود رحمه الله (٤٦٤٦):

حدثنا سوار بن عبد الله، حدثنا عبد الوارث بن سعيد، عن سعيد بن جمهان، عن سفينة قال: قال رسول الله ﷺ: «**خلافة النبوة ثلاثون سنة ثم يؤتى الله الملك ـ أو: ملكه ـ من يشاء**».

رجاله ثقات[١]

سعيد: قال لي سفينة: أمسك عليك أبا بكر سنتين، وعُمر عشراً، وعثمان اثنتي عشرة، وعليٌّ كذا[٢]، قال سعيد: قلت لسفينة: إن هؤلاء يزعمون أن عليًا عليه السلام لم يكن بخليفة! قال: كذبت أستاه[٣] بني الزرقاء ـ يعني: مروان.

قلت: والحديث أخرجه أبو داود أيضًا (٤٦٤٧)، والحاكم في «المستدرك» (٣/ ١٤٥) وسكت عليه.

وأخرجه الترمذي (٢٢٢٦) وقال: «هذا حديث حسن، قد رواه غير واحد عن سعيد بن جمهان، ولا نعرفه إلا من حديث سعيد بن جمهان».

= ولده فكأن الله تعالى أجرى ذلك على لسانه ليكون أشد في الحجة عليهم لعلهم يتعظون، وقد وردت أحاديث في لعن الحكم ـ والد مروان ـ وما ولد؛ أخرجها الطبراني وغيره وغالبها فيه مقال، وبعضها جيد، ولعل المراد تخصيص الغلمة المذكورين بذلك».

(١) وفي إسناده سعيد بن جمهان، قد وثقه غير واحد من أهل العلم، إلا أن يحيى بن معين قال: «روى عن سفينة أحاديث لا يرويها غيره، وأرجو أنه لا بأس به»، وقال البخاري: «في حديثه عجائب».

(٢) في رواية الحاكم «وعليّ ست سنين». وهي مقتضى إتمام الثلاثين.

(٣) قال صاحب عون المعبود (٢/ ٣٩٩): («الأستاه» جمع «أست» وهو: العجز ويطلق على حلقة الدبر، وأصله: «سَتَه» بفتحتين والجمع «أستاه»، والمراد: أنه كلمة خرجت من دبرهم، والزرقاء: امرأة من أمهات بني أمية). كذا في «فتح الودود».

بقاء الدِّين إلى اثنى عشر خليفة

قال الإمام مسلم رحمه الله (١٨٢٢):

حدثنا قتيبة بن سعيد وأبو بكر بن أبي شيبة، قالا: حدثنا حاتم (وهو ابن إسماعيل)، عن المهاجر بن مسمار، عن عامر بن سعد بن أبي وقاص، قال: كتبت إلىٰ جابر بن سمرة مع غلامي نافع: أن أخبرْني بشيءٍ سمعتَه من رسول الله ﷺ قال: كتب إليَّ: سمعت رسول الله ﷺ يوم جُمُعة عَشيةِ رَجم الأسْلمي يقول: «**لا يزال الدين قائمًا حتى تقوم الساعة أو يكون عليكم اثنا عشر خليفة كلهم من قريش**»، وسمعته يقول: «**عصيبة من المسلمين يفتتحون البيت الأبيض، بين كسرى** - أو: آل كسرىٰ -»، وسمعته يقول: «**إن بين يدي الساعة كذابين؛ فاحذروهم**»، وسمعته يقول: **إذا أعطى الله أحدكم خيرًا فليبدأ بنفسه وأهل بيته**»، وسمعته يقول: «**أنا الفَرَطُ على الحوض**».

حسن

* * *

دوران رحى الإسلام لخمس وثلاثين...

قال أبو داود رحمه الله (٤٢٥٤):

حدثنا محمد بن سليمان الأنباري، حدثنا عبد الرحمن، عن سفيان، عن منصور، عن ربعي بن حراش، عن البراء بن ناجية، عن عبد الله بن مسعود، عن النبي ﷺ قال: «**تدور رحى الإسلام لخمس وثلاثين؛ أو: ست وثلاثين، أو: سبع وثلاثين، فإن يهلكوا فسبيل من هلك، وإن يقم لهم دينهم يقم لهم سبعين عامًا**». قال: قلت[(١)] : أمما بقي أو ممَّا مضى؟ قال: «**مما مضى**».

صحيح لغيره[(٢)]

وأخرجه أحمد (١/ ٣٩٣)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٥٢١)، وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، وقال الذهبي: «صحيح»، والدارقطني في «العلل» (٥/ ٤٤).

---

(١) من الواضح أن القائل: «قلت» هو عبد الله بن مسعود، وكذا عند أحمد أيضًا، إلا أنه عند أحمد كذلك (١/ ٣٩٣): «فقال له عمر: يا رسول الله، ما مضى أو ما بقي؟ قال: ما بقي».

(٢) ففي إسناده البراء بن ناجية، حاله لا يرتقي للتوثيق، لكن قد تابعه عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود عن أبيه مرفوعًا (بدون ذكر: «قلت: أمما بقي»...) أخرجه أحمد (١/ ٣٩٠ و٤٥١)، وابن حبان «موارد الظمآن» (١٨٦٥)، إلا أنه في سماع عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود خلاف بين أهل العلم، ويخشى أن يكون قد أسقط البراء بن ناجية من السند، فالله أعلم.
أما بالنسبة لشرح الحديث:
فقال العلاَّمة أبو الطيب شمس الحق آبادي «عود المعبود» (١١/ ٣٢٧): (تدور رحى الإسلام بخمس وثلاثين أو ست وثلاثين أو سبع وثلاثين): اعلم: أن العلماء اختلفوا =

. . . .

في بيان معنى دوران رحى الإسلام على قولين :
الأول : أن المراد منه : استقامة أمر الدين واستمراره ، وهذا قول الأكثرين .
والثاني : أن المراد منه : الحرب والقتال ، وهذا قول البغوي والخطابي .
قال العلامة الأردبيلي في «الأزهار شرح المصابيح» : قال الأكثرون : المراد بدوران رحى الإسلام : استمرار أمر النبوة والخلافة واستقامة أمر الولاة وإقامة الحدود والأحكام من غير فتور ولا فطور إلى سنة خمس وثلاثين أو ست وثلاثين أو سبع وثلاثين من الهجرة ، بدليل قوله ﷺ في آخر الحديث : «مما مضى» .
وقال الخطابي في «المعالم» والشيخ في «شرح السنة» : المراد بدوران رحى الإسلام : الحرب والقتال ، وشبَّهها بالرحى الدوارة بالحَبِّ لما فيها من تلف الأرواح والأشباح» . انتهى .
فإن قلت : «إرادة الحرب من دوران رحى الإسلام» أظهر وأوضح من إرادة استقامة أمر الدين واستمراره ؛ لأن العرب يكنون عن الحرب بدوران الرحى ، قال الشاعر :

فدارتْ رحانا واستدارتْ رحاهمُ

فكيف اختار الأكثرون الأول دون الثاني ؟
قلت : لا شك أن العرب يكنون عن الحرب بدوران الرحى ، لكن إذا كان في الكلام ذكر الحرب صراحة أو إشارة ، وليس في الحديث ذكر الحرب أصلاً .
قال التوربشتي رحمه الله : «إنهم يكنون عن اشتداد الحرب بدوران الرحى ، ويقولون : «دارت رحى الحرب» ، أي : استتب أمرها ، ولم نجدهم استعملوا دوران الرحى في أمر الحرب من غير جريان ذكرها أو الإشارة إليها ، وفي هذا الحديث لم يذكر الحرب وإنما قال : «رحى الإسلام» فالأشبه أنه أراد بذلك أن الإسلام يستتب أمره ويدوم على ما كان عليه المدة المذكورة في الحديث ، ويصح أن يستعار دوران الرحى في الأمر الذي يقوم لصاحبه ويستمر له ، فإن الرحى توجد على نعت الكمال ما دامت دائرة مستمرة ، ويقال : «فلان صاحب دارتهم» إذا كان أمرهم يدور عليه ، ورحى العبث معظمه ، ويؤيد ما ذهبنا إليه : ما رواه الحربي في بعض طرقه : «تزول رحى الإسلام» مكان «تدور» ، ثم قال : كأن «تزول» أقرب لأنها تزول عن ثبوتها واستقرارها . وكلام التوربشتي هذا ذكره القاري في «المرقاة» .

= وقال ابن الأثير في «النهاية»: (يقال: «دارت رحى الحرب»، إذا قامت على ساقها، وأصل الرحى: التي يطحن بها، والمعنى: أن الإسلام يمتد قيام أمره على سنن الاستقامة والبعد من إحداثات الظلمة إلى تقضي هذه المدة التي هي بضع وثلاثون). انتهى.

ثم اعلم أن اللام في قوله: «خمس» للوقت أو بمعنى «إلى»؟ قال الأردبيلي: «واللام في «لخمس» للوقت، كما لو قال: «أنت طالق لرمضان». أي: وقته. قال الله تعالى: ﴿أقم الصلاة لدلوك الشمس﴾ [الإسراء: ٧٨]، وقيل: بمعنى «إلى»؛ لأن الحروف الجارة يوضع بعضها موضع بعض» انتهى.

قلت: كون اللام في «لخمس» بمعنى «إلى» هو الأظهر، كما لا يخفى، فإن قلتَ: «قد ذكر في الحديث انتهاء مدة دوران رحى الإسلام، ولم يذكر فيه ابتداء مدته» فمن أي وقت يراد الابتداء؟!

قلت: يجوز أن يراد الابتداء من الهجرة أو من الزمان الذي بقيت فيه من عمره ﷺ خمس سنين أو ست سنين.

قال في «جامع الأصول»: «قيل: إن الإسلام عند قيام أمره على سنن ا لاستقامة والعبد من إحداثات الظلمة إلى آن ينقضي مدة خمس وثلاثين سنة، ووجهه: أن يكون قد قاله وقد بقيت من عمره ﷺ خمس سنين أو ست، فإذا انضمت إليها مدة الخلفاء الراشدين - وهي ثلاثون سنة - كانت بالغة ذلك المبلغ، وإن كان أراد سنة خمس وثلاثين من الهجرة، ففيها خرج أهل مصر وحصروا عثمان رضي الله عنه، وإن كان سنة ست وثلاثين ففيها كانت وقعة الجَمَل، وإن كانت سنة سبع وثلاثين ففيها كانت وقعة صِفِّين» انتهى.

(فإن يهلكوا فسبيل من هلك، وإن يقم لهم دينهم يقم لهم سبعين عامًا).

اعلم؛ أنهم لما اختلفوا في المراد بدوران رحى الإسلام على القولين المذكورين، اختلفوا في بيان معنى هذا الكلام وتفسيره أيضًا على قولين، فتفسير هذا الكلام على قول الأكثرين هكذا: فقوله: «فإن يهلكوا» يعني: بالتغيير والتبديل والتحريف والخروج على الإمام وبالمعاصي والمظالم وترك الحدود وإقامتها.

وقوله: «فسبيل من هلك» أي: فسبيلهم في الهلاك بالتغيير والتبديل والوهن في الدِّين سبيل من هلك من الأمم السالفة والقرون الماضية في الهلاك، بالتغيير والتبديل والوهن =

. . . .

في الدِّين .

وقوله : «وإن يقم لهم دينهم» : أي : لعدم التغيير والتبديل والتحريف والوهن يقم لهم سبعين عامًا ، وعلى قول الخطابي والشيخ معناه : فإن يهلكوا بترك الحرب والقتال فسبيلهم سبيل من هلك بذلك من الأمم السالفة والقرون الماضية ، وإن يقم لهم دينهم بإقامة الحرب والقتل والقتال يقم لهم سبعين عامًا . هكذا قرر الأردبيلي رحمه الله ، وليس الهلاك فيه على حقيقته ، بل سمى أسباب الهلاك والاشتغال بما يؤدي إلى الهلاك هلاكًا .

فإن قلت : في هذا الكلام موعدان :

الأول : أنهم إن يهلكوا فسبيلهم سبيل من هلك .

والثاني : أنهم إن يقم لهم دينهم يقم لهم سبعين عامًا .

وهذان الموعدان لا يوجدان معًا ، بل إن وجد الأول لا يوجد الثاني ، وإن وجد الثاني لا يوجد الأول ، فأيٌّ من هذين الموعدين وجد ووقع .

قلت : قال القاري في «المرقاة» : «قد وقع المحذور في الموعد الأول ولم يزل ذلك كذلك إلى الآن» انتهى .

قلت : لا شك في وقوعه ، فقد ظهر بعد انقضاء مدة الخلفاء الراشدين ما ظهر وجرى ما جرى ، فلما وقع ما في الموعد الأول ارتفع الموعد الثاني كما لا يخفى على المتأمل .

فإن قلتَ : قال الخطابي : يحتمل أن يكون المراد بالدِّين هنا : الملك . قال : ويشبه أن يكون أراد بهذا ملك بن أمية وانتقاله عنهم إلى بني العباس ، وكان ما بين استقرار الملك لبني أمية إلى أن ظهرت دعاة الدولة العباسية بخراسان وضعف أمر بني أمية ودخل الوهن فيه نحوًا من سبعين سنة ، فعلى قول الخطابي هذا يظهر أن الموعد الثاني قد وقع .

قلت : قول الخطابي هذا ضعيف جدًا ، بل باطل قطعًا ، ولذلك تعقب عليه من وجوه .

- قال ابن الأثير - بعد نقل قوله - : «هذا التأويل ، كما تراه ، فإن المدة التي أشار إليها لم تكن سبعين سنة ، ولا كان الدِّين فيها قائمًا» انتهى .
- وقال الأردبيلي - بعد نقل كلامه - : «وضعَّفوه بأن ملك بني أمية كان ألف شهر وهو ثلاث وثمانون سنة وأربعة أشهر» انتهى .
- وقال التوربشتي بعد نقل قوله : «يرحم الله أبا سليمان - أي : الخطابي - فإنه لو تأمل الحديث كل التأمل وبنى التأويل على سياقه لعلم أن النبي ﷺ لم يرد بذلك ملك بني أمية =

. . . .

= دون غيرهم من الأمة، بل أراد به استقامة أمر الأمة في طاعة الولاة وإقامة الحدود والأحكام، وجعل المبدأ فيه أول زمان الهجرة، وأخبرهم أنهم يلبثون على ما هم عليه خمسًا وثلاثين أو ستًا وثلاثين أو سبعًا وثلاثين، ثم يشقون عصا الخلاف فتفرق كلمتهم، فإن هلكوا فسبيلهم سبيل من قد هلك قبلهم، وإن عاد أمرهم إلى ما كان عليه من إيثار الطاعة ونصرة الحق لهم ذلك إلى تمام السبعين».

هذا مقتضى اللفظ، ولو اقتضى اللفظ أيضًا غير ذلك لم يستقم لهم ذلك القول، فإن الملك في أيام بعض العباسية لم يكن أقل استقامة منه في أيام المروانية، ومدة إمارة بني أمية من معاوية إلى مروان بن محمد كانت نحوًا من تسع وثمانين سنة، والتواريخ تشهد له، مع أن بقية الحديث ينقض كل تأويل يخالف تأويلنا هذا، وهي قول ابن مسعود: «قلت: يا رسول الله: «أمما بقي أو مما مضى؟» - يريد: أن السبعين تتم لها مستأنفة بعد خمس وثلاثين أم تدخل الأعوام المذكورة في جملتها -؟ قال: «مما مضى» يعني: يقوم لهم أمر دينهم إلى تمام سبعين سنة، من أول دولة الإسلام لها، من انقضاء خمس وثلاثين أو ست وثلاثين أو سبع وثلاثين إلى انقضاء سبعين.

هذا، وقد نقل الشيخ ناصر الدين الألباني رحمه الله في «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (٩٧٦) عن الخطيب البغدادي قوله: («وتدور رحى الإسلام» مثلٌ؛ يريد: أن هذه المدة إذا انتهت حدث في الإسلام أمر عظيم يخاف لذلك على أهله الهلاك، يقال للأمر إذا تغير واستحال: «قد دارت رحاه» وهذا - والله أعلم - إشارة إلى انقضاء مدة الخلافة.

وقوله: «يقم لهم دينهم» أي: ملكهم وسلطانهم، والدِّين: الملك والسلطان، ومنه قوله تعالى: ﴿ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك﴾ [يوسف: ٧٦]، وكان بين مبايعة الحسن بن علي معاوية بن أبي سفيان إلى انقضاء ملك بني أمية من المشرق نحوًا من سبعين سنة).

ونقل عن الطحاوي قوله: قوله: «بعد خمس وثلاثين أو ست وثلاثين» ليس ذلك على الشك، ولكن يكون ذلك فيما يشاء الله عز وجل من تلك السنين، فشاء الله عز وجل أن كان ذلك في سنة خمس وثلاثين، فتيهأ على المسلمين حصر إمامهم وقبض يده عما يتولاه عليهم مع جلالة مقداره لأنه من الخلفاء الراشدين المهديين، حتى كان ذلك سببًا لسفك دمه رضوان الله عليه وحتى كان ذلك سببًا لوقوع اختلاف الآراء، فكان ذلك مما لو هلكوا عليه لكان سبيل من هلك لعظمه، ولَمَا حل الإسلام منه، ولكن الله ستر وتلافى، وخلف نبيه في أمته من يحفظ دينهم عليهم ويبقي ذلك لهم».

حديث: «إن الله يبعث لهذه الأُمة على رأس كل مائة سنة من يُجدِّد لها دينها»

أخرجه أبو داود (٤٢٩١)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٥٢٢ ـ ٥٢٣) وسكت عنه هو والذهبي.

وأخرجه أيضًا الخطيب البغدادي في «التاريخ» (٢/ ٦١) من طريق ابن وهب: أخبرني سعيد بن أبي أيوب، عن شراحيل بن يزيد المعافري، عن أبي علقمة، عن أبي هريرة ـ فيما أعلم ـ عن رسول الله ﷺ. فذكره.

قال أبو داود: «رواه عبد الرحمن بن شريح الاسكندراني، لم يُجِزْ به شراحيل».

قلت: و«شراحيل بن يزيد»: روىٰ عن جماعة، ولم يوثقه سوىٰ ابن حبان، وأيضًا قد ورد في الحديث تردُّد، ألا وهو قوله: «ـ فيما يعلم ـ»، وفي رواية للحاكم: «ولا أعلمه إلا عن رسول الله ﷺ»، ومثل هذا التردد يضر بصحة الحديث، ولا سيما أن أبا داود رحمه الله ذكر أن عبد الرحمن بن شريح الاسكندارني لم يجز به شراحيل، أي: أنه جعله من قول شراحيل ـ أي: مقطوعًا ـ وعليه؛ فإننا لا نرىٰ صحة هذا الحديث. والله أعلم.

وإذا قال قائل: «لماذا أوردناه مع رؤيتنا لعدم ثبوته؟» قلنا: لأنه قد قال بمقتضاه عدد من سلف الأمة، وأوردوا فيه كلامًا طويلاً، فلا بأس أن نورد بعض هذا الكلام.

أما قوله: «**على رأس كل مائة سنة**». فقد قال المناوي في «فيض القدير» (ج١/ ص١٠): «يحتمل من المولد النبوي أو البعثة أو الهجرة أو الوفاة، ولو قيل

بأقْربية الثاني لم يبعد، لكن صنيع السبكي وغيره مصرح بأن المراد الثالث».

هذا، وقد ذكر المناوي: أن المراد برأس الشيء أوله بينما خالفه غيره.

فقال صاحب «العون» (١١/ ٣٨٦):

تنبيه:

اعلم أن المراد من «رأس المائة» في هذا الحديث: آخرها، قال في «مجمع البحار»: «والمراد: من انقضت المائة وهو حي عالم مشهور» انتهىٰ.

وقال الطيبي: «المراد بالبعث: من انقضت المائة وهو حي عالم يشار إليه».

وقال المناوي أيضًا في «فيض القدير»: (قوله: «أمر دينها» أي: ما اندرس من أحكام الشريعة وما ذهب من معالم السنن وخفي من العلوم الدينية الظاهرة والباطنة، حسبما نطق به الخبر الآتي، وهو: «إن الله يبعث... إلىٰ آخره») وذلك لأنه سبحانه لما جعل المصطفىٰ خاتمة الأنبياء والرسل، وكانت حوادث الأيام خارجة عن التعداد ومعرفة أحكام الدين لازمة إلىٰ يوم التناد، ولم تف ظواهر النصوص ببيانها، بل لا بد من طريق وافٍ بشأنها اقتضت حكمة الملك العلاَّم ظهور قوم من الأعلام في غرة كل قرن ليقوم بأعباء الحوادث، إجراءً لهذه الأمة علىٰ علمائهم مجرىٰ بني إسرائيل مع أنبيائهم، فكان في المائة الأُولىٰ: عمر ابن عبد العزيز، والثانية: الشافعي، والثالثة: الأشعري - أو: ابن شريح -، والرابعة: الإسفرائيني - أو: الصعلوكي، أو: الباقلاني - والخامسة: حجة الإسلام الغزالي، والسادسة: الإمام الرازي - أو: الرافعي -، والسابعة: ابن دقيق العيد، ذكَره السبكي.

وجعل الزينُ العراقيُّ في الثامنة: الأسنويَّ، بعد نقله عن بعضهم أنه جعل في

الرابعة: أبا إسحاق الشيرازيَّ، والخامسةِ: السلفيَّ، والسادسةِ: النوويَّ. انتهى، وجعل غيره في الثامنةِ: البلقينيَّ.

ولا مانع من الجمع فقد يكون المجدد أكثر من واحد. قال الذهبي: «مَنْ» هنا للجمع لا للمفرد، فنقول مثلاً: «على رأس الثلاثمائة»: ابن شريح في الفقه، و«الأشعري» في الأصول، و«النسائي» في الحديث، وعلى الستمائة مثلاً: «الفخر الرازي» في الكلام «والحافظ عبد الغني» في الحديث».

وقال في «جامع الأصول»: قد تكلموا في تأويل هذا الحديث، وكلٌّ أشار إلى القائم الذي هو من مذهبه وحملوا الحديث عليه، والأولى العموم؛ فإن (مَنْ) تقع على الواحد والجمع ولا تختص أيضًا بالفقهاء، فإن انتفاع الأمة يكون أيضًا بأولي الأمر وأصحاب الحديث والقراء والوعاظ، لكن المبعوث ينبغي كونه مشاراً في كل من هذه الفنون، ففي رأس الأولى من أولي الأمر: عمر بن عبد العزيز، ومن الفقهاء: محمد الباقر، والقاسم بن محمد، وسالم بن عبد الله، والحسن وابن سيرين، وغيرهم من طبقتهم، ومن القُراء: ابن كثير[(١)]، ومن المُحدِّثين: الزهري.

وفي رأس المائة الثانية: من أولي الأمر: «المأمون»، ومن الفقهاء: «الشافعي»، و«اللؤلؤي» من أصحاب أبي حنيفة، و«أشهب» من أصحاب مالك، ومن الإمامية: «علي بن موسى الرضي»[(٢)]، ومن القراء: «الحضرمي»، ومن المُحدِّثين: «ابن معين»، ومن الزهاد: «الكرخي».

---

(١) ليس هو ابن كثير المُفسِّر، إنما هو ابن كثير صاحب القراءة الشهيرة، أما ابن كثير صاحب التفسير فهو متأخر عن هذا بمراحل.

(٢) قد تُعقِّب صاحب «جامع الأصول» لعدِّه علي بن موسى الرضي من المجددين انظر: «عون المعبود» (١١/ ٣٩٢).

وفي الثالثة من أولي الأمر: «المقتدر»، ومن الفقهاء: «ابن شريح الشافعي»، و«الطحاوي الحنفي»، و«الجلال الحنبلي»، ومن المتكلمين: «الأشعري»، ومن المحدثين: «النسائي».

وفي الرابعة من أولي الأمر: «القادر»، ومن الفقهاء: «الإسفرائيني الشافعي» و«الخوارزمي الحنفي»، و«عبد الوهَّاب المالكي» و«الحُسين الحنبلي»، ومن المتكلمين: «ابن فورك» و«الباقلاني»، ومن المُحدِّثين: «الحاكم»، ومن الزهاد «الثوري»[(١)]. وهكذا يقال في بقية القرون.

وقال في «الفتح»: نبه بعض الأئمة على أنه لا يلزم أن يكون في رأس كل قرن واحد فقط، بل الأمر فيه كما ذكره النووي في حديث: «**لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين**»؛ من أنه يجوز أن تكون الطائفة جماعة متعددة من أنواع المؤمنين، ما بين شجاع، وبصيرٍ بالحرب، وفقيه، ومحدث، ومفسر، وقائم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وزاهدٍ وعابدٍ، ولا يلزم اجتماعهم في بلد واحد، بل يجوز اجتماعهم في قُطر واحد وتفرقهم في الأقطار، ويجوز تفرقهم في بلد وأن يكونوا في بعض دون بعض، ويجوز إخلاء الأرض كلها من بعضهم أولاً فأولاً، إلى أنْ لا يبقى إلا فرقة واحدة ببلد واحد، فإذا انقرضوا أتَى أمرُ الله».

قال الحافظ ابن حجر: «وهذا مُتَّجه؛ فإن اجتماع الصفات المحتاج إلى تجديدها لا تنحصر في نوع من الخير، ولا يلزم أن جميع خصال الخير كلها في شخص واحد، إلا أن يُدعى ذلك في عمر بن عبد العزيز، فإنه كان القائم بالأمر على رأس المائة الأولى باتِّصافه بجميع صفات الخير وتقدمه فيها، ومِن ثَم ذكر

(١) إذا كان مراده «سفيان الثوري» فهو متقدم عن المذكورين معه بمدة طويلة.

أحمد: أنهم كانوا يحملون عنه الحديث، وأما من بعده: فالشافعي وإن اصتف بالصفات الجميلة والفضائل الجمة لكنه لم يكن القائم بشأن الجهاد والحكم بالعدل، فعلى هذا كل من اتصف بشيء من ذلك عند رأس المائة هو المرادُ، تعدَّد أم لا» انتهى.

هذا، ولمزيد شرح لهذا الحديث راجع: «عون المعبود شرح سنن أبي داود»: (١١/ ٣٨٦-٣٩٦).

* * *

الفتن من قبل المشرق

قال الإمام البخاري رحمه الله (٣٤٩٨):

حدثنا عليّ بن عبد الله، حدثنا سفيان، عن إسماعيل، عن قيس، عن أبي مسعود يبلغ به النبي ﷺ قال: «**من ها هنا جاءت الفتنُ نحو المشرق، والجفاءُ وغلظ القلوب في الفدادين**[١]، **أهل الوبر**[٢] **عند أصول أذناب الإبل، والبقر في ربيعة ومضر**».

صحيح

وأخرجه مسلم (٥١).

---

(١) قال النووي رحمه الله (١/ ٢٣٥): (والصواب في «الفدادين» بتشديد الدال جمع «فداد» بِدَالَيْن أولاهما مشددة، وهذا قول أهل الحديث والأصمعي وجمهور أهل اللغة، وهو من «الفديد» وهو: الصوت الشدد، فهم الذين تعلو أصواتهم في إبلهم وخيلهم وحروثهم ونحو ذلك، وقال أبو عبيدة معمر بن المثنى: هم المكثرون من الإبل، الذين يملك أحدهم المائتين منها إلى الألف.

وقوله: «إن القسوة في الفدادين عند أصول أذناب الإبل»: معناه: الذين لهم جلبة وصياح عند سَوْقِهِم لها، وقوله ﷺ: «حيث يطلع قرنا الشيطان في ربيعة ومُضَر»، قوله: «ربيعة ومضر» بدل من «الفدادين».

وذكر الحافظ ابن حجر رحمه الله (٦/ ٣٥٢) نحواً من كلام النووي وقال: (وقال أبو العباس: «الفدادون» هم الرعاة والجمالون. وقال الخطابي: إنما ذم هؤلاء لاشتغالهم بمعالجة ما هم فيه عن أمور دينهم، وذلك يفضي إلى قساوة القلب).

(٢) قال الحافظ في «الفتح»: (قوله: «أهل الوبر») بفتح الواو والموحدة، أي: ليسوا من أهل المدر، لأن العرب تعبر عن أهل الحضر «بأهل المدر» وعن أهل البادية «بأهل الوبر»، واستشكل بعضهم ذكْر الوبر بعد ذكْر الخيل، وقال: «إن الخيل لا وبر لها» ولا إشكال فيه؛ لأن المراد ما بينته، وقوله في آخر الحديث: «في ربيعة ومضر» أي: في الفدادين منهم).

رأس الكفر نحو المشرق

قال الإمام البخاري رحمه الله (٣٣٠١):

حدثنا عبد الله بن يوسف، أخبرنا مالك، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «**رأسُ الكفر نحو المشرق، والفخرُ والخُيلاءُ في أهل الخيل والإبل والفدَّادين أهلِ الوبر، والسكينةُ في أهلِ الغنم**».

صحيح

وأخرجه مسلم (٥٢).

* * *

غِلظُ القُلوبِ والجَفاءُ في المَشْرق

قال الإمام مسلم رحمه الله (٥٣):

وحدثنا إسحاق بن إبراهيم، أخبرنا عبد الله بن الحارث المخزومي، عن ابن جريج، قال: أخبرني أبو الزبير، أنه سمع جابر بن عبد الله يقول: قال رسولُ الله ﷺ: «**غلظ القلوب والجفاء في المشرق، والإيمان في أهل الحجاز**».

صحيح

* * *

طلوع قرن الشيطان من قبل المشرق

قال الإمام البخاري رحمه الله (٧٠٩٣):

حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا ليث، عن نافع، عن ابن عمر رضي الله عنهما، أنه سمع رسول الله ﷺ وهو مستقبل المشرق يقول: **«ألا إن الفتنة هاهنا من حيث يطلع قرن الشيطان»**(١).

صحيح

وأخرجه مسلم (٢٩٠٥).

(١) قال النووي في «شرح مسلم» (١/ ٢٣٥): «وأما قرنا الشيطان: فجانبا رأسه، وقيل: هُما جمعاه اللذان يغريهما بإضلال الناس. وقيل: شيعتاه من الكفار، والمراد بذلك: اختصاص المشرق بمزيد من تسلط الشيطان ومن الكفر، كما قال في الحديث الآخر: «رأس الكفر نحو المشرق» وكان ذلك في عهده ﷺ حين قال ذلك، ويكون حين يخرج الدجال من المشرق، وهو فيما بين ذلك منشأ الفتنة العظيمة، ومثار الكفرة الترك الغاشمة العاتية الشديدة البأس».

قلت: وفي رواية: «قرن الشيطان» قال الداودي - كما نقل عنه الحافظ في «الفتح» (١٣/ ٤٦) -: (للشمس قرن حقيقة ويحتمل أن يريد بالقرن: قوة الشيطان وما يستعين به على الإضلال، وهذا أَوجه، وقيل: إن الشيطان يقرن رأسه بالشمس عند طلوعها ليقع سجود عبدتها له. قيل: ويحتمل أن يكون للشمس شيطان تطلع الشمس بين قرنيه.

وقال الخطابي: «القرن»: الأُمة من الناس يحدثون بعد فناء آخرين، و«قرن الحية» أن يُضرب المَثل فيما لا يحمد من الأمور.

وقال غيره: كان أهل المشرق يومئذ أهل كفر، فأخبر ﷺ أن الفتنة تكون من تلك الناحية، فكان كما أخبر، وأول الفتن كان من قبل المشرق، فكان ذلك سببًا للفرقة بين المسلمين، وذلك مما يحبه الشيطان ويفرح به، وكذلك البدع نشأتْ من تلك الجهة.

وقال الخطابي: نجد من جهة المشرق ومن كان بالمدينة كان نجده بادية العراق ونواحيها وهي مشرق أهل المدينة. وأصل «النجد»: ما ارتفع من الأرض، وهو خلاف «الغور» فإنه: ما انخفض منها، وتهامة كلها من الغور، ومكة من تهامة»). انتهى. =

قال الإمام البخاري رحمه الله (٧٠٩٤):

حدثنا علي بن عبد الله، حدثنا أزهر بن سعد، عن ابن عون، عن نافع، عن ابن عمر، قال: ذكر النبي ﷺ: «**اللهم بارك لنا في شامنا، اللهم بارك لنا في يَمننا**» قالوا: يا رسول الله، وفي نجدنا؟ قال: «**اللهم بارك لنا في شامنا، اللهم بارك لنا في يَمننا**»، قالوا: يا رسول الله، وفي نجدنا؟ فأظنه قال في الثالثة: «**هناك الزلازل والفتن، وبها يطلع قرن الشيطان**».

صحيح

وأخرجه الترمذي (٣٩٥٣)، وقال: «هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه من حديث ابن عون، وقد روي هذا الحديث أيضًا عن سالم بن عبد الله بن عمر عن أبيه عن النبي ﷺ».

قال الإمام مسلم رحمه الله (حديث ٢٩٠٥ ص ٢٢٢٩):

حدثنا عبد الله بن عمر بن أبان وواصل بن عبد الأعلى وأحمد بن عمر الوكيعي (واللفظ لابن أبان)، قالوا: حدثنا ابن فضيل، عن أبيه، قال: سمعت سالم بن عبد الله بن عمر يقول: يا أهل العراق، ما أسألكم عن الصغيرة وأركبكم للكبيرة! سمعت أبي عبدَ الله بنَ عمر يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الفتنة تجيء من هاهنا**» ـ وأومأ بيده نحو المشرق ـ «**من حيث يطلع قرن الشيطان**»، وأنتم يَضرب بعضكم رقاب بعض، وإنما قتل موسى الذي قَتل

= وعُرف بهذا وَهَاءُ ما قاله الداودي: «إن نجدًا من ناحية العراق»، فإنه توهَّم أن نجدًا موضع مخصوص، وليس كذلك، بل كل شيء ارتفع بالنسبة إلى ما يليه، يسمى المرتفع «نجدًا» والمنخفض «غورًا».

من آل فرعون خطأ، فقال الله عز وجل: ﴿وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا﴾ [طه: ٤٠].

صحيح

قال أحمد بن عمر في روايته: «عن سالم»، لم يقل: «سمعت».

* * *

ذكر مسيلمة الكذاب

قال الإمام البخاري رحمه الله (٧٠٢٣):

حدثني سعيد بن محمد أبو عبد الله الجرمي، حدثنا يعقوب بن إبراهيم، حدثنا أبي، عن صالح، عن ابن عبيدة بن نشيط[١]، قال: قال عبيد الله بن عبد الله: سألت عبد الله بن عباس رضي الله عنهما عن رؤيا رسول الله ﷺ التي ذكر؟ فقال ابن عباس: ذُكِرَ لي أن رسولَ الله قال: «**بيْنا أنا نائمٌ، رأيتُ أنه وضع في يدي سواران من ذهب فقطعتهما وكرهتهما، فأذن لي فنفختهما فطارا[٢] فأولتهما كَذَّابان يَخرجان**».

صحيح

فقال عبيد الله: (أحدهما: «العنسي» الذي قتله فيروز في اليمن، والآخر «مسيلمة»).

---

(١) هو: عبد الله بن عبيدة بن نشيط، وقد وثّقه بعض أهل العلم، وضعّفه آخرون، وحديثه لا ينزل عن الحسن، وعلى كلٍ؛ فللحديث طرق ترقيه إلى الصحة.

(٢) قال الحافظ في «الفتح» (١٢/ ٤٢٤): (وفي ذلك إشارة إلى حقارة أمرهما؛ لأن شأن الذي ينفخ فيذهب بالنفخ أن يكون في غاية الحقارة، ورده ابن العربي بأن أمرهما كان في غاية الشدة ولم ينزل بالمسلمين قبله مثله.
قلت: وهو كذلك، لكن الإشارة إنما هي للحقارة المعنوية لا الحسية، وفي طيرانهما إشارة إلى اضمحلال أمرهما كما تقدم.
وقوله: «فأولتهما الكذابين»: قال القاضي عياض: «لما كان رؤيا السوارين في اليدين جميعًا من الجهتين، وكان النبي ﷺ حينئذ بينهما، فتأوّل السوارين عليهما لوضعهما في غير موضعهما؛ لأنه ليس من حلية الرجال، وكذلك الكذَّاب يضع الخبر في غير موضعه، وفي كونهما من ذهب إشعار بذهاب أمرهما).

قال الإمام البخاري رحمه الله (٤٣٧٣):

حدثنا أبو اليمان، أخبرنا شعيب، عن عبد الله بن أبي حسين[1]، حدثنا نافع بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قدم مُسيلمة الكذَّاب على عهد رسول الله ﷺ فجعل يقول: إن جعل لي محمدٌ الأمر من بعده تبعته. وقدمها في بشرٍ كثيرٍ من قومه، فأقبل إليه رسولُ الله ﷺ ومعه ثابتُ بن قيس بن شماس وفي يد رسول الله ﷺ قطعةٌ من جريد، حتى وقف على مسيلمة في أصحابه فقال: **«لو سألتني هذه القطعة ما أعطيتكها، ولن تَعْدُو أمر الله فيك، ولئن أدبرتَ ليعقرنك الله، وإني لأُراك الذي أُريتُ فيه ما رأيتُ، وهذا ثابتٌ يجيبك عني»**، ثم انصرف عنه.

صحيح

وأخرجه مسلم (٢٢٧٣)، والترمذي (٢٢٩٢)، وقال: «هذا حديث صحيح حسن غريب»، وعزاه المزي للنسائي.

قال الإمام البخاري رحمه الله (٧٠٣٦):

حدثني إسحاق بن إبراهيم الحنظلي، حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر، عن همام بن منبه، قال: هذا ما حدثنا به أبو هريرة، عن رسول الله ﷺ، قال: **«نحن الآخرون السابقون»**، وقال رسولُ الله ﷺ: **«بينا أنا نائمٌ؛ إذ أُتيتُ خزائن الأرض فوُضِعَ في يدي سواران من ذهب، فكبرا عليَّ وأهمَّاني، فأُوحى إليَّ: أن انفخهما، فنفختهما فطارا، فأوَّلتُهما الكذَّابَيْن اللذين أنا**

(١) هو: عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي حسين بن الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف، وهو ثقة.

بينهما[١] : صاحبَ صنعاء وصاحبَ اليمامة».

صحيح

وأخرجه مسلم (ص١٧٨١).

* * *

(١) قال الحافظ في «الفتح» (١٢/ ٤٢٤): (قوله: «اللذين أنا بينهما» ظاهر في أنهما كانا حين قص الرؤيا موجودين، وهو كذلك، لكن وقع في رواية ابن عباس: «يخرجان بعدي»، والجمع بينهما: أن المراد بخروجهما بعده: ظهور شوكتهما ومحاربتهما ودعواهما النبوة. نقله النووي عن العلماء، وفيه نظر؛ لأن ذلك كله ظهَر للأسْود بصنعاء في حياته ﷺ فادَّعى النبوة، وعظمتْ شوكتُه وحاربَ المسلمين وفتك فيهم، وغلب على البلد، وآل أمره إلى أن قُتل في حياة النبي ﷺ. وأمَّا مسيلمة: فكان ادَّعى النبوة في حياة النبي ﷺ لكن لم تعظم شوكته ولم تقع محاربته إلا في عهد أبي بكر، فإما أن يحمل ذلك على التغليب، وإما أن يكون المراد بقوله: «بعدي» أي: بعد نبوتي).

عرض الفتن على القلوب كعَرْض الحصير عودًا عودًا

قال الإمام مسلم رحمه الله (١٤٤) (ص١٢٨):

وحدثنا محمد بن عبد الله بن نمير، حدثنا أبو خالد - يعني: سليمان بن حيان، عن سعد بن طارق، عن ربعي، عن حذيفة، قال: كنا عند عمر فقال: أيّكم سمع رسولَ الله ﷺ يذكر الفتن؟ فقال: قوم: نحن سمعناه، فقال: لعلكم تعنون فتنة الرجل في أهل وجاره؟ قالوا: أجل. قال: تلك تُكفِّرها الصلاة والصيام والصدقة، ولكن أيُّكم سمع النبيَّ ﷺ يذكر الفتن التي تموجُ موجَ البحر؟ قال حذيفة: فأسكت القومُ، فقلت: أنا. قال: لله أبوك[١]. قال حذيفة: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**تعرض الفتن على القلوب كالحصير عودًا عودًا[٢]، أيّ قلبٍ أُشربها نُكتْ فيه نكتة سوداء، وأي قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء، حتى تصير على قلبين: على أبيض مثل الصفا، فلا تضره فتنة ما دامت السموات والأرض، والآخر: أسْود مرباداً كالكوز مجخيًا، لا يعرف معروفًا ولا ينكر منكرًا، إلا ما أُشرب من هواه**».

---

(١) قال النووي رحمه الله «شرح مسلم»: (١/ ٣٥٤): (وقوله «لله أبوك» كلمة مدح تعتاد العرب الثناء بها، فإن الإضافة إلى العظيم تشريف، ولهذا يقال: «بيت الله» و«ناقة الله»، قال صاحب «التحرير»: فإذا وجد من الولد ما يحمد قيل له: «لله أبوك حيث أتى بمثلك»).

(٢) قال النووي رحمه الله: (وقوله ﷺ: «تعرض الفتن على القلوب كالحصير عودًا عودًا» هذا الحرفان مما اختلف في ضبطه على ثلاثة أوجه:
أظهرها وأشهرها: «عُودًا عُودًا» بضم العين وبالدال المهملة.
والثاني: بفتح العين وبالدال المهملة أيضًا.
والثالث: بفتح العين وبالذال المعجمة. ولم يذكر صاحب «التحرير» غير الأول، وأما القاضي عياض فذكر هذه الأوجه الثلاثة عن أئمتهم واختار الأول أيضًا، قال: واختار =

قال حذيفة: وحدثته أن بينك وبينها بابًا مغلقًا يوشك أن يكسر. قال عمر: أكسرًا، لا أبا لك، فلو أنه فتح لعله كان يعاد. قلت: لا، بل يكسر، وحدثته: أن ذلك الباب رجل يقتل أو يموت حديثًا ليس بالأغاليط.

صحيح

قال أبو خالد: فقلت لسعد: يا أبا مالك! ما أسود مربادًا؟ قال شدة البياض في سواد. قال: قلت: فما الكوز مجخيًا؟ قال: منكوسًا.

= شيخنا أبو الحسين ابنُ سراج فتحَ العين والدال المهملة قال: ومعنى «تعرض» أي: تلصق بعرض القلوب ـ أي: جانبها ـ كما يلصق الحصير بجنب النائم ويؤثر فيه شدة التصاقها به. قال: ومعنى «عودًا عودًا»: أي: تُعاد وتكرر شيئًا بعد شيء.

قال ابن السراج: ومَن رواه بالذال المعجمة فمعناه سؤال الاستعاذة منها، كما يقال: «غفرًا غفرًا» و«غفرانك» أي: نسألك أن تعيذنا من ذلك وأن تغفر لنا، وقال الأستاذ أبو عبد الله بن سليمان: معناه: تظهر على القلوب، أي: تظهر لها فتنة بعد أخرى.

وقوله: «كالحصير» أي: كما ينسج الحصير عودًا عودًا وشظية بعد أخرى.

قال القاضي: وعلى هذا يترجح رواية ضم العين، وذلك أن ناسج الحصير عند العرب كلما صنع عودًا أخذ آخر ونسجه، فشبه عرض الفتن على القلوب واحدة بعد أخرى بعرض قضبان الحصير على صانعها واحدًا بعد واحد.

قال القاضي: وهذا معني الحديث عندي، وهو الذي يدل عليه سياق لفظه وصحة تشبيهه. والله أعلم.

قوله ﷺ: «فأي قلب أشربها نكت فيه نكتة سوداء، وأي قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء» معنى «أشربها»: دخلتْ فيها دُخولاً تامًا وألزمها وحلت منه محل الشراب، ومنه قوله تعالى: ﴿وأشربوا في قلوبهم العجل﴾ [البقرة: ٩٣] أي: حُب العجل. ومنه قولهم: «ثوب مشرب بحمرة» أي: خالطه الحمرة مخالطة لا انفكاك لها.

ومعنى «نكت نكتة»: نقط نقطة. وهي بالتاء المثناة في آخره.

قال ابن دريد وغيره: كل نقطة في شيء بخلاف لونه فهو «نكت».

ومعنى «أنكرها»: ردَّها. والله أعلم.

وقوله ﷺ: «حتى تصير على قلبين: على أبيض مثل الصفا فلا تضره فتنة ما دامت السموات والأرض، والآخر: أسْود مربادًا كالكوز مُجخيًا لا يعرف معروفًا ولا ينكر =

. . . .

منكرًا، إلا ما أُشرب من هواه».
قال القاضي عياض رحمه الله: ليس تشبيهه بالصفا بيانًا لبياضه، لكن صفة أخرى لشدته على عقد الإيمان وسلامته من الخلل، وأن الفتن لم تلصق به ولم تؤثر فيه كالصفا وهو: الحجر الأملس الذي لا يعلق به شيء.
وأما قوله: «مربادًا»: فكذا هو في روايتنا وأصول بلادنا، وهو منصوب على الحال، وذكر القاضي عياض رحمه الله خلافًا في ضبطه، وأن منهم من ضبطه كما ذكرناه، ومنهم من رواه: «مربئد» بهمزة مكسورة بعد الباء.
قال القاضي: وهذه رواية أكثر شيوخنا، وأصله أن لا يهمز ويكون: «مربد» مثل: «مسود» و«محمر»، وكذا ذكره أبو عبيد والهروي، وصحّحه بعض شيوخنا عن أبي مروان بن سراج؛ لأنه من «أربد»، إلا على لغة من قال: «احمأر» بهمزة بعد الميم لالتقاء الساكنين، فيقال: «اربأدّ» و«مربئد» والدال مشددة على القولين، وسيأتي تفسيره.
وأما قوله: «مجخيًا»: فهو بميم مضمومة ثم جيم مفتوحة ثم خاء معجمة مكسورة، معناه: مائلاً، كذا قاله الهروي وغيره، وفسره الراوي في الكتاب بقوله: «منكوسًا» وهو قريب من معنى «المائل»، قال القاضي عياض: قال لي ابن سراج: ليس قوله: «كالكوز مجخيًا» تشبيهًا لما تقدم من سواده، بل هو وصف آخر من أوصافه، بأنه قلب منكس حتى لا يعلق به خير ولا حكمة، ومثَّله بالكوز المجخي، وبيَّنه بقوله: «لا يعرف معروفًا ولا ينكر منكرًا».
قال القاضي رحمه الله: شبه القلب الذي لا يعي خيرًا بالكوز المنحرف الذي لا يثبت الماء فيه. وقال صاحب «التحرير»: معنى الحديث: أن الرجل إذا اتبع هواه وارتكب المعاصي دخل قلبه بكل معصية يتعاطاها ظلمة، وإذا صار كذلك افتتن وزال عنه نور الإسلام، والقلب مثل الكوز، فإذا انكب انصب ما فيه ولم يدخله شيء بعد ذلك.
وأما قوله في الكتاب: (قلت لسعد: ما أسود مربادًا؟ فقال: شدة البياض في سواد).
فقال القاضي عياض رحمه الله: كان بعض شيوخنا يقول: إنه تصحيف. وهو قول القاضي أبي الوليد الكناني، قال: أرى أن صوابه: شِبه البياض في سواد، وذلك أن شدة البياض في سواد لا يسمى «مربدة» وإنما يقال لها: «بلق» إذا كان في الجسم، و«حورًا» إذا كان في العين، و«الربدة» إنما هو شيء من بياض يسير يخالط السواد كلون أكثر النعام، ومنه قيل للنعامة: «ربداء»، فصوابه شِبه البياض لا شدة البياض.

من كره أن يفتن قومه

قال الإمام البخاري رحمه الله (١٥٨٥):

حدثنا عبيد بن إسماعيل، حدثنا أبو أسامة، عن هشام، عن أبيه، عن عائشة رضي الله عنهما، قالت: قال لي رسول الله ﷺ: «**لولا حداثة قومك بالكُفر**[١] **لنقضتُ البيتَ ثم لبنيته على أساسِ إبراهيم ـ عليه السلام ـ فإن قريشًا استقصرتْ بناءه وجعلت له خلفًا**».

صحيح

قال أبو معاوية: حدثنا هشام: «خلفًا» يعني: بابًا.

= قال أبو عبيدة عن أبي عمرو وغيره: «الربدة»: لون بين السواد والغبرة.
وقال ابن دريد: «الربدة»: لون أكدر. وقال غيره: هي أن يختلط السواد بكدرة. وقال الحربي: لون النعام بعضه أسود وبعضه أبيض، ومنه «أربد لونه» إذا تغيَّر دخَله سواد، وقال نِفْطويه: «المربد»: الملمع بسوادٍ وبياضٍ، ومنه «تربد لونه» إن تلون. والله أعلم.
قوله: (وحدثته أن ذلك الباب رجل يقتل أو يموت حديثًا ليس بالأغاليط). أما الرجل الذي يقتل فقد جاء مبينًا في «الصحيح» أنه عمر بن الخطاب رضي الله عنه. وقوله: (يقتل أو يموت) يحتمل أن يكون حذيفة رضي الله عنه سمعه من النبي ﷺ. هكذا على الشك، والمراد به: الإبهام على حذيفة وغيره، ويحتمل أن يكون حذيفة علم أنه يقتل، ولكن كره أن يخاطب عمر رضي الله عنه بالقتل، فإن عمر رضي الله عنه كان يعلم أنه هو الباب، كما جاء مبينًا في «الصحيح»: أن عمر كان يعلم من الباب كما يعلم أن قبل غدٍ الليلة، فأتى حذيفة رضي الله عنه بكلام يحصل منه العرض مع إنه ليس إخبار لعمر بأنه يقتل.
وأما قوله: (حديثًا ليس بالأغاليط) فهي جمع «أغلوطة» وهي: التي يغالط بها، فمعناه: حدثته حديثًا صدقًا محققًا ليس هو من صحف الكتابيين ولا من اجتهاد ذي رأي، بل من حديث النبي ﷺ.
والحاصل: أن الحائل بين الفتن والإسلام عمر رضي الله عنه، وهو الباب، فما دام حيًا لا تدخل الفتن، فإذا مات دخلت الفتن، وكذا كان. والله أعلم.

(١) في بعض الروايات في «صحيح مسلم»: «لولا أن قومك حديثٌ عهدهم في الجاهلية =

قال الإمام البخاري رحمه الله (١٣٦)[1]:

حدثنا عبيد الله بن موسى، عن إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن الأسود، قال: قال لي ابن الزبير، كانت عائشة تسرُّ إليك كثيرًا، فما حدثتك في الكعبة؟ قلت: قالت لي: قال النبي ﷺ: «**يا عائشة؛ لولا قومك حديث عهدهم ـ قال ابن الزبير: بكُفرٍ ـ لنقضتُ الكعبةَ، فجعلتُ لها بابَيْنِ: باب يدخل الناس وباب يَخرجون**». ففعله ابن الزبير.

صحيح

= فأخاف أن تنكر قلوبهم لنظرت أن أدخل الجدر في البيت وأن ألزق بابه بالأرض»، وفي رواية أخرى في مسلم «مخافة أن تنكر قلوبهم».

(١) بوَّب البخاري لهذا الحديث في كتاب العلم، بـ: «باب: من ترك الاختيار مخافة أن يقصر فهم بعض الناس عنه فيقعوا في أشد منه».

وقال الحافظ ابن حجر في شرحه لهذا الحديث (١/ ٢٢٥) «فتح الباري»: وفي الحديث معنى ما ترجم له، لأن قريشًا كانت تعظم أمر الكعبة جدًا، فخشي ﷺ أن يظنوا لأجل قرب عهدهم بالإسلام أنه غير بناءها لينفرد بالفخر عليهم في ذلك، ويستفاد منه: ترك المصلحة لأمن الوقوع في المفسدة، ومنه: ترك المنكر خشية الوقوع في أنكر منه، وأن الإمام يسوس رعيته بما فيه إصلاحهم ولو كان مفضولاً ما لم يكن محرمًا.

قال النووي رحمه الله «شرح مسلم» (٣/ ٤٧٠):

وفي هذا الحديث دليل لقواعد من الأحكام منها: إذا تعارضت المصالح أو تعارضت مصلحة ومفسدة وتعذر الجمع بين فعل المصلحة وترك المفسدة بدئ بالأهم، لأن النبي ﷺ أخبر أن نقض الكعبة وردَّها إلى ما كانت عليه من قواعد إبراهيم ﷺ مصلحة، ولكن تُعارضه مفسدة أعظم منه، وهي خوف فتنة بعض من أسلم قريبًا، وذلك لما كانوا يعتقدونه من فضل الكعبة فيرون تغييرها عظيمًا، فتركها ﷺ.

ومنها: فكْر ولي الأمر في مصالح رعيته، واجتنابه ما يخاف منه تولد ضرر عليهم في دين أو دنيا، إلا الأمور الشرعية، كأخذ الزكاة وإقامة الحدود ونحو ذلك.

ومنها: تألف قلوب الرعية وحسن حياطتهم، وألا ينفروا ولا يتعرض لما يخاف تنفيرهم بسببه ما لم يكن فيه ترك أمرٍ شرعي كما سبق.

قال الإمام البخاري رحمه الله (١٥٨٤):

حدثنا مسدد: حدثنا أبو الأحوص، حدثنا أشعث، عن الأسود بن يزيد، عن عائشة رضي الله عنها، قالت: سألت النبي ﷺ عن الجدر، أمن البيت هو؟ قال: «نعم»، قلت: فَمَا لهم لم يدخلوه في البيت؟ قال: **«إن قومك قصرت بهم النفقة»**، قلت: فما شأن بابه مرتفعًا؟ قال: **«فعل ذلك قومك ليدخلوا من شاءوا ويمنعوا من شاءوا، ولولا أن قومك حديث عهدهم بالجاهلية فأخاف أن تنكر قلوبهم أن أدخل الجدر في البيت وأن ألصق بابه بالأرض»**[1].

صحيح

وأخرجه مسلم (ص٩٧٣)، وابن ماجه (٢٩٥٥).

= قال العلماء: بُني البيتُ خمس مرات: بنته الملائكة، ثم إبراهيم ﷺ، ثم قريش في الجاهلية، وحضر النبي ﷺ هذا البناء وله خمس وثلاثون سنة، وقيل: خمس وعشرون وفيه سقَط على الأرض حين وقع إزاره، ثم بناه ابن الزبير، ثم الحجاج بن يوسف، واستمر إلى الآن على بناء الحجاج، وقيل: بُني مرتين أُخريَيْن أو ثلاثًا.

(١) في رواية للبخاري: «لولا أن قومك حديث عهد بجاهلية لأمرت بالبيت فهدم، فأدخلت فيه ما أخرج منه، وألزقته بالأرض، وجعلت له بابين: بابًا شرقيًا وبابًا غربيًا فبلغت به أساس إبراهيم».

وفي رواية: «لولا حداثة قومك بالكفر لنقضت البيت ثم لبنيته على أساس إبراهيم عليه السلام».

هذا، وقد بوَّب البخاري لهذا الحديث في كتاب العلم بـ: «باب من ترك بعض الاختيار مخافة أن يقصر فهم بعض الناس عنه فيقعوا في أشد منه».

وقال الحافظ في شرح الحديث هناك ـ «فتح الباري» (١/ ٢٢٥) ـ: (وفي الحديث معنى ما ترجم له، لأن قريشًا كانت تعظم أمر الكعبة جدًا فخشي ﷺ أن يظنوا ـ لأجل قرب عهدهم بالإسلام ـ أنه غيَّر بناءها لينفرد بالفخر عليهم في ذلك.

ويستفاد منه: ترك المصلحة لأمن الوقوع في المفسدة، ومنه إنكار ترك المنكر خشية الوقوع في أنكر منه، وأن الإمام يسوس رعيته بما فيه إصلاحهم، ولو كان مفضولاً ما =

قال الإمام البخاري رحمه الله (١٢٧):

حدثنا عبيد الله بن موسى، عن معروف بن خربوذ، عن أبي الطفيل، عن عليّ رضي الله عنه: حدثوا الناس بما يعرفون، أتحبون أن يكذب الله ورسوله[1]؟!

موقوف[2]

* * *

= لم يكن محرمًا).

وقال رحمه الله في «الفتح» (٣/ ٤٤٨): (وفيه: اجتناب ولي الأمر ما يتسرع الناس إلى إنكاره، وما يخشى منه تولد الضرر عليهم في دين أو دنيا، وتألف قلوبهم بما لا يترك فيه أمر واجب.

وفيه: تقديم الأهم فالأهم من دفع المفسدة وجلب المصلحة، وأنهما إذا تعارضا بدئ بدفع المفسدة، وأن المفسدة إذا أُمن وقوعها عاد استحباب عمل المصلحة).

(١) وقد ورد في هذا الباب حديث ابن مسعود في «مقدمة مسلم» (ص١١) من طريق: عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، أن عبد الله بن مسعود قال: «ما أنت بمحدث قومًا حديثًا لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة». ولكن هذا الإسناد منقطع، إذ أن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة لم يسمع من ابن مسعود، وعذر مسلم في ذلك أنه أخرجه في «المقدمة»، ولم يشترط في «المقدمة» ما اشترطه في «الصحيح».

(٢) وإسناد حديث الباب فيه: «معروف بن خربوذ»، والأكثر على تضعيفه، والله أعلم.

من كره أن يفتح أبواب الفتن

قال الإمام البخاري رحمه الله (٧٠٩٨):

حدثني بشر بن خالد، أخبرنا محمد بن جعفر، عن شعبة، عن سليمان، سمعت أبا وائل قال: قيل لأسامة: ألا تكلم هذا[١]؟ قال: قد كلمته ما دون أن أفتح بابًا أكون أول من يفتحه وما أنا بالذي أقول لرجل - بعد أن يكون أجيرًا على رجلين -: أنت خير؛ بعد ما سمعتُ من رسول الله ﷺ يقول: «**يجاء برجل فيطرح في النار فيطحن فيها كما يطحن الحمار برحاه، فيطيف به أهل النار فيقولون: أي فلان، ألستَ كنت تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟! فيقول: إني كنتُ آمر بالمعروف ولا أفعله، وأنهى عن المنكر وأفعله**».

صحيح

وأخرجه مسلم (٢٩٨٩).

---

(١) في رواية مسلم: قيل له: ألا تدخل على عثمان فتكلمه؟ فقال: أترون أني لا أكلمه إلا أسمعُكم؟!! والله؛ لقد كلمته فيما بيني وبينه ما دون أن أفتح أمرًا لا أحب أن أكون أول من فتحه، ولا أقول لأحد يكون عليَّ أميرًا: إنه خير الناس. بعدما سمعت من رسول الله ﷺ يقول: «يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقتاب بطنه فيدور بها...» الحديث.
قال الحافظ في «الفتح» (١٣/ ٥٢): (قال المهلب: أرادوا من أسامة أن يكلم عثمان، وكان من خاصته وممن يخف عليه في شأن الوليد بن عقبة، لأنه كان ظهر عليه ريح نبيذ وشهر أمره وكان أخًا عثمان لأمه، وكان يستعمله، فقال أسامة: قد كلمته سرًا دون أن أفتح بابًا. أي: باب الإنكار على الأئمة علانية خشية أن تفترق الكلمة. ثم عرَّفهم أنه لا يداهن أحدًا ولو كان أميرًا، بل ينصح له في السر جهده، وذكَر لهم قصة الرجل الذي يطرح في النار لكونه كان يأمر بالمعروف ولا يفعله وليتبرأ مما ظنوا به مِن سُكوته عن عثمان في أخيه. انتهى ملخصًا.

= وجَزْمه بأن: «مراد من سأل أسامة الكلام مع عثمان أن يكلمه في شأن الوليد» ما عرفتُ مستندَه فيه، وسياق مسلم من طريق جرير عن الأعمش يدفعه.

قلت (القائل مصطفىٰ): لفظه: كنا عند أسامة بن زيد، فقال رجل: ما يمنعك أن تدخل علىٰ عثمان فتكلمه فيما يصنع؟ وهذا ليس صريحًا في دفعه كما قال الحافظ، فلو قال قائل: إن قوله: «فيما يصنع» أي: فيما يصنع من توليته أخيه ما بعُدَ عن الصواب.

وجزم الكرماني بأن المراد: أن يكلمه فيما أنكره الناس علىٰ عثمان من تولية أقاربه وغير ذلك مما اشتهر، وقوله: «إن السبب في تحديث أسامة بذلك ليتبرأ مما ظنوه به» ليس بواضح، بل الذي يظهر: أن أسامة كان يخشىٰ علىٰ من ولي ولاية ولو صغرت أنه لا بد له من أن يأمر الرعية بالمعروف وينهاهم عن المنكر، ثم لا يأمن من أن يقع منه تقصير، فكان أسامة يرىٰ أنه لا يتأمر علىٰ أحد، وإلىٰ ذلك أشار بقوله: «لا أقول للأمير إنه خير الناس» أي: بل غايته أن ينجو كفافًا.

وقال عياض: مراد أسامة: أنه لا يفتح باب المجاهرة بالنكير علىٰ الإمام لما يخشىٰ من عاقبة ذلك، بل يتلطف به وينصحه سرًّا، فذلك أجدر بالقبول، وقوله: «لا أقول لأحد يكون عليَّ أميرًا: إنه خير الناس» فيه ذمُّ مداهنة الأمراء في الحق وإظهار ما يبطن خلافه كالمتملق بالباطل، فأشار أسامة إلىٰ المداراة المحمودة والمداهنة المذمومة.

وضابط المداراة: أن لا يكون فيها قدح في الدين، والمداهنة المذمومة: أن يكون فيها تزيين القبيح وتصويب الباطل ونحو ذلك.

وقال الطبري: اختلف السلف في الأمر بالمعروف، فقالت طائفة: يجب مطلقًا، واحتجوا بحديث طارق بن شهاب رفعه: «أفضل الجهاد: كلمة حق عند سلطان جائر»، وبعموم قوله: «من رأىٰ منكم منكرًا فليغيره بيده» الحديث، وقال بعضهم: يجب إنكار المنكر، لكن شرطه أن لا يلحق به بلاء لا قبل له به من قتل ونحوه. وقال آخرون: ينكر بقلبه لحديث أم سلمة مرفوعًا: «يستعمل عليكم أمراء بعدي فمن كره برئ، ومن أنكر فقد سلم، ولكن من رضي وتابع» الحديث. قال: والصواب: اعتبار الشرط المذكور، ويدل عليه حديث «لا ينبغي لمؤمن أن يذل نفسه» ثم فسره بأن يتعرض من البلاء لما لا يطيق. انتهىٰ ملخصًا.

وقال غيره: يجب الأمر بالمعروف لمن قدر عليه ولم يَخَفْ علىٰ نفسه منه ضررًا ولو كان الآمر متلبسًا بالمعصية؛ لأنه في الجملة يؤجر علىٰ الأمر بالمعروف، ولا سيما إن كان مطاعًا، وأما إثمه الخاص به: فقد يغفره الله له وقد يؤاخذه به، وأما من قال: «لا يأمر =

لا تحملوا الناس ما لا يطيقون فيفتنوا

قال الإمام البخاري رحمه الله (٢٩٦٤):

حدثنا عثمان بن أبي شيبة، حدثنا جرير عن منصور، عن أبي وائل قال: قال عبد الله رضي الله عنه: لقد أتاني اليومَ رجلٌ فسألني عن أمرٍ ما دريت ما أردُّ عليه، فقال: أرأيت رجلاً مؤديًا[١] نشيطًا يخرجُ مع أمرائنا في المغازي فيعزم[٢] علينا في أشياء لا نحصيها[٣]؟ فقلت له: واللهِ لا أدري ما أقول لك، إلا أنا كنا مع النبي ﷺ، فعسى أن لا يعزم علينا في أمرٍ إلا مرة حتى نفعله، وإن أحدكم لن يزال بخير ما اتقى الله، وإذا شك في نفسه شيء سأل رجلاً فشفاه منه وأوشك أن لا تجدوه، والذي لا إله إلا هو؛ ما أذكر ما غبر[٤] من الدنيا إلا كالثغب[٥] شُرِبَ صَفْوُه، وبَقِيَ كَدَرُه.

صحيح

= بالمعروف إلا من ليست فيه وصمة» فإن أراد أنه الأولى فجيّدٌ، وإلا فيستلزم سد باب الأمر إذا لم يكن هناك غيره.

ثم قال الطبري: فإن قيل كيف صار المأمورون بالمعروف في حديث أسامة المذكور في النار؟ فالجواب: أنهم لما يمتثلوا ما أمروا به فعذبوا بمعصيتهم وعذب أميرهم بكونه كان يفعل ما ينهاهم عنه.

وفي الحديث تعظيم الأمراء والأدب معهم وتبليغهم ما يقول الناس فيهم ليكفوا ويأخذوا حذرهم بلطف وحُسن تأدية، بحيث يبلغ المقصود من غير أذية للغير.

(١) قال الحافظ «الفتح» (٦/ ١١٩): «مؤديًا»: أي كامل الأداء، أي: أداة الحرب.

(٢) «العزم»: هو: الأمر الحازم الذي لا تردد فيه.

(٣) أي: لا نطيقها، لقول الله تعالى: ﴿علم أن لن تحصوه﴾ [المزمل: ٢٠]، وقيل: لا ندري أهي طاعة أم معصية؟

(٤) «غبر»: أي: مضى.

(٥) «الثغب» - بمثلثة مفتوحة ومعجمة ساكنة ويجوز فتحها، قال القزاز: وهو أكثر - وهو: =

وأخرجه أبو يعلىٰ الموصلي في «مسنده» (٩/ ٦٧ و١٠٣)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ١٢٢) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد شرط الشيخين ولم يخرجاه ـ وأظنه لتوقيفٍ فيه ـ وقال الذهبي: علىٰ شرطهما. قلت: قد أخرجه البخاري كما ترىٰ.

❊ ❊ ❊

= الغدير يكون في ظل فيبرد ماؤه ويروق، وقيل: هو ماء يحتفره السيل في الأرض المنخفضة فيصير مثل الأخدود، فيبقىٰ الماء فيه فتصفقه الريح فيصير صافيًا باردًا.
وقيل: هو نقرة في صخرة يبقىٰ فيها الماء كذلك، فشبه ما مضىٰ من الدنيا بما شرب من صفوه، وما بقي منها بما تأخر من كدره، وإذا كان هذا في زمان ابن مسعود ـ وقد مات هو قبل مقتل عثمان ووجود تلك الفتن العظيمة ـ فماذا يكون اعتقاده فيما جاء بعد ذلك وهلم جرّا؟ وفي الحديث أنهم كانوا يعتقدون وجوب طاعة الإمام، وأما توقف ابن مسعود عن خصوص جوابه وعدوله إلىٰ الجواب العام فللإشكال الذي وقع له من ذلك، وقد أشار إليه في بقية حديثه، ويستفاد منه: التوقف في الإفتاء فيما أشكل من الأمر، كما لو أن بعض الأجناد استفتىٰ أن السلطان عينه في أمر مخوف بمجرد التشهي وكلفه من ذلك ما لا يطيق، فمن أجابه بوجوب طاعة الإمام أشكل الأمر لما وقع من الفساد، وإن أجابه بجواز الامتناع أشكل الأمر لما قد يفضي به ذلك إلىٰ الفتنة، فالصواب: التوقف عن الجواب في ذلك وأمثاله. والله الهادي إلىٰ الصواب.

من دعا على غيره أن يُفتن

قال الإمام البخاري رحمه الله (٧٥٥):

حدثنا موسى، قال: حدثنا أبو عوانة، قال: حدثنا عبد الملك بن عمير، عن جابر بن سمرة قال: شكا أهل الكوفة سعدًا إلى عمر رضي الله عنه، فعزله واستعمل عليهم عَمَّارًا فَشَكَوْا(١)، حتى ذكروا: أنه لا يحسن يصلي. فأرسل إليه فقال: يا أبا إسحاق، إن هؤلاء يزعمون أنك لا تحسن تصلي؟ قال أبو إسحاق: أمّا أنا والله؛ فإني كنت أصلي بهم صلاةَ رسول الله ﷺ ما أخرِمُ عنها، أصلي صلاةَ العشاء فأركدُ في الأوليين وأخفُّ في الأخريين. قال: ذاك الظن بك يا أبا إسحاق. فأرسل معه رجلاً - أو رجالاً - إلى الكوفة، فسأل عنه أهل الكوفة، ولم يَدَع مسجدًا إلا سأل عنه ويُثنون معروفًا، حتى دخل مسجدًا لبني عبس، فقام رجل منهم - يقال له: أسامة بن قتادة، يكنى أبا سعدة - قال: أما إذْ نشدتنا؛ فإن سعدًا كان لا يسير بالسرية، ولا يقسم بالسوية، ولا يعدل في القضية. قال سعد: أما والله لأدعون بثلاث: اللهم إن كان عبدك هذا كاذبًا قام رياءً وسمعة فأطلْ عُمره، وأطلْ فَقْره، وعَرِّضه بالفتن(٢). وكان بعد إذا سُئل يقول: شيخ كبير مفتون أصابتني دعوة سعد.

صحيح

قال عبد الملك: فأنا رأيته بعد قد سَقَط حاجباه على عينيه من الكِبرَ، وإنه ليتعرَّض للجَوَاري في الطرق يغمزهن.

(١) أي: فشكوا سعدًا.

(٢) قال الحافظ في «الفتح» (٢/ ٢٤١): «وفيه جواز الدعاء على الظالم المعين بما يستلزم النقص في دينه، وليس هو من طلب وقوع المعصية، ولكن من حيث أنه يؤدي إلى نكاية =

كراهية تمنِّي لقاء العدو(*)

قال الإمام البخاري رحمه الله (٣٠٢٤):

حدثنا يوسف بن موسى، حدثنا عاصم بن يوسف اليربوعي، حدثنا أبو إسحاق الفزاري، عن موسى بن عقبة، قال: حدثني سالم أبو النضر - مولى عمر بن عبيد الله، كنت كاتبًا له - قال: كتب إليه عبد الله بن أبي أوفى حين خرج إلى الحرورية، فقرأته، فإذا فيه: إن رسول الله ﷺ في بعض أيامه التي لقي فيها العدو انتظر حتى مالتِ الشمسُ، ثم قام في الناس فقال: «**لا تمنوا لقاء العدو**(١) **، وسَلُوا الله العافية، فإذا لقيتموهم فاصبروا، واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف**». ثم قال: «**اللهم منزل الكتاب ومُجري السحاب وهازم الأحزاب، اهزمهم وانصرنا عليهم**».

صحيح

وقال موسى بن عقبة: حدثني سالم أبو النضر: كنت كاتبًا لعمر بن عبيد الله. فأتاه كتاب عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تمنوا لقاء العدو**».

وأخرجه مسلم (١٧٤٢)، وأبو داود (٢٦٣١).

= الظالم وعقوبته، ومن هذا القبيل مشروعية طلب الشهادة، وإن كانت تستلزم ظهور الكافر على المسلم، ومن الأول قول موسى عليه السلام: ﴿ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم﴾ [يونس: ٨٨].

(*) وينضم إلى هذا الباب قوله ﷺ: «إن السعيد لَمَنْ جُنب الفتن، إن السعيد لَمَن جُنب الفتن، إن السعيد لَمَنْ جُنب الفتن، ولَمَنِ ابتُلي فصبر، فَوَاهًا»، وسيأتي في: المخرج من الفتنة إن شاء الله (ص٢٣٣).

(١) قال الحافظ في «الفتح» (٦/ ١٥٦): (قال ابن بطال: حكمة النهي: أن المرء لا يعلم ما

قال الإمام مسلم رحمه الله (١٧٤١):

حدثنا الحسن بن علي الحلواني وعبد بن حميد، قالا: حدثنا أبو عامر العقدي، عن المغيرة - وهو ابن عبد الرحمن الحزامي -، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة: أن النبي ﷺ قال: «**لا تمنوا لقاء العدو؛ فإذا لقيتموهم فاصبروا**».

صحيح

وأخرجه البخاري معلقًا حديث (٣٠٢٦)، وعزاه المزي للنسائي.

= يؤول إليه الأمر، وهو نظير سؤال العافية من الفتن، وقد قال الصديق: «لأن أعافى فأشكر أحب إليَّ من أن أبتلى فأصبر»).

وقال النووي رحمه الله «شرح مسلم» (٤/ ٣٣٩): (إنما نهى عن تمني لقاء العدو لما فيه من صورة الإعجاب والاتكال على النفس والوثوق بالقوة، وهو نوع بغي، وقد ضمن الله تعالى لمن بُغي عليه أن ينصره، ولأنه يتضمن قلة الاهتمام بالعدو واحتقاره، وهذا يخالف الاحتياط والحزم، وتأوله بعضهم على: النهي عن التمني في صورة خاصة، وهي: إذا شك في المصلحة وحصول ضرر، وإلا فالقتال كله فضيلة وطاعة، والصحيح: الأول، ولهذا تَمَّمه النبي ﷺ بقوله ﷺ: «واسألوا الله العافية»، وقد كثرت الأحاديث في الأمر بسؤال العافية، وهي من الألفاظ العامة المتناولة لدفع جميع المكروهات في البدن والباطن، في الدين والدنيا والآخرة.

اللهم إني أسألك العافية لي ولأحبّائي ولجميع المسلمين.

وقال الحافظ في «الفتح» (٦/ ١٥٧): (وقال ابن دقيق العيد: لما كان لقاء الموت من أشق الأشياء على النفس، وكانت الأمور الغائبة ليست كالأمور المحققة؛ لم يؤمن أن يكون عند الوقوع كما ينبغي، فيكره التمني لذلك ولما فيه لو وقع من احتمال أن يخالف الإنسان ما وعد من نفسه ثم أمر بالصبر عند وقوع الحقيقة). انتهى.

قلتُ: فإن قيل: كيف يجمع بين حديث: «لا تتمنوا لقاء العدو» من قوله ﷺ: «والذي نفسي بيده، لوددتُ أني أغزو في سبيل الله فأُقتل ثم أُحيا فأُقتل ثم أُحيا فأقتل...»؟

فالجواب على هذا: أورده الحافظ في «الفتح» (١٣/ ٢٢٤) بقوله: (وحاصل الجواب: =

أشد الناس بلاء: الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل

قال ابن ماجه رحمه الله (٤٠٢٤):

حدثنا عبد الرحمن بن إبراهيم، ثنا ابن أبي فديك، حدثني هشام بن سعد، عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن أبي سعيد الخدري قال: دخلت على النبي ﷺ وهو يوعك، فوضعتُ يدي عليه فوجدتُ حرَّه بين يدي فوق اللحاف، فقلت: يا رسول الله، ما أشدها عليك! قال: «**إنَّا كذلك؛ يُضَعَّف لنا البلاء ويضعف لنا الأجر**» قلت: يا رسول الله، أي الناس أشد بلاء؟ قال: «**الأنبياء**» قلت: يا رسول الله! ثم من؟ قال: «**ثم الصالحون، إن كان أحدهم ليبتلي بالفقر حتى ما يجد أحدهم إلا العباءة يحويها، وإن كان أحدهم ليفرح بالبلاء كما يفرح أحدكم بالرخاء**».

حسن

وأخرجه الحاكم (٤/ ٣٠٧) وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي.

* * *

= أن حصول الشهادة أخص من اللقاء، لإمكان تحصيل الشهادة مع نصرة الإسلام ودوام عزه بكسرة الكفار، واللقاء قد يفضي إلى عكس ذلك، فنهى عن تمنيه، ولا ينافي ذلك تمني الشهادة، أو لعل الكراهية مختصة بمن يثق بقوته ويعجب بنفسه ونحو ذلك. والله أعلم).

يُبتلى الرجل على قدر دِينه

قال الترمذي رحمه الله (٢٣٩٨):

حدثنا قتيبة، حدثنا حماد بن زيد، عن عاصم بن بهدلة، عن مصعب بن سعد، عن أبيه قال: قلت: يا رسول الله، أي الناس أشد بلاء؟ قال: «**الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل، فيُبتلى الرجل على حسب دِينه، فإن كان دِينه صَلَبًا اشتد بلاؤه، وإن كان في دِينه رقة ابتلى على حسب دينه، فما يبرح البلاءُ بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض ما عليه خطيئة**».

صحيح لغيره[١]

وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

وأخرجه ابن ماجه (٤٠٢٣)، وأحمد (١/ ١٧٢، ١٧٣، ١٧٤، ١٨٠، ١٨٥)، والدارمي (٢/ ٣٢٠)، وابن حبان «موارد الظمآن» (٦٩٩)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٤١). وعزاه المزي للنسائي.

* * *

---

(١) فقد أخرجه ابن حبان «موارد الظمآن» (٦٩٨) من طريق: العلاء بن المسيب، عن أبيه، عن سعد مرفوعًا بنحوه. وكذا هي عند الحاكم في «المستدرك» (١/ ٤٠ ـ ٤١).
هذا وقد ورد في إسناد هذا الحديث خلافٌ غير ضار، أشار إليه الدارقطني رحمه الله في «العلل» (٤/ ٣١٥ ـ ٣١٨) وقال: (والمحفوظ: حديث عاصم عن مصعب ـ أي: حديث الباب الذي أوردنا إسناده).

البلاء كفَّارة لخطايا من صبر

قال الإمام الترمذي رحمه الله (٢٣٩٩):

حدثنا محمد بن عبد الأعلى، حدثنا يزيد بن زريع، عن محمد بن عَمرو، عن أبي سَلمة، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وولده وماله؛ حتى يلقى الله وما عليه خطيئة**».

حسن

قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح.

* * *

إذا أحبَّ الله قومًا ابتلاهم[1]

قال الإمام أحمد رحمه الله (٥/ ٤٢٧):

حدثنا أبو سعيد، ثنا سليمان، عن عَمرو بن أبي عَمرو، عن عاصم بن عُمر بن قتادة، عن محمود بن لبيد: أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الله عز وجل ليحمي عبده المؤمن من الدنيا وهو يحبه؛ كما تحمون مريضكم من الطعام والشراب تخافونه عليه**».

وبهذا الإسناد أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الله عز وجل إذا أحب قومًا ابتلاهم، فمَنَ صبر فله الصبر، ومَن جزع فله الجزع**».

صحيح

وأخرجه أحمد أيضًا (٥/ ٤٢٨، ٤٢٩).

* * *

(١) هذا في قوم يحبهم الله فيبتليهم ويصبرهم بفضله فترفع درجاتهم، وآخرون تحل بهم البلايا لفسقهم، قال الله عز وجل في أصحاب القرية التي كانت حاضرة البحر: ﴿كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون﴾ [الأعراف: ١٦٣].
وبالجملة: فالنظر إلى حال الرجل وما هو عليه من صلاح، فإن كان قائمًا بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وتحل به البلايا ويصبر فذلك من حب الله عز وجل له، وإن كان مُعرضًا عن كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ فما يصاب به من بلايا عقوبات على ما فرط في أمر الله، قال الله عز وجل: ﴿وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم﴾ [الشورى: ٣٠]، وقال عز وجل: ﴿وضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدًا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون﴾ [النحل: ١١٢].

النبي ﷺ أمان لأمته من الفتن بإذن الله

قال الإمام مسلم رحمه الله (٢٥٣١):

حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة وإسحاق بن إبراهيم وعبد الله بن عمر بن أبان، كلهم: عن حسين - قال أبو بكر: حدثنا حسين بن علي[١] الجعفي، عن مجمع بن يحيى، عن سعيد بن أبي بردة، عن أبي بردة، عن أبيه قال: صلينا المغرب مع رسول الله ﷺ، ثم قلنا: لو جلسنا حتى نصلي مع العشاء؟! قال: فجلسنا فخرج علينا فقال: «**ما زلتم ها هنا؟!**» قلنا: يا رسول الله؛ صلينا معك المغرب ثم قلنا: نجلس حتى نصلي معك العشاء. قال: «**أحسنتم - أو: أصبتم**»، قال: فرفع رأسه إلى السماء - وكان كثيراً مما يرفع رأسه إلى السماء - فقال: «**النجوم أمنة**[٢] **للسماء، فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما تُوعد، وأنا أمنةٌ لأصحابي، فإذا ذهبتُ أتى أصحابي ما يُوعدون، وأصحابي أَمنةٌ لأُمتي، فإذا ذهب أصحابي أتَى أُمتي ما يُوعدون**».

صحيح

---

(١) وقد ورد لهذا الحديث إسناد آخر لحسين الجعفي، إلا أنه مرجوح. انظر: «علل الدارقطني» (٧/ ٢١٩ - ٢٢٠).

(٢) قال النووي رحمه الله: («الأمنة» - بفتح الهمزة والميم - و«الأمن» و«الأمان» بمعنًى واحد.

قال: ومعنى الحديث: أن النجوم ما دامت باقية فالسماء باقية، فإذا انكدرت وتناثرت في القيامة وهنت السماءُ فانفطرتْ وانشقتْ وذهبتْ.

وقوله ﷺ: «وأنا أمنةٌ لأصحابي، فإذا ذهبتُ أتى أصحابي ما يوعدون» أي: من الفتن والحروب وارتدادِ مَن ارتد من الأعراب واختلاف القلوب. ونحو ذلك مما أنذرَ به صريحًا، وقد وقع كل ذلك.

عُمَرُ حائلٌ بين المسلمين والفتن بإذن الله

قال الإمام البخاري رحمه الله (٥٢٥):

حدثنا مسدد، قال: حدثنا يحيى، عن الأعمش، قال: حدثني شقيق، قال: سمعت حذيفة قال: كنا جلوسًا عند عُمر رضي الله عنه؛ فقال: أيكم يحفظ قول رسول الله ﷺ في الفتنة؟ قلت: أنا، كما قاله. قال: إنك عليه - أو: عليها - لجريءٌ. قلت: فتنة الرجل في أهل و ماله وولده وجاره تُكفِّرها الصلاةُ والصومُ والصدقةُ والأمرُ والنهيُ. قال: ليس هذا أُريد، ولكن الفتنة التي تموج كما يموج البحرِ[1]. قال: ليس عليك منها بأس يا أمير المؤمنين، إن بينك وبينها بابًا مغلقًا. قال: أيُكسر أَمْ يُفتح؟ قال: يُكسر. قال: إذن لا يغلق أبدًا. قلنا: أكان عُمُر يَعْلَمُ البابَ؟ قال: نعم؛ كما أن دُون الغدِ الليلة. إني حدثتهُ بحديثٍ ليس بالأغاليط. فَهِبْنَا أن نسألَ حذيفةَ، فأمرنا مسروقًا، فقال: البابُ عُمَرُ.

صحيح

وأخرجه مسلم (١٤٤، ص ٢٢١٨)، والترمذي (٢٢٥٨) وقال: هذا حديث صحيح، وابن ماجه (٣٣٩٥). وعزاه المزي للنسائي.

* * *

= وقوله ﷺ: «وأصحابي أمنةٌ لأمتي، فإذا ذهب أصحابي أتى أُمتي ما يوعدون»: معناه: من ظهور البدع والحوادث في الدين والفتن فيه، وطلوع قرن الشيطان، وظهور الروم وغيرهم عليهم، وانتهاك المدينة ومكة، وغير ذلك. وهذا كله من معجزاته ﷺ).

(١) أي: تضطرب ويدفع بعضها بعضًا. وشبَّهها بموج البحر لشدة عِظَمها وكثرة شيوعها. قاله النووي (١/ ٣٥٤)، وقال الحافظ «فتح» (٦/ ٦٠٦): «أي: تضطرب اضطراب البحر عند هيجانه، وكنَّى بذلك عن شدة المخاصمة وكثرة المنازعة وما ينشأ عن ذلك من المشاتمة والمقاتلة».

مقتل أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه

قال الإمام البخاري رحمه الله (٣٧٠٠):

حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا أبو عوانة، عن حصين، عن عَمرو بن ميمون قال: «رأيتُ عمر بن الخطاب رضي الله عنه قبل أن يُصاب بأيام بالمدينة، ووقَفَ على حُذيفة بن اليمان وعثمان بن حنيف قال: كيف فعلتما؟ أتخافان أن تكونا حَمَّلتما الأرض[1] ما لا تطيق؟ قالا: حمَّلناها أمرًا هي له مطيقة، ما فيها كبيرُ فضلٍ. قال: انظرا أن تكونا حمَّلتما الأرض ما لا تطيق. قالا: لا. فقال عمر: لئن سلَّمني الله لأدعنَّ أرامل أهل العراق لا يَحتْجن إلى رجُلٍ بعدي أبدًا. قال: فما أتت عليه إلا رابعة حتى أُصيب. قال: إني لقائمٌ ما بيني وبينه إلا عبد الله بن عباسٍ غداةَ أُصيب - وكان إذا مر بين الصفين قال: استووا. حتى إذا لم ير فيهم خللاً تقدم فكبَّر، وربما قرأ سورة يوسف أو النحل أو نحو ذلك في الركعة الأولى حتى يجتمع الناسُ، فما هو إلا أن كبَّر فسمعته يقول: قَتَلني الكلب - أو: أكلني الكلب - حين طعنه - فطار العلج بسكينٍ ذات طرفين، لا يمرُّ على أحدٍ يمينًا ولا شمالاً إلا طعنهُ، حتى طعن ثلاثة عشر رجلاً مات منهم سبعةٌ، فلما رأى ذلك رجلٌ من المسلمين طرح عليه بُرنسًا، فلما ظن العلج أن مأخوذ نَحَر نفسه، وتناول عمر يد عبد الرحمن بن عوف فقدَّمه، فمن يلي عمر؟ فقد رأى الذي أُري وأما نواحي المسجد، فإنهم لا يَدرون، غير أنهم قد فقدوا صوتَ عُمر وهم يقولون: سبحان الله. فصلَّى بهم عبد الرحمن صلاةً خفيفة، فلمَّا انصرفوا

(١) قال الحافظ في «الفتح» (٧/ ٦٢): الأرض المشار إليها هي: أرض السواد، وكان عمر بعثهما يضربان عليها الخراج وعلى أهلها الجزية، بيَّن ذلك أبو عبيد في كتاب «الأموال» من رواية عمرو بن ميمون المذكور.

قال: يا ابن عباس، انظر من قتلني؟ فَجَالَ ساعةً ثم جاء فقال: غلامُ المغيرة. قال: الصَّنعُ؟ قال: نعم. قال: قاتله الله لقد أَمرتُ به معروفًا، الحمد لله الذي لم يجعل مِيتتي بيد رجل يدَّعي الإسلام، قد كنتَ أنت وأبوك تُحبَّان أن تكثرَ العلوجُ بالمدينة - وكان العباس أكثرهم رقيقًا - فقال: إن شئتَ فعلتُ - أي: إن شئتَ قَتَلنا - قال: كذبتَ، بعد ما تكلَّموا بلسانكم وصلَّوا قِبْلَتكم، وحَجُّوا حجَّكم؟ فاحتُمل إلىٰ بيته فانطلقنا معه، وكأن الناس لم تُصبهم مصيبةٌ قبل يومئذٍ، فقائل يقول: لا بأس، وقائلٌ يقول: أخاف عليه. فأتي بنبيذٍ فشربه فخرج من جوفه، ثم أُتي بلبن فشربه فخرج من جُرحه، فعلموا أنه ميت، فدخلنا عليه، وجاء الناس فجعلوا يُثنون عليه، وجاء رجل شاب فقال: أبْشر يا أمير المؤمنين ببشرىٰ الله لك؛ من صحبةِ رسول الله ﷺ، وقِدَم في الإسلام ما قد علمتَ، ثم وليتَ فعدلتَ، ثُم شهادةٌ. قال: وددتُ أن ذلك كفافٌ لا عليَّ ولا لي. فلما أَدبَر إزارُه يمسُّ الأرضَ. قال: رُدُّوا عليَّ الغلام يا ابن أخي: ارفع ثوبك فإنه أبقىٰ لثوبك وأتقىٰ لربك. يا عبد الله بن عمر، انظر ما عَليَّ من الدَّين. فحسبوه فوجدوه ستة وثمانين ألفًا أو نحوه، قال: إن وفىٰ له مالُ آل عُمر فأدِّه من أموالهم، وإلا فسل في بني عدي بن كعب، فإن لم تَفِ أموالهم فَسَلْ في قريش، ولا تعدهم إلىٰ غيرهم، فأدِّ عنِّي هذا المال. انطلق إلىٰ عائشة أم المؤمنين فقل: يقرأ عليك عمر السلام، ولا تقل: أمير المؤمنين، فإني لستُ اليوم للمؤمنين أميرًا، وقل: يستأذنُ عمرُ بنُ الخطاب أن يُدفن مع صاحبيه. فسلَّم واستأذنَ ثم دخل عليها فوجدها قاعدة تبكي، فقال: يقرأ عليك عمر بن الخطاب السلام ويستأذنُ أن يُدفن مع صاحبيه؟ فقالت: كنتُ أُريده لنفسي، ولأُوثرنَّه به اليوم علىٰ نفسي. فلما أقبل قيل: هذا عبد الله بن عمر قد جاء. قال: ارفعوني.

فأسنده رجلٌ إليه، فقال: ما لديك؟ قال: الذي تحب يا أمير المؤمنين، أذنت. قال: الحمد لله؛ ما كان من شيء أهمُّ إليَّ من ذلك، فإذا أنت قضيت فاحملوني ثم سلِّم فقل: يستأذن عمر بن الخطاب، فإن أذنت لي فأدخلوني، وإن رَدَّتني رُدوني إلى مقابر المسلمين. وجاءت أم المؤمنين حفصة والنساء تسير معها، فلمّا رأينها قُمنا فوجلت عليه فبكت عنده ساعةً، واستأذن الرجال، فولجتْ داخلاً لهم، فسمعنا بُكاءها من الداخل، فقالوا: أوص يا أمير المؤمنين، استخلفْ. قال: ما أجد أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر - أو: الرهط الذين تُوفي رسولُ الله ﷺ وهو عنهم راضٍ[(١)] - فسمَّى عليًا وعثمان والزبير وطلحة وسعدًا وعبد الرحمن، وقال: يَشْهدكم عبدُ الله بن عمر، وليس له من الأمر شيء - كهيئة التعزية له -، فإن أصابت الإمرة سعدًا فهو ذاك، وإلا فَليستعن به أيكم ما أُمِّرَ. فإني لم أعزله عن عَجزٍ ولا خيانةٍ، وقال: أُوصي الخليفةَ من بعدي بالمهاجرين الأوَّلين أن يعرف لهم حقَّهم، ويحفظَ لهم حُرمتهم، وأُوصيه بالأنصار خيرًا الذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم، أن يقبل من محسنهم وأن يُعفى عن مسيئهم، وأُوصيه بأهلِ الأمصار خيرًا، فإنهم ردءُ الإسلام وجباة المالِ وغيظ العدو، وأن لا يؤخذ منهم إلا فضلهم عن رضاهم وأوصيه بالأعراب خيرًا؛ فإنهم أصل العرب، ومادة الإسلام: أن يؤخذ من حواشي أموالهم ويُردَّ على فقرائهم، وأُوصيه بذمة الله وذمةِ رسوله ﷺ أن يُوفي لهم بعهدهم، وأن يقاتل مِن ورائهم ولا يُكلَّفوا إلا طاقتهم.

فلما قُبض خرجنا به فانطلقنا نمشي فسلَّم عبد الله بن عمر قال: يستأذنُ عمر

---

(١) ووقع نحو ذلك في حديث عمر عند مسلم (٥٦٧)، من طريق: معدان بن أبي طلحة عن عمر.. به.

بن الخطاب. قالت: أدخلوه. فأُدخل فوضع هنالك مع صاحبيه، فلما فُرغ من دفنه اجتمع هؤلاء الرهطُ، فقال عبدُ الرحمن: اجعلوا أمركم إلىٰ ثلاثة منكم. فقال الزبير: قد جعلتُ أمري إلىٰ عليٍّ. فقال طلحة: قد جعلت أمري إلىٰ عثمان. وقال سعد: قد جعلتُ أمري إلىٰ عبد الرحمن بن عوف.

فقال عبد الرحمن أيكما تبرأ من هذا الأمر فنجعله إليه، واللهُ عليه والإسلام؛ لينظرن أفضلهم في نفسه؟ فأُسكت الشيخان، فقال عبدُ الرحمن: أفتجعلونه إليَّ؟ واللهِ عليَّ أن لا آلوا عن أفضلكم؟ قالا: نَعم. فأخَذ بيد أحدهما، فقال: لك قرابة من رسول الله ﷺ والقدَمُ في الإسلام ما قد علمتَ، فاللهُ عليكَ لئن أمَّرتك لتعدلن، ولئن أمَّرت عثمانَ لتسمعن ولتطيعن. ثم خلا بالآخر فقال مثل ذلك، فلما أخذ الميثاق قال: ارفع يدك يا عثمان فبَايَعَه. فبايع له عليٌّ ووَلَج أهلُ الدار فبايعوه.

صحيح

وعزاه المزي للنسائي، وأخرجه ابن سعد في «الطبقات» (٣/ ١/ ٢٤٤)، وله طريق أُخرىٰ بنحوه عند ابن حبان «موارد الظمآن» (٢١٩٠).

* * *

إخبار النبي ﷺ بالبلوى التي ستصيب عثمان

قال الإمام البخاري رحمه الله (٣٦٧٤):

حدثنا محمد بن مسكين أبو الحسن، حدثنا يحيى بن حسان، حدثنا سليمان، عن شريك بن أبي نمر، عن سعيد بن المسيب قال: «أخبرني أبو موسى الأشعري: أنه توضأ في بيته ثم خرج فقلتُ: لألزمنَّ رسول الله ﷺ ولأكونَنَّ معه يومي هذا. قال: فجاء المسجد، فسأل عن النبي ﷺ فقالوا: خَرَجَ وَوَجهَ ها هنا. فخرجتُ على إثره أسألُ عنه، حتى دخل بِئر أريس، فجلستُ عند الباب وبابُها من جريدٍ، حتى قَضَى رسولُ الله ﷺ حاجتَه، فتوضَّأ فقمتُ إليه، فإذا هو جالسٌ على بِئر أريس وتوسط قُفَّها[١]، وكشف عن ساقيه ودلاَّهما في البئر، فسلمتُ عليه ثم انصرفتُ فجلستُ عند الباب، فقلتُ: لأكونَنَّ بوابَ رسول الله ﷺ اليوم. فجاء أبو بكر فدفع الباب، فقلت: مَن هذا؟ فقال: أبو بكر. فقلت: عَلى رسلك، ثم ذهبتُ فقلتُ: يا رسول الله، هذا أبو بكر يستأذن؟ فقال: **«ائذن له وبشِّره بالجنة»**، فأقبلتُ حتى قلتُ لأبي بكر: ادخل ورسولُ الله ﷺ يُبشّرك بالجنة، فدخل أبو بكر فجلس عن يمينِ رسولِ الله ﷺ معه في القُفِّ ودلَّى رِجليه في البِئر كما صنع النبيُّ ﷺ، وكَشَفَ عن ساقيه، ثم رجعتُ فجلستُ وقد تركتُ أخي يتوضّأ ويلحقني، فقلتُ: إن يرد اللهُ بفلانٍ خيراً - يريد: أخاه - يأتِ به، فإذا إنسان يحرّك البابَ، فقلْت: مَن هذا؟ فقال: عمرُ بنُ الخطاب، فقلت: على رسلك. ثم جئتُ إلى رسول الله ﷺ فسلَّمتُ عليه فقلتُ: هذا عمر بن الخطاب يستأذن؟ فقال: **«ائذن له وبشِّره بالجنة»** فجئتُ فقلتُ: ادخل وبشّرك

(١) «القُف»: قال الحافظ: (هو بضم القاف وتشديد الفاء)، هو: الداكة التي تُجعل حول البئر، وأصْله: ما غلظ من الأرض وارتفع، والجمع «قفاف»).

رسولُ الله ﷺ بالجنة. فدخل فجلس مع رسول الله ﷺ في القُفِّ عن يَساره، ودلَّى رجليه في البئر. ثم رجعت فجلست فقلت: إن يرد الله بفلانٍ خيرًا يأتِ به، فجاء إنسانٌ يُحرك البابَ، فقلتُ: مَن هذا؟ فقال: عثمان بن عفان. فقلتُ: على رسلك، فجئتُ إلى رسول الله ﷺ فأخبرتُه؟ فقال: «**ائذن له وبشّره بالجنة على بَلْوى تُصيبه**»، فجئته فقلت له: ادخل وبشَّرك رسولُ الله ﷺ بالجنة على بَلوى تُصيبك(١). فدخل فوجد القُفَّ قد مُلئ، فجلس وِجَاهَه مِن الشقِّ الآخرِ. قال شريك بن عبد الله: قال سعيد بن المسيب: فأوَّلتُها قُبورهم».

صحيح

وأخرجه مسلم (ص١٨٦٨).

قال ابن ماجه رحمه الله (١١٣):

حدثنا محمد بن عبد الله بن نمير وعليّ بن محمد، قالا: ثنا وكيع، ثنا إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن أبي حازم، عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «**وددتُ أنَّ عندي بعضَ أصحابي**» قلنا: يا رسول الله! ألا ندعو لك أبا بكر؟ فسكت. قلنا: ألا ندعو لك عُمر؟ فسكتَ. قُلنا: ألا ندعو لك عثمان؟ قال: «**نَعَم**». فجاء فَخَلاَ به، فجعل النبيُّ ﷺ يُكلِّمه ووجه عثمان يتغَيَّرُ.

صحيح

---

(١) في رواية البخاري (٣٦٩٣): «فحمد الله، ثم قال: الله المستعان».
نقل الحافظ عن ابن بطال قوله: (إنما خص عثمان بذكر البلاء مع أن عمر قتل أيضًا لكون عمر لم يمتحن بمثل ما امتحن عثمان من تسلط القوم الذين أرادوا منه أن ينخلع من الإمامة بسبب ما نسبوه إليه من الجور والظلم مع تنصله من ذلك واعتذاره عن كل ما أوردوه عليه ثم هجومهم عليه في داره وهتكهم ستر أهله، وكل ذلك زيادة على قتله. قال الحافظ قلت: وحاصله أن المراد بالبلاء الذي خص به الأمور الزائدة على القتل وهو كذلك.

قال قيس: فحدَّثني أبو سهلة - مولىٰ عثمان أن عثمان بن عفان - قال: يوم الدار إنَّ رسول الله ﷺ عَهِدَ إليَّ عهداً، فأنا صائرٌ إليه.

قال قيس: فكانوا يرونه ذلك اليوم.

* * *

فِتنة قتل عثمان رضي الله عنه

قال أبو داود رحمه الله (٤٥٠٢):

حدثنا سليمان بن حرب، حدثنا حماد بن زيد، عن يحيى بن سعيد، عن أبي أمامة بن سهل، قال: كنا مع عثمان وهو محصورٌ في الدار، وكان في الدار مَدْخلٌ، من دخله سمع كلام مَن على البلاط، فدخله عثمان فخرج إلينا وهو متغيّر لونه فقال: إنهم ليتواعدوني بالقتل آنفًا. قال: قلنا: يكفيكهم الله يا أمير المؤمنين. قال: ولِمَ يقتلونني؟ سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**لا يحلُّ دمُ امريءٍ مسلم إلا بإحدى ثلاث: كُفرٌ بعد إسلام، أو زنًا بعد إحصانٍ، أو قَتل نفس بغيرِ نفسٍ**»، فوالله ما زنيتُ في جاهليةٍ ولا في إسلامٍ قط، ولا أَحببتُ أن لي بديني بدلاً منذ هداني الله، ولا قتلتُ نفسًا فبمَ يقتلونني.

إسناده صحيح[1]

وأخرجه أحمد (١/ ٦١ ـ ٦٢)، والنسائي (٧/ ٩١ ـ ٩٢)، وابن ماجه (٢٥٣٣)، وأحمد في «فضائل الصحابة» (٧٥٤)، والترمذي (٢١٥٨)[1]، والطيالسي (٧٢)، وابن سعد في «الطبقات» (٣/ ١/ ٤٦).

* * *

(١) ولمزيدِ كلامٍ على هذا الحديث انظر: «الصحيح المسند في فضائل الصحابة» (ص٩٤) ـ تأليفي.

يوم الجرعة

قال الإمام مسلم رحمه الله (٢٨٩٣):

وحدثنا محمد بن المثنى ومحمد بن حاتم، قالا: حدثنا معاذ بن معاذ، حدثنا ابن عون، عن محمد قال: قال جندبٌ: جئتُ يوم الجرعة[١]، فإذا رجلٌ جالسٌ فقلت: ليهرَاقنَّ اليومَ ههنا دماءٌ. فقال ذاك الرجلُ: كلاَّ والله. قلتُ: بلى والله. قال: كلاَّ والله. قلتُ: بلى والله. قال: كلاَّ والله، إنه لحديث رسولِ الله ﷺ حدَّثنيه. قلت: بئسَ الجليسُ لي أنتَ منذ اليوم تسمعني أخالفك وقد سمعته مِن رسول الله ﷺ فلا تنهاني؟ ثُم قلتُ: ما هذا الغضبُ؟ فأقبلتُ عليه وأسأله، فإذا الرجل حُذيفةُ.

صحيح

وأخرجه الحاكم في «المستدرك» (٤/ ٦٢٩) وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي.

(وها أنت قد رأيت أن مسلمًا أخرجه).

---

(١) قال النووي: («الجرعة» - بفتح الجيم وبفتح الراء وإسكانها والفتح أشهر وأجود -: وهي موضع بقُرب الكوفة، على طريق الحيرة، و«يوم الجرعة»: يوم خرج فيه أهل الكوفة يتلقون واليًا ولاَّه عثمان عليهم، فردّوه وسألوا عثمانَ أن يولّي عليهم أبا موسى الأشعري فولاَّه).

قلت: وفي الحديثِ: حرصُ الصحابة على اتباع سنن رسول الله ﷺ ووقوفهم عند قوله، ألا ترى أن جندبًا قال لجليسه: «بئس الجليسُ أنتَ»؟ لتقصيره في تبليغه سُنة رسول الله ﷺ له فَور حلفه، حتى جعله يحلف خطأ على ما يخالف السنة؟! وفي الحديث ما يؤيد اختصاصَ حذيفة رضي الله عنه بأحاديث الفتن، وتلقّيه لها عن رسول الله ﷺ.



الفتن الواردة في زمان أمير المؤمنين علي رضي الله عنه

بعض ما ورد في فِتنة الجَمَل

قال ا لإمام البخاري رحمه الله (٧١٠٠):

حدثنا عبد الله بن محمد، حدثنا يحيىٰ بن آدم، حدثنا أبو بكر بن عياش، حدثنا أبو حصين، حدثنا أبو مريم عبد الله بن زياد الأسدي، قال: «لما سار طلحة والزبير وعائشة إلىٰ البصرة، بعثَ عليٌّ عمارَ بن ياسر وحسن بن عليٍّ، فقدما علينا الكوفة، فصعدا المنبر، فكان الحسنُ بن علي فوق المنبر في أعلاه، وقام عمارٌ أسفل مِن ا لحسن، فاجتمعنا إليه، فسمعتُ عماراً يقول: إن عائشة قد سارتْ إلىٰ البصرة، والله إنها لزوجةُ نبيّكم ﷺ في الدنيا والآخرة، ولكن الله تبارك وتعالىٰ ابتلاكم[1]، ليعلم إيَّاه تُطيعون أم هي؟».

موقوف صحيح

وأخرجه الترمذي مختصراً (٣٨٨٩) وقال: هذا حديث حسن، وفي الباب عن عليّ.

قال الإمام البخاري رحمه الله (٧١٠١):

حدثنا أبو نعيم، حدثنا ابن أبي غنية، عن الحكم، عن أبي وائل: «قام عَمَّارٌ علىٰ منبر الكوفة، فذكَر عائشة وذكَر مسيرها، وقال: إنها زوجة نبيِّكم ﷺ في الدنيا والآخرة، ولكنها ممَّا ابتليتم».

موقوف صحيح

---

(١) فيه دليل علىٰ: أنه ينبغي للمسلم ألا يفتتن بشخص مهما علا قدره وذاع صيته، إلاَّ أن يَعرض أعمالَه علىٰ كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، فإن وَجَد العمل مُوافقًا لكتابِ الله وسُنة رسول الله ﷺ عَمِلهُ، وإلاَّ تركه.

قال الإمام البخاري رحمه الله (٧١٠٥، ٧١٠٦، ٧١٠٧):

حدثنا عبدان، عن أبي حمزة، عن الأعمش، عن شقيق بن سلمة قال: «كنتُ جالسًا مع أبي مسعود وأبي موسىٰ وعمارٍ، فقال أبو مسعود: ما من أصحابك أحدٌ إلا لو شئتُ لقلت فيه غيرك، وما رأيتُ منك شيئًا مُنذ صحبتُ النبيَّ ﷺ أعيبُ عندي من استسراعكَ في هذا الأمر. قال عمارٌ: يا أبا مسعود، وما رأيتُ منك ولا من صاحبك هذا شيئًا منذ صَحِبتما النبيَّ ﷺ، أعيبُ عندي من إبطائكما في هذا الأمر، فقال أبو مسعود - وكان مُوسِرًا -: يا غلامُ، هاتِ حُلتين، فأعطىٰ إحداهما أبا موسىٰ والأُخرىٰ عمارًا، وقال: رُوحا فيه إلىٰ الجمعة»(١).

صحيح

(١) قال الحافظ ابن حجر رحمه الله «فتح الباري» (١٣/ ٥٩): (قال ابن بطال: فيما دار بينهم دلالة علىٰ أن كلاً من الطائفتين كان مجتهدًا ويرىٰ أن الصواب معه. قال: وكان أبو مسعود مُوسِرًا جَوَادًا، وكان اجتماعهم عند أبي مسعود في يوم الجُمُعة، فكسَا عمارًا حُلةً ليشهد بها الجمعة، لأنه كان في ثياب السَّفر وهيئة الحرب، فكره أن يشهد الجمعة في تلك الثياب، وكره أن يكسَوه بحضرة أبي موسىٰ ولا يكسو أبا موسىٰ، فكسا أبا موسىٰ أيضًا، وقوله: «أعيب» - بالعين المهملة والموحدة - أفعل تفضيل، من «العيب»، وجعل كل منهما الإبطاء والإسراع عَيبًا بالنسبة لما يعتقده، فعمار لما في الإبطاء من مخالفة الإمام وترك امتثال ﴿فقاتلوا التي تبغي﴾ [الحجرات: ٩]، والآخران لما ظهر لهما من ترك مُباشرة القتال في الفتنة، وكان ابن مسعود علىٰ رأي أبي موسىٰ في الكفِّ عن القتال، تمسكًا بالأحاديث الواردة في ذلك وما في حمل السلاح علىٰ المسلم من الوعيد، وكان عَمَّارٌ علىٰ رأي عليٍّ في قتال الباغين والناكثين، والتمسك بقوله تعالىٰ: ﴿فقاتلوا التي تبغي﴾ [الحجرات: ٩]، وحمل الوعيدَ الواردَ في القتالِ علىٰ من كان متعديًا علىٰ صاحبه).

قال الإمام أحمد رحمه الله (١/ ١٦٥):

حدثنا أبو سعيد؛ مولى بني هاشم، ثنا شداد، يعني: ابن سعيد، ثنا غيلان ابن جرير، عن مطرف قال: قلنا للزبير رضي الله عنه: يا أبا عبد الله، ما جاء بكم، ضيعتم الخليفة حتى قُتل، ثم جئتم تَطلبون بدمه؟! قال الزبير رضي الله عنه: إنَّا قرأناها على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم: ﴿**وَاتَّقُوا فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً**﴾ [الأنفال: ٢٥]، لم نكن نحسب أنَّا أهلها حتى وقعت منَّا حيث وقعت.

صحيح

* * *

حديث كلاب الحوأب[1]

قال الإمام أحمد رحمه الله (٦/ ٩٧):

حدثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا شعبة، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن أبي حازم: أن عائشة قالتْ لَمَّا أتت على الحوأب سمعت نباحَ الكلاب فقالت: ما أظُنني إلا راجعةً؛ إن رسول الله ﷺ قال لنا: «**أيتكن تنبحُ عليها كلاب الحوأب؟**» فقال لها الزبير: ترجعين[2]، عسى الله عز وجل أن يصلح بك بين الناس؟!

صحيح

وأخرجه أحمد أيضًا (٦/ ٥٢)، وأبو يعلى الموصلي (٨/ ٢٨٢).

وابن حبان «موارد الظمآن» (١٨٣١).

* * *

---

(١) وفيه: دليل على: أن عليًا ومَن معه على الحق.

(٢) أي: تعجبُ من أمر رجوعها وحثها على المُضي في مسيرها.

فائدة العلم في وقت الفتن

قال الإمام البخاري رحمه الله (٤٤٢٥):

حدثنا عثمان بن الهيثم، حدثنا عوف، عن الحسن، عن أبي بكرة قال: لقد نفعني الله بكلمةٍ سمعتُها من رسولِ الله ﷺ أيام الجَمَل(١) بعدما كدتُ أن ألحق بأصحاب الجَمَل فأُقاتلُ معهم، قال: لما بلغ رسولَ الله ﷺ أن أهل فارس قد ملَّكوا عليهم بنت كسرىٰ قال: «**لن يفلح قوم ولَّوا أمْرَهم امرأةً**».

صحيح

وأخرجه الترمذي (٢٢٦٢)، وقال: هذا حديث حسن صحيح، والنسائي (٨/ ٢٢٧).

---

(١) أي: أن هذه الكلمة نفعته أيام الجَمَل.

قال الحافظ في «الفتح» في بيان قصة أصحاب الجَمَل (٨/ ١٢٨): (ومحصلها: أن عثمان لما قتل وبويع عليٌّ بالخلافة خرج طلحة والزبير إلىٰ مكة فوجدا عائشة وكانت قد حجت، فاجتمع رأيهم علىٰ التوجه إلىٰ البصرة يستنفرون الناس للطلب بدم عثمان، فبلغ ذلك عليًا رضي الله عنه، فخرج إليهم، فكانت وقعة الجمل، ونُسبت إلىٰ الجمل الذي كانت عائشة قد ركبته وهي في هودجها تدعو الناس إلىٰ الإصلاح).

وقال في «الفتح» (١٣/ ٥٦): (... ونقل ابن بطال عن المهلب: أن ظاهر حديث أبي بكرة يوهم توهين رأي عائشة فيما فعلت، وليس كذلك؛ لأن المعروف من مذهب أبي بكرة: أنه كان علىٰ رأي عائشة في طلب الإصلاح بين الناس ولم يكن قصدهم القتال، لكن لما انتشبت الحرب لم يكن لمن معها بد من المقاتلة، ولم يرجع أبو بكرة عن رأي عائشة، وإنما تفرَّس بأنهم يغلبون، لَمَّا رأىٰ الذين مع عائشة تحت أمرها لما سمع في أمر فارس.

قال: ويدل لذلك أن أحدًا لم ينقل أن عائشة ومن معها نازعوا عليًا في الخلافة، ولا دعوا إلىٰ أحد منهم ليولّوه الخلافة، وإنما أنكرتْ هي ومن معها علىٰ عليٍّ مَنعه مِن قتْل =

. . . .

قَتَلَة عثمان وترك الاقتصاصِ منه، وكان عليٌّ ينظرمِن أولياءِ عثمان أن يتحاكموا إليه، فإذا ثبتَ على أحدٍ بعينه أنه ممَّن قتل عُثمان اقتص منه، فاختلفوا بحسبِ ذلك، وخشي من نسب إليه القتل أن يَصطلحوا على قتلهم، فأنشبَوا الحرب بينهم، إلى أن كان ما كان، فلما انتصر عليٌّ عليهم حَمِدَ أبو بكرة رأيه في ترك القتال معهم، وإن كان رأيه كان موافقًا لرأي عائشة في الطلب بدم عثمان. انتهى كلامه. قال الحافظ: وفي بعضه نظر.

مزيد من الآثار في قصة الجمل

أورد الحافظ ابن حجر رحمه الله جملة آثار في قصة الجمل، ولولا أن كثيرًا منها في كتب ليست في متناول أيدينا لأوردناها مسندةً وحققنا القولَ فيها، فلهذا فإننا سنوّرد ما سطره الحافظ في «فتح الباري» مع بعض التعليقات عليه إن شاء الله، ولعلنا نورد بعض ما ذكره في أبواب مستقلة في هذا الكتاب والله المستعان.

قال الحافظ رحمه الله ـ «فتح الباري» (١٣/ ٥٤ ـ ٥٦) ـ:

وقد جمع عمر بن شبة ـ في كتاب «أخبار البصرة» قصة الجمل مطولة، وها أنا ألخصها وأقتصر على ما أورده بسند صحيح أو حسن وأبين ما عداه:

● فأخرج من طريق عطية بن سفيان الثقفي عن أبيه قال: لما كان الغد من قتل عثمان، أقبلتُ مع عليٍّ فدخل المسجد، فإذا جماعة عليٍّ وطلحةَ، فخرج إليهم أبو جهم ابن حذيفة فقال: يا عليّ؛ ألا ترىٰ؟ فلم يتكلّم، ودخل بيته فأتي بثريد فأكل ثم قال: يقتل ابن عمي وتغلب على ملكه؟ فخرج إلى بيت المال ففتحه، فلمَّا تسامع الناس تركوا طلحة.

● ومن طريق مغيرة عن إبراهيم عن علقمة قال: قال الأشتر: رأيتُ طلحةَ والزبيرَ بايعا عليًا طائعَين غير مُكرهَين.

● ومن طريق أبي نضرة: قال: كان طلحة يقول: إنَّه بايع وهو مُكرَهٌ.

● ومن طريق داود بن أبي هند، عن الشعبي: لَمَّا قتل عثمان أتى الناسُ عليًا وهو في سوق المدينة، فقالوا له: ابسط يدك نبايعك. فقال: حتَّى يتشاور الناس. فقال بعضهم: لئن رجعَ الناس إلى أمصارهم بقتل عثمان، ولم يقم بعده قائمٌ لم يُؤمَن الاختلافُ =

. . . .

= وفسادُ الأمة. فأخذ الأشتر بيده فبايعوه.

● ومن طريق ابن شهاب: قال: لمَّا قُتل عثمان وكان عليٌّ خلَّى بينهم فلما خشي أنَّهم يبايعون طلحة دعا الناسَ إلى بيعته، فلم يعدلوا به طلحةَ ولا غيره، ثم أرسل إلى طلحةَ والزبيرِ فبايعاه.

● ومن طريق ابن شهاب: أن طلحة والزبير استأذنا عليًا في العمرة، ثم خرجا إلى مكة، فلقيا عائشة، فاتفقوا على الطلب بدم عثمان حتى يقتلوا قتَلَتَه.

● ومن طريق عوف الأعرابي: قال: استعمل عثمان يعلى بن أمية على صنعاء وكان عظيم الشأن عنده، فلما قُتل عثمان وكان يَعلى قَدِم حاجًا فأعانَ طلحةَ والزبيرَ بأربعمائة ألف وحمَل سبعين رجلاً من قريش، واشترى لعائشة جَملاً يقال له: «عسكر» بثمانين دينارًا.

● ومن طريق عاصم بن كليب عن أبيه قال: قال عليٌّ: أتدرون بمن بليتُ؟ أطوعُ الناسِ في الناس: عائشةُ، وأشدُّ الناس: الزبيرُ، وأدهى الناس: طلحةُ، وأيسرُ الناس: يعلى ابنُ أمية.

● ومن طريق ابن أبي ليلى قال: خرج عليٌّ في آخر شهر ربيع الآخر سنة ست وثلاثين.

● ومن طريق محمد بن علي بن أبي طالب قال: سار عليٌّ من المدينة، ومعه تسعمائة راكب فنزل بذي قَارٍ.

● ومن طريق قيس بن أبي حازم قال: لما أقبلت عائشةُ فنزلت بعض مياه بني عامرٍ نبحت عليها الكلابُ، فقالت: أيُّ ماء هذا؟ قالوا: «الحوأب» - بفتح الحاء المهملة وسكون الواو بعدها همزة ثم موحدة -، قالت: وما أظنني إلا راجعة. فقال لها بعض من كان معها: بل تَقدُمين فيراكِ المسلمون فيصلحُ الله ذات بينهم. فقالت: إن النبي ﷺ قال لنا ذات يوم: «كيف بإحداكن تنبحُ عليها كلابُ الحوأب؟!» وأخرج هذا: أحمد، وأبو يعلى، والبزار، وصحّحه ابن حبان، والحاكم وسنده على شرط الصحيح.

● وعند أحمد: فقال لها الزبير: «تَقدُمين. . . » فذكره.

● ومن طريق عصام بن قدامة، عن عكرمة، عن ابن عباس: أن رسول الله ﷺ قال لنسائه: «أيتكن صاحبة الجمل الأَدْبَب - بهمزة مفتوحة ودال ساكنة ثم موحدتين الأولى =

مفتوحة - تخرج حين تنبحها كلاب الحوأبِ؟! يقتل عن يمينها وعن شمالها قتلى كثيرة وتنجو من بعدما كادتْ».

وهذا رواه البزار ورجاله ثقات.

● وأخرج البزار من طريق زيد بن وهب قال: بينا نحن حول حذيفة، إذْ قال: كيف أنتم وقد خرج أهل بيت نبيّكم فِرقتين، يضرب بعضُكم وجوه بعضٍ بالسيف؟ قلنا: يا أبا عبد الله، فكيف نصنع إذا أدركنا ذلك؟ قال: انظروا إلى الفِرقة التي تدعو إلى أمر عليٍّ ابن أبي طالب؛ فإنها على الهُدىٰ.

● وأخرج الطبرانيُّ من حديث ابن عباس قال: بلغ أصحابُ عليٍّ حين ساروا معه: أن أهل البصرة اجتمعوا بطلحة والزبير، فشقَّ عليهم ووقع في قلوبهم، فقال عليٌّ: «والذي لا إله غيره، لنظهرنَّ على أهل البصرة ولنقتلنَّ طلحةَ والزبير». الحديث. وفي إسناده إسماعيل بن عَمرو البجلي: وفيه ضعف.

● وأخرج الطبراني من طريق محمد بن قيس قال: ذكر لعائشة يوم الجمل قالت: والناس يقولون: يوم الجمل؟ قالوا: نعم. قالت: وددتُ أني جلستُ كما جلس غيري فكان أحبَّ إلي مِن أن أكون ولدتُ مِن رسول الله ﷺ عشرةً كلهم مِثل عبد الرحمن بن الحارث بن هشام.

وفي سنده: أبو معشر نجيح المدني، وفيه ضعف.

● وأخرج إسحاق بن راهويه من طريق سالم المرادي، سمعت الحسن يقول: لما قدم عليٌّ البصرة في أمر طلحة وأصحابه قام قيس بن عباد وعبد الله بن الكواء فقالا له: أخبرنا عن مسيرك هذا؟ فذكر حديثًا طويلاً في مبايعته أبي بكر ثم عمر ثم عثمان، ثم ذكر طلحة والزبير فقال: بايعَاني بالمدينة وخَالفَاني بالبصرة، ولو أن رجلاً ممن بايع أبا بكر خالفه لقاتلناه، وكذلك عمر.

● وأخرج أحمد والبزار بسندٍ حسنٍ من حديث أبي رافع: أن رسول الله ﷺ قال لعلي ابن أبي طالب: «إنه سيكون بينك وبين عائشة أمْرٌ» قال: فأنا أشقاهم يا رسول الله؟ قال: «لا، ولكن إذا كان ذلك فارْدُدها إلى مَأمنها».

● وأخرج إسحاق من طريق: إسماعيل بن أبي خالد، عن عبد السلام - رجل من حَيِّه - =

. . . .

قال: خلا عليٌّ بالزبير يوم الجمل فقال: أنشدك الله، هل سمعتَ رسولَ الله ﷺ يقول وأنت لاَوِي يَده: «لتقاتلنه وأنت ظالم له، ثم ليُنصرن عليك»؟ قال: قد سمعتُ، لا جرم، لا أُقاتلك.

● وأخرج أبو بكر ابن أبي شيبة من طريق: عمر بن الهَجَنّع - بفتح الهاء والجيم وتشديد النون بعدها مهملة -، عن أبي بكر، وقيل له: ما منعك أن تقاتل مع أهل البصرة يوم الجمل؟ فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يخرج قوم هلكىٰ لا يفلحون، قائدهم امرأةٌ، في الجنة»، فكأن أبا بكرة أشار إلىٰ هذا الحديث، فامتنع من القتال معهم، ثم استصوبَ رأيه في ذلك الترك لما رأىٰ غلبة عليٍّ.

وقد أخرج الترمذيُّ والنسائيُّ الحديثَ المذكور من طريق: حميدٍ الطويل، عن الحسن البصري، عن أبي بكرة بلفظ: «عصمني الله بشيءٍ سمعته من رسول الله ﷺ. . . » فذكر الحديث، قال: فلما قدمت عائشةُ ذكرتُ ذلك فَعَصمني الله.

وأخرج عمر بن شبة من طريق: مبارك بن فضالة، عن الحسن: أن عائشة أرسلت إلىٰ أبي بكر فقال: إنكِ لأمٌّ، وإن حقَّك لعظيم، ولكني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لن يفلح قومٌ تملكهم امرأةٌ».

وقال الحافظ أيضًا «فتح» (١٣/ ٥٧):

ذكر عمر بن شبة بسندٍ جيد: أنهم توجهوا من مكة بعد أن أهْلت السَّنةُ.

وذكَر بسندٍ له آخر: أن الوَقعة بينهم كانت في النصف من جمادىٰ الآخرة سنة ست وثلاثين.

وذكر من رواية المدائني، عن العلاء أبي محمد، عن أبيه قال: جاء رجل إلىٰ عليٍّ وهو بالزاوية فقال: علامَ تقاتل هؤلاء؟ قال: علىٰ الحقِّ. قال: فإنهم يقولون: إنهم علىٰ الحق؟ قال: أقاتلهم علىٰ الخروج من الجماعة ونكْث البيعة.

● وأخرج الطبراني من طريق: عاصم بن كليب الجَرمي، عن أبيه قال: رأيت في زمن عثمان أن رجلاً أميرًا مرض وعند رأسه امرأة والناس يريدونه، فلو نهتهم المرأة لانتهوا، ولكنها لم تفعل، فقتلوه، ثم غزوتُ تلك السَّنة، فبلغنا قتل عثمان، فلما رجعنا من غُزاتنا وانتهينا إلىٰ البصرة قيل لنا: هذا طلحة والزبير وعائشة؟! فتعجب الناسُ وسألوهم عن سبب مَسيرِهم، فذكَروا أنهم خرجوا غضبًا لعثمان وتوبةً مما صنعوا من =

. . . .

خُذلانه، وقالت عائشة: غَضبنا لكم على عثمان في ثلاثٍ: إمارة الفتى، وضرب السوط، والعصا. فما أنصفناه إن لم نغضب له في ثلاثة: حرمة الدم والشهر والبلد. قال: فَسِرْتُ أنا ورجلان من قومي إلى عليٍّ، وسلمنا عليه وسألناه فقال: عدا الناس على هذا الرجل فقتلوه وأنا معتزل عنهم، ثم ولَّوني، ولولا الخشية على الدِّين لم أُجبهم، ثم استأذناني الزبيرُ وطلحةُ في العُمرة، فأخذتُ عليهما العهود وأذنتُ لهما فعرَضا أُمَّ المؤمنين لما لا يصلح لها، فبلغني أمرهم، فخشيتُ أن يَنفَتِقَ في الإسلام فتقٌ، فاتبعتُهم، فقال أصحابه: والله ما نريد قتالَهم إلا أن يقاتلوا، وما خرجنا إلا للإصلاح، فذكر القصة وفيها: أن أول ما وقعت الحرب أن صبيان العسكرين تسابوا ثم تراموا ثم تبعهم العبيد ثم السفهاء فنشبت الحربُ، وكانوا خَنْدقوا على البصرة فَقُتل قوم وجرح آخرون، وغلب أصحابُ عليٍّ ونادى مناديه: لا تتبعوا مدبرًا، ولا تجهزوا جريحًا، ولا تدخلوا دارَ أحدٍ. ثم جمع الناسَ وبايعهم واستعمل ابنَ عباسٍ على البصرة ورجَع إلى الكوفة.

● وأخرج ابن أبي شيبة بسندٍ جيدٍ عن عبد الرحمن بن أبزى قال: انتهى عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي إلى عائشة يوم الجمل وهي في الهودج، فقال: يا أم المؤمنين، أتعلمين أني أتيتُك عندما قُتل عثمان فقلتُ: «ما تأمريني؟» فقلت: «الزمْ عليًّا»؟ فسكتتْ. فقال: اعقروا الجمل. فعقروه، فنزلتُ أنا وأخوها محمدٌ، فاحتملنا هَودجَها فوضعناه بين يدي عليٍّ، فأمرَ بها فأُدخلت بيتًا.

● وأخرج أيضًا بسندٍ صحيح عن زيد بن وهب قال: فكف عليٌّ يدَه حتى بُدءوا بالقتال فَقَاتلهم بعدَ الظُّهر فما غربت الشمسُ وحول الجمل أحدٌ، فقال عليٌّ: «لا تيمموا جريحًا، ولا تقتلوا مدبرًا، ومن أغلق بابه وألقى سلاحه فهو آمن».

● وأخرج الشافعي من رواية علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب قال: دخلت على مروان بن الحكم فقال: ما رأيت أحدًا أكرمَ غَلبة من أبيك - يعني عليًا -، ما هو إلا أن ولينا يوم الجمل فنادى مناديه: «لا يقتل مدبر، ولا يذفف على جريح».

● وأخرج الطبري بسندٍ صحيح عن علقمة قال: قلتُ للأشتر: قد كنتَ كارهًا لقتل عثمان فكيف قاتلتَ يوم الجمل؟ قال: إن هؤلاء بايعوا عليًا ثم نكثوا عَهده، وكان الزبير هو الذي حرَّك عائشةَ على الخروج، فدعوتُ الله أن يكفينيه، فلقيني كفُّه بكفِّه، فما رضيتُ لشدة ساعدي أن قمتُ في الركاب فضربتُه على رأسه ضربة فصرعته. فذكر القصةَ في: «أنهما: سلما».

طرف من فتنة عليّ مع معاوية رضي الله عنهما

قال الإمام أحمد رحمه الله (٣٦٠٨):

حدثنا الحكم بن نافع، حدثنا شعيب، عن الزهري[١]، قال: أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن، أن أبا هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا تقومُ الساعةُ حتى يَقتتل فِئتان[٢] دعواهما واحدةٌ»[٣]**

صحيح

---

(١) وقد رُوي هذا الحديث من طريق: ابن أبي عتيق، عن الزهري، عن أبي سلمة، عن أبيه (أي: أن صحابي الحديث على هذا هو: عبد الرحمن بن عوف)، لكن الصواب: رواية من روى الحديث عن أبي سلمة عن أبي هريرة مرفوعًا، وكذا صوَّبه الدارقطني في «العلل» (٤/ ٢٧٩).

(٢) في رواية للبخاري (٣٦٠٩): «فيكون بينهما مَقتلةٌ عظيمةٌ».

(٣) قال الحافظ ابن حجر رحمه الله (٦/ ٦١٦) مع «الفتح»: والمراد بهما: من كان مع عليّ ومعاوية لمّا تحاربا بصفين، وقوله «دعواهما واحدة» أي: دينهما واحد؛ لأن كلاً منهما كان يتسمَّى بالإسلام، أو المراد: أن كلاً منهما كان يدَّعي أنه المحق، وذلك أن عليًا كان إذ ذاك إمام المسلمين وأفضلهم يومئذ باتفاق أهل السنة، ولأن أهل الحَلّ والعقد بايعوه بعد قتل عثمان، وتخلف عن بيعته معاوية في أهل الشام، ثم خرج طلحة والزبيرُ ومعهما عائشةُ إلى العراق فدعوا الناس إلى طلب قتلة عثمان؛ لأن الكثير منهم انضموا إلى عسكر عليٍّ، فخرج عليٌّ إليهم فراسلوه في ذلك، فأبى أن يدفعهم إليهم إلا بعد قيام دعوى من ولي الدم وثبوت ذلك على من باشره بنفسه، ورحل عليٌّ بالعساكر طالبًا الشام داعيًا لهم إلى الدخول في طاعته مُجيبًا لهم عن شُبههم في قتلة عثمان بما تقدَّم، فرحل معاوية بأهل الشام، فالتقوا بصفين بين الشام والعراق، فكانت بينهم مقتلةٌ عظيمةٌ كما أخبر به ﷺ، وآلَ الأمرُ بمعاوية ومن معه عند ظهور عليٍّ إلى طلب التحكيم، ثم رجع عليٌّ إلى العراق، فخرجت عليه الحرورية فقتلهم بالنهروان ومات بعد ذلك، وخرج ابنه الحسنُ بنُ علي بعده بالعَسَاكر لقتال أهل الشام، وخرج إليه معاوية، فوقع بينهم الصلحُ كما أخبر به ﷺ في حديث أبي بكرة: «إن الله يصلح به بين الفئتين من المسلمين».

الدليل على أن عليًا ومن معه على الحق في قتالهم معاوية

قال الإمام مسلم رحمه الله (ص٧٤٥):

حدثنا شيبان بن فروخ، حدثنا القاسم - وهو: ابن الفضل الحداني -، حدثنا أبو نضرة، عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: **«تمرق مارقةٌ عند فرقةٍ من المسلمين يقتلها أوْلَى الطائفتين بالحق»**[1].

صحيح

وأخرجه أبو داود (٤٦٦٧)، وأحمد (٣/ ٤٥، ٦٤)، وأبو يعلى (٢/ ٣٠٧- ٣٠٨)، والنسائي في «الخصائص» (١٦٧)، وله عدة طرق عنده عن أبي نضرة.

وأخرجه أيضًا ابن أبي عاصم في «السنة» (١٣٢٨)، والطيالسي (٢١٦٥).

---

(١) في لفظ آخر لمسلم (ص٧٤٦) من طريق: قتادة، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «يكون في أمتي فرقتان فيخرج من بينهما مارقةٌ يلي قتلهم أولاهم بالحق».

قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (٧/ ٦١٩): وفي هذا وفي قوله ﷺ «تقتل عمارًا الفئة الباغية» دلالة واضحة على أن عليًا ومن معه كانوا على الحق، وأن من قاتلهم كانوا مخطئين في تأويلهم. والله أعلم.

قلت: وينضم إلى هذا: ما ورد من كم غزيرٍ من أحاديثَ في فضلِ علي رضي الله عنه منها: «لأعطين الراية اليوم رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله» فأعطاها عليًا وحديثه: «من كنت مولاه فعليٌ مولاه»، وقول النبي ﷺ لعليٍّ: «اذهب؛ فإن الله تعالى سَيُثَبِّتُ لسانكَ ويهدي قلبك»، وقوله عليه السلام: «عليٌ مني وأنا منه ولا يؤدي عني إلا أنا أو عليٌ».

وحديث: «لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق» وغير ذلك، وكما قال القائل:

وأين الثريا وأين الثرى   وأين معاويةٌ من علي

رضي الله عنهم أجمعين.

قال الإمام البخاري رحمه الله (٤٤٧):

حدثنا مسدد، قال: حدثنا عبد العزيز بن مختار، قال: حدثنا خالد الحذاء، عن عكرمة قال لي ابن عباس ولابنه علي: انطلقا إلى أبي سعيد فاسمعا من حديثه، فانطلقنا فإذا هو في حائط يُصلحه فأخذ رداءه فاحتبى، ثم أنشأ يحدثنا، حتى أتى على ذكر بناء المسجد فقال: كنا نحمل لبنةً لبنةً وعمارٌ لبنتَيْن لبنتين، فرآه النبي ﷺ فينفض التراب عنه ويقول: «**ويح عمار، تقتله الفئة الباغية، يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار**». قال يقول عمار: أعوذ بالله من الفتن.

صحيح

وأخرجه أحمد (٣/ ٩٠ ـ ٩١).

قال الإمام مسلم رحمه الله (٢٩١٦):

وحدثني محمد بن عَمرو بن جبَلة، حدثنا محمد بن جعفر/ ح/ . وحدثنا عقبة بن مكرم العمّي وأبو بكر بن نافع (قال عقبة: حدثنا. وقال أبو بكر: أخبرنا) غندر حدثنا شعبة قال: سمعت خالداً يحدث عن سعيد بن أبي الحسن، عن أمه، عن أم سلمة أن رسول الله ﷺ قال لعمار: «**تقتلك الفئةُ الباغية**».

صحيح[1]

* * *

(١) فله طرق تقدم بعضها.

عذر أسامة بن زيد في تخلفه عن عليّ رضي الله عنه

قال الإمام البخاري رحمه الله (٧١١٠):

حدثنا عليّ بن عبد الله ، حدثنا سفيان ، قال : قال عَمرو : أخبرني محمد بن عليّ : أن حرملة مولى أسامة أخبره ، قال عمرو : وقد رأيت حرملة - قال : أرسلني أسامةُ إلى عليٍّ وقال : إنه سيسألك الآن فيقول : «ما خلف صاحبُك؟» فقل له : يقول لك : لو كنت في شدق الأسد لأحببتُ أن أكون معك فيه . ولكن هذا أمـــرٌ لم أره[١] ، فلم يُعطني شيئًا ، فذهبتُ إلى حسنٍ وحُسين وابن جعفر فأوقروا لي راحلتي[٢] .

موقوف صحيح

* * *

(١) قال الحافظ في «الفتح» (١٣/ ٦٨) : (قال ابن بطال : أرسل أسامة إلى علي يعتذر عن تخلفه عنه في حروبه ، ويُعلمه : أنه من أحب الناس إليه ، وأنه يحب مشاركته في السراء والضراء ، إلا أنه لا يرى قتال المسلم . قال : والسبب في ذلك أنه لما قتل ذلك الرجل (•) ولامه النبي ﷺ آلى على نفسه ألا يقاتل مسلمًا . فذلك سبب تخلفه عن عليٍّ في الجمل وصفين . انتهى ملخصًا .
وقال ابن التين : إنما منع عليًا أن يعطي رسول الله أسامة شيئًا ، لأنه لعله سأله شيئًا من مال الله فلم يرَ أن يعطيه لتلخفه عن القتال معه ، وأعطاه الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر ؛ لأنهم كانوا يرونه واحدًا منهم ؛ لأن النبي ﷺ كان يجلسه على فخذه ويجلس الحسن على الفخذ الآخر ويقول : «اللهم إني أحبهما») .

(٢) قوله : «فأوقروا لي راحلتي» أي : حملوا لي على راحلتي ما أطاقت حملهَ ، و«الراحلة» : هي التي صلحت للركوب من الإبل ذكرًا كان أو أنثى ، وأكثر ما يطلق الوقر وهو بالكسر على ما يحمل البغل والحمار ، وأما حمل البعير فيقال له : «الوسق» ، ثم قال الحافظ رحمه الله : وكأنهم لما علموا أن عليًا لم يعطه شيئًا عوَّضوه من أموالهم من ثياب ونحوها قدر ما تحمله راحلته التي هو راكبها .

(•) سيأتي الحديث الخاص بذلك إن شاء الله .

موقف عبد الله بن عمر رضي الله عنهما من هذه الفتنة

قال الإمام البخاري رحمه الله (٤٥١٣):

حدثنا محمد بن بشار، حدثنا عبد الوهاب، حدثنا عبيد الله، عن نافع، عن ابن عمر رضي الله عنهما: أتاه رجلان في فتنة(١) ابن الزبير فقالا: إن الناس قد ضيعوا، وأنت ابن عمرو صاحب النبي ﷺ فما يمنعك أن تخرج؟ فقال: يمنعني أن الله حرَّم دم أخي، فقالا: ألم يقل الله: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ [البقرة: ١٩٣]. فقال: قاتلْنا حتىٰ لم تكن فتنة وكان الدِّين لله، وأنتم تريدون أن تقاتلوا حتىٰ تكون فتنة ويكون الدِّين لغير الله.

صحيح

وزاد عثمان بن صالح: عن ابن وهب، قال: أخبرني فلان وحيوة بن شريح، عن بكر بن عمَرو المعافري، أن بكير بن عبد الله حدثه، عن نافع: أن رجلاً أتىٰ ابنَ عمر فقال: يا أبا عبد الرحمن، ما حَمَلك علىٰ أن تحج عامًا وتعتمر عامًا وتترك الجهاد في سبيل الله عز وجل وقد علمتَ ما رغب الله فيه؟ قال: يا ابن أخي؛ بُني الإسلام علىٰ خمس: إيمان الله ورسوله، والصلوات الخمس، وصيام رمضان، وأداء الزكاة، وحجِّ البيت. قال: يا أبا عبد الرحمن، ألا تسمع ما ذكر الله في كتابه: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ

---

(١) قال الحافظ «فتح الباري» (٨/ ١٨٤): وقوله (في فتنة ابن الزبير) في رواية سعيد بن منصور أن ذلك عام نزول الحجاج بابن الزبير فيكون المراد بفتنة ابن الزبير ما وقع في آخر أمره، وكان نزول الحجاج وهو ابن يوسف الثقفي من قبل عبد الملك بن مروان جهزه لقتال عبد الله بن الزبير وهو بمكة في أواخر سنة ثلاث وسبعين. وقتل عبد الله بن الزبير في آخر تلك السنة ومات عبد الله بن عمر في أول سنة أربع وسبعين.

إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [الحجرات: ٩]، و﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ [البقرة: ١٩٣]؟ قال: فعلنا على عهد رسول الله ﷺ وكان الإسلام قليلاً، فكان الرجل يُفتن في دينه، إمَّا قتلوه وإمَّا يعذبوه، حتى كَثُرَ الإسلامُ فلم تكن فتنة.

قال: فما قولك في عليٍّ وعثمان؟ قال أما عثمان: فكان الله عفا عنه، وأما أنتم: فكرهتم أن يعفو عنه، وأما عليٌّ: فابن عمِّ رسول الله ﷺ وختنه ـ وأشار بيده فقال: هذا بيته حيث ترون.

صحيح(١)

قال الإمام البخاري رحمه الله (٧٠٩٥):

حدثنا إسحاق بن شاهين الواسطي، حدثنا خالد، عن بيان، عن وبرة بن عبد الرحمن، عن سعيد بن جبير قال: خرج علينا عبد الله بن عُمر، فرجونا أن يحدثنا حديثًا حسنًا، قال: فبادرنا إليه رجلٌ فقال: يا أبا عبد الرحمن؛ حدِّثنا عن القتال في الفتنة والله يقول: ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾(٢) [البقرة: ١٩٣]؟

---

(١) وقد رواه البخاري موصولاً (٤٦٥٠).

(٢) قال الحافظ في «الفتح» (١٣/ ٤٧): (يريد أن يحتج بالآية على مشروعية القتال في الفتنة، وأن فيها الرد على من ترك ذلك كابن عمر، وقوله: «ثكلتك أمك» ظاهره الدعاء، وقد يرد مورد الزجر كما هنا.

وحاصل جواب ابن عمر له: أن الضمير في قوله تعالى: ﴿وقاتلوهم﴾ [البقرة: ١٩٣] للكفار، فأمر المؤمنين بقتال الكافرين حتى لا يبقى أحد يفتن عن دين الإسلام ويرتد إلى الكفر.

ووقع نحو هذا السؤال من نافع بن الأزرق وجماعة لعمران بن حصين، فأجابهم بنحو جواب ابن عمر، أخرجه ابن ماجه، وقد تقدم في سورة الأنفال من رواية زهير بن معاوية عن بيان بزيادة: «فقال» بدل قوله: «وكان الدخول في دينهم فتنة، فكان الرجل يفتن عن دينه إما يقتلونه وإما يوثقونه، حتى كثر الإسلام فلم تكن فتنة» أي: لم يبق فتنة أي مِن أحدٍ من الكفار لأحدٍ من =

فقال: هل تدري ما الفتنة ثكلتك أمك ـ؟! إنما كان محمد ﷺ يقاتل المشركين، وكان الدخول في دِينهم فتنة وليس كقتالكم على المُلْك.

صحيح

وعزاه المزي للنسائي.

* * *

= المؤمنين. ثم قال: وقوله هنا: «وليس كقتالكم على المُلك» أي: في طلب الملك، يشير إلى: ما وقع بين مروان ثم عبد الملك ـ ابنه ـ وبين ابن الزبير وما أشبه ذلك، وكان رأي ابن عمر تَرك القتالِ في الفتنة ولو ظهر أن إحدى الطائفتين محقة والأخرى مبطلة. وقيل: الفتنة مختصة بما إذا وقع القتال بسبب التغالب في طلب المُلك، وأما إذا علمت الباغية فلا تُسمَّى فتنة وتجب مقاتلتها حتى ترجع إلى الطاعة، وهذا قول الجمهور.

قول النبي ﷺ لمحمد بن مسلمة: «لا تضرك فتنة»

قال أبو داود رحمه الله (٤٦٦٣):

حدثنا الحسن بن عليّ، حدثنا يزيد، أخبرنا هشام، عن محمد قال: قال حذيفة: ما أحد من الناس تدركه الفتنةُ إلا أنا أخافها عليه، إلا محمد بن مسلمة[1] فإنّي سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**لا تضرك فتنة**».

صحيح

* * *

(١) «محمد بن مسلمة»: من أفاضل الصحابة، وقد اعتزل الفتن الدائرة في زمان أمير المؤمنين عليٍّ مع معاوية.
هذا، وقد أخرج أبو داود عقب هذا الحديث حديثًا من طريق ثعلبة بن ضبيعة قال: دخلنا على حذيفة فقال: إني لأعرف رجلاً لا تضره الفتن شيئًا قال: فخرجنا فإذا فسطاطٌ مضروبٌ، فدخلنا، فإذا فيه محمد بن مسلمة، فسألناه عن ذلك؟ فقال: ما أريد أن يشتمل عليَّ شيء من أمصاركم حتى تنجلي عما انجلت. وثعلبة بن ضبيعة مجهول الحال.

طرف من فتنة الخوارج

قال الإمام البخاري رحمه الله (٣٦١٠):

حدثنا أبو اليمان، أخبرنا شعيب، عن الزهري قال: أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن، أن أبا سعيد الخدري رضي الله عنه قال: «بينما نحن عند رسول الله ﷺ وهو يُقسم قَسَمًا إذ أتاه ذو الخويصرة - وهو رجل من بني تميم - فقال: يا رسول الله؛ اعدلْ. فقال: «**ويلك! ومَن يعدل إذا لم أعدل! قد خِبْتُ وخسرتُ إن لم أكنْ أعدلُ**» فقال عمر: يا رسول الله ائذن لي فيه فأضرب عنقه فقال: «**دعه؛ فإن له أصحابًا يحقر أحدُكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم، يقرءون القرآن لا يُجاوز تراقيهم**[١]**، يمرقون من الدِّين كما يمرق السهمُ من الرمية**[٢]**، ينظر إلى نَصْله**[٣] **فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر إلى رصافه**[٤] **فما يوجد فيه شيء، ثم ينظر إلى نضيه** - وهو: قدحه - **فلا يوجد فيه**

---

(١) قال النووي (٣/ ١٠٧): (قال القاضي: فيه تأويلان؛ أحدهما: معناه: لا تفقهه قلوبهم ولا ينتفعون بما تلوا منه، ولا لهم حظٌّ سوىٰ تلاوة الفم والحنجرة والحلق، إذ بهما تقطيعُ الحروف. والثاني: معناه: لا يصعد لهم عمل ولا تلاوة ولا يتقبل).

(٢) قال القاضي: (معناه: يخرجون منه خروج السهم إذ نفذ الصيد من جهة أخرىٰ ولم يتعلق به شيء منه، والرمية هي الصيد المرميُّ. وقال الحافظ في «الفتح»: ومن شدة سرعة خروجه لقوة الرامي لا يعلق من جسد الصيد شيء.

(٣)، (٤) قال الحافظ في «الفتح» (٦/ ٦١٨): (قوله: «ينظر في نصله» أي: حديدة السهم، و«رِصَافه» - بكسر الراء ثم مهملة ثم فاء - أي: عصبه الذي يكون فوق مدخل النصل، و«الرصاف» جمعٌ، واحده «رَصَفَةٌ» بحركات، و«نضيه» هو: عود السهم قبل أن يراش وينصل، وقيل: هو ما بين الرِّيش والنصل. قاله الخطابي).

شيء، ثم ينظر إلى قُذَذة[١] **فلا يوجد فيه شيء قد سبق الفرث والدم**[٢]، **آيتهم: رجلٌ أسود إحدى عضُديه مِثل ثدي المرأة ـ أو: مثل البضعة ـ تدردر**[٣]، **ويخرجون على حين فرقة من المسلمين»**، قال أبو سعيد: فأشهدُ أني سمعت هذا الحديث من رسول الله ﷺ، وأشهدُ أن عليًّ بن أبي طالبٍ قاتلهم وأنا معه، فأمر بذلك الرجل فالتُمس فأُتي به، حتى نظرتُ إليه على نعتِ النبيِّ ﷺ الذي نَعَته.

صحيح

وأخرجه مسلم (ص٧٤٤)، وعزاه المزي للنسائي، وأخرج ابن ماجه بعضه (١٦٩).

قال الإمام البخاري رحمه الله (٣٦١١):

حدثنا بن كثير، أخبرنا سفيان، عن الأعمش، عن خيثمة، عن سويد بن غفلة قال: قال علي رضي الله عنه: إذا حدَّثتكم عن رسول الله ﷺ فلأن أخِرَّ مِن السماء أحبُّ إليَّ من أن أكذب عليه، وإذا حدثتكم فيما بيني وبينكم فإن الحرب خُدعة، سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«يأتي في آخر الزمان قوم حدثاء الأسنان سفهاء الأحلام، يقولون: من خير قول البرية**[٤] **يمرقون من الإسلام كما يمرق السهمُ من الرميةِ، لا يجاوز إيمانهم حنَاجِرَهم، فأينمَا لقيتموهم**[٥]،

---

(١) القذذ: هي ريش السهم.

(٢) أي: قد مر السهم بدون أن يعلق به شيء من الدم.

(٣) تدردر: أي تضطرب.

(٤) قال الحافظ في «الفتح» (٦/ ٦١٩) وقوله: «يقولون من قول خير البرية» أي من القرآن كما في حديث أبي سعيد الذي قبله، «يقرءون القرآن» وكان أول كلمة خرجوا بها قولهم: لا حكم إلا الله، وانتزعوها من القرآن وحملوها على غير محملها.

(٥) في رواية البخاري (٦٩٣٠) «فأينما لقيتموهم فاقتلوهم».

فإن في قتلهم أجرًا لمن قتلهم يوم القيامة».

صحيح

وأخرجه مسلم (١٠٦٦)، وأبو داود (٤٧٦٧)، والنسائي (٧/ ١١٩).

قال الإمام مسلم رحمه الله (١٠٦٣):

حدثنا محمد بن رمح بن المهاجر، أخبرنا الليث، عن يحيى بن سعيد، عن أبي الزبير، عن جابر بن عبد الله قال: أتى رجلٌ رسولَ الله ﷺ بالجعرانة مُنصرَفَهُ من حُنينٍ، وفي ثوب بلال فضةٌ، ورسولُ الله ﷺ يقبض منها يعطي الناس فقال: يا محمد، اعدل. قال: «**ويلَكَ وَمن يعْدلُ إذا لم أكُن أعدلُ؟ لقد خِبْتُ وخَسرتُ إن لم أكن أعدلُ**». فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: دعني يا رسول الله فأقتل هذا المنافق. فقال: «**معاذ الله؛ أن يتحدّث الناسُ أني أَقتلُ أصحابي، إن هذا وأصحابه يقرأون ا لقرآن لا يجُاوزُ حَنَاجِرَهم يمرقون منه كما يمرق السهمُ مِن الرَّمِيَّةِ**».

صحيح

وعزاه المزي للنسائي.

قال الإمام مسلم رحمه الله (١٠٦٧):

حدثنا شيبان بن فروخ، حدثنا سليمان بن المغيرة، حدثنا حميد بن هلال، عن عبد الله بن الصامت، عن أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن بَعْـدي من أُمتي ـ أو: سيكون بعدي من أمتي ـ قوم يقرأون القرآن لا يجاوز حَلاَقيمَهم يخرجون من الدِّين كما يخرج السهمُ من الرمية ثم لا يَعُودون فيه، هُم شر الخَلق والخَليقة**»، فقال ابن الصامت: فلقيتُ رافعَ بنَ عمرٍو الغفاري ـ أخا الحكم

الغفاري - قلت : ما حديثٌ سمعته من أبي ذر ، كذا وكذا؟ فذكرتُ له هذا الحديث . فقال : وأنا سمعته من رسول الله ﷺ .

صحيح

وأخرجه ابن ماجه (١٧٠) .

قال الإمام مسلم رحمه الله (١٠٦٨):

حدثنا أبو بكر ابن أبي شيبة ، حدثنا علي بن مسهر ، عن الشيباني ، عن يسير بن عمرو قال : سألت بن حنيف : هل سمعتَ النبيَّ ﷺ يَذكرُ الخوارجَ؟ فقال : سمعته - وأشار بيده نحو المشرق -(١) : «**قومٌ يقرأون القرآنَ بألْسنتهم، لا يَعْدو تراقيهم يَمرقون مِن الدِّين كما يمرقُ السهمُ مِن الرَّمية**».

صحيح

وحدثناه أبو كامل ، حدثنا عبد الواحد ، حدثنا سليمان الشيباني - بهذا الإسناد وقال : «**يخرج منه أقوام**».

وأخرجه البخاري (٦٩٣٤) وعزاه المزي للنسائي .

قال الإمام الترمذي رحمه الله (٢١٨٨):

حدثنا أبو كريب محمد بن العلاء ، حدثنا أبو بكر ابن عياش ، عن عاصم ، عن زر ، عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : «**يخرج في آخر الزمان قومٌ أحداثُ الأسنان سفهاءُ الأحلام يَقرءون القرآنَ لا يجاوزُ تراقيهم، يَقولون من قَولِ خيرِ البريةِ، يمرقون مِن الدِّين كما يمرقُ السهمُ مِن الرَّمية**».

حسن

---

(١) في رواية البخاري : وأهوىٰ بيده قِبَلَ العراق .

وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

وأخرجه ابن ماجه (١٦٨).

قال الإمام أحمد رحمه الله (١/ ٨٦ ـ ٨٧):

حدثنا إسحاق بن عيسى الطباع، حدثني يحيى بن سليم، عن عبد الله بن عثمان بن خثيم، عن عبيد الله بن عياض بن عمرو القاري، قال: جاء عبد الله بن شداد فدخل على عائشة رضي الله عنها ونحن عندها جلوسٌ ـ مرجعه من العراق ليالي قتل عليٌّ رضي الله عنه، فقالت له: يا عبد الله بن شداد، هل أنت صادقي عما أسألك عنه، تُحدثني عن هؤلاء القوم الذي قتلهم عليٌّ رضي الله عنه؟ قال: وما لي لا أصدقك! قالت: فحدِّثني عن قصتهم. قال: فإن عليًا رضي الله عنه لمَّا كاتب معاوية حكم الحكمان خرج عليه ثمانية آلاف من قُراء الناس، فنزلوا بأرض يقال لها: حروراء ـ من جانب الكوفة ـ وأنهم عتبوا عليه، فقالوا: انسلختْ من قيمصٍ ألبسكه الله تعالى، واسمٍ سمَّاك الله تعالى به ثم انطلقتَ فحكمتَ في دِين الله، فلا حُكم إلا لله تعالى. فلما أن بلغ عليًا رضي الله عنه ما عتبوا عليه وفارقوه فأمر مؤذنًا فأذَّن أن لا يدخل على أمير المؤمنين إلا رجلٌ قد حمل القرآن، فلمَّا أن امتلأتِ الدار من قُراء الناسِ دعا بمصحف إمامٍ عظيمٍ، فوضعه بين يديه، فجعل يصكه بيده ويقول: أيها المصحفُ؛ حدِّث الناس. فناداه الناس فقالوا: يا أمير المؤمنين، ما تسأل عنه إنما هو مدادٌ في ورق ونحن نتكلَّم بما روينا منه، فماذا تريد؟ قال: أصحابكم هؤلاء الذين خرجوا؛ بيني وبينهم كتاب الله، يقول الله تعالى في كتابه في امرأة ورجل: ﴿**وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا**﴾ [النساء: ٣٥]، فأمة محمد ﷺ أعظم دمًا وحرمةً من امرأةٍ ورجلٍ، ونقموا

عليَّ أن كاتبت معاوية: كتب عليُّ بن أبي طالب، وقد جاءنا سهيل بن عمرو ونحن مع رسول الله ﷺ بالحُديبية حين صالح قومه قريشًا، فكتب رسولُ الله ﷺ: «بسم الله الرحمن الرحيم» فقال سهيلٌ: لا تكتب «بسم الله الرحمن الرحيم» فقال: «**كيف نكتب؟**» فقال: اكتب: «باسمك اللهم»، فقال رسول الله ﷺ: «**فاكتبْ: محمد رسول الله**» فقال: لو أعلم أنك رسول الله لم أخالفك: فكتب: «هذا ما صالح محمد بن عبد الله قريشًا، يقول الله تعالىٰ في كتابه: ﴿**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ**﴾ [الأحزاب: ٢١].

فبعث إليهم عليٌّ عبد الله بن عباسٍ رضي الله عنه، فخرجتُ معه حتىٰ إذا توسطنا عسكرهم قام ابنُ الكواء يخطبُ الناسَ، فقال: يا حملة القرآن؛ إن هذا عبد الله بن عباس رضي الله عنه، فمن لم يكن يعرفه فأنا أعرفه من كتاب الله ما يعرف به، هذا ممن فيه وفي قومه: ﴿**قَوْمٌ خَصِمُونَ**﴾ [الزخرف: ٥٨]، فردوه إلىٰ صاحبه ولا تواضعوه كتاب الله فقام خطباؤهم فقالوا: والله لنواضعنه كتاب الله، فإن جاء بحقٍّ نعرفه لنتبعه، وإن جاء بباطل لنبكتنه بباطله، فواضعوا عبد الله الكتابَ ثلاثة أيام، فرجع منهم أربعة آلاف كلهم تائب، فيهم ابن الكواء، حتىٰ أدخلهم علىٰ عليٍّ الكوفة، فبعث عليٌّ رضي الله عنه إلىٰ بقيتهم، فقال: قد كان مِن أمرنا وأمر الناس ما قد رأيتمُ، فقِفُوا حيث شئتمُ حتىٰ تجتمعَ أمةُ محمد ﷺ نبذنا وبينكم: أن لا تسفكوا دمًا حرامًا، أو تقطعوا سبيلاً، أو تَسلبوا ذِمةً، فإنكم إن فعلتم فقد نبذنا إليكم الحربَ علىٰ سواءٍ، إن الله لا يحب الخائنين. فقالت له عائشة رضي الله عنها: يا ابن شداد، فقد قتلهم. فقال: واللهِ ما بعث إليهم حتىٰ قطعوا السبيل وسفكوا الدم واستحلو أهل الذِّمة.

فقالت: آلله؟! قال: الله الذي لا إله إلا هو، لقد كان. قالت: ما شيء بلغني عن أهل الذمة(١) يتحدثونه، يقولون: «ذو الثدي»، و«ذو الثدي»؟ قال: قد رأيته وقمتُ مع علي رضي الله عنه عليه في القتلى، فدعا الناسَ فقال: أتعرفون هذا؟ فما أكثر من جاء يقول: قد رأيته في مسجد بني فلان يُصلي ورأيته في مسجدِ بني فلان يُصلِّي، ولم يأتوا فيه بثبتٍ يعرفُ إلا ذلك قالت: فما قول عليٍّ رضي الله عنه حين قام عليه كما يزعمُ أهلُ العراق؟ قال: سمعته يقول: صدق الله ورسوله. قالت: هل سمعتَ منه أنه قال غير ذلك؟ قال: اللهم لا. قالت: أجل، صدق الله ورسوله، يرحم الله عليًا رضي الله عنه؛ إنه كان مِن كلامه لا يرى شيئًا يعجبه إلا قال: «صدق الله ورسوله»، فيذهب أهل العراق يكذبون عليه ويَزيدون عليه في الحديث.

حسن

وأخرجه أبو يعلى في «مسنده» (١/ ٣٦٧).

قال النسائي رحمه الله «الخصائص» (حديث ١٨٥):

أخبرنا عمرو بن علي، قال: حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، قال: حدثنا عكرمة بن عمار، قال: حدثنا أبو زميل، قال: حدثني عبد الله بن عباس قال: لما خرجت الحرورية اعتزلوا في دارهم، وكانوا ستة آلاف فقلت لعليّ رضي الله عنه: يا أمير المؤمنين، أبردْ بالظُّهرِ لعلِّي آتي هؤلاء القوم فأُكلّمهم. قال: إنِّي أخاف عليك قلتُ: كلاَّ. قال: فقمتُ وخرجتُ ودخلتُ عليهم في نصف النهار وهم قائلون فسلَّمتُ عليهم فقالوا: مرحبًا بك يا ابن عباسٍ، فما جاء بكَ؟ قلت لهم: أتيتُكم مِن عند أصحابِ النبي ﷺ وصهره، وعليهم نزل القرآنُ وهُم أعلمُ

(١) في رواية أبي يعلي: (عن أهل العراق).

بتأويله منكم، وليس فيكم منهم أحدٌ لأبلغكم ما يقولون وتخبرون بما تقولون.

قلتُ: أخبروني ماذا نقَمتم على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وابن عمه؟ قالوا: ثلاث. قلت: ما هُنَّ؟ قالوا:

أمَّا إحداهن: فإن حكَّم الرجال في أمر الله، وقال الله تعالى: ﴿ **إن الحُكْمُ إلاَّ لله** ﴾ [الأنعام: ٥٧]، ما شأن الرجال والحُكم؟ فقلت: هذه واحدة. قالوا:

وأما الثانية: فإنه قاتل ولم يَسبِ ولم يغنم، فإن كانوا كُفَّاراً سلبهم، وإن كانوا مؤمنين ما أحل قتالهم.

قلت: هذه اثنان؛ فما الثالثة؟

قالوا: إنه مَحَى نفسه من أمير المؤمنين، فهو أمير الكافرين.

قلت: هل عندكم شيءٌ غير هذا؟ قالوا: حَسبنا هذا.

قلت: أرأيتم إن قرأتُ عليكم من كتاب الله ومن سنةُ نبيه صلى الله عليه وآله وسلم ما يَرُدُّ قولكم أترضون؟ قالوا: نَعم.

قلت: أما قولكم: «حكَّم الرجال في أمر الله»: فأنا أقرأُ عليكم في كتاب الله أن قد صيَّر الله حُكمه إلى الرجال في ثمن ربع درهم، فأمر الرجالَ أن يحكموا فيه، قال الله تعالى: ﴿ **يا أيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا لا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ وَمَن قَتَلَهُ منكُم مُتَعَمِّدًا فجزاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ منَ النَّعَمِ يَحْكُمُ به ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ** ﴾ الآية [المائدة: ٩٥]، فأنشدتُكم بالله تعالى أَحُكْمُ الرجالِ في أرنبٍ ونحوها من الصيد أفضل أم حُكمهم في دمائهم وصلاح ذات بينهم، وأنتم تعلمون أن الله تعالى لو شاء لحكَم ولم يُصيِّر ذلك إلى الرجال؟ قالوا: بَل هذا أفضل. وفي المرأة وزوجها قال الله عز وجل: ﴿ **وَإِنْ خفْتُمْ شقَاقَ بَيْنهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِه وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا**

إِصْلاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا ﴾ [النساء: ٣٥]، فأنشدتُكم بالله؛ حُكم الرجال في صلاح ذاتِ بينهم وحقْنِ دمائهم أفضلُ من حُكمهم في امرأةٍ أخرجت من هذه؟ قالوا: نعَم.

قلت: وأما قولكم: «قاتل ولم يُسب ولم يغنم» أفتسبُّون أُمَّكم عائشةَ وتستحلون منها ما تستحلون من غيرها وهي أُمُّكم؟ فإن قُلتم: إنَّا نستحلُّ منها ما نستحلُّ من غيرها فقد كفرتم، ولئن قلتم: «ليست بأُمنا» فقد كفرتم؛ لأن الله تعالى قول: ﴿ **النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ** ﴾ [الأحزاب: ٦]، فأنتم تَدُورون بين ضلالتين، فأتوا منهما بمخرجٍ؟ قلت: فخرجتُ من هذه؟ قالوا: نَعم.

وأما قولكم: «محىَ اسمه من أمير المؤمنين»، فأنا آتيكم بِمَن ترضون، وأراكم قد سمعتم أن النبيَّ ﷺ يوم الحديبية صالح المشركين فقال لعليٍّ رضي الله عنه: «**اكتب هذا ما صالح عليه محمدٌ رسولُ الله ﷺ**» فقال المشركون: لا والله ما نعلمُ أنك رسول الله، لو نعلم أنك رسول الله لأطعناك، فاكتب: «محمد بن عبد الله»؟ فقال رسول الله ﷺ: («**امْحُ يا عليُّ «رسول الله»، اللهم إنك تعلم أني رسولك، امح يا عليُّ واكتب: «هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله»**»)، فوالله لرسول الله ﷺ خيرٌ مِن عليٍّ، وقد محا نَفسه ولم يكن محوه ذلك يمحوه من النبوة، خرجتُ من هذه؟ قالوا: نَعم.

فرجع منهم ألفان، وخرج سائرهم فقتلوا على ضلالتهم فقتلهم المهاجرون والأنصارُ.

حسن

* * *

الصلح بين الحسن ومعاوية رضي الله عنهما

وقول النبي ﷺ: «ابني هذا سيد»

قال الإمام البخاري رحمه الله (٧١٠٩):

حدثنا علي بن عبد الله، حدثنا سفيان، حدثنا إسرائيل أبو موسىٰ - ولقيتهُ بالكوفة جاء إلىٰ ابن شبرمة - فقال: أدخلني علىٰ عيسىٰ[١] فأعظهُ، فكأنَّ ابنَ شبرمة[٢] خاف عليه[٣] فلم يفعل. قال: حدثنا الحسن[٤] قال: لما سار الحسن بن علي رضي الله عنهما إلىٰ معاوية بالكتائب[٥] قال عَمروا بن العاص لمعاوية: أرىٰ كتيبة لا تولّي حتىٰ تدبر أُخراها[٦]. قال معاوية: من لذراري المسلمين[٧]؟ فقال:

---

(١) قال الحافظ في «الفتح» (١٣/ ٦٢): (وعيسىٰ هو: ابن موسىٰ بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس ابن أخي المنصور، وكان أميرًا علىٰ الكوفة إذا ذاك).

(٢) أما «ابن شبرمة» فهو: عبد الله قاضي الكوفة في خلافة أبي جعفر المنصور، ومات في خلافته سنة أربع وأربعين ومائة، وكان صارمًا عفيفًا ثقة فقيهًا.

(٣) أي: خاف علىٰ إسرائيل من دخوله علىٰ عيسىٰ، قال الحافظ: ولعلَّ سبب خوفه عليه: أنه كان صادعًا بالحق، فخشي أنه لا يتلطف بعيسىٰ فيبطش به؛ لما عنده من عزة الشباب وعزة الملك. قال ابن بَطَّال: دلَّ ذلك من صنيع ابن شبرمة علىٰ أن من خاف علىٰ نفسه سقط عنه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

(٤) «الحسن» هذا هو: الحسن البصري رحمه الله.

(٥) في رواية البخاري (٢٧٠٤): «استقبل - والله - الحسن بن علي معاوية بكتائب أمثال الجبال...».

(٦) في رواية البخاري (٢٧٠٤): «إني لأرىٰ كتائب لا تولّي حتىٰ تقتل أقرانها».

(٧) في الرواية المذكورة: «إن قتل هؤلاء هؤلاء وهؤلاء هؤلاء؛ من لي بأمور الناس؟! من لي بنسائهم؟! من لي بضيعتهم؟!».

أنا[١] . فقال عبد الله بن عامر وعبدُ الرحمن بن سمرة : نلقاه فنقول له : الصلح[٢] قال الحسن : ولقد سمعتُ أبا بكرة قال : بينا النبي ﷺ يخطب جاء الحسنُ فقال النبيُّ ﷺ : «**ابني هذا سَيدٌ، ولعل الله أن يُصلح به بين فِئتين[٣] من المسلمين**» .

صحيح

وأخرجه مختصرًا أبو داود (٤٦٦٢)، والترمذي (٣٧٧٣) وقال : هذا حديث حسن صحيح .

وعزاه المزي للنسائي .

---

(١) قال الحافظ : ظاهره يوهم : أن المجيب بذلك هو عمرو بن العاص ، ولم أر في طرق الخبر ما يدل على ذلك ، فإن كانت محفوظة فلعلها كانت : (فقال أنّى) بتشديد النون المفتوحة ، قالها عَمرو على سبيل الاستبعاد .

(٢) في رواية البخاري (٢٧٠٤) : «فبعث إليه رجلين من قريش من بني عبد شمس : - عبد الرحمن ابن سمرة وعبد الله بن عامر بن كريز - ، فقال : اذهبا إلى هذا الرجل فاعرضا عليه وقولا له واطلبا إليه ، فأتياه فدخلا عليه فتكلما وقالا له وطلبا إليه ، فقال لهما الحسن بن علي : إنا بنو عبد المطلب قد أصبنا من هذا المال ، وإن هذه الأمة قد عاثت في دمائها ، قالا : فإنَّه يعرض عليك كذا وكذا ويطلب إليك ويسألك ، قال فمن لي بهذا؟ قالا : نحن لك به فما سألهما شيئًا إلا قالا : «نحن لك به فصالحه» .

(٣) في الرواية المشار إليها : «فئتين عظيمتين من المسلمين» .
هذا؛ وفي الحديث فضيلة ظاهرة للحسن بن علي رضي الله عنهما لما حقن الله به من دماء المسلمين وأصلح الله ذات بينهم ، وتنازله عن الدنيا وعن متاعها وزهرتها لا عن ضعف وخور ، ولكن من عزة ومنعة وقوة رضي الله عنه .
قال الحافظ في «الفتح» (١٣/ ٦٧) : واستدل به على تصويب رأي من قعد عن القتال مع معاوية وعليٍّ ، وإن كان عليٌّ أحقَّ بالخلافة وأقربَ إلى الحق ، وهو قولُ سعدِ بن أبي وقاص وابنِ عمر ومحمدِ بن مَسلمة وسائرِ مَن اعتزل تلك الحروب ، وذهب جمهورُ أهل السنة إلى تصويبِ من قاتل مع عليٍّ لامتثال قوله تعالى ﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا﴾ الآية [الحجرات : ١٤]، ففيها الأمر بقتال الفئة الباغية ، وقد ثبتَ أن من قاتل عليًا كانوا بغاة ، وهؤلاء - مع هذا التصويب - متفقون على أنه لا يذم واحد من هؤلاء بل يقولون : اجتهدوا فأخطئوا .

فتنة ابن عباس مع ابن الزبير رضي الله عنهم

قال الإمام البخاري رحمه الله (٤٦٦٥):

حدثني عبد الله بن محمد، قال: حدثني يحيى بن معين، حدثنا حجاج، قال ابن جريج: قال ابن أبي مليكة: «وكان بينهما شيء[١]، فغدوتُ على ابن عباس فقلتُ[٢]: أتريد أن تقاتلَ ابنَ الزبيرِ فتحلَّ ما حرم الله؟ فقال: معاذ الله، إن الله

(١) أي: بين ابن عباس وابن الزبير رضي الله عنهم، كما هو واضح في رواية البخاري (٤٦٦٤).
وهذا الشيء الذي كان بين ابن عباس وابن الزبير كان بسبب البيعة، كما قاله الحافظ في «الفتح» (٨/ ٣٢٦) وقال: وذلك أن ابن الزبير حين مات معاوية امتنع من البيعة ليزيدَ بن معاوية، وأصر على ذلك حتى أغرى يزيدُ بن معاوية مسلمَ بن عقبة بالمدينة، فكانت وقعة الحرَّة، ثم توجَّه الجيش إلى مكة فمات أميرهم مسلمُ بن عقبة، وقام بأمر الجيش الشامي حسين بن نمير فحصر ابن الزبير بمكة، ورموا الكعبة بالمنجنيق حتى احترقت، ففجأهم الخبر بموت يزيد بن معاوية، فرجعوا إلى الشام، وقام ابن الزبير في بناء الكعبة، ثم دعا إلى نفسه فبُويع بالخلافة وأطاعه أهل الحجاز ومصر والعراق وخراسان وكثير من أهل الشام، ثم غلب مروان على الشام وقتل الضحاك بن قيس الأمير من قِبلَ ابنِ الزبير بمرج راهطٍ، ومضى مروان إلى مصر وغلب عليها، وذلك كله في سنة أربع وستين، وكَمُل بناءُ الكعبة في سنة خمس، ثم مات مروان في سنة خمس وستين، وقام عبد الملك ابنه مقامه، وغلب المختارُ بن أبي عبيد على الكوفة، ففر منه من كان من قبل ابن الزبير، وكان محمد بنُ علي بن أبي طالب المعروف بـ«ابن الحنفية» وعبد الله بن عباس مُقيمين بمكة من قتل الحسين، فدعاهما ابن الزبير إلى البيعة له فامتنعا وقالا: لا نبايع حتَّى يجتمع الناسُ على خليفةٍ. وتبعهما جماعةٌ على ذلك، فشدَّد عليهم ابن الزبير وحصرهم، فبلغ المختارُ فجهَّز إليهم جيشًا فأخرجوهما واستأذنوهما في قتال ابن الزبير، فامتنعا وخرجا إلى الطائف، فأقاما بها حتى مات ابن عباس سنة ثمان وستين، ورحل ابنُ الحنفية بعده إلى جهةِ رضْوىٰ - جبل «بينبع» - فأقام هناك ثم أراد دخول الشام فتوجَّه إلى نحو «أيلة»، فمات في آخر سنة ثلاث أو أول سنة أربع وسبعين، وذلك عقب قتل ابن الزبير على الصحيح، وقيل: عاش إلى سنة ثمانين أو بعد ذلك.

(٢) القائل هو: ابن أبي مُليكة.

كتب ابنَ الزبير وبني أمية مُحلّين(١) ، وإني واللهِ لا أُحلّه أبدًا . قال : قال الناس : «بايع لابن الزبير» فقلت : وأين بهذا الأمر عنه(٢) ؟! ، أما أبوه : فحواريُّ النبيِّ ﷺ - يريدُ : الزبيرَ - ، وأما جده : فصاحبُ الغارِ - يريد : أبا بكر - ، وأما أُمه : فذات النطاق ، - يريد : أسماءَ - ، وأما خالته : فأُم المؤمنين - يريد : عائشة - ، وأما عمَّته : فزوج النبي ﷺ - يريد : خديجة - ، وأما عمةُ النبيِّ ﷺ : فجدته - يريد : صفية - ، ثم عفيفٌ في الإسلام قارئٌ للقرآن ، والله إن وصلوني وصلوني من قريبٍ(٣) ، وإن ربوني(٤) ربوني أكفاء كرام(٥) ، فآثر عليَّ التويتات والأسامات والحُميدات(٦) ، - يريد أبْطُنًا مِن بني أَسد : بني تويت وبني أسامة من أسدٍ - أن ابن

---

(١) قال الحافظ في «الفتح» : (قوله «محلين» أي : أنهم كانوا يُبيحون القتالَ في الحرم ، وإنما نسب ابنُ الزبير إلى ذلك وإن كانوا بنو أمية هم الذين ابتدءوه بالقتال وحصروه ، وإنما بَدَا منه أولاً دفعهم عن نفسه ؛ لأنه بعد أن ردَّهم الله عنه حصر بني هاشم ليبايعوه ، فشرع فيما يؤذن بإباحته القتال في الحرم ، وكان بعض الناس يسمى ابن الزبير «المحل» لذلك قال الشاعر يتغزَّل في أُخته رَملة :

ألا من لقلب معنىً غزل يحب الُمحلَّة أخت الُمحلِّ

وقوله : «لا أحله أبدًا» أي : لا أبيح القتال فيه ، وهذا مذهب ابن عباس : أنه لا يقاتل في الحرم ولو قوتل فيه .

(٢) أي : أن الخلافة ليست بعيدة عنه ، لما له من الشرف بأسلافه الذين ذكرهم .

(٣) «إن وصلوني وصلوني من قريب» أي : بسببِ القرابة .

(٤) «ربوني» منَ «التربية» .

(٥) «كرام» أي : كرام في أحسابهم ، وفي رواية البخاري (٤٦٦٦) : «لأن يربني بنو عمي أحب إليَّ من أن يربني غيرهم» . قال الحافظ : (فإن بني عمه هُم بنو أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ؛ لأنهم من بني عبد المطلب ، «فعبد المطلب» جدُّ عبد الله بن عباس بن عبد المطلب ابن عمٍّ أمية ، جدُّ مروان بن الحكم بن أبي العاص ، وكان «هاشم» و«عبد شمس» شقيقين) .

(٦) هي مجموعة قبائل ، وجمعهم ابن عباس جمع القلة تحقيرًا لهم . قاله الحافظ .

أبي العاص برز يَمشي القُدَمِية(١) يعني: عبد الملك بن مروان، وإنه لوى ذَنبه(٢) - يعني: ابن الزبير.

صحيح

قال الإمام البخاري رحمه الله (٤٦٦٦):

حدثنا محمد بن عبيد بن ميمون، حدثنا عيسى بن يونس، عن عمر بن سعيد، قال أخبرني ابن أبي مليكة: «دخلنا على ابن عباس فقال: ألا تعجبون لابن الزبير، قام في أمره هذا فقلتُ: لأُحاسبن نفسي له(٣) ما حاسبتها لأبي ولا

---

(١) قال الحافظ «فتح» (٨/ ٣٢٩): (قوله «يمشي القدميه» بضم القاف وفتح الدال وقد تُضمُّ أيضًا) وقد تُسكن وكسر الميم وتشديد التحتانية، قال الخطابي وغيره: معناه: «التبختر»، وهو مَثَلٌ، يريد: أنه برز يطلب معالي الأمور. قال ابن الأثير: الذي في البخاري «القدمية»: وهي: التقدمة في الشرف والفضل، والذي في كتب الغريب: «اليقدمية» بزيادة تحتانية في أوله، ومعناه: التقدمة في الشرف، وقيل: التقدُّم بالهمة والفعل).

(٢) قوله: «وإنه لوى ذنبه» يعني: ابن الزبير لوى - بتشديد الواو وبتخفيفها - أي: ثناه، وكَنَّى بذلك عن تأخُّره وتخلفّه عن معالي الأمور، وقيل: كَنَّى به عن الجُبين وإيثار الدَّعة كما تفعل السباع إذا أرادت النومَ، والأول أولى، وفي مثله قال الشاعر:

مشى ابن الزبير القهقرى وتقدمت أميـــة حتى أحـــرزوا القصبـــات

وقال الداوديُّ: المعنى: أنه وقف فلم يتقدم ولم يتأخر، ولا وضَع الأشياءَ مواضعها، فأدنى الناصحَ وأقصى الكاشحَ... ثم قال الحافظ رحمه الله: وكان الأمر كما قال ابن عباس، فإن عبد الملك لم يزل في تقدُّم من أمره إلى أن استنقذ العراق من ابن الزبير، وقتل أخاه مصعبًا، ثم جهز العساكرَ إلى ابن الزبير بمكة، فكان من الأمر ما كان، ولم يزل أمرُ ابنِ الزبير في تأخرٍ إلى أن قتل رحمه الله.

(٣) قال الحافظ: (وقوله: «لأحاسبن نفسي» أي: لأناقشنها في معونته ونصحه. قاله الخطابي، وقال الداودي: معناه: لأذكرنَّ من مناقبه ما لم أذكر من مناقبها، وإنما صنع ابن عباس ذلك لاشتراك الناسِ في معرفة مناقب أبي بكر وعمر، بخلاف ابن الزبير، فما كانت مناقبه في الشهرة كمناقبها، فأظهر ذلك ابنُ عباس وبيَّنه للناس إنصافًا منه له، فلما لم ينصفه هو رجع منه).

لعُمر، ولَهُمَا كانا أولى بكلٍّ خيرٍ منه، وقلت: ابن عمة[١] النبي ﷺ وابن الزبير وابن أبي بكر وابن أخي خديجة وابن أخت عائشة، فإذا هو يتعلّى عني ولا يريد ذلك، فقلتُ: ما كنت أظن أني أعرض هذا من نفسي فَيَدَعه، وما أراه يريدُ خيرًا، وإن كان لا بد؛ لأن يَرُبَّني بنو عمي أحبُّ إليَّ من أن يَرُبَّني غيرُهم[٢].

صحيح

* * *

(١) أي: جدته عمة النبي ﷺ، وهي: «صفية بنت عبد المطلب».

(٢) قال الحافظ: (قوله: «لأن يَرُبَّني») أي: يكون عليَّ ربًا - أي: أميرًا - أو: «ربه» بمعنى «رباه وقام بأمره وملك تدبيره»، قال التيمي: معناه: لأن أكون في طاعة بني أمية أحب إلي من أن أكون في طاعة بني أسد، لأن بني أمية أقرب إلى بني هاشم من بني أسد كما تقدَّم، والله أعلم).


مُتفرِّقات

فِتنَة المَال

وقول الله عز وجل

﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾

وتحذيرُ النبيِّ ﷺ أُمته مِنَ الافتتانِ بالدُّنيا

قال الترمذي رحمه الله (٢٣٣٦):

حدثنا أحمد بن منيع، حدثنا الحسن بن سوار، حدثنا ليث بن سعد، عن معاوية بن صالح، أن عبد الرحمن بن جبير بن نفير حدثه، عن أبيه، عن كعب بن عياض قال: سمعتُ النبيَّ ﷺ يقول: **«إن لكل أمةٍ فتنةً، وفتنةُ أُمتي: المالُ»**.

حسن

قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح غريب، إنما نعرفه من حديث معاوية بن صالح.

قلت: والحديث أخرجه: أحمد (٤/ ١٦٠)، والبخاري في «التاريخ الكبير» (٧/ ٢٢٢)، وابن حبان «موارد الظمآن» (٢٤٧٠)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٣١٨) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وصححه الذهبي.

وعزاه المزي للنسائي، وصححه أبو عمر (كما في «الإصابة»: ترجمة كعب بن عياض رضي الله عنه).

قال الإمام البخاري رحمه الله (٣١٥٨):

حدثنا أبو اليمان، أخبرنا شعيب، عن الزهري قال: حدثني عروة بن الزبير، عن المسور بن مخرمة، أنه أخبره أن عمرو بن عوف الأنصاري -وهو حليف لبني عامر بن لؤي، وكان شهد بدرًا- أخبره: أن رسول الله ﷺ بَعَثَ أبا عبيدة بن الجراح إلى البحرين يأتي بجزيتها، وكان رسولُ الله ﷺ هو صالحَ أهلَ البحرين وأمَّر عليهم العلاء بن الحضرمي، فَقدِم أبو عبيدة بمالٍ مِن البحرين، فسمعتْ الأنصارُ بقدوم أبي عبيدة، فوافقت صلاة الصبح مع النبي ﷺ، فلمَّا صلَّى بهم الفجرَ انصرف، فتعرَّضوا فتبسَّم رسولُ الله ﷺ حين رآهم وقال:

«**أظنُّكم قد سمعتمُ أن أبا عبيدة قد جاء بشيء**»، قالوا: أجل يا رسول الله. قال: «**فأَبْشروا وأملوا**(١) **ما يَسُرُّكم، فوالله، لا الفقرَ أخشى عليكم، ولكن أخْشى عليكم أن تُبسط عليكم الدُّنيا كما بُسطت على من كان قبلكم، فتَنَافسوها**(٢) **كما تَنَافَسوها وتَهْلِكَكُم كما أهْلكتهم**(٣)».

صحيح

وأخرجه مسلم (٢٩٦١)، والترمذي (٢٤٦٢) وقال: هذا حديث حسن صحيح. وابن ماجه (٣٩٩٧).

وعزاه المزي للنسائي.

---

(١) «أملوا» من «الأمل» وهو: الرجاء.

(٢) قال الحافظ في «الفتح» (١١/ ٢٤٥): (قوله: «فتنافسوها» بفتح المثناة فيها، والأصل: «فتتنافسوا» فحذفت إحدى التاءين، والتنافس من المنافسة وهي: الرغبة في الشيء ومحبة الانفراد به والمغالبة عليه، وأصلها من الشيء النفيس في نوعه، يقال: «نافست في الشيء منافسة ونفاسة ونفاسًا»، و«نفس الشيء» بالضم «نفاسة»: صار مرغوبًا فيه، و«نفست به» بالكسر: بخلت، و«نفست عليه»: لم أره أهلاً لذلك.

(٣) قوله: «فتهلككم» أي: لأن المال مرغوب فيه، فترتاح النفسُ لطلبه، فتمنع منه فتقع العداوة المقتضية للمقاتلة المفضية إلى الهلاك.

قال ابن بطال: فيه: أن زهرة الدنيا ينبغي لمن فُتحت عليه أن يحذرَ من سوء عاقبتها وشرِّ فتنتها، فلا يطمئن إلى زخرفها ولا ينافس غيره فيها، ويستدلُّ به على أن الفقر أفضل من الغني؛ لأن فتنة الدنيا مقرونةٌ بالغنَى مطنةُ الوقوع في الفتنة التي قد تجرُّ إلى هلاك النفس غالبًا، والفقير آمِنٌ من ذلك.

قلت: والكلام الأخير الذي هو: «والفقر أفضل من الغنى» محلُّ خلافٍ بين أهل العلم، وبسط ذلك محله ليس هنا.

هذا، وقد قال الحافظ في «الفتح» (٦/ ٢٦٣): «وفيه: أن المنافسة في الدنيا قد تجرُّ إلى هلاك الدِّين».

قال الإمام أحمد رحمه الله (٦/ ٢٥):

حدثنا أبو المغيرة، قال: ثنا صفوان، قال: ثنا عبد الرحمن بن جبير بن نفير، عن أبيه، عن عوف بن مالك الأشجعي قال: كان رسول الله ﷺ إذا جاء فيءٌ قَسمه من يومه فأعطى الآهِلَ حَظَّين وأعطى العزبَ حظًّا واحدًا، فدُعينا وكنتُ أُدعى قَبل عمار بن ياسر، فدُعيت فأعْطاني حظَّيْن، وكان لي أهْلٌ، ثم دعا بعمارِ بن ياسر فأُعْطي حَظًّا واحدًا، فبقيت قطعةُ سِلسلةٍ مِن ذهبٍ، فجعل النبيُّ ﷺ يرفعها بطرف عصاه فتسقطُ ثم رفعها وهو يقول: «**كيف أنتم يوم يكثرُ لكم من هذا؟!**».

صحيح

وأخرجه أبو داود مختصراً (٢٩٥٣).

* * *

التحذير من الانكباب على الدنيا وترك أمر الآخرة

قال الإمام البخاري رحمه الله (٢٣٢١):

حدثنا عبد الله بن يوسف، حدثنا عبد الله بن سالم الحمصي، حدثنا محمد بن زياد الألهاني، عن أبي أمامة الباهلي، قال: ورأى سِكَّة[١] وشيئًا من آلة الحرث فقال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**لا يدخلُ هذا بيتَ قومٍ إلاَّ أدْخلهُ اللهُ الذُّلَّ**»[٢] .

صحيح

قال محمد: واسمُ أبي أمامة صديُّ بن عجلان.

---

(١) «السكة» بكسر المهملة: هي الحديدة التي تحرث بها الأرض.

(٢) بوّب البخاري لهذا الحديث بباب: ما يحذر من الاشتغال بآلة الزرع أو مجاوزة الحدّ الذي أمر به.

قال الحافظ في «الفتح» (٥/ ٥): (وفي رواية أبي نعيم المذكورة: «إلاَّ أدخلوا على أنفسهم ذُلاً لا يخرج عنهم إلى يوم القيامة»، والمراد بذلك: ما يلزمهم من حقوق الأرض التي تُطالبهم بها الولاة، وكان العمل في الأراضي أول ما افتتحت على أهل الذمة، فكان الصحابة يكرهون تعاطي ذلك.

ثم قال الحافظ: وقد أشار البخاري بالترجمة إلى الجمع بين حديث أبي أمامة والحديث الماضي(*) في فضل الزرع والغرس بأحد أمرين:

إما أن يحمل ما وردَ من الذم على عاقبة ذلك، ومحله: ما إذا اشتغل به فضيع بسبب ما أمر بحفظه.

وإما أن يحمل على ما إذا لم يضيع إلا أنه جاوز الحد فيه، والذي يظهر: أن كلام أبي أمامة محمولٌ على من يتعاطى ذلك بنفسه، أما من له عُمال يعملون له وأدخل داره الآلة المذكورة =

(*) يعني حديث «ما من مسلم يغرس غرسًا أو يزرع زرعًا فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقه».

مثلٌ ضُرِب للمال وجامعه

قال الإمام البخاري رحمه الله (٦٤٢٧):

حدثنا إسماعيل، قال: حدثني مالك، عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن أكثر ما أخاف عليكم ما يُخرج الله مِن بركات الأرض**»؟ قيل: وما بركات الأرض؟ قال: «**زهرة الدنيا**» فقال له رجلٌ: هل يأتي الخيرُ بالشر؟ فصمت النبيُّ ﷺ حتى ظننتُ أنه ينزل عليه[١]، ثم جعل يمسح عن جبينه فقال: «**أين السائلُ؟**» قال: أنا. قال أبو سعيد: لقد حمدناه حين طلع لذلك، قال: «**لا يأتي الخيرُ إلا بالخيرِ**[٢] **إن هذا المال خَضِرةٌ حُلوة**[٣] ....،

= لتحفظَ لهم فليس مُرادًا، ويمكن الحملُ على عُمومه، فإن الذلّ شاملٌ لكل من أدخل على نفسه ما يستلزم مطالبةَ آخر له، ولا سيما إذا كان المطالب مِن الولاة، وعن الداودي: هذا لمن يقرب من العدوِّ، فإنه إذا اشتغل بالحرثِ لا يشتغل بالفروسية فيتأسَّد عليه العدوُّ، فحقُّهم أن يشتغلوا بالفُروسية وعلى غيرِهم إمدادُهم بما يحتاجون إليه.

(١) أي: ينزل عليه الوحي.

(٢) قال الحافظ في «الفتح» (١١/ ٢٤٦): (قوله: «لا يأتي الخير إلا بالخير» زاد في رواية الدارقطني تكرار ذلك ثلاث مرات، وفي رواية هلال: «إنه لا يأتي الخير بالشر» ويؤخذ منه: أن الرزق ولو كثر فهو من جُملة الخير، وإنما يعرض له الشر بعارض البخل عمَّن يستحقه والإسراف في إنفاقه فيما لم يشرع، وأن كل شيء قضى الله أن يكون خيرًا فلا يكون شرًا، وبالعكس، ولكن يخشى على من رزق الخير أن يعرض له في تصرفه فيه ما يجلب الشر، ووقع في مرسل سعيد المقبري عند سعيد بن منصور: «أوَ خيرٌ هو؟ ثلاث مرات»، وهو استفهام إنكار، أي: أن المال ليس خيرًا حقيقيًا وإن سمي خيرًا؛ لأن الخير الحقيقي هو ما يعرض له من الإنفاق في الحق، كما أن الشر الحقيقي فيه ما يعرض له من الإمساك عن الحق والإخراج في الباطل. وماذكر في الحديث بعد ذلك من قوله: «إن هذا المال خضرة حلوة» كضرب المثل بهذه الجملة).

(٣) قال الحافظ: (معناه: أن صورة الدنيا حسنة مؤنقة) والعرب تسمي كل شيء مشرق: «ناضر =

وإن كل ما أنبت الربيع(١) يقتل حبطًا(٢) أو يُلم(٣) ، إلا آكلة الخضرة(٤) ، أكلتْ حتي إذا امتدتْ خاصرتاها(٥) استقبلت الشمسَ فاجترتْ(٦) وثلطتْ(٧) وبالتْ ثم عادتْ فأكلتْ، وإن هذا المال حلوة، مَن أخذه بحقِّه ووضَعه في حقِّه فَنِعْم المعونة هو، وإن أخَذه بغير حقِّه كان كالذي يأكلُ ولا يشبعُ».

صحيح

وأخرجه مسلم (١٠٥٢ ، ص٧٢٨)، والنسائي (٥/ ٩٠).

= أخضر»، وقال ابن الأنباري: قوله: «المال خضرة حلوة»: ليس هو صفة المال، وإنما هو للتشبيه، كأنه قال: «المال كالبقلة الخضراء الحلوة»، أو التاء في قوله: «خضرة وحلوة» باعتبار ما يشتمل عليه المال من زهرة الدنيا، «أو» على معنى فائدة المال، أي: أن الحياة به أبو العيشة، أو أن المراد بالمال هنا: الدنيا؛ لأنه من زينتها. قال الله تعالى: ﴿المال والبنون زينة الحياة الدنيا﴾ [الكهف: ٤٦] قال: وقد وقع في حديث أبي سعيد أيضًا المُخرَّج في «السنن»: «الدنيا خضرة حلوة» فيتوافق الحديثان، ويحتمل أن تكون «التاء» فيهما للمبالغة.

(١) قوله: «وأن كل ما أنبت الربيع»؛ «الربيع» هو: الجدول أو النهر الصغير الذي يَسقي الزرع.

(٢) قوله: (حَبَطًا): قال الحافظ في «الفتح»: (أما «حبطًا بفتح المهملة والموحدة والطاء مهملة أيضًا، و«الحبط»: انتفاخ البطن من كثرة الأكل، يقال: «حبطت الدابة تحبط حبطًا» إذا أصابت مرعى طيبًا فأمعنت في الأكل حتى تنتفخ فتموت).

(٣) (يُلم) أي: يقترب من الهلاك.

(٤) (الخُضرة) هو ضربٌ من الكلإ يعجب الماشية، وواحده: «خضرة».

(٥) (خاصرتاها) تثنية «خاصرة»- بخاء معجمة وصاد مهملة-، وهما جانبا البطن من الحيوان.

(٦) «اجترت» من «الاجترار»، وهو معروف عند بعض الحيوانات أي: استرفعت ما أدخلته في كرشها من العلف فأعادت مضغه.

(٧) «ثلطت»: في «اللسان»: «الثَّلط»: الرقيق من الرجيع. قال ابن الأثير: وأكثر ما يقال للإبل والبقر والفيلة، وفي حديث علي كرم الله وجهه: «كانوا يبعرون بعرًا، وأنتم تثلطون ثلطًا» أي: كانوا يتغوطون يابسًا كالبعر لأنهم كانوا قليلي الأكل والمآكل، وأنتم تثلطون رقيقًا. وهو إشارة إلى كثرة المآكل وتنوعها.

قال الحافظ في «الفتح» (١١/ ٢٤٧): (والمعنى: أنها إذا شبعت فثقل عليها ما أكلت تحيَّلتْ في دفعه بأن تجتر فيزداد نعومةً، ثم تستقبلُ فتحمَى بها فيسهل خروجه، فإذا خرج زال الانتفاخُ =

. . . .

= فسلمت، وهذا بخلاف من لم تتمكن من ذلك، فإن الانتفاخ يقتلها سريعًا.
قال الأزهري: هذا الحديث إذا فرق لم يكد يظهر معناه، وفيه مَثلان:
أحدهما: للمفرط في جمع الدنيا المانع من إخراجها في وجهها، وهو ما تقدم أي: الذي يقتل حبطًا.
والثاني: المقتصد في جمعها وفي الانتفاع بها وهو آكلة الخضر، فإن الخضر ليس من أحرار البقول التي ينبتها الربيع، ولكنها الحبة، والحبة: ما فوق البقل ودون الشجر التي ترعاها المواشي بعد هيج البقول، فضرب آكلة الخضر من المواشي مثلاً لمن يقتصد في أخذ الدنيا وجمعها ولا يحمله الحرص على أخذها بغير حقها ولا منعها من مستحقها، فهو ينجو من وبالها كما نجت آكلةُ الخضر، وأكثرُ ما تحبط الماشية إذا انحبسَ رجيعُها في بطنها.
وقال الزين بن المنير: «آكلة الخضر» هي: بهيمة الأنعام التي ألف المخاطبون أحوالها في سَومها ورعيها وما يعرض لها من البشم وغيره، و«الخضر»: النبات الأخضر وقيل: حرار العشب التي تستلذ الماشية أكله فتستكثر منه، وقيل: هو ما ينبت بعد إدراك العشب وهياجه، فإن الماشية تقتطف منه مثلاً شيئًا فشيئًا ولا يصبها منه ألمٌ، وهذا الأخير فيه نظرٌ، فإن سياق الحديث يقتضي وجود الحبط للجميع إلا لمن وقعت منه المداومة حتى اندفع عنه ما يضره، وليس المراد أن آكلة الخضر لا يحصلُ لها من أكله ضرر ألبتة، والمستثنى «آكلة الخضر» بالوصف المذكور لا كل من اتصف بأنه آكلة الخضر، ولعل قائله وقعت له رواية فيها: «يقتل أو يلم إلا آكلة الخضر» ولم يذكر ما بعده، فشرحه على ظاهر هذا الاختصار.
وقال الحافظ: يؤخذ من الحديثِ التمثيل لثلاثة أصنافٍ: لأنَّ الماشية إذا رعت الخضر للتغذية إمَّا أن تقتصر منه على الكفاية، وإما أن تستكثر الأول الزهاد، والثاني: إما أن يحتال على إخراج ما لو بقي لضرّ، فإذا ما أخرجه زال الضرُّ واستمر النفعُ، وإما أن يهمل ذلك، الأول: العاملون في جميع الدنيا بما يجب من إمساكٍ وبذلٍ، والثاني: العاملون في ذلك بخلاف ذلك.
وقال الطيبي: يؤخذ منه أربعة أصناف:
فمن أَكَلَ من أكل مستلذ مفرط منهمك حتى تنتفخ أضلاعه ولا يقلع فيسرع إليه الهلاك.
ومن أكل كذلك لكنه بادر إلى إزالة ما يضره وتحيل في دفعه حتى انهضم فيسلم.
ومن أكل غير مفرط ولا منهمك، وإنما اقتصر على ما يسد جوعته ويمسك رمقه.
فالأول مثال الكافر، والثاني مثال العاصي الغافل عن الإقلاع والتوبة إلا عند فوتها، والثالث مثال للمخلط المبادر للتوبة حيث تكون مقبولة، والرابع مثال الزاهد في الدنيا الراغب في =

قال الإمام مسلم رحمه الله (٢٩٦٢):

حدثنا عمرو بن سواد العامري، أخبرنا عبد الله بن وهب، أخبرني عمرو بن الحارث: أن بكر بن سوادة حدثه، أن يزيد بن رباح ـ هو أبو فراس مولى عبد الله بن عمرو بن العاص ـ حدثه عن عبد الله بن عمرو بن العاص، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إذا فُتِحت عليكم فارس الروم أيُّ قومٍ أنتم؟» قال عبد الرحمن

= الآخرة، وبعضها لم يصرح به في الحديث وأخذه منه محتمل.

وقوله: (نعم المعونة) كالتذييل للكلام المتقدم وفيه حذفٌ تقديره: «إن عمل فيه بالحق» وفيه إشارة إلى عكسه، وهو بئس الرفيق، هو لمن عمل فيه بغير الحق.

وقوله: (كالذي يأكل ولا يشبع) ذكِرَ في مقابلة (فنعم المعونة هو).

وقوله: (ويكون شهيدًا عليه) أي: حُجة يشهد عليه بحرصه وإسرافه وإنفاقه فيما لا يرضى الله.

وقال الزين بن المنير: في هذا الحديث وجوٌه من التشبيهات بديعةٌ:

- أولها: تشبيه المال ونُموه بالنبات وظُهوره.
- ثانيها: تشبيه المنهمك في الاكتساب والأسباب بالبهائم المنهمكة في الأعشاب.
- وثالثها: تشبيه الاستكثار منه والادخار له بالشَّرَه في الأكل والامتلاء منه.
- ورابعها: تشبيهُ الخارج من المال مع عظمته في النفوس حتَّى أدى إلى المبالغة في البخل به بما تطرحه البهيمة من السَّلخ، ففيه إشارةٌ بديعةٌ إلى استقذاره شرعًا.
- وخامسها: تشبيه المتقاعد عن جمعه وضمِّه بالشاة إذا استراحت وحطَّت جانبها مستقبلةً عين الشمس، فإنها من أحسن حالاتها سُكونًا وسكينة، وفيه إشارة إلى إدراكها لمصالحها.
- وسادسها: تشبيهُ موت الجامع المانع بموت البهيمة الغافلة عن دفع ما يضرها.
- وسابعها: تشبيه المال بالصاحب الذي لا يُؤمَنُ أن ينقلبَ عَدُوًّا؛ فإن المال من شأنه أن يحرز ويشدَ وثاقه حُبًا له، وذلك يقتضي منعه من مستحقه فيكون سببًا لعقاب مُقتنيه.
- وثامنها: تشبيه آخذه بغير حق بالذي يأكل ولا يشبع.

وقال الغزالي: مَثَل المال مَثَلُ الحية التي فيها ترياق نافع وسمٌّ ناقعٌ، فإن أصابها العارفُ الذي يحترزُ عن شرها ويعرفُ استخراجَ ترياقها كان نِعمةً، وإن أصابها الغبي فقد لقي البلاء المهلكَ.

بن عوف: نقول كما أمرنا الله[١]. قال رسولُ الله ﷺ: **«أوْ غير ذلك؛ تتنافسون ثُم تَتَحاسدون ثُم تَتَدابرون ثُـم تتباغضون أو نحو ذلك، ثُم تَنطلقون في مساكِين المهاجرين فتجعلون بعضَهم على رقابِ بعضٍ»**[٢].

صحيح

وأخرجه ابن ماجه (٣٩٩٦).

* * *

---

(١) قال النووي: معناه: نحمده ونشكره ونسأله المزيدَ: من فضله.

(٢) نقل النووي عن العلماء قولهم: («التنافس إلى الشيء»: المسابقة إليه، وكراهة أخذ غيرك إياه، وهو أوَّل درجات الحسد».

وأما الحسد: فهو تمنّي زوال النعمة عن صاحبها، والتدابر: التقاطع، وقد يبقى مع التدابر شيءٌ من المودة أو: لا يكون مودة ولا بغض.

قلت: وهذا الخبر: «تتنافسون ثم تتحاسدون...» خبرٌ معناه: النهي، وهو يحمل في طَيَّاتهِ الزجر الشديد عن مثل هذا الفعل، وقد يأتي الخبر أيضًا معناه الأمرُ كقوله تعالى: ﴿ومن دخله كان آمنًا﴾ [آل عمران: ٩٧] أي: أمِّنوا أيها المسلمون من يدخل الحَرَمَ. والله أعلم).

خشية الرسول ﷺ على أمته التنافس في الدنيا[١]

قال الإمام البخاري رحمه الله (٣٥٩٦):

حدثني سعيد بن شرحبيل، حدثنا ليث، عن يزيد، عن أبي الخير، عن عقبة بن عامر، عن النبي ﷺ: خرج يومًا فصلَّى على أهل أُحُدٍ صلاتَه على الميتِ، ثم انصرف إلى المنبرِ فقال: «**إني فُرْطُكم، وأنا شهيدٌ عليكم، وإني والله لأنظر إلى حوضي الآن، وإني قد أُعطيت خَزائنَ مفاتيحِ[٢] الأرضِ، وإنِّي واللهِ ما أخافُ بعدي أن تُشركوا، ولكن أخافُ أن تنافسوا فيها**».

صحيح

وأخرجه مسلم (٢٢٩٦)[٣]

* * *

(١) وفي الأحاديث المتقدمة قريبًا جزء كبير من هذا.

(٢) هكذا في «الفتح» في هذا الموضع، وفي مواضع أخرى: (مفاتيح خزائن) وهو الصواب. والله أعلم مُصحِّحه.

(٣) في آخر رواية مسلم: «... ولكني أخشى عليكم الدنيا؛ أن تتنافسوا فيها وتقتتلوا فتهلكوا كما هلك من كان قبلكم».
قال عقبة: فكانت آخر ما رأيتُ من رسول الله ﷺ.

خشية الصحابة على أنفسهم من سعة ما بُسط لهم

قال الإمام البخاري رحمه الله (٤٠٤٥):

حدثنا عبدان، حدثنا عبد الله، أخبرنا شعبة، عن سعد بن إبراهيم، عن أبيه إبراهيم: أن عبد الرحمن بن عوف أُتي بطعام ـ وكان صائمًا ـ فقال: قُتل مصعبُ بنُ عُمير وهو خيرٌ مني، كُفّن في بُردة إن غطي رأسه بدت رجلاه، وإن غُطي رجلاه بَدَا رأسُه ـ وأراه قال: وقُتل حمزة وهو خيرٌ مني، ثم بُسط لنا من الدنيا ما بُسط ـ أو قال: أعطينا من الدنيا ـ وقد خشينا أن تكون حسناتنا قد عجلت لنا. ثم جعل يبكي حتىٰ تَرك الطعام.

صحيح

* * *

فتنة الحرص على الشرف والمال وبيان مدى إفساده للدِّين

قال الإمام أحمد رحمه الله (٣/ ٤٥٦):

حدثنا علي بن بحر، قال: ثنا عيسى بن موسى، عن زكريا، عن محمد بن عبد الرحمن بن سعد بن زرارة، أن ابن كعب بن مالك حدثه، عن أبيه، أن النبي ﷺ قال: «ما ذئبان جائعان أُرسلا في غَنَمٍ أَفْسَدَ لها من حرصِ المرءِ على المالِ والشرفِ لدينه».

صحيح[١]

أخرجه أحمد أيضًا (٣/ ٤٦٠)، والترمذي (٢٣٧٦).

وقال: هذا حديث حسن صحيح، وابن حبان «موارد الظمآن» (٢٤٧٢).

وعزاه المزي للنسائي.

---

(١) ولكعب بن مالك ولدان أحدهما: عبد الله، والآخر: عبد الرحمن، وكلاهما ثقة، فأيًا كان ابن كعب بن مالك منهما فهو ثقة، وعلى كل حالٍ: فللحديث شواهد، منها:

● ما أخرجه أبو يعلى الموصلي في «مسنده» (١١/ ٣٣١) من طريق: أبي بكر بن زنجويه، حدثنا عمرو بن الربيع، حدثنا يحيى بن أيوب، عن عمارة بن غزية، عن عبد الله بن محمد بن عقيل بن أبي طالب، عن أبي مُرة - مولى عقيل -، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «ما ذئبان ضاريان جائعان في غنم افترقت أحدُهما في أوَّلها والآخَرُ في آخِرها بأسرعَ فسادًا من امرئٍ في دينه يحبُّ شرف الدنيا ومالها» وهذا إسنادٌ يصلحُ في الشواهدِ والمتابعات.

وللحديث أيضًا شاهد من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٧/ ٨٩).

من طريق قطبة بن العلاء، ثنا سفيان الثوري، عن عبد الله بن دينار، عن ابن عمر - مرفوعًا بنحوه، إلا أن قطبة بن العلاء: ضعيف، وقد اختلف في الحديث على سفيان الثوري أيضًا، =

حديث الثلاثة (الأبرص والأقرع والأعمى) وابتلاء الله لهم

قال الإمام البخاري رحمه الله (٣٤٦٤):

حدثنا أحمد بن إسحاق، حدثنا عَمرو بن عاصم، حدثنا همام، حدثنا إسحاق بن عبد الله، قال: حدثني عبد الرحمن بن أبي عمرة، أن أبا هريرة حدثه أنه سمع النبي ﷺ /ح/ . وحدثني محمد، حدثنا عبد الله بن رجاء، أخبرنا همام، عن إسحاق بن عبد الله، قال: أخبرني عبد الرحمن بن أبي عمرة، أن أبا هريرة رضي الله عنه حدثه: أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: **«إن ثلاثةً في بني إسرائيل أبرص وأقرع وأعمى، بَدَا لله عزَّ وجل أن يَبْتليهم[1] ، فبعث إليهم**

= فأورده أبو نعيم ثم قال: تفرد به قُطبة عن الثوري، واختلف فيه على الثوري من غير وجهٍ.
حدثنا محمد بن أحمد، حدثنا الحسن بن علي بن الوليد، ثنا إبراهيم بن محمد بن عرعرة، ثنا عبد الملك بن عبد الرحمن الذماري، ثنا سفيان الثوري، عن أبي الحجاف، عن أبي حازم، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ما ذئبان ضاريان أُرسلا في زريبةِ غنمٍ بأسرعَ فيها فساداً من حُبِّ الشرف والمال في دينِ المسلم» تفرد به «الذماري» ولم نكتبه إلاَّ من حديث إبراهيم.
حدثنا سليمان بن أحمد، ثنا محمد بن شعيب الزبيدي - بها -، ثنا أبو جمة، ثنا أبو قرة، عن موسى بنْ طارق قال: ذكر سفيان الثوري، عن سليمان التيمي، عن أبي عثمان النهدي، عن أسامة بن زيد قال: قال رسول الله ﷺ: «ما ذئبان ضاريان باتا في حظيرةِ غنمٍ يفترسان ويأكلان بأسرعَ فساداً فيها مِن طلب المال والشرفِ في دينِ المسلم» تفرَّد به أبو قرة.
هذه بعض أوجه الاختلاف التي ذكرها أبو نعيم على الثوريِّ رحمه الله.
وللحديث طريقٌ آخر ضعيفٌ من حديثِ ابنِ عباسٍ رضي الله عنهما. أخرجه أبو نعيم في «الحلية» أيضًا (٣/ ٢١٩).
وفي إسناده عيسى بن ميمون، وفي هذه الطبقة راويان كلٌّ منهما «عيسى بن ميمون» أحدهما: عيسى بن ميمون الجرشي: وهو ثقة، والثاني: عيسى بن ميمون المدني مولى القاسم بن محمد: وهو ضعيف. وقد رجَّح بعض أهل العلم أنه الثاني. فالله أعلم.
وعلى كل حالٍ؛ فالحديث يصحُّ بالطريقين الأولين. والله تعالى أعلم.

(١) في رواية لمسلم: فأراد الله أن يبتليهم.

مَلَكًا، فأتى الأبرصَ فقال: أيُّ شيء أحبُّ إليك؟ قال: لونٌ حَسنٌ وجلدٌ حَسنٌ؛ قد قَذِرَني[١] الناسُ. قال: فَمَسَحه[٢] فذهب عنه[٣] فأُعطي لَونًا حَسنًا وجلدًا حَسنًا، فقال: أي المال أحبُّ إليك؟ قال: الإبلُ - أو قال: البقر - ، هو شك في ذلك: إن الأبرص والأقرع قال أحدهما: الإبل، وقال الآخرُ: البقرُ - فأعطي ناقةً عَشْراء[٤]، فقال: يُبارَكُ لكَ فيها. وأتى الأقرعَ فقال: أيُّ شيء أحبُّ إليك؟ قال: شَعرٌ حَسنٌ ويَذهبُ هذا عَنِّي قد قَذِرَني الناسُ. قال: فمسحه فذهَبَ وأُعطي شَعرًا حَسنًا. قال: فأيُّ المال أحبُّ إليك؟ قال: البقر. قال: فأعطاه بَقَرةً حاملاً، وقال: يُبارك لكَ فيها، وأتى الأعمى فقال: أيُّ شيء أحبُّ إليك؟ قال: يردُّ الله إليَّ بَصَري فأُبصرُ به الناسَ. قال: فمسحه فردَّ الله إليه بَصَره. قال: فأيُّ المال أحبُّ إليك؟ قال: الغَنَم فأعطاه شَاةً وَالدًا، فأنتجَ[٥] هذان، وَوَلَّد هذا فكان لهذا واد من الإبل، ولهذا واد من بقر، ولهذا واد من الغنم، ثم إنه أتي الأبرصَ في صُورته وهيئه فقال: رَجلٌ مسكينٌ تقطعتَ به

---

(١) قال الحافظ في «الفتح» (٦/ ٥٠٢): (قوله: «قذرني» - بفتح القاف، والذال المعجمة المكسورة - أي: اشمأزوا من رؤيتي. وفي رواية حكاها الكرماني «قذروني الناس»، وهي على لُغة «أكلوني البراغيث»).

(٢) (مسحه): أي: مسح جسمه.

(٣) أي: ذهب عنه البرصُ.

(٤) قال النووي: (الناقة العشراءُ هي: الحاملُ القريبة الولادة)، وقال الحافظ في «الفتح»: (هي: الحامل التي أتى عليها في حملها عشرةُ أشهرٍ من يوم طرقها الفحلَ، وقيل: يقال لها ذلك إلى أن تلد وبعدما تضع، وهي من أنفس المال).

(٥) «أنتج هذان» أي: صاحب الإبل والبقر. قال النووي: («فأنتج» رباعي، وهي لغة قليلة الاستعمال، والمشهور: «نتج» ثلاثي، وممَّن حكى اللغتين الأخفشُ، ومعناه: تولَّى الولادة، وهي: النتج والإنتاج، ومعنى «ولَّد هذا» بتشديد اللام: معنى «أنتج»، و«الناتج» للإبل، و«المولد» للغنم وغيرها، هو كـ«القابلة» للنساء).

الحبالُ[١] في سَفَره فلا بلاغَ اليومَ إلا بالله ثم بكَ؛ أسألك ـ بالذي أعطاك اللونَ الحسَنَ والجلدَ الحسن والمَالَ ـ بعيرًا أتَبلَّغ به[٢] في سَفَري؟ فقال له: إن الحُقوق كثيرةٌ فقال له: كأنِّي أعرفُك، ألم تكن أبرصَ يَقذرك الناسُ، فَقيرًا فأعطاك الله؟ فقال: لقد ورثتُ لكابرٍ عن كَابر[٣] فقال: إن كنتَ كاذبًا فصيَّرك الله إلى ما كُنتَ، وأتي الأقرعَ في صُورته وهَيئته، فقال له مثل ما قَال لهذا، فردَّ عليه هذا، فقال: إن كنتَ كاذبًا فصيَّرك الله إلى ما كُنتَ، وأتَى الأعمى في صُورته فقال: رجلٌ مسكينٌ وابنُ السبيل، وتقطعتْ به الحبالُ في سَفَره فلا بَلاَغ اليوم إلا بالله ثم بكَ، أسألك ـ بالذي ردَّ عليك بَصرَكَ ـ شاةً أتَبلَّغَ بها في سَفَري؟ فقال له: قد كنتُ أعمى فردَّ الله بَصَري وفقيرًا فقد أغْناني فَخُذْ ما شئتَ، فوالله لا أجهدكَ اليوم بشيء أخذتَه لله[٤]، فقال: أمْسكْ مَالَكَ؛ فإنما ابتُليتم؛ فقد رَضِي الله عَنكَ وسَخطَ على صاحبَيْكَ.

صحيح

وأخرجه مسلم (٢٩٦٤).

= وقال ابن حجر («وأنتج» في مثل هذا شاذ، والمشهور في اللغة: «نُتجت الناقة» بضم النون، و«نتج الرجل الناقة» أي: حمل عليها الفحل، وقد سُمع «أَنتجت الفرسُ» إذا ولدتْ، فهي «نتوج»).

(١) أي: الأسباب التي تُقطع في طلب الرزق.

(٢) أي: أتوصَّل به إلى مُرادي.

(٣) قال النووي: أي: ورثته عن آبائي الذين ورثوه مِن أجدادي الذين ورثوه من آبائهم كَبيرًا عن كبيرٍ في العزِّ والشَّرف والثَّروة.

(٤) قال النووي «شرح مسلم» (٥/ ٨٢٠): (قوله «فوالله لا أجهدك اليوم شيئًا أخذته لله تعالى» هكذا هو في رواية الجمهور: «أجهدك» ـ بالجيم والهاء ـ وفي رواية ابن ماهان «أحمدك» ـ بالحاء والميم ـ، ووقع في البخاري بالوجهين، لكن الأشهر في مسلم بالجيم وفي البخاري بالحاء، ومعنى الجيم: لا أشق عليك بردِّ شيءٍ تأخذه أو تطلبه من مالي، والجهد: المشقة. =

جمع المال من الحلال ومن الحرام(*)

من أشراط الساعة

قال الإمام البخاري رحمه الله (٢٠٥٩):

حدثنا آدم، حدثنا ابن أبي ذئب، حدثنا سعيد المقبري، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**يأتي على الناس زمانٌ؛ لا يُبالي المرء ما أخذ منه**[1] **أَمِنَ الحلال أَمْ مِن الحرام؟**»[2].

صحيح

وأخرجه النسائي (٧/ ٢٤٣).

= ومعناه بالحاء: «لا أحمدك بترك شيء تحتاج إليه أو تريده»، فتكون لفظة الترك محذوفة مرادة كما قال الشاعر:

● ليس على طول الحياة ندم ●

أي: فوات طول الحياة.

وقال الحافظ في «الفتح»: (وفي الحديث: جواز ذكر ما اتفق لمن مضى ليتَّعظ به من سمعه، ولا يكون ذلك غيبة لهم، ولعل هذا هو السر في ترك تسميتهم، ولم يصح بما اتفق لهم بعد ذلك، والذي يظهر: أن الأمر فيهم وقع كما قال الملك، وفيه التحذير من كُفران النِّعم والترغيب في شُكرها والاعتراف بها وحمد الله عليها، وفيه: فضل الصدقة والحث على الرفق بالضعفاء وإكرامهم وتبليغهم مآربهم وفيه: الزجر عن البخل؛ لأنه حمل صاحبه على الكذب وعلى جحد نعمة الله تعالى.

(*) فيه بيان: أن حب المال يطغى على الدين، فلا يبالي الشخص إلا بجمع المال من أيٍّ مصدر كان.

(١) أيِّ المال كما في رواية البخاري (٢٠٨٣) ففيها.. «لا يبالي المرء بما أخذ المال أَمِنَ الحلال أَمْ مِن حرام؟».

(٢) نقل الحافظ في «الفتح» (٤/ ٢٩٦) عن ابن التين قوله: (أخبر النبي ﷺ بهذا تحذيرًا من فتنة =

ومن فتن النساء

قـال الله تـعـالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ (١٤) قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾

قال الإمام البخاري رحمه الله (٥٠٩٦):

حدثنا آدم، حدثنا شعبة، عن سُليمان التيمي، قال: سمعت أبا عثمان النهدي[١]، عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «**ما تَركتُ بَعدي فِتنةً أضرَّ عَلى الرِّجالِ مِنَ النساءِ**»[٢].

صحيح

وأخرجه مسلم (٢٧٤٠)، والترمذي (٢٧٨٠) وقال هذا حديث حسن صحيح، وابن ماجه (٣٩٩٨) وعزاه المزي للنسائي.

= المال، وهو من بعض دلائل نبوته لإخباره بالأمور التي لم تكن في زمنه، ووجه الذم من جهة التسوية بين الأمرين، وإلا فأخذ المال من الحلال ليس مذمومًا من حيث هو. والله أعلم).

(١) وقد روىٰ أبو عثمان هذا الحديث أيضًا، عن سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، عن رسول الله ﷺ كما عند مسلم (٢٧٤١). وقال الدارقطني في «العلل» (٤/ ٤٣٠): هو حديث يرويه معتمر بن سليمان: عن أبيه، عن أبي عثمان، عن أسامة بن زيد وسعيد بن زيد، عن النبي ﷺ. و خالفه أصحاب التيمي، منهم: سفيان الثوري وشعبة ويزيد بن زريع وغيرهم؛ فأسندوه عن أسامة بن زيد وحده عن النبي ﷺ، وهو أحبُّها إليَّ.

(٢) قال الحافظ ابن حجر رحمه الله (٩/ ١٣٨): (وفي الحديث أن الفتنة بالنساء أشد من الفتنة بغيرهن ويشهد له قوله تعالىٰ: ﴿زين للناس حب الشهوات من النساء﴾ [١٤ ـ ١٥] فجعلهن من حُب الشهوات، وبدأ بهن قبل بقية الأنواع، إشارةً إلىٰ أنهن الأصل في ذلك، ويقع في المشاهَدة حُبُّ الرجل ولده من امرأته التي هي عنده أكثر من حبه ولده من غيرها، ومن أمثلة ذلك: قصة النعمان بن بشير في الهِبَة، وقد قال بعض الحكماء: النساء شرٌّ كلهن، وأشرُّ ما فيهن عدمُ الاستغناءِ عنهن.

قلت: وهذا القول لا يصدر عن حكيم، فقد قال الله سبحانه: ﴿فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله﴾ [النساء: ٣٤]، فقد أبعدَ كلَّ البعدِ مَن قال: إن النساء شر كلهن) اهـ.

ثم قال الحافظ رحمه الله: (ومع أنها ناقصة العقل والدين تحمل الرجل علىٰ تعاطي ما فيه نقص العقل والدِّين، كشغله عن طلب أمور الدين وحمله علىٰ التهالك علىٰ طلب الدنيا وذلك أشد الفساد).

=

قال الإمام مسلم رحمه الله (٢٧٤٢):

حدثنا محمد بن المثنى ومحمد بن بشار قالا: حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن أبي مسلمة قال: سمعت أبا نضرة يحدث عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: «**إن الدنيا حلوة خضرة، وإن الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا**[١] **واتقوا النساء فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء**».

صحيح

وعزاه المزي للنسائي.

* * *

● تنبيه: قال الشيخ أحمد شاكر رحمه الله «عمدة التفسير»: حاشية (ص١٣٦ جـ ١) (وقد دأب الكُتَّابُ والأدباءُ في عصرنا هذا على فرية أن آدم عليه السلام خدعته حواءُ حتى أكلَ من الشجرة!! يصطنعون قول الكاذبين المفترين من أهل الكتاب، بما حرّفوا وكذبوا بما اجترؤوا واجترأت الصحفُ الماجنة والمجلات الداعرةُ على السخرية بآدم وحواء، وتصويرهما في صور قبيحة منكرة، جرأةً منهم على الدِّين واستهزاءً بأول النبيين، وما كان لمسلم أن يفعل هذا أو يقوله ـ أعاذنا الله مما يقولون ويصنعون).

(١) قال النووي رحمه الله (٥/ ٥٨٢) «شرح مسلم»: (ومعناه: تجنَّبوا الافتتان بها وبالنساء، وتدخل في النساء الزوجاتُ وغيرُهن، وأكثرُهن فتنةً: الزوجاتُ، ودوام فتنتهن وابتلاء أكثر الناس بهن.

ومعنى «الدنيا خضرة حلوة» يحتمل أن المراد به شيئان:

أحدهما: حُسنها للنفوس ونضارتها ولذتها كالفاكهة الخضراء الحلوة؛ فإن النفوس تطلبها طلبًا حثيثًا، فكذا الدنيا.

والثاني: سُرعة فنائها كالشيء الأخضر في هذين الوصفين.

ومعنى: «مستخلفكم فيها»: جاعلكم خلفاء من القرون الذين قبلكم، فننظر هل تعملون بطاعته أم بمعصيته وشهواتكم؟).

ومن فِتن نساء بني إسرائيل

قال الإمام أحمد رحمه الله (٣/ ٤٦):

حدثنا عبد الصمد المستمر بن الريان الأيادي، ثنا أبو نضرة العبدي، عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ ذكر الدنيا فقال: «**إن الدنيا خضرة حلوة؛ فاتقوها واتقوا النساء**» ثم ذكر نسوة ثلاثًا من بني إسرائيل؛ امرأتين طويلتين تعرفان، وامرأة قصيرة لا تعرف فاتخذت رِجلين من خشب وصاغت خاتمًا فحشتْه من أطيبِ الطيبِ؛ المسك، وجعلت له غلقًا، فإذا مرت بالملإ أو بالمجلس قالت به فنفخته ففاحَ ريحُه.

قال المستمر بخنصره اليسرىٰ فأشخصها دون أصابعه الثلاثة شيئًا وقبض الثلاثةَ».

صحيح

وأخرجه مسلم ببعض الاختصار (٢٢٥٢)، والنسائي (٨/ ١٥١).

قال الإمام البخاري رحمه الله (٣٤٣٦):

حدثنا مسلم بن إبراهيم، حدثنا جرير بن حازم، عن محمد بن سيرين، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**لم يتكلم في المهدِ إلا ثلاثة: عيسى، وكان في بني إسرائيل رجل يقال له: جُريج، كان يُصلي فجاءته أُمُّه فدعته، فقال: أُجيبها أو أُصلي. فقالت: اللهم لا تُمتْه حتى تُرِيَه وجوهَ المُومسَات**[١] . وكان **جُريج في صومعته، فتعرضت له امرأة**[٢] وكلمته فَأَبى، فأتتْ راعيًا فأمكنته

---

(١) وهُن الزواني البغايا المتجاهرات بذلك.

(٢) في رواية البخاري (٢٤٨٢): «فقالت امرأة: لأفتننَّ جُريجًا...».

مِن نَفْسها، فولدتْ غلامًا فقالتْ: مِنْ جُرِيجٍ، فأتوه فكسروا صومعتَه وأنزلوه وسبُّوه، فتوضأ وصلَّى، ثم أتى الغلامَ فقال: مَن أبوك يا غلام؟ قال الراعي. قالوا: نَبني صومعَتك من ذهب؟ قال: لا، إلاَّ من طين[1] . وكانت امرأة تُرضع ابنًا لها من بني إسرائيل، فمرَّ رجلٌ راكبٌ، ذو شَارة، فقالت: اللهم اجعل ابني مثله. فترك ثَديها وأقبلَ على الراكب فقال: اللهم لا تَجعلني مثله. ثم أقبل على ثَديها يَمُصُّه. قال أبو هريرة: كأنِّي أنظر إلى النبي ﷺ يمسُّ إصبعه، ثم مرَّ بأَمَة فقالت: اللهم لا تجعل ابني مثل هذه. فترك ثديها فقال: اللهم اجعلني مثلها. فقالت: لِمَ ذاك؟ فقال: الراكبُ جبَّارٌ منَ الجَبَابرة، وهذه الأمَةُ يقولون: «سَرَقَت، زَنَيَت» ولم تفعل».

صحيح

وأخرجه مسلم (ص١٩٧٦ ـ ١٩٧٧).

* * *

= وفي رواية مسلم: «وكانت امرأةٌ بغيٌّ يتمثل بُحسنها، فقالت: إن شئتم لأفتننه لكم. فتعرضت له فلم يلتفت إليها، فأتت راعيًا كان يأوي إلى صومعته فأمكنته من نفسها، فوقع عليها فحملت، فلمَّا ولدت قالت: هو من جريج. . .».

(١) قال الحافظ ابن حجر «فتح الباري (٦/ ٤٨٣): (فيه: أن صاحب الصِّدق مع الله لا تضره الفتنُ».

التحذير من الخلوة بالنساء[١]

قال الإمام أحمد رحمه الله (١/ ٢٦):

حدثنا جرير، عن عبد الملك بن عُمير، عن جابر بن سمرة، قال: خطب عمر الناسَ بالجابيةِ فقال: إن رسول الله ﷺ قَامَ في مِثْلِ مَقَامي هذا فقال: «**أَحْسنوا إلى أصحابي ثُم الذين يلونهم ثُم الذين يلونهم، ثم يجئ قومٌ يحلفُ أحدُهم على اليمين قَبل أن يُستخلفَ عليها، ويشهدُ على الشهادة قبل أن يُستشهدَ، فمن أحبَّ منكم أن يَنال بُحبوحة الجنة فليلزمِ الجماعةَ؛ فإنَّ الشيطان مع الواحد، وهو من الاثنين أبعدُ، ولا يخلونَّ رجلٌ بامرأة، فإن ثالثهما الشيطانَ، ومن كان منكم تَسرُّه حسنتُه وتسوءه سَيئتهُ فهو مُؤمنٌ**».

صحيح لشواهده[٢]

وعزاه المزي للنسائي.

---

(١) ولهذا الباب مزيد بسط في كتابنا: «جامع أحكام النساء» (قسم الأدب)، وإنما أوردنا هذا القدر فقط لأن في هذا الحديث فقرات تتعلق ببعض ما بين يدي الساعة، ثم رأينا أنه من اللائق إثباته هنا. وبالله التوفيق.

ومن الواضح هنا: أن المراد بالنساء: غير المحارم.

(٢) وقد أخرجه عبد بن حميد في «المنتخب» بتحقيقي (رقم٢٣) من طريق: عبد الملك بن عمير عن عبد الله بن الزبير أن عمر قام... فذكَر نحوه.

وللحديث شاهدٌ من طريق: محمد بن سوقة، عن عبد الله بن دينار، عن ابن عُمر، عن عُمر - به.

أخرجه أحمد (١/ ١٨)، والترمذي (٢١٦٨)، ولمزيدٍ؛ انظر: «المنتخب من مسند عبد بن حميد» (بتحقيقي حديث رقم٢٣).

● هذا وقد أورد الدارقطني رحمه الله هذا الحديث في كتاب «العلل» (٢/ ١٢٢) فقال: يرويه عبْد الملك بن عمير، واختلف عنه في إسناده فقيل عنه: فيه عدة أقاويل.

الفتنة بالولد

• وقول الله عز وجل: ﴿أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾

قال أبو داود رحمه الله (١١٠٩):

حدثنا محمد بن العلاء، أن زيد بن حباب[١]، حدثهم: حدثنا حسين بن

= ورواه جرير بن حازم ومحمد بن شبيب الزهراني، وقرة بن خالد وجرير بن عبد الحميد، وقيل: عن شعبة بن الحجاج، فقالوا: عن عبد الملك بن عمير، عن جابر بن سَمُرة، عن عُمر.
وخالفهم جماعةٌ ثقاتٌ منهم: عبدُ الله بن المختار، ويونس بن أبي إسحاق، وابنه إسرائيل، ومعمرٌ، وعبدُ الحكيم بن منصور، وحبان ومندلُ ابنا عليٍّ، وسفيانُ الثوري، وقيل: عن شعبة، والمسعودي، وداود بن الزبرقان، والحسين بن واقد ـ والحصين بن واقد: شيخ روى عنه: أبو بكر بن عياش ـ، وقزعة بن سويدٍ وأبو عوانة، فرووه عن عبد الملك بن عُمير، عن عبد الله بن الزبير، عن عُمر.
ورواه شيبان بن عبد الرحمن وشعيب بن صفوان وزايدة وعبيد الله بن عُمر الرقي عن عبد الملك بن عمير، عن رجل لم يسم، عن عبد الله بن الزبير.
وقال عبد الحميد بن موسى: عن عبيد الله بن عمرو، عن عبد الملك بن عُمير، عن مجاهد، عن ابن الزبير، عن عُمر ـ ولم يصنع شيئًا.
وقال عمران ـ هو: أخو سفيان ابن عيينة ـ: عن عبد الملك، عن ربعي بن حراش، عن عمر.
وقال يحيى بن يعلى أو المحياه وزهير ومحمد بن ثابت: عن عبد الملك، عن قبيصة بن جابر، عن عمر.
وقال حماد بن سلمة والمسعودي وقيس من رواية محمد بن مصعب عنهم: عن عبد الملك، عن رجاء بن حيوة، عن عُمر.
وقال ابن عيينة: عن عبد الملك عن رجل لم يسمه عن عُمر.
ويشبه أن يكون الاضطراب في هذا الإسناد من «عبد الملك بن عمير»؛ لكثرة اختلاف الثقات عنه في الإسناد. والله أعلم.
قلت: وانظر «علل الدارقطني» أيضًا (٢/ ٦٥).

(١) وقد تُوبع زيد بن حباب كما عند الترمذي (٢٧٧٤) وغيره.

واقد، حدثني عبد الله بن بريدة، عن أبيه قال: خطبنا رسول الله ﷺ فأقبل الحسنُ والحسينُ رضي الله عنهما عليهما، قميصان أحمران يعثران ويقومان، فنزلَ فأخذَهما فصعد بهما المنبر، ثم قال: **«صَدَقَ الله: ﴿أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [الأنفال: ٢٨]؛ رأيتُ هذين فلَم أَصبرْ»**، ثم أخذ في الخُطبةِ.

صحيح

وأخرجه الترمذي (٣٧٧٤) وقال: هذا حديث حسن غريب، إنما نعرفه من حديث الحسين بن واقد. والنسائي (٣/ ١٠٨)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (١٢٢٣٧)، وابن ماجه (٣٦٠٠).

* * *

فتنة التصاوير

قال الإمام البخاري رحمه الله (٤٩٢٠):

حدثنا إبراهيم بن موسىٰ، أخبرنا هشام، عن ابن جريج، وقال عطاء: عن ابن عباس رضي الله عنهما: صارت الأوثان التي كانت في قوم نوحٍ في العرب بعدُ: أما «ودٌّ»: فكانت لكلب[1] بدومة الجندل، وأما «سواعٌ»: فكانت لهذيل[1]، وأما «يغوث»: فكانت لمرادٍ[1]، ثم لبني غُطيف بالجرف عند سبإ، وأما «يعوق»: فكانت لهمدان، وأما «نَسر»: فكانت لحمير[1] لآل ذي الكِلاع؛ أسماء رجالٍ صالحين من قوم نوح، فلمَّا هلكوا أوحىٰ الشيطان إلىٰ قومهم: أن انصبوا إلىٰ مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصابًا وسمُّوها بأسمائهم ففعلوا، فلم تُعبد حتىٰ إذا هَلَك أُولئك وتنسخ العلم عُبدت[2].

---

(١) هي أسماء قبائل من قبائل العرب.

(٢) هذا الأثر ممَّا انتقد علىٰ البخاريِّ، ووجه الانتقاد: أن عطاء هنا هو الخراساني، وليس ابن أبي رباح كما يظن الظانُّ، وذلك لأن ابن جريج قال: سألت عطاء عن التفسير من البقرة وآل عمران؟ فقال: اعفني من هذا.

ولما كان عطاء هنا هو الخراساني، وعطاء الخراسني لم يدرك ابن عباس كما قاله أبو داود، وأيضًا فقد تُكلم في سماع ابن جرير للتفسير من عطاء الخراساني، لهذا انتُقد هذا الأثرُ، ودافع الحافظُ ابنُ حجر بعض الدفاع عنه في «الفتح» وفي «هدي الساري» «مقدمة الفتح» (ص٣٧٦) وقال في خاتمة بحثه في «هدي الساري» (فهذا جواب إقناعي، وهذا عندي من المواضع العقيمة عن الجواب السديد، ولا بد للجواد من كبوة. والله المستعان).

وقال في «الفتح»: (قوله: «عن ابن عباس»: قيل: هذا منقطع؛ لأن عطاء المذكور هو الخراساني، ولم يلق ابنَ عباس، فقد أخرج ابنُ عباسٍ هذا الحديث في «تفسيره» عن ابن جريج فقال: أخبرني عطاء الخراساني عن ابن عباسٍ، وقال أبو مسعود: ثبت هذا الحديث في تفسير ابن جريج عن عطاء الخراساني عن ابن عباس، وابن جريج لم يسمع التفسير من عطاء الخراساني، وإنما أخذه من ابنه عثمان بن عطاء فَنَظَر فيه، وذكر صالحُ بن أحمد بن حنبل - في =

= «العلل» - عن علي بن المديني قال: سألت يحيى القطان عن حديث ابن جريج عن عطاءٍ الخراساني فقال: ضعيف، فقلت: إنه يقول: «أخبرنا»؟ قال: لا شيء، إنما هو كتابٌ دفعه إليه انتهى. وكان ابن جريج يستجيزُ إطلاق «أخبرنا» في المناولة والمكتابة، وقال الإسماعيلي: أُخبرت عن عليٍّ بن المديني أنه ذكر عن «تفسير ابن جريج» كلامًا معناه: أنه كان يقول: «عن عطاء الخراساني عن ابن عباس»، فطال على الورَّاق أن يكتب «الخراسانيُّ» في كل حديثٍ فتركه، فرواه من روى على أنه عطاء بن أبي رباح. انتهى.

وأشار بهذا إلى القصة التي ذكرها صالح بن أحمد عن علي بن المديني، ونبه عليها أبو علي الجياني في «تقييد المهمل»، قال ابن المديني: سمعت هشام بن يوسف يقول: قال لي ابن جريج: سألت عطاء عن التفسير من البقرة وآل عمران؟ ثم قال: اعفني من هذا. قال: قال هشام: فكان بعد إذا قال: «قال عطاء عن ابن عباس» قال: عطاء الخراساني. قال هشام: فكتبنا ثم مَلَلنا - يعني: كتبنا «الخراسانيَّ».

قال ابن المديني: وإنما بينتُ هذا لأن محمد بن ثور كان يجعلها - يعني: في روايته عن ابن جريج -: «عن عطاء عن ابن عباس» فيُظَنُّ أن «عطاء بن أبي رباح»، وقد أخرج الفاكهي الحديث المذكور من طريق محمد بن ثور، عن ابن جريج، عن عطاء، عن ابن عباس. ولم يقل: «الخراساني».

وأخرجه عبد الرزاق كما تقدَّم فقال: «الخراساني» وهذا مما استُعظم على البخاري أن يخفى عليه، لكن الذي قوّى عندي أن هذا الحديث بخصوصه عند ابن جريج عن عطاءٍ الخراساني وعن عطاءِ بن أبي رباح جميعًا، ولا يلزم من امتناع عطاء بن أبي رباح من التحديث بالتفسير أن لا يحدث بهذا الحديث في بابٍ آخر من الأبواب أو في المذاكرة، وإلاَّ فكيف يخفى على البخاريِّ ذلك مع تشدّده في شرط الاتصالِ واعتماده غالبًا في العلل على علي بن المديني شيخه، وهو الذي نبه على هذه القصة، ومما يؤيِّد ذلك: أنه لم يكثر من تخريج هذه النسخة، وإنما ذكر بهذا الإسناد موضعين: هذا، وآخر في النكاح، ولو كان خفي عليه لاستكثر من إخراجها؛ لأنَّ ظاهرها أنها على شرطه.

وقد ورد في هذا الباب بعض الآثار:

● منها: ما أخرجه ابن جرير الطبري (٢٩/ ٦٢) فقال: حدثنا ابن حميد، قال: ثنا مهران، عن سفيان، عن موسى، عن محمد بن قيس: «﴿ويعوق ونسرا﴾ [نوح: ٢٣]: قال: كانوا قومًا صالحين من بني آدم، وكان لهم أتباعٌ يقتدون بهم، فلما ماتوا قال أصحابهم الذين كانوا يقتدون =

. . . .

بهم: لو صوَّرناهم كان أشوق لنا إلى العبادة إذا ذكرناهم. فصوَّروهم، فلما ماتوا وجاء آخرون دبَّ إليهم إبليس فقال: إنما كانوا يعبدونهم وبهم يُسقَوْن المطر فعبدوهم».

وهذا الأثر إسناده ضعيف، ففيه «ابن حميد»، وهو: محمد بن حميد الرزاي، وهو ضعيف.

● وقال ابن كثير رحمه الله («التفسير ٤/ ٤٢٦»): وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أحمد بن منصور، حدثنا الحسن بن موسى، حدثنا يعقوب، عن أبي المطهر قال: ذكروا عند أبي جعفر - وهو قائمٌ يصلي - يزيد بن المهلب، قال: فلما انفتل من صلاته قال: ذكرتم يزيد بن المهلب؛ أما إنه قتل في أول أرضٍ عُبد فيها غير الله. قال: ثم ذكروا رجلاً مسلمًا وكان محببًا في قومه، فلمَّا مات اعتكفوا حول قبره في أرضٍ، بل(●) وجزعوا عليه، فلمَّا رأى إبليس جزعهم عليه تشبَّه في صورة إنسانٍ ثم قال: إني أرى جزعكم على هذا الرجل، فهل لكم أن أصور لكم مثله فيكون في ناديكم فتذكرونه؟ قالوا: نعم. فصوَّر لهم مثله. قال: ووضعوه في ناديهم، وجعلوا يذكرونه، فلما رأى ما بهم من ذكره قال: هل لكم أن أجعل في منزل كل رجل منكم تمثالاً مثله فيكون له في بيته فتذكرونه؟ قالوا: نعم. فمثَّل لكل أهل بيت تمثالاً مِثله، فأقبلوا فجعلوا يذكرونه به، قال: وأدرك أبناؤهم فجعلوا يرون ما يصنعون به. قال: وتناسلوا ودرس أمر ذكرهم إياه، حتى اتخذه إلهًا يعبدونه من دون الله أولادُ أولادِهم، فكان أول ما عبد من دون الله «ودّ» الصنم الذي سمُّوه: «ودًّا»».

قلت: وفي صحة هذا الأثر نظر، فأبو المطهر لا أعرفه، وأيضًا فبين أبي جعفر وهذه القصة مفاوزُ في غاية البُعد، والله أعلم.

● وقال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (٨/ ٦٦٩): (وأخرج الفاكهي من طريق: عبيد الله ابن عبيد بن عمير قال: أول ما حدثت الأصنام على عهد نوح، وكانت الأبناء تبرُّ الآباء، فمات رجلٌ منهم، فجُزع عليه، فجعل لا يصبر عنه، فاتخذ مثالاً على صورته، فكلما اشتاق إليه نظَره، ثم مات ففعل به كما فعل، حتى تتابعوا على ذلك، فمات الآباء فقال الأبناء: ما اتخذ آباؤنا هذه إلا أنها كانت آلهتهم فعبدوها).

قلت: وبين عبيد الله وهذه القصة بونٌ شاسعٌ.

هذا، وإن كانت هذه الآثار فيها ما قد رأيتَ، إلا أن فتنة الصور قد عَمَّت وطَغَتْ، فأصبح كثيرٌ مِن الرجال يقتني صورة محبوبته ومعشوقته، وينظر إلى صور الكاسيات العارياتِ الفاضحةِ،

(●) الذي يبدو أن الصواب بابل والله أعلم.

. . . .

= بل ويحتفظ بها في جيبه وتحت وسادته، وكذلك كثير من النسوة يحتفظن بصور محبوبهن ومعشوقهن ويتغزلن فيه ويتأمَّلن، وكذلك إذا رأين فتيًا من الرجال بادرن إلىٰ شراء صورته وحفظها واقتنائها، وآل الحال بهؤلاء وأولئك إلىٰ الإمعان في الصور والنظر إليها أكثر من الإمعان في كتاب الله وتدبر آياته، واستحوذت تلكم التصاوير علىٰ أسماعهم وأبصارهم وأفئدتهم أكثر مما ناله كتاب الله من قلوبهم.

وأصبح كثير من أهل بلادنا وأصحاب زماننا في حالة من قلة الحياء يرثىٰ لها، فإذا تزوج أحدهم أخذ زوجته وانطلق بها إلىٰ المصور لكي يصورها، وهي آخذة زينتها لأسعد يوم في حياتها - بزعمها - فيلتقط لها المصور ولزوجها صورة وهي في غاية من التبرج المُزري، وتوضع هذه الصورة ذات الحجم الكبير وقد أصبغت عليها من الألوان ما قد أصبغ حتىٰ تزداد جمالاً إلىٰ جمالها، توضع هذه الصورة - صورة الزوجة وزوجه - في غرفة الضيافة كي يراهما كل زائر، وكأن لسان حال الزوجين يقول للزائرين: «انظروا إلىٰ هذا الجمال وشاهدوا».

فإنا لله وإنا إليه راجعون، فقد أصبح وقوفُ أحدهم أمام صورة معشوقته ومحبوبته أحب إليه من الوقوف في الصلاة بين يدي ربه الخالق البارئ المصور.

وكم حدثت بين الناس من مشاحنات بسبب تلك الصور، فتعطي المخطوبة لخطيبها صورةً لها ثم تتفكك الخطبةُ، ويصير دائمًا مهدّدًا لها، خاصة إذا صورها علىٰ حالة تكرهها.

● وكما قال ابن القيم رحمه الله («إغاثة اللهفان» ص ٥٠٦): (وكم وقع بين الناس بسبب عشق الصور - من العداوة والبغضاء وزوال الألفة والمحبة وانقلابها عداوة).

● وقال رحمه الله (ص٦٢٢): في ذكره تلاعب الشيطان بالنصارىٰ: (وتلاعب بهم في تصوير الصور في الكنائس وعبادتها، فلا تجد كنيسةً من كنائسهم تخلوعن صورة مريم والمسيح وجرجس وبطرس وغيرهم من القدّيسين عندهم والشهداء، وأكثرهم يسجدون للصور ويدعونها من دون الله تعالىٰ، حتىٰ لقد كتب بطريقُ الأسكندرية إلىٰ ملك الروم كتابًا يحتج فيه للسجود للصور بأن الله تعالىٰ أمر موسىٰ عليه السلام أن يصوِّر في قبة الزمان صور الساروس، وبأن سليمان بن داود لَمّا عمل الهيكل عمل صورة الساروس من ذهب ونصبها داخل الهيكل).

ثم قال في كتابه: (وإنما مثال هذا مثال الملك يكتب إلىٰ بعض عماله كتابًا فيأخذه العامل ويُقبله ويضعه علىٰ عينيه ويقوم له، لا تعظيمًا للقرطاس والمداد بل تعظيمًا للملك، كذلك السجود للصور تعظيمٌ لاسم ذلك المصور، لا للأصباغ والألوان).

وبهذا المثال بعينه عُبدتِ الأصنامُ.

. . . .

وما ذكره هذا المشرك عن موسىٰ وسليمان عليهما السلام ـ لو صح ـ لم يكن فيه دليل علىٰ السجود للصور، وغايته أن يكون بمثابة ما يذكر عن داود: «أنه نقشَ خطيئته في كفِّه كيلا ينساها» فأين هذا مما يفعله هؤلاء المشركون من التذلل والخضوع والسجود بين يدي تلك الصور؟!

وإنما المثال المطابق لما يفعله هؤلاء المشركون: مثال خادم من خدام الملك دخل علىٰ رجلٍ، فوثب الرجل من مجلسه وسجد له وعبده، وفعل به ما لا يصلح أن يفعل إلا مع الملك، وكل عاقل يستجهله ويستحمقه في فعله، إذ قد فعل مع عبد الملك ما كان ينبغي أن يخص به الملك دون عبيده من الخضوع والإكرام والتذلل.

ومعلوم أن هذا إلىٰ مقت الملك له وسقوطه من عينه أقرب منه إلىٰ إكرامه له ورفع منزلته.

كذلك حال من سجد لمخلوق أو لصورة مخلوق لأنه عمد إلىٰ السجود الذي هو غاية ما يتوصل به العبد إلىٰ رضا الرب، ولا يصح إلا له، ففعله لصورة عبد من عبيده وسوىٰ بين الله وبين عبده في ذلك، وليس وراء هذا في القبح والظلم شيء ولهذا قال تعالىٰ: ﴿إن الشرك لظلم عظيم﴾.

قلتُ: ولهذا ولغيره جاء التحذير من رسول الله ﷺ عن التصويرواقتناء الصور وجاء أمر النبي ﷺ بطمسها، وجاء عنه عليه الصلاة والسلام الوعيد للمصورين، هتكها ﷺ وذكر أن الملائكة لا تدخل بيتًا فيه صورة، ونورد هنا إن شاء الله ـ علىٰ سبيل الإيجاز والاختصار السريع ـ بعض ما جاء عن رسول الله ﷺ في ذلك:

أخرج البخاري (٥٩٥٠) ومسلم (٢١٠٩) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «إن أشد الناس عذابًا عند الله يوم القيامة: المصورون».

وأخرج البخاري (٥٩٥١) ومسلم (٢١٠٨) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «إن الذين يصنعون هذه الصور يعذبون يوم القيامة يقال لهم: أحيوا ما خلقتم».

وأخرج البخاري (٥٩٤٩)، ومسلم (٢١٠٦) من حديث أبي طلحة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تدخل الملائكة بيتًا فيه كلب ولا صورة».

وأخرج البخاري (٥٩٦٣) ومسلم (٢١١٠) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من صور صورة في الدنيا كلف أن ينفخ فيها الروح يوم القيامة وليس بنافخ».

وأخرج البخاري (٥٩٦١) من حديث أبي جحيفة رضي الله عنه أن: «النبي ﷺ نهىٰ عن ثمن =

. . . .

الدم وثمن الكلب وكسب البغي»، «ولعن آكل الربا وموكله والواشمة والمستوشمة والمصور».

● وأخرج البخاري (٩٥٦١)، ومسلم (٢١٠٧) من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: اشتريتُ نمرقةً فيها تصاوير، فلما رآها رسول الله ﷺ قام على الباب فلم يدخل، فعرفتُ في وجهه الكراهية، قالت: يا رسول الله؛ أتوب إلى الله وإلى رسوله؛ ماذا أذنبتُ قال: «ما بال هذه النمرقة؟!» فقالت: اشتريتها لتقعد عليها وتوسّدها. فقال رسول الله ﷺ: «إن أصحاب هذه الصور يعذبون يوم القيامة، ويقال لهم: أحيوا ما خلقتم. وقال: إن البيت الذي فيه الصور لا تدخله الملائكة».

وفي رواية لمسلم (ص١٦٦٧) عن عائشة قالت: دخل عليَّ رسول الله ﷺ وأنا متسترة بقرام فيه صورة، فتلوَّن وجهه ثم تناول الستر فهتكه، ثم قال: «إن أشد الناس عذابًا يوم القيامة الذين يُشبهون بخلق الله».

● وأخرج البخاري (٥٩٥٣)، ومسلم (٢١١١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أنه دخل دارًا بالمدينة، فرأى في أعلاها مصورًا يصور، فقال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «قال الله عز وجل: ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي، فليخلقوا حَبَّةً، وليَخلقوا ذَرَّةً، وليَخلقوا شَعيرةً».

وفي لفظٍ لمسلم من حديث أبي هريرة مرفوعًا: «لا تدخلُ الملائكةُ بيتًا فيه تماثيل أو تصاوير».

● وأخرج البخاري (٥٩٥٢) من حديث عائشة قالت: «إن النبي ﷺ لم يكن يترك في بيته شيئًا فيه تصاليب إلا نقضه».

إلا أن هذا الأخير من طريق عمران بن حطان، وهو خارجيٌّ خبيثٌ.

● وأخرج البخاري (٩٥٦٠) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: «وعد جبريل النبي ﷺ، فراث عليه، حتى اشتد على النبي ﷺ، فخرج النبيُّ ﷺ فلقيه، فشكا إليه ما وجد، فقال له: إنا لا ندخل بيتًا فيه صورة ولا كلب».

● وأخرج مسلم (٢١٠٤) من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: «واعد رسولَ الله ﷺ جبريلُ عليه السلام في ساعة يأتيه فيها، فجاءت تلك الساعة ولم يأته، وفي يده عصا، فألقاها من يده وقال: «ما يخلف الله وعده ولا رسله»، ثم التفتَ فإذا جرو كلب تحت سريره، فقال: «يا عائشة؛ متى دخل هذا الكلب ههنا؟» فقالت: والله ما دريتُ. فأمر به فأُخرج، فجاء جبريل فقال رسول الله ﷺ: «واعدتني فجلستُ لك فلم تأتِ؟» فقال: منَعني الكلب الذي كان في بيتك؛ إنا لا ندخل بيتًا فيه كلب ولا صورة.

فتنة الأئمة المضلين

قال الترمذي رحمه الله (٢٢٢٩):

حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا حماد بن زيد، عن أيوب، عن أبي قلابة، عن أبي أسماء الرحبي، عن ثوبان قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنما أخاف على أُمتي الأئمة المضلين**» قال: وقال رسول الله ﷺ: «**لا تزال طائفة من أُمتي على الحقِّ ظاهرين، لا يَضرُّهم من يخذلهم حَتَّى يأتي أمرُ الله**».

صحيح

قال أبو عيسى: «وهذا حديث حسن صحيح». وتقدم تخريجه.

قال الإمام النسائي رحمه الله (٧/ ١٦٠):

أخبرنا هارون بن إسحاق، قال: حدثنا محمد - يعني: ابن عبد الوهاب -، قال: حدثنا مسعر، عن أبي حصين، عن الشعبي، عن عاصم العدوي، عن كعب بن عجرة، قال: خرج إلينا رسول الله ﷺ ونحن تسعة: خمسة وأربعة؛

= ● وأخرج مسلم (٢١٠٥) من حديث ميمونة رضي الله عنها قالت: أصبح رسول الله ﷺ يومًا واجمًا، فقالت ميمونة: يا رسول الله؛ لقد استنكرت هيئتك منذ اليوم؟ قال رسول الله ﷺ: «إن جبريل كان وعَدني أن يلقاني الليلة فلم يلقني، أما واللهِ ما أخلفني» قال: فظل رسول الله ● يومه ذلك على ذلك، ثم وقع في نفسه جروٌ كلب تحت فسطاط لنا، فأمر به فأُخرج، ثم أخذ بيده ماء فنضح مكانه، فلما أمسى لقيه جبريلٌ، فقال له: «قد كنت وعدتني أن تلقاني البارحة» قال: أجَلْ، ولكنَّا لا ندخلُ بيتًا في كلبٌ ولا صورةٌ.

● وأخرج مسلم (٩٦٩) من طريق أبي الهياج الأسدي قال: قال لي علي بن أبي طالب: «ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ؛ أن لا تدع تمثالاً إلا طمسته، ولا قبرًا مشرفًا إلا سوَّيته».

أحد العددين من العرب والآخر من العَجَم، فقال: «**اسمعوا، هل سمعتم أنه ستكون بعدي أُمراءُ**(١)**، من دخل عليهم**(٢) **فصدَّقهم بكذبهم وأعانهم على ظُلمهم فليس منِّي ولست منه، وليس يرد على الحوض، ومَن لم يدخل عليهم ولم يصدقهم بكذبهم ولم يُعنهم على ظُلمهم فهو منِّي وأنا منه، وسيرد على الحوضِ**».

صحيح(٣)

وأخرجه الترمذي (٢٢٥٩) وقال: هذا حديث صحيح غريب.

قال ابن حبان رحمه الله «موارد الظمآن» (١٥٥٨):

أخبرنا أحمد بن علي بن المثنى، حدثنا إسحاق بن إبراهيم المروزي، أنبأنا جرير بن عبد الحميد، عن رقبة بن مصقلة، عن جعفر بن إياس، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود، عن أبي سعيد وأبي هريرة قالا: قال رسول الله ﷺ: «**ليأتين عليكم أمراء يقربون شرار الناس ويؤخّرون الصلاة عن مواقيتها،**

---

(١) في رواية لأحمد (٤/ ٢٤٣): «يكذبون ويظلمون».

(٢) قال المباركفوري «تحفة الأحوذي» (٦/ ٥٣٧): «فمن دخل عليهم» أي: من العلماء وغيره، «وأعانهم على ظلمهم» أي: بالإفتاء ونحوه.

(٣) وللحديث شاهد عند أحمد (٣/ ٣٢١، ٣٩٩) من طريق: عبد الله بن عثمان بن خثيم، عن عبد الرحمن بن سابط، عن جابر بن عبد الله قال: حُدثنا أن رسول الله ﷺ قال: «يا كعب بن عجرة؛ أُعيذك بالله من إمارة السفهاء» قال: وما ذاك يا رسول الله؟ قال: «أمراء سيكونون من بعدي، من دخل عليهم فصدقهم بحديثهم وأعانهم على ظُلمهم فليسوا مِني، ولست منهم، ولم يردوا عليَّ الحوض، ومن لم يدخل عليهم ولم يصدقهم بحديثهم ولم يُعنهم على ظُلمهم، فأولئك مِنِّي، وأنا منهم، وأولئك يردون علي الحوض...» الحديث.
وفي إسناده «عبد الرحمن بن سابط»: لم يسمع من جابر.
إلا أنه يصلح شاهداً قويًا لحديث الباب، وحديث الباب صحيح لذاته. والله أعلم.

فَمَن أدرك ذلك منكم فلا يكونن عريفًا ولا شرطيًا ولا جابيًا ولا خَازنًا».

صحيح[1]

وأخرجه الحافظ أبو يعلى الموصلي في «مسنده» (٢/ ٣٦٢).

* * *

(١) وله شاهد أشار إليه الشيخ ناصر الألباني رحمه الله في «السلسلة الصحيحة» تحت رقم (٣٦٠) فراجعه إن شئتَ.

التحذير من زلة العالم

قال أبو داود رحمه الله (٤٦١١):

حدثنا يزيد بن خالد بن يزيد بن عبد الله بن موهب الهمداني، حدثنا الليث، عن عقيل، عن ابن شهاب: أن أبا إدريس الخولاني عائذَ الله، أخبره أن يزيد بن عميرة - وكان من أصحاب معاذ بن جبل -، أخبره قال: كان لا يجلس مجلسًا للذكر حين يجلس إلا قال: «الله حكمٌ قسطٌ، هلك المرتابون» فقال معاذ بن جبل يومًا: إن من ورائكم فتنًا يكثر فيها المال ويُفتح فيها القرآن[1]، حتى يأخذه المؤمنُ والمنافقُ والرجلُ والمرأةُ والصغيرُ والكبيرُ والعبدُ والحرُّ، فيوشك قائلٌ أن يقول: ما للناس لا يتَّبعون وقد قرأتُ القرآن؟ ما هم بمتبعي حتى أبتدع لهم غيره. فإياكم وما ابتدع، فإن ما ابتدع ضلالة، وأُحذركم زيغةَ الحكيم؛ فإن الشيطان قد يقول كلمة الضلالة على لسان الحكيم، وقد يقول المنافقُ كلمةَ الحق.

قال: قلت لمعاذ: ما يدريني - رحمك الله - أن الحكيم قد يقولُ كلمةَ الضلالة، وأن المنافق قد يقول كلمة الحقِّ؟ قال: بلى؛ اجتنب من كلام الحكيم المشتهرات[2] التي يقال لها: ما هذه؟ ولا يثنينك ذلك عنه؛ فإنه لعله أن يراجع[3]، وتَلَقَّ الحقَّ

(١) قال صاحب «عون المعبود» (١٢/ ٣٦٤): المعنى: أن في أيام هذه الفتن يشيع إقراء القرآن وقراءته ويروجُ تلاوته، بحيث يقرؤه المؤمنُ والمنافقُ والرجلُ والمرأةُ والكبيرُ والصغيرُ والعبدُ والحرُّ.

(٢) قال صاحب «العون»: أي: الكلمات المشتهرات بالبطلان (التي يقال لها: ما هذه؟) أي: يقول الناس إنكارًا في شأن تلك المشتهرات: «ما هذه؟» (ولا يثنينك) أي: لا يصرفنك عن الصراط المستقيم.

(٣) أي: لعله أن يرجع عن تلك المقولات.

إذا سمعته، فإن على الحقِّ نوراً[1].

موقوف صحيح

قال أبو داود: قال معمر: عن الزهري في هذا الحديث: «ولا ينئينك ذلك عنه مكان يثنينك»، وقال صالح بن كيسان عن الزهري في هذا: «المشبهات»: مكان «المشتهرات»، وقال: «لا يثنينك» كما قال عقيل، وقال ابن إسحاق عن الزهري قال: «بلى، ما تشابه عليك من قول الحكيم، حتى تقول: ما أراد بهذه الكلمة؟».

* * *

(١) «فإن على الحق نوراً» أي: فلا يخفى عليك كلمة الحق وإن سمعتها من المنافق لما عليها من النور والضياء، وكذلك كلمات الحكيم الباطلة لا تخفى عليك، لأن الناس إذ يسمعونها ينكرونها لما عليها من ظلام البدعة والبطلان ويقولون إنكاراً: «ما هذه؟!»، وتشتهر تلك الكلمات بين الناس بالبطلان، فعليك أن تجتنب من كلمات الحكيم المنكرة الباطلة، ولكن لا تترك صُحبة الحكيم؛ فإنه لعلّه يرجع عنها. «ولا يُنئينك» بضم الياء وسكون النون وكسر الهمزة: أي: لا يباعدنك».

فتنة السجون

قال الإمام البخاري رحمه الله (٦٩٩٢):

حدثنا عبد الله بن محمد بن أسماء، حدثنا جويرية، عن مالك، عن الزهري أن سعيد بن المسيب وأبا عبيدة أخبراه، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لو لَبِثتُ في السجن ما لبثَ يوسُفُ ثم أَتَاني الداعي لأجبتُه»**[١] .

صحيح

وأخرجه مسلم (١٥١)، والطبري في التفسير (١٢/ ١٣٩) وعزاه المزي للنسائي.

* * *

---

(١) أخرج ابن جرير الطبري في «التفسير» (١٢/ ١٣٩) من طريق عبد الرزاق - وكذا عزاه ابن كثير في «التفسير» (٢/ ٤٨١) والحافظ في «الفتح» (١٢/ ٣٨٢) إلى عبد الرزاق - قال: أخبرنا ابن عيينة، عن عمرو بن دينار، عن عكرمة قال: قال رسول الله ﷺ: «لقد عجبت من يوسف وصبره وكرمه - والله يغفر له - حين سئل عن البقرات العجاف والسمان ولو كنت مكانه ما أخبرتهم بشيءٍ حتى أشترط أن يخرجوني، ولقد عجبتُ من يوسف وصبره وكرمه - والله يغفر له - حين أتاه الرسول، ولو كنتُ مكانه لبادرتهم الباب، ولكنه أراد أن يكون له العذر». وإسناد هذا مرسل، وذكر الحافظ في «الفتح»: أن الطبري قد وصَله من طريق: إبراهيم بن يزيد الخوزي - بضم المعجمة والزاي - عن عمرو بن دينار بذكر ابن عباس فيه. فذكره.

قلتُ (القائل مصطفى): «إبراهيم بن يزيد الخوزي» قد أطبق أهل العلم على تضعيفه، وهو رجل متروك، فلا يعول على رواية الوصل، والمعول عليه هو الرواية المرسلة، والمرسل من قسم الضعيف كما هو معلوم، فأثرُ عكرمة لا يثبتُ.

أما بالنسبة لمعنى الحديث؛ فقد قال النووي رحمه الله «شرح مسلم» (١/ ٣٦٦): (وأما قوله =

ومن فتن إبليس وجنده(*)

قال الإمام مسلم رحمه الله (٢٨١٢):

حدثنا عثمان بن أبي شيبة وإسحاق بن إبراهيم - قال إسحاق: أخبرنا، وقال عثمان: حدثنا - جرير، عن الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**إن الشيطان قد أَيِسَ أن يعبده المصلُّون في جزيرة العرب، ولكن في التحريش بينهم**»(١).

صحيح

وأخرجه الترمذي (١٩٣٧) وقال: هذا حديث حسن.

= ﷺ: «ولو لبثتُ في السجن طول لبث يوسف لأجبتُ الداعي»: فهو ثناءٌ على يوسف عليه الصلاة والسلام وبيان لصبره وتأنِّيه، والمراد بالداعي: رسول الملك الذي أخبر الله سبحانه وتعالى أنه قال: ﴿ائتوني به فلما جاءه الرسول قال ارجع إلى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن﴾ [يوسف: ٥٠]، يخرج يوسف ﷺ مبادراً إلى الراحة ومفارقة السجن الطويل، بل تثبت وتوقر وراسل الملك في كشف أمره إلى الذي سُجن بسببه، ولتظهر براءتُه عند الملك وغيره، ويلقاه مع اعتقاده براءته مما نسب إليه، ولا خَجل من يوسف ولا غيره، فبيَّن نبيُّنا ﷺ فضيلة يوسف في هذا وقوة نفسه في الخير وكمال صبره وحُسن نظره، وقال النبي ﷺ عن نفسه ما قاله تواضعًا وإيثارًا للإبلاغ في بيان كمال فضيلة يوسف ﷺ، والله أعلم).

وقال الحافظ رحمه الله «فتح الباري» (٦/ ٤١٣): (قوله: «ولو لبثت في السجن طول ما لبث يوسف لأجبت الداعي» أي: لأسرعتُ الإجابة في الخروج من السجن ولما قدمتُ طلبَ البراءة. فوصفَهَ بشدة الصبر حيث لم يبادر الخروج، وإنما قاله ﷺ تواضعًا، والتواضع لا يحط مرتبة الكبير، بل يزيده رفعه وجلالاً، وقيل: هو من جنس قوله: «لا تفضلوني على يوسف»، وقد قيل: إنه قاله قبل أن يعلم أنه أفضل من الجميع).

(*) للاحتراز من مكايد الشيطان. راجع رسالتنا: «العواصم من الشيطان» - نشر دار الصحابة طنطا. مصر.

(١) أي: بالخصومات والشحناء والحروب والفتن.

قال الإمام البخاري رحمه الله (٣٢٧٦):

حدثنا يحيى بن بكير، حدثنا الليث، عن عقيل، عن ابن شهاب قال: أخبرني عروة بن الزبير، قال أبو هريرة رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: «**يأتي الشيطان أحدكم فيقول: مَن خلق كذا؟ مَن خلق كذا؟ حتى يقول: مَن خلق ربَّك؟ فإذا بلغه فليستعذْ بالله ولِيَنته**».

صحيح

وأخرجه مسلم (١٣٤)، وأبو داود (٤٧٢١)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٦٦٣).

قال الإمام مسلم رحمه الله (٢٨١٣):

حدثنا عثمان بن أبي شيبة وإسحاق بن إبراهيم (قال إسحاق: أخبرنا، وقال عثمان: حدثنا)، جرير، عن الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**إن عرش إبليس على البحر، فيبعث سراياه فيفتنون الناس، فأعظمُهم عنده أعظمُهم فتنةً**».

صحيح

حدثنا أبو كريب محمد بن العلاء وإسحاق بن إبراهيم (واللفظ لأبي كريب)، قالا: أخبرنا أبو معاوية، حدثنا الأعمش، عن أبي سفيان، عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن إبليس يضع عرشه على الماء ثم يبعث سراياه، فأدناهم منه منزلة أعظمُهم فتنة، يجيءُ أحدهم فيقول: فعلتُ كذا وكذا. فيقول: ما صنعتَ شيئًا. قال: ثم يجيءُ أحدهم فيقول: ما تركتُه حتى فرَّقتُ بينه وبين امرأته. قال: فيُدنيه منه ويقول: نَعَم؛ أنت**».

صحيح

قال الأعمش: أراه قال: «فيلتزمه».

قال الإمام مسلم رحمه الله (٢٨١٥):

حدثني هارون بن سعيد الأيلي، حدثنا ابن وهب، أخبرني أبو صخر، عن ابن قسيط حدثه، أن عروة حدثه، أن عائشة زوج النبي ﷺ حدثته: أن رسول الله ﷺ خرج من عندها ليلاً، قالت: فَغِرْتُ عليه، فجاء فرأى ما أصنعُ فقال: «**مالكِ؟ يا عائشة، أَغِرْتِ؟**» فقلتُ: وما لي لا يَغارُ مثلي على مثلك؟! فقال رسول الله ﷺ: «**أقد جاءكِ شيطانُكِ؟**» قالت: يا رسول الله، أو مَعِي شيطان؟ قال: «**نعم**». قلت: ومع كل إنسان يا رسول الله؟ قال: «**نَعم**». قلت: ومعك؟ يا رسول الله! قال: «**نَعم، ولكن ربي أعانني عليه حتى أسلم**».

صحيح

قال الإمام مسلم رحمه الله (٢٨١٤):

حدثنا عثمان بن أبي شيبة وإسحاق بن إبراهيم (قال إسحاق: أخبرنا، وقال عثمان: حدثنا)، جرير، عن منصور، عن سالم بن أبي الجعد، عن أبيه، عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما منكم من أحد إلاَّ وقد وُكِّل به قرينه من الجن**»[1]. قالوا: وإيَّاك يا رسول الله؟ قال: «**وإيايَ: إلا أن الله أعانني عليه فأسْلم**[2]، **فلا يأمرني إلا بخير**».

صحيح

* * *

(١) في رواية لمسلم: «وقد وُكِّل به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة».

(٢) قال النووي رحمه الله «شرح مسلم» (٥/ ٦٨٠): فأسلم برفع الميم وفتحها، وهما روايتان مشهورتان، فمن رفع قال: «معناه: أَسلمُ أنا من شره وفتنته». ومن فتح قال: «إن القرين أسلمَ من الإسلام وصار مؤمنًا، لا يأمرني إلا بخير»، واختلفوا في الأرجح منهما، فقال الخطابي: الصحيح المختار: الرفع، ورجح القاضي عياض الفتح، وهو المختار لقوله ﷺ: «فلا يأمرني إلا بخير»، واختلفوا على رواية «الفتح» قيل: «أسلم» بمعنى: استسلم وانقاد، وقد جاء هكذا- =

فتنة السحرة والكهنة

قال الإمام البخاري رحمه الله (٤٨٠٠):

حدثنا الحميدي، حدثنا سفيان، حدثنا عمرو قال: سمعتُ عكرمة يقول: سمعت أبا هريرة يقول: إن نبيَّ الله ﷺ قال: «**إذا قضى اللهُ الأمرَ في السماء ضربتِ الملائكةُ بأجنحتها خُضعانًا[1] لقوله، كأنه سلسلةٌ على صفوان[2]، فإذا فزع عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا للذي قال: الحق وهو العلي الكبير. فيسمعها مسترقُ السمع، ومسترقُ السمع هكذا بعضه فوق بعض** - ووصف سفيانُ بكفّه فحرفها وبدد بين أصابعه، **فيسمع الكلمة فيلقيها إلى من تحته، ثم يلقيها الآخر إلى من تحته، حتى يُلقيها الآخر إلى من تحتها، حتى يُلقيها على لسان الساحر أو الكاهن، فربما أدرك الشهابُ قبل أن يُلقيها، وربما ألقاها قبل أن يُدركه، فيكذب معها مائة كذبة، فيقال: أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا كذا؟! فيُصدَّق بتلك الكلمة التي سمع من السماء**».

صحيح

وأخرجه الترمذي مختصرًا (٣٢٢٣) وقال: «هذا حديث حسن صحيح»، وابن ماجه (١٩٤).

= في غير «صحيح مسلم» «(فاستسلم) وقيل: معناه: صار مسلمًا مؤمنًا، وهذا هو الظاهر.
قال القاضي: واعلم أن الأمة مُجتمعة على عصمة النبي ﷺ من الشيطان في جسمه وخاطره ولسانه، وفي هذا الحديث إشارةٌ إلى التحذير من فتنة القرين ووسوسته وإغوائه، فأعلمنا بأنه معنا لنتحرز منه بحسب الإمكان.

(١) أي: خاضعة، وهو من الخضوع.

(٢) «الصفوان» هو: الحجر الأملس، و«السلسلة» من الحديد.

قال الإمام مسلم رحمه الله (٢٢٢٨):

وحدثنا عبد بن حميد، أخبرنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر، عن الزهري، عن يحيى بن عروة بن الزبير، عن أبيه، عن عائشة قالت: قلتُ يا رسولَ الله: إن الكُهان كانوا يُحدثوننا بالشيء فنجدُه حقًا؟ قال: «**تلك الكلمة الحق يخطفها الجِني، فيقذفها في أُذن وليِّه ويزيد فيها مائة كذبة**».

صحيح

وأخرجه البخاري (٧٥٦١).

قال الإمام مسلم رحمه الله (٢٢٢٩):

حدثنا حسن بن علي الحلواني وعبد بن حميد (قال حسن: حدثنا يعقوب، وقال عبدٌ: حدثني يعقوب بن إبراهيم بن سعد)، حدثنا أبي، عن صالح، عن ابن شهاب، حدثني علي بن حسين: أن عبد الله بن عباس قال: أخبرني رجل من أصحاب النبي ﷺ من الأنصار: أنهم بينما هم جلوسٌ ليلةً مع رسولِ الله ﷺ رُمي بنجمٍ فاستنار، فقال لهم رسول الله ﷺ: «**ماذا كُنتم تقولون في الجاهلية إذا رُمي بمثل هذا؟**» قالوا: الله ورسوله أعلم؛ كنا نقول: وُلد الليلة رجلٌ عظيمٌ ومات رجلٌ عظيمٌ. فقال رسول الله ﷺ: «**فإنها لا يُرمى بها لموت أحد ولا لحياته، ولكن ربنا - تبارك وتعالى اسمه - إذا قضى أمرًا سبَّح حملةُ العرشِ، ثم سبح أهلُ السماء الذين يلونهم، حتى يبلغ التسبيحُ أهلَ هذه السماء الدنيا، ثم قال الذين يلونُ حملة العرش لحملة العرش: ماذا قال ربُّكم؟ فيخبرونهم ماذا قال: قال: فيستخبر بعضُ أهل السماوات بعضًا، حتى يبلغ الخبرُ هذه السماء الدنيا، فتخطف الجنُّ السمعَ فيقذفون إلى أوليائهم، ويرمون**

به، فما جاءوا به على وجهه فهو حقٌّ، ولكنهم يقرفون فيه ويزيدون».

وأخرجه الترمذي (٣٢٢٤) من حديث ابن عباس وقال: هذا حديث حسن صحيح.

* * *

فتنة الأهل والجار(*)

قال الإمام البخاري رحمه الله (٣٥٨٦):

حدثنا محمد بن بشار، حدثنا ابن أبي عدي، عن شعبة. وحدثنا بشر بن خالد، حدثنا محمد، عن شعبة، عن سليمان سمعت أبا وائل يحدِّث، عن حذيفة، أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: أيُّكم يحفظ قول رسول الله ﷺ في الفتنة؟ فقال: حذيفة: أنا أحفظُ كما قال. قال: هاتِ إنك لجريء، قال رسول الله ﷺ: «**فتنة**(١) **الرجل في أهله وماله وجاره تُكفِّرُها الصلاةُ والصدقةُ والأمرُ بالمعروف والنهيُ عن المنكر**». قال: ليست هذه، ولكن التي تموج كموج البحر. قال: يا أمير المؤمنين، لا بأس عليك منها، إن بينك وبينها بابًا مغلقًا. قال: يفتح الباب أو يُكسر؟ قال: لا، بل يكسر. قال: ذلك أحرىٰ أن لا يغلق. قلنا عَلِمَ البابَ؟ قال: نعم، كما أن دون غدٍ الليلة إني حدثته حديثًا ليس بالأغاليط فَهِبنا أن نسأله، وأَمرنا مسروقًا فسأَلهَ فقال: من البابُ؟ قال: عمر.

صحيح

وأخرجه مسلم (١٤٤)، والترمذي (٢٢٥٨) وقال: هذا حديث صحيح، وابن ماجه (٣٩٥٥).

وعزاه المزي للنسائي.

(*) تقدمت فتنةُ المال بتوسع.

(١) قال الحافظ في «الفتح» (٢/ ٨): (ومعنىٰ الفتنة في الأصل: الاختبار والامتحان، ثم استعملت في كل أمر يكشفه الامتحان عن سوء، وتطلق علىٰ الكفر والغلو في التأويل البعيد، وعلىٰ الفضيحة والبلية والعذاب والقتال والتحول من الحسن إلىٰ القبيح والميل إلي الشيء والإعجاب به، وتكون في الخير والشر؛ كقوله تعالىٰ ﴿ونبلوكم بالشر والخير فتنة﴾ [الأنبياء: ٣٥]). =

. . . .

= * قال الحافظ في «الفتح» (٦/ ٦٠٥): (قال بعض الشراح: يحتمل أن يكون كل واحدة من الصلاة وما معها مُكفِّرة للمذكورات كلها لا لكل واحدة منها، وأن يكون من باب اللف والنشر بأن الصلاة مثلاً مكفرة للفتنة في الأهل والصوم في الولد إلخ، والمراد «بالفتنة»: ما يعرض للإنسان مع ما ذكر من البشر، أو الالتهاء بهم، أو أن يأتي لأجلهم بما لا يحلّ له، أو يخل بما يجب عليه، واستشكل ابنُ أبي جمرة وقوعَ التكفير بالمذكورات للوقوع في المحرمات: والإخلال بالواجب؛ لأن الطاعات لا تسقط بذلك، فإن حمل على الوقوع في المكروه والإخلال بالمستحب لم يناسب إطلاق التكفير.

والجواب: التزام الأول وأن الممتنع من تكفير الحرام، والواجب ما كان كبيرة فهي التي فيها النزاع، وأما الصغائر فلا نزاع أنها تكفر لقوله تعالى: ﴿إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم﴾ الآية [النساء: ٣١].

وقال الزين بن المنير:

«الفتنة بالأهل» تقع بالميل إليهن أو عليهن في القسمة والإيثار حتى في أولادهن، ومن جهة التفريط في الحقوق الواجبة لهن.

و«بالمال»: يقع الاشتغال به عن العبادة أو بحبسه عن إخراج حق الله.

و«الفتة بالأولاد»: تقع بالميل الطبيعي إلى الولد وإيثاره على كل أحد.

و«الفتنة بالجار»: تقع بالحسد والمفاخرة والمزاحمة في الحقوق، وإهمال التعاهد.

ثم قال: وأسباب الفتنة بمن ذكر غير منحصرةٍ فيما ذكرتُ من الأمثلة).

قلتُ: وقد أورد الرازي في «التفسير الكبير» (٣/ ٢٤١) كلامًا نافعًا، مؤداه: أن الحسد يتسرب إلى الجيران (سواء في بيت أو عمل) أكثر مما يتسرب إلى غيرهم فقال رحمه الله: والمفاخرة مؤديةٌ إلى الحسد، فحيث لا مخالطة فليس هناك محاسدة، ولما لم توجد الرابطة بين شخصين في بلدين لا جرم لم يكن بينهما محاسدة، فلذلك ترى العالم يحسد العالم دون العابد، والعابد يحسد العابد دون العالم، والتاجر يحسد التاجر، بل الإسكاف يحسد الإسكاف ولا يحسد البزاز، ويحسد الرجل أخاه وابن عمه أكثر مما يحسد الأجانب، والمرأة تحسد ضرتها وسُرِّية زوجها أكثر مما تحسد أم الزوج وابنته، لأن مقصد البزاز غير مقصد الإسكاف، فلا يتزاحمون على المقاصد، ثم مزاحمة البزاز المجاور له أكثر من مزاحمة البعيد عنه إلى طرق السوق.

وبالجملة: فأصل الحسد: العداوة، وأصل العداوة: التزاحم على غرضٍ واحدٍ، والغرض =

فتنة الفرح

قال الإمام البخاري رحمه الله (حديث ٦٨٠):

حدثنا أبو اليمان قال: أخبرنا شعيب، عن الزهري، عن الزهري قال: أخبرني أنس بن مالك الأنصاري ـ وكان تبع النبيَّ ﷺ وخدمه وصحبه ـ: أن أبا بكر كان يصلي لهم في وجع النبي ﷺ الذي تُوفي فيه، حتى إذا كان يوم الإثنين وهم صُفوفٌ في الصلاة فكشفَ النبي ﷺ سترَ الحجْرةِ ينظر إلينا وهو قائم، كأن وجهه ورقة مصحف، ثم تبسم يضحكُ، فَهَممنَا أن نفتتنَ مِن الفرح برؤية النبي ﷺ، فنكص أبو بكر على عقبيه ليصلَ الصفَّ، وظنَّ أن النبي ﷺ خارجٌ إلى الصلاة، فأشار إلينا النبيُّ ﷺ: أن أتموا صلاتكم. وأرْخى السترَ، فتُوفي مِن يومه.

صحيح

= الواحد لا يجمع متباعدين، بل لا يجمع إلا متناسبين، فلذلك يكثر الحسد بينهم، نعم من اشتد حرصه على الجاه العريض والصيت في أطراف العالم فإنه يحسد كل من في العالم ممن يشاركه في الخصلة التي يتفاخر بها، إلى آخر ما قاله رحمه الله.

ثم قال الحافظ ابن حجر رحمه الله:

وأما تخصيص الصلاة وما ذكر معها بالتكفير دون سائر العبادات ففيه إشارة إلى تعظيم قدرها لا نفي أن غيرها من الحسنات ليس فيها صلاحية التكفير، ثم إن التكفير المذكور يحتمل أن يقع بنفس فعل الحسنات المذكورة، ويحتمل أن يقع بالموازنة والأول أظهر والله أعلم.

وقال ابن أبي جمرة: خص «الرجل» بالذكر لأنه في الغالب صاحب الحكم في داره وأهله وإلا فالنساء شقائق الرجال في الحكم. ثم أشار إلى أن التكفير لا يختص بالأربع المذكورات، بل نبه بها على ما عداها، والضابط: أن كل ما يشغل صاحبه عن الله فهو فتنة له، وكذلك المكفّرات لا تختص بما ذكر بل نبه به على ما عداها، فذكر من عبادة الأفعال الصلاة والصيام، ومن عبادة المال الصدقة، ومن عبادة الأقوال الأمر بالمعروف).

تحذير الإمام من فتنة المصلين

قال الإمام البخاري رحمه الله (٧٠١):

وحدثني محمد بن بشار، قال: حدثنا غندر، قال: حدثنا شعبة، عن عَمرو قال: سمعت جابر بن عبد الله قال: كان معاذ بن جبل يُصلي مع النبي ﷺ ثم يرجع فيؤم قومه، فصلى العشاء، فقرأ بالبقرة، فانصرف الرجلُ، فكأن معاذًا تناول منه، فبلغ النبيَّ ﷺ فقال: «**فتانٌ فتانٌ فتانٌ**» (ثلاثَ مِرارٍ) أو قال: «**فاتنًا فاتنًا فاتنًا**» وأمره بسُورتين مِن أوسط المُفصَّل. قال عمرو: لا أحفظهما(١).

صحيح

وأخرجه مسلم (٤٦٥)، وأبو داود (٧٩٠).

---

(١) في رواية لمسلم (ص٣٤٠) من طريق: الليث عن أبي الزبير عن جابر: «... إذا أممتَ الناس فاقرأ بالشمس وضحاها و﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾، واقرأ ﴿باسم ربك﴾ ﴿والليل إذا يغشى﴾».

قال الحافظ في «الفتح» (٢/ ١٩٥): ومعنى الفتنة ههنا: أن التطويل يكون سببًا لخروجهم من الصلاة وللتكرُّه للصلاة في الجماعة، وروي البيهقي في «الشعب» بإسنادٍ صحيح عن عمر قال: «لا تبغضوا إلى الله عباده، يكون أحدكم إمامًا فيطوّل على القوم الصلاة، حتى يبغض إليهم ما هم فيه».

وقال الداودي: يحتمل أن يريد بقوله: (فتان) أي: مُعذِّب؛ لأنه عذَّبهم بالتطويل، ومنه قوله تعالى: ﴿إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات﴾ [البروج: ١٠]، قيل: معناه عذبوهم.

هذا وفي رواية «أفتان أفتان أفتان» أي: أمنفرٌ وموقعٌ للناس في الفتنة؟ قال الطيبي: (كما نقل عنه العظيم أبادي في «عون المعبود» ٣/ ٥): استفهامٌ على سبيل التوبيخ، وتنبيهٌ على كراهة صُنعه لأدائه إلى مفارقة الرجل الجماعة فافتتن به.

وفي «شرح السنة»: الفتنة: صرف الناس عن دِينهم وحملهم على الضلالة، قال تعالى: ﴿ما أنتم عليه بفاتنين﴾ [الصافات: ١٦٢] أي: بمضلين.

قال الإمام البخاري رحمه الله (٧٠٢):

حدثنا أحمد بن يونس، قال: حدثنا زهير، قال: حدثنا إسماعيل، قال: سمعت قيسًا قال: أخبرني أبو مسعود أن رجلاً قال: واللهِ يا رسول الله؛ إني لأتأخَّر(١) عن صلاة الغداة من أجلِ فلانٍ ممَّا يطيل بنا، فما رأيتُ رسولَ الله ﷺ في موعظةٍ أشد غضبًا منه يومئذٍ، ثم قال: «**إن منكم مُنفِّرين، فأيكم ما صلَّى بالناس فليتجوَّز؛ فإن فيهم الضعيف والكبيرَ وذا الحاجة**».

صحيح

وأخرجه مسلم (٤٦٦)، وابن ماجه (٩٨٤)، وعزاه المزيُّ للنسائيِّ.

* * *

(١) أي: لا أحضرها مع الجماعة مِن أجل إطالة الإمام، فإن إطالة الإمام تشق علي فتحملني على التخلف عن الجماعة.

إبعاد ما يفتن المصلي

قال الإمام البخاري رحمه الله (٣٧٣):

حدثنا أحمد بن يونس، قال: حدثنا إبراهيم بن سعد، قال: حدثنا ابن شهاب، عن عروة، عن عائشة: «أن النبي ﷺ صلى في خميصة[١] لها أعلامٌ، فنظر إلى أعلامها نظرة، فلما انصرفَ قال: «**اذهبوا بخميصتي هذه إلى أبي جهمٍ وائتوني بأنبجانية**[٢] **أبي جهمٍ؛ فإنها ألهتني آنفًا عن صلاتي**»[٣].

صحيح

وأخرجه مسلم (٥٥٦)، وأبو داود (٤٠٥٢).

قال الإمام أحمد رحمه الله (٦/ ٢٤٨):

حدثنا عثمان بن عمر، ثنا يونس، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة أن رسول الله ﷺ كان يصلي على خُمرةٍ فقال: «**يا عائشة، ارفعي عنا حصيركِ هذا، فقد خشيتُ أن يكون يفتن الناسَ**».

صحيح

* * *

(١) قال الحافظ في «الفتح» (١/ ٤٨٣): «الخميصة - بفتح المعجمة وكسر الميم والصاد المهملة -: كساء مربع له علمان».

(٢) الأنبجانية: - بفتح الهمزة وسكون النون وكسر الموحدة وتخفيف الجيم وبعد النون ياء النسبة - كساء غليظ لا عَلَم له.

(٣) في رواية لمسلم (ص٣٩٢): «أن النبي ﷺ كانت له خميصة لها علم، فكان يتشاغل بها في الصلاة، فأعطاها أبا جهمٍ وأخذ كساءً له أنبجانيًا».

فتنة القبر

حديث أسماء رضي الله عنها

قال الإمام البخاري رحمه الله (١٣٧٣):

حدثني يحيى بن سليمان، حدثنا ابن وهب، قال: أخبرني يونس، عن ابن شهاب، أخبرني عروة بن الزبير، أنه سمع أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما تقول: قام رسول الله ﷺ خطيبًا، فذكَر فتنةَ القبر التي يُفتتن فيها المرء، فلمَّا ذكر ذلك ضجَّ المسلمون ضجةً.

صحيح

وأخرجه النسائي (٤/ ١٠٣).

قال الإمام البخاري رحمه الله (٨٦):

حدثنا موسى بن إسماعيل، قال: حدثنا وهيب، قال: حدثنا هشام، عن فاطمة، عن أسماء قالت: أتيت عائشة وهي تصلي فقلتُ: ما شأن الناس؟ فأشارت إلى السماء ـ فإذا الناس قيام ـ فقالت: سبحان الله. قلتُ: آية؟ فأشارت برأسها ـ أي: نَعم ـ فقمتُ حتى تجلاَّني الغشي، فجعلت أَصُبُّ على رأسي الماء، فحمد الله عز وجل النبيُّ ﷺ وأثنى عليه ثُم قال: **«ما من شيءٍ لم أكن رأيتُه في مقامي، حتَّى الجنة والنار، فأوحي إليَّ أنكم تُفتنون في قُبوركم مثلٌ أو قريبٌ»** لا أدري أي ذلك قالت أسماءُ؟ ـ **«من فتنة المسيح الدجال، يقال: ما علمك بهذا الرجل؟ فأمَّا المؤمن، أو: الموقن»** لا أدري بأيهما قالت أسماء ـ **«فيقول: هو محمد رسول الله، جاءنا بالبينات والهُدى، فأجَبنا واتبعْنا، هو: محمدٌ (ثلاثًا)**

فيقال: نَمْ صالحًا، قد علمنا إن كنتَ لموقنًا به، وأما المنافق، أو: المرتاب» لا أدري أيُّ ذلك قالت أسماء؟ - **«فيقول: لا أدري، سمعتُ الناس يقولون شيئًا فقُلتهُ»**.

صحيح

وأخرجه مسلم (٩٠٥).

قال الإمام أحمد رحمه الله (٦/ ٣٥٢):

حدثنا حجين بن المثنى، قال: ثنا عبد العزيز - يعني: ابن أبي سلمة الماجشون -، عن محمد - يعني: ابن المنكدر - قال: كانت أسماء تُحدّث عن النبيِّ ﷺ قالت: قال: **«إذا دخل الإنسان قَبره فإن كان مؤمنًا أحفَّ به عملُه: الصلاةُ والصيامُ، قال: فيأتيه المَلَكُ من نحو الصلاة فَتردّه، ومن نحو الصيام فَيُردَّه. قال: فيناديه: اجْلسْ. قال: فيجلس فيقول له: ماذا تقول في هذا الرجل - يعني: النبي ﷺ؟ قال: مَن؟ قال: محمد، قال: أنا أشهد أنه رسول الله ﷺ. قال: يقول: وما يدريك؟ أدركتَه؟!! قال: أشهد أنه رسول الله. قال: يقول: على ذلك عشتَ وعليه متَّ وعليه تُبعثُ. قال: وإن كان فاجرًا أو كافرًا قال: جاء المَلَكُ وليس بينه وبينه شيء يردُّه، قال: فأجلسه. قال: يقول: اجلس؛ ماذا تقول في هذا الرجل؟ قال: أيّ رجلٍ قال: محمد. قال: يقول: والله ما أدري، سمعتُ الناس يقولون شيئًا فقَلتُه. قال: فيقول له المَلَكُ: على ذلك عشتَ وعليه متَّ عليه تُبعثُ قال: وتسلَّط عليه دابةٌ في قَبره معها سوطٌ، ثمرته جمرة مثل غرب البعير، تضربه ما شاء الله؛ صماء لا تسمع صوته فترحمه»**.

صحيح

* * *

حديث عائشة ﵂

قال الإمام البخاري رحمه الله (١٣٧٢):

حدثنا عبدان، أخبرني أبي، عن شعبة، سمعت الأشعث، عن أبيه، عن مسروق، عن عائشة رضي الله عنها «أن يهودية دخلت عليها فذكرت عذابَ القبرِ فقالت لها: أعاذكِ الله من عذاب القبر. فسألت عائشة رسول الله ﷺ عن عذاب القبر؟ فقال: «**نَعم، عَذابُ القبر**» قالت عائشة رضي الله عنها: ما رأيتُ رسول الله ﷺ بعدُ صلَّى إلا تعوَّذ من عذاب القبر».

زاد غندر: «**عذابُ القبرِ حقٌّ**».

صحيح

وأخرجه مسلم (٥٨٦)، والنسائي (٣/ ٥٦).

قال الإمام مسلم رحمه الله (٥٨٤):

حدثنا هارون بن سعيد وحرملة بن يحيى (قال هارون: حدثنا. وقال حرملة: أخبرنا ابن وهب)، أخبرني يونس بن يزيد، عن ابن شهاب، قال: حدثني عروة بن الزبير أن عائشة قالت: دخل عليَّ رسول الله ﷺ وعندي امرأةٌ من اليهود وهي تقول: «**هل شعرت أنكم تُفتنون في القبور؟**» قالت: فارتاع رسولُ الله ﷺ وقال: «**إنَّما تُفتن يَهودُ**»[(١)] قالت عائشة: فلبثنا ليالي ثم قال رسول الله ﷺ: «**هل شعرت أنه أُوحى إليَّ: أنَّكم تفتنون في القبور؟**» قالت: فسمعتُ رسولَ الله ﷺ بَعدُ يَستعيذُ مِن عَذابِ القبر.

صحيح

وأخرجه النسائي (٤/ ١٠٤).

---

(١) الجمع بين هذه الرواية والرواية السابقة قال النووي بشأنه: هذا محمولٌ على أنهما =

قال الإمام أحمد رحمه الله (٦/ ١٣٩ ـ ١٤٠):

حدثنا يزيد بن هارون، قال: أنا ابن أبي ذئب، عن محمد بن عمرو بن عطاء، عن ذكوان، عن عائشة قالت: جاءت يهوديةٌ فاستطعمت على بابي فقالت: أطعموني أعاذكم الله من فتنة الدجال ومن فتنة عذاب القبر قالت: فلم أزل أحبسها حتى جاء رسول الله ﷺ، فقلت: يا رسول الله؛ ما تقول هذه اليهودية؟!! قال: «**وما تقول؟**» قلت: تقول: «أعاذكم الله من فتنة الدجال ومن فتنة عذاب القبر»؟ قالت عائشة: فقام رسول الله ﷺ فرفع يديه مدًا يستعيذ بالله من فتنة الدجال ومن فتنة عذاب القبر، ثم قال: «**أما فتنة الدجال: فإنه لم يكن نبيٌّ إلاَّ قد حذَّر أُمته، وسأُحذّركمُوه تحذيرًا لم يحذر نبيٌّ أُمَّتَهُ: إنه أعور؛ والله عز وجل ليس بأعور، مكتوب بين عينيه: «كافر»، يقرؤه كل مؤمن.**

فأما فتنة القبر: فَبِي تفتنون وعنّي تسألون.

فإذا كان الرجل الصالح: أُجلس في قبره، غير فزع ولا مشعوف، ثم يقال له: فيم كنتَ؟ فيقول: في الإسلام. فيقال: ما هذا الرجل الذي كان فيكم، فيقول: محمد رسول الله ﷺ، جاءنا بالبينات من عند الله عز وجل فصدقناه فيفرج له فرجة قبل النار فينظر إليها يحطم بعضها بعضًا. فيقال له: انظر إلى ما وقاك الله عز وجل، ثم يفرج له فرجة إلى الجنة فينظر إلى زهرتها وما فيها، فيقال له: هذا مقعدك منها. ويقال: على اليقين كنتَ، وعليه متَّ، وعليه تبعث

= قضيتان، فجرت القضيةُ الأولى، ثم أُعلم النبي ﷺ بذلك، ثم جاءتِ العجوزان بعد ليالٍ، فكذَّبتهما عائشةُ رضي الله عنها ولم تكن علمت نزولَ الوحي بإثبات عذاب القبر، فدخل عليها النبيُّ ﷺ فأخبرته بقول العجوزين فقال: صَدَقَتَا. وأعلم عائشة رضي الله عنها بأنه قد كان نزل الوحي بإثباتِهِ.

إن شاء الله.

وإذا كان الرجل السوء: أُجلس في قبره فزعًا مَشعوفًا، فيقال له: فيم كنت؟ فيقول: لا أدري. فيقال: ما هذا الرجل الذي كان فيكم؟ فيقول: سمعتُ الناسَ يقولون قولاً فقلتُ كما قالوا، فتفرج له فُرجة قِبَل الجنة، فينظر إلى زهرتها وما فيها فيقال له: انظر إلى ما صرَف الله عز وجل عنكَ، ثم يفرج له فرُجة قِبَلَ النار، فينظر إليها يحطم بعضها بعضًا، ويقال له: هذا مقعدك منها، كنت على الشكِّ، وعليه مِتَّ، وعليه تُبعث ـ إن شاء الله ـ ، ثم يُعذَّب.

قال محمد بن عمرو: فحدثني سعيد بن يسار، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «**إن الميت تحضره الملائكة، فإذا كان الرجل الصالح قالوا: اخرُجي أيتها النفس الطيبة كانت في الجسد الطيب، واخرجي حميدةً، وأبشري برَوحٍ وريحانٍ وربٍّ غير غضبان، فلا يزال يقال لها ذلك حتى تخرج، ثم يعرج بها إلى السماء التي فيها الله عز وجل، فإذا كان الرجل السوء قالوا: اخرُجي أيتها النفس الخبيثة، كانت في الجسد الخبيث، ارجعي ذميمة؛ فإنه لا يفتح لك أبوابُ السماء، فترسل من السماء ثُم تصير إلى القبر فيجلسُ الرجلُ الصالحُ فيقال له ويرد**» مثل ما حديث عائشة سواء.

صحيح

* * *

حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه

قال الإمام مسلم رحمه الله (٢٨٦٧):

حدثنا يحيى بن أيوب وأبو بكر ابن أبي شيبة، جميعًا: عن ابن علية، قال ابن أيوب حدثنا ابن علية. قال: وأخبرنا سعيد الجريري، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد الخدري، عن زيد بن ثابت، قال أبو سعيد: ولم أشهده من النبي ﷺ ولكن حدثنيه زيد بن ثابت قال: بينما النبيُّ ﷺ في حائطٍ لبني النجار على بغلةٍ له، ونحن معه، إذ حادت به فكادت تُلقيه، وإذا أقبر ستة أو خمسة أو أربعة - (قال: كذا كان يقول الجرير)، فقال: «**من يعرف أصحاب هذه الأقبر؟**» فقال رجل: أنا. قال: «**فمتى مات هؤلاء؟**» قال: ماتوا في الإشراك. فقال: «**إن هذه الأمة تُبتلى في قُبورها، فلولا أن لا تدافنوا لدعوتُ الله أن يُسمعكم من عذاب القبر الذي أسمعه منه**». ثم أقبل علينا بوجهه، فقال: «**تعوَّذوا بالله من عذاب النار**»، قالوا: نعوذ بالله من عذاب النار. فقال: «**تعوَّذوا بالله من عذاب القبر**» قالوا: نعوذ بالله من عذاب القبر، قال: «**تعوَّذوا بالله من الفتنِ ما ظَهَر منها و مَا بَطَن**» قالوا: نعوذُ بالله من الفتن ما ظهر منها و ما بطن. قال: «**تَعوَّذوا باللهِ مِن فتنةِ الدجَّالِ**» قالوا: نعوذُ باللهِ من فتنة الدجال.

صحيح.

* * *

حديث أنس بن مالك رضي الله عنه

قال الإمام البخاري رحمه الله (١٣٧٤):

حدثنا عياش بن الوليد، حدثنا عبد الأعلى، حدثنا سعيد، عن قتادة، عن أنس بن مالك رضي الله عنه: أنه حدثهم أن رسول الله ﷺ قال: «**إن العبد إذا وُضع في قبره وتولَّى عنه أصحابُه ـ وإنه ليسمعُ قَرْعَ نَعالهم ـ أتاه مَلَكان فَيُقعدانه فَيَقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل؛ لمحمد ﷺ؟ فأما المؤمن فيقول: أشهد أنه عبده ورسوله. فيقال له: انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعدًا من الجنة فيراهما جميعًا** ـ قال قتادة: وذكرنا لأنه يفسح له في قبره. ثم رجع إلى حديث أنس قال: ـ «**وأما المنافق والكافر فيقال له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: لا أدري؛ كنتُ أقول ما يقول الناسُ. فيقال: لا دريت ولا تليت، ويُضرب بمَطَارقَ من حديدٍ ضَربةً، فيصيحُ صيحةً يَسمعها من يليه غيرِ الثقلَين**».

صحيح

وأخره مسلم (٢٨٧٠)، وأبو داود (٤٧٥١)، والنسائي (٤/ ٩٧).

* * *

حديث أبي هريرة رضي الله عنه

قال الترمذي رحمه الله (١٠٧١):

حدثنا أبو سلمة يحيىٰ بن خلف، حدثنا بشر بن المفضل، عن عبد الرحمن بن إسحاق، عن سعيد بن أبي سعيد المقبري، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«إذا قبر الميت ـ أو قال أحدكم ـ أتاه مَلَكان أسودان أَزْرقان، يقال لأحدهما: المنكر والآخر: النكير، فيقولان: ما كنتَ تقول في هذا الرجل؟ فيقول: ما كان يقول: هو عبد الله ورسوله، أشهد أن لا إله إلا الله، وأنَّ محمدًا عبده ورسوله. فيقولان: قد كُنا نعلم أنكَ تقول هذا. ثم يُفسح له في قَبره سَبعون ذراعًا في سَبعين، ثم يُنوَّر له فيه، ثم يقال له نَمْ. فيقول: أَرْجعُ إلى أهلي فأخبِرهم فَيْقولان: نَم كنَومةِ العُروس الذي لا يُوقظه إلا أحبُّ أهله إليه حَتَّى يبعثه الله من مَضجعه ذلك. وإن كان منافقًا قال: سمعتُ الناسَ يقولون فقلتُ مثله، لا أدري. فيقولان: قد كُنا نعلم أنكَ تقولُ ذلك. فيقال: للأرض: التئمي عليه فتلتئمُ عليه فتختلفُ فيها أضلاعُه فلا يزالُ فيها مُعذَّبًا حتى يَبعثه الله من مَضْجعه ذلك».**

حسن

وقال الترمذي: حديث حسن غريب.

وأخرجه أيضًا ابن أبي عاصم في «السنة» (٨٦٤)، وابن حبان «موارد الظمآن» (٧٨٠).

قال ابن حبان رحمه الله «موارد الظمآن» (٧٨١):

أخبرنا الحسن بن سفيان، حدثنا عبد الواحد بن غياث، حدثنا معتمر بن سليمان، قال: سمعت محمد بن عمرو، يحدث عن أبي سلمة، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «**إن الميتَ إذا وُضع في قبره إنه يَسمعُ خَفْقَ نعَالهم حين يُولُّون مُدْبرين فإن كان مُؤمنًا كانت الصلاةُ عند رأسه، وكان الصيام عن يَمينه، وكانت الزكاة عن شماله، وكان فعل الخيرات من الصدقة والصلاة والمعروف والإحسان إلى الناس عند رجليه، فيُؤتَى من قِبَل رأسه فتقول الصلاة: ما قِبَلي مَدْخلٌ، ثم يُؤتي من قِبَل يسَاره فتقول الزكاة: ما قبَلي مَدخلٌ، ثم يُؤتى من قِبَل رجليه فيقول فعْلُ الخيرات من الصدقة والصلاة والمعروف والإحسان إلى الناس: ما قِبلي مَدخلٌ، فيقول له: اجْلسْ. فيجلس قد مثلت له الشمس وقد آذنت للغروب. فيقال له: أرأيتك هذا الذي كان قبلكم ما تقول فيه؟ وما تشهد عليه؟ فيقول: دَعُوني حتى أُصلي؟ فيقولان: إنك ستفعلُ؛ أخبرنا عمَّا نسألك عنه؛ أرأيتَكَ هذا الرجل الذي كان قَبْلكم؛ ماذا تقول فيه؟ وماذا تشهد عليه؟ قال: فيقول: محمد؛ أشهد أنه رسول الله ﷺ، وإنه جاء بالحقّ من عند الله. فيقال له: على ذلك حييتَ وعلى ذلك متَّ وعلى ذلك تُبعثُ إن شاء الله. ثم يفتح له باب من أبواب الجنة. فيقال له: هذا مقعدك منها، وما أعدَّ الله لك فيه. فيزداد غبطةً وسرورًا.**

ثم يُفتح له بابٌ من أبواب النار؛ فيقال له: هذا مقعدك وما أعد الله لك فيها لو عصيته. فيزداد غبطة وسرورًا. ثم يُفسح له في قبره سبعون ذراعًا ويُنوَّر له فيه، ويعاد الجسد لما بدئ منه، فتجعل نسْمته في النسيم الطيب؛ وهي طير تَعلُقُ في شجر الجنة فذلك قوله: ﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي

﴿الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ﴾ الآية [إبراهيم: ٢٧]، وإن الكافر إذا أُتي من قِبَل رأسه لم يوجد شيء. ثم أتي عن يمينه فلا يوجد شيء. ثم أتى عن شماله فلا يوجد شيء، ثم أتى من قِبَل رِجْليه فلا يوجد شيء فيقال له: اجلسْ. فيجلس مرعوبًا خائفًا. فيقال: أرأيتك هذا الرجل الذي كان فيكم، ماذا تقول فيه؟ وماذا تشهد عليه؟ فيقول: أيُّ رجلٍ؟ ولا يهتدي لاسْمه. فيقال له: محمد. فيقول: لا أدري، سمعتُ الناس قالوا قولاً فقلت كما قال الناس. فيقال له: على ذلك حييتَ وعليه تُبعث إن شاء الله.

ثم يُفتح له باب من أبواب النار، فيقال له: هذا مقعدك من النار وما أعدَّ الله لك فيها. فيزداد حسرةً وثبوراً.

ثم يُفتح له باب من أبواب الجنة، فيقال له: ذلك مقعدك وما أعد الله لك فيها لو أطعته. فيزداد حسرةً وثبوراً، ثم يُضيَّق عليه قَبرُه حتى تختلف فيه أضلاعُهُ.

فتلك المعيشة الضنك التي قال الله: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ﴾ [طه: ١٢٤-١٢٥]».

حسن

* * *

حديث البراء بن عازب رضي الله عنه
في الاحتضار وقبض الروح وفتنة القبر

قال الإمام أحمد رحمه الله (٤/ ٢٨٧ ـ ٢٨٨):

حدثنا أبو معاوية، قال: ثنا الأعمش، عن منهال بن عمرو، عن زاذان، عن البراء بن عازب قال: خرجنا مع النبي ﷺ في جَنازةِ رجلٍ من الأنصار، فانتهينا إلى القبرِ ولمَّا يُلحدُ، فجلس رسولُ الله ﷺ وجَلسنا حوله، وكأن على رءوسنا الطَّير، وفي يده عودٌ ينكتُ في الأرض، فرفع رأسه فقال: «**استعيذُوا بالله من عذابِ القبرِ**» مرتين أو ثلاثًا، ثم قال: «**إن العبدَ المؤمنَ إذا كان في انقطاعٍ من الدنيا وإقبالٍ من الآخرة نزل إليه ملائكةٌ من السماء، بيضُ الوجوه كأن وجوههم الشمس، معهم كفنٌ من أكفان الجنة وحنوطٌ من حنوط الجنة حتى يجلسوا منه مَدَّ البصر، ثم يجئ مَلَكُ الموت عليه السلام حتى يجلسَ عند رأسه فيقول: أيتها النفسُ الطيبةُ اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان، قال: فتخرجُ تسيلُ كما تسيلُ القطرةُ من فيِّ السِّقاء، فيأخذها، فإذا أخَذَها لم يدعوها في يده طرفة عين، حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن، وفي ذلك الحنوط ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض قال: فيصعدون بها فلا يمرون ـ يعني: بها ـ على مَلأَ من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروح الطيب؟ فيقولون: فلانُ ابن فلان، بأحسنِ أسمائه التي كانوا يسمُّونه بها في الدنيا، حتى ينتهوا بها إلى السماءِ الدنيا، فيستفتحون له، فيفتح لهم، فيشيعه من كلِّ سماء مُقرَّبوها إلى السماء التي تليها، حتى ينتهي به إلى السماء السابعة، فيقول الله عز وجل: اكتبُوا كتابَ عبدي في عِلِّيين، وأعيدوه**

إلى الأرض، فإنيِّ منها خلقتُهم، وفيها أُعيدهم، ومنها أُخرجهم تارةً أخرى. قال: فتعاد رُوحُه في جسده، فيأتيه مَلَكان، فيُجلسانه فيقولان له: مَن ربك؟ فيقول: ربي الله. فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام. فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هو رسول الله ﷺ. فيقولان له: وما علمك؟ فيقول: قرأتُ كتابَ الله فآمنتُ به وصدَّقتُ. فينادي منادٍ في السماء: أن صدَقَ عبدي فأفرشوه من الجنة وألبسوه من الجنة، وافتحوا له بابًا إلى الجنة. قال: فيأتيه من رُوحها وطيبها ويُفسح له في قبره مدّ بصره. قال: ويأتيه رجلٌ حسنُ الوجه حسنُ الثياب طيبُ الريح فيقول: أبْشرْ بالذي يَسرُّك؛ هذا يومُكَ الذي كُنتَ تُوعدُ. فيقول له: مَن أنت؟ فوجهك الوجه يَجيءُ بالخير؟! فيقول: أنا عملك الصالح. فيقول: ربِّ أقِم الساعةَ حتى أرجعَ إلى أهلي ومالي.

قال: وإنَّ العبدَ الكافرَ إذا كان في انقطاعٍ من الدنيا وإقبالٍ إلى الآخرة، نَزَل إليه من السماء ملائكةٌ سُودُ الوجوه، معهم المسوحُ، فيجلسون منه مد البصر، ثم يجيءُ مَلَكُ الموت حتى يَجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الخبيثة؛ اخْرُجي إلى سخط من الله وغضب. قال: فتفرَّق في جسده فينتزعَها كما ينتزعُ السفودَ من الصُّوف المبلول، فيأخذها، فإذا أخذها لم يَدَعُوها في يده طرفة عين، حتى يَجعلوها في تلك المسوحِ، ويخرج منها كأنتن ريح جيفة وُجدت على وجه الأرض، فيَصْعدون بها فلا يَمرُّون بها على ملاءٍ من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروحُ الخبيثُ؟ فيقولان: فلانُ ابنُ فلان؛ بأقبح أسمائه التي كان يُسمَّى بها في الدنيا، حتى يُنتهي بها إلى السماء الدنيا، فيُستفتح له فلا يُفتح له، ثم قرأ رسولُ الله ﷺ: ﴿لا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ

وَلا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٤٠]، فيقول الله عز وجل: اكتبوا كتابهَ في سجين، في الأرض السُّفلى. فتُطرح رُوحُه طَرحًا، ثم قرأ: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١]، فتعاد رُوحُه في جسده، ويأتيه مَلَكان فيُجلسانه فيقولان له: من ربك؟ فيقول: هَاه هَاه، لا أَدري. فيَقولان له: ما دينك؟ فيقول: هاه هاه، لا أدري، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بُعث فيكم؟ فيقول: هاه هاه؛ لا أدري. فينادي مناد من السماء: أنْ كَذَب، فافرشُوا له من النار وافتحوا له بابًا إلى النار. فيأتيه من حَرِّها وسُمومها ويُضيق عليه قَبَرُه حتى تَختلفَ فيه أَضلاعُه، ويأتيه رجلٌ قبيحُ الوجه، قبيحُ الثياب، مُنتنُ الريح، فيقول: أبْشِرْ بالذي يَسوءك؛ هذا يومك الذي كنتَ تُوعد. فيقول: مَن أنت؛ فوَجهك الوجه يَجيءُ بالشرِّ؟ فيقول: أنا عَملك الخبيثُ. فيقول: ربِّ؛ لا تُقم الساعةَ».

صحيح

وأخرجه أبو داود (٤٧٥٣).

* * *

قول الله عز وجل ﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ ﴾

قال الإمام البخاري رحمه الله (١٣٦٩):

حدثنا حفص بن عمر، حدثنا شعبة، عن علقمة بن مرثد، عن سعد بن عبيدة، عن البراء بن عازب رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «**إذا أُقْعِد المؤمنُ في قبره أُتَي، ثُم شهِدَ أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، فذلك قوله: ﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ ﴾** [إبراهيم: ٢٧]».

صحيح

وأخرجه مسلم (٢٨٧١)(١)، وأبو داود (٤٧٥٠)، والترمذي (٣١٢٠) وقال: هذا حديث حسن صحيح، والنسائي (٤/ ١٠١)، وابن ماجه (٤٢٦٩).

* * *

(١) لفظ مسلم: عن النبي ﷺ قال: (﴿يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت﴾ [إبراهيم: ٢٧] قال: «نزلت في عذاب القبر فيقال له: من ربك؟ فيقول: ربي الله ونبيِّي محمد ﷺ. فذلك قول الله عز وجل ﴿يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة﴾ [إبراهيم: ٢٧]).

الشهيد يُجار من فتنة القبر

قال الإمام مسلم رحمه الله (١٩١٣):

حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن بن بهرام الدارمي، حدثنا أبو الوليد الطيالسي، حدثنا ليث. (يعني: ابن سعد)، عن أيوب بن موسى، عن مكحول، عن شرحبيل بن السمط، عن سَلمان قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**رباطُ يومٍ وليلة خيرٌ من صيام شهر وقيامه، وإن ماتَ: جرى عليه عَملُه الذي كان يَعملُه، وأُجري عليه رزقُه، وأَمِن الفَتّان**»[١].

صحيح

وأخرجه النسائي (٦/ ٣٩).

قال الإمام النسائي رحمه الله (٤/ ٩٩):

أخبرنا إبراهيم بن الحسن، قال: حدثنا حجَّاج، عن ليث بن سعد، عن معاوية بن صالح، أن صفوان بن عمرو، حدثه، عن راشد بن سعد، عن رجلٍ من أصحاب النبي ﷺ: أن رجلاً قال: يا رسول الله؛ ما بالُ المؤمنين يُفتنون في قبورهم إلا الشهيد؟ قال: «**كفَى ببارقةِ السيوفِ على رأسه فتنةً**».

حسن

---

(١) ويُروىٰ بضم الفاء وبفتحها، وعلى رواية الضم: جمع «فاتن» وهو: فاتن القبر. وفي حديث فضالة بن عبيد عند أحمد (٦/ ٢١) وغيره: سمعت رسولَ الله ﷺ يقول: «كل ميتٍ يُختم على عمله إلا المرابطَ في سبيل الله؛ يجري عليه أجرُه حتّى يوم القيامةِ ويوقى فتنة القبر».

قال الإمام الترمذي رحمه الله (١٦٦٣):

حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن، حدثنا نعيم بن حماد، حدثنا بقية بن الوليد[١]، عن بحير بن سعد، خالد بن معدان، عن المقدام بن معد يكرب قال: قال رسول الله ﷺ: «**للشهيد عند الله ستُّ خصال: يُغفر له في أول دفعة من دمه، ويَرَى مَقعدَه من الجنةَ، ويُجارُ من عذاب القَبر، ويَأمنُ من الفَزعِ الأكبر، ويُوضع على رأسه تاجُ الوقار، الياقوتةُ منها خيرٌ من الدنيا وما فيها، ويُزوج اثنتين وسبعين زَوجة مِن الحوُرِ العينِ، ويُشفَّعُ في سبعين مِن أقاربه**».

صحيح

وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب.

وأخرجه أحمد (٤/ ١٣١)، وابن ماجه (٢٧٩٩).

* * *

(١) وقد تُوبع بقية بن الوليد كما عند أحمد وابن ماجه.

هذا وقد رُوي الحديث أيضًا من طريق: خالد بن معدان، عن كثير بن مرة، عن عبادة بن الصامت، عن النبي ﷺ. كما عند أحمد (٤/ ١٣١).

ورُوي عن كثير بن مُرة عن قيس الجذامي - رجل من أصحاب النبي ﷺ - عن النبي ﷺ. ولا نستطيع هنا أن نقول: «إن للحديث ثلاث طرق»، ولكننا نقول بالترجيح، وإذا سلكنا مسلك الترجيح فرواية خالد بن معدان عن المقدام مرفوعًا، والله أعلم.

هل يُبتلَى الرجلُ إذا تكلَّم بكلامٍ؟

قال الإمام البخاري رحمه الله (٥٣١٠):

حدثنا سعيد بن عفير، حدثني الليث، عن يحيىٰ بن سعيد، عن عبد الرحمن بن القاسم، عن القاسم بن محمد، عن ابن عباس: أنه ذكر التلاعنَ عند النبي ﷺ، فقال عاصم بن عدي في ذلك قولاً[1] ثم انصرف، فأتاه رجلٌ من قومه يَشكو إليه أنه قد وجَد مع امرأته رجلاً، فقال عاصم: ما ابتليتُ بهذا إلاَّ لِقَولي، فذهب به إلىٰ النبي ﷺ، فأخبره بالذي وجَد عليه أمرأته، وكان ذلك الرجل مُصفرًا قليلَ اللحمِ سبطَ الشَّعرِ، وكان الذي ادَّعىٰ عليه أنه وجده عند أهله آدم خدلاً كثيرَ اللحمِ، فقال النبي ﷺ: «**اللهم بيِّنْ**» فجاء شَبيهًا بالرجل الذي ذكَر زوجُها أنه وجَده؛ فَلاَعَن النبيُّ ﷺ بينهما، قال رجلٌ لابن عباس في المجلسِ: هي التي قال النبيُّ ﷺ: «**لو رجمتُ أحدًا بغيرِ بَينةٍ رجمتُ هذه**» فقال: لا، تلك امرأة كانت تظهر في الإسلام السوء.

صحيح

وأخرجه مسلم (١٤٩٧).

* * *

(١) قال الكرماني: (كما نقل عنه الحافظ في «الفتح ٩/ ٤٥٤»): (معنىٰ قوله: «قولاً» أي: كلامًا لا يليق به، كعجب النفس والنَّخوة والمبالغة في الغيرة وعدم المَرَدِّ إلىٰ إرادة الله وقدرته.
وتعقَّبه الحافظ بقولِه وكلُّ ذلك بمعزلٍ عَن الواقع.
وزعم الداودي أن معناه: أنه قال: مثلاً: «لو وجدتُ أحدًا يفعل ذلك لقتلتُه» أو: عيَّر أحدًا بذلك فابتُلي به، وتعقَّبه الحافظ أيضًا بقوله: وكلامه بمعزلٍ عن الواقع. =

وهذا أيضًا من الفتن(*)

أخرجه البخاري حديث كعب بن مالك (٤٤١٨) وفيه: «. . . فكنتُ(١) أخرج فأشهدُ الصلاةَ مع المسلمين وأطوفُ في الأسواقِ، ولا يُكلّمني أَحدٌ، وآتي رسولَ الله ﷺ فأُسلم عليه وهو في مجلسه بعد الصلاة فأقول في نفسي هل حرك شفتيه بردِّ السلام عليَّ أم لا؟ ثم أُصلي قريبًا منه فأُسارقه النظرَ، فإذا أقبلتُ على صلاتي أقبل إليَّ وإذا التفتُّ نحوه أعرضَ عنِّي، حتى إذا طال عليَّ ذلك من جفوةِ الناس مَشيتُ حتى تسورتُ جدارَ حائطِ أبي قتادة ـ وهو ابن عمِّي وأحب

= واختار الحفاظ أن القول المبهم هو قوله: «أرأيت رجلاً وجد مع امرأته رجلاً؛ أيقتله فتقتلونه»؟! وذلك لأن الحافظ رحمه الله رأى أن حديث الباب ـ (الذي هو حديث ابن عباس) ـ وحديث سهل بن سعد قِصَّتهما واحدة:

أما حديث سهل: فعند البخاري (٥٣٠٨)، وفيه: «أن عويمرًا العجلاني جاء إلى عاصم بن عدي الأنصاري فقال له: يا عاصم؛ أرأيتَ رجلاً وجد مع امرأته رجلاً؛ أيقتله؛ فتقتلونه؟ أم كيف يفعل؟ سل لي ياعاصمُ عن ذلك رسولَ الله ﷺ، فسألَ عاصمٌ رسولَ الله ﷺ عن ذلك، فكَرِه رسول الله ﷺ المسائل وعابها، حتى كَبُر على عاصم ما سمع من رسول الله ﷺ فلمَّا رجع عاصمٌ إلى أهله جاءه عويمرٌ فقال: يا عاصم، ماذا قال لك رسول الله ﷺ؟ فقال عاصم لعويمر: لم تأتني بخيرٍ، قد كره رسول الله ﷺ المسألةَ التي سألته عنها. فقال عويمر: واللهِ لا أنتهي حتى أسأله عنها. . . الحديث.

* وما اختاره الحافظ ليس بواضحٍ، وذلك لأن قوله «أرأيت رجلاً. . . ؟» هو قول عويمر كما هو ظاهر، وإن كان عاصمٌ نقله بلفظه إلى رسول الله ﷺ، فذلك لا يتناسق مع سياق الحديث وترتيبه، فقال عاصم: (كما في حديث ابن عباس) ـ: ما ابتُليتُ بهذا إلا لقولي. فذهب به إلى النبيِّ ﷺ.

فالذي يظهر: أن عاصمًا قال قولاً فابتُلِي بسببه، وعلى ذلك فقول الكرماني وقول الداوديِّ ليسا ببعيدين عن الواقع. والله أعلم.

(*) أي إغراء الكافر للمسلم بعروض الدنيا ليفتنه عن دينه.

(١) القائل هو كعب بن مالك رضي الله عنه.

الناس إليَّ - فسلمتُ عليه، فوالله ما ردّ عليَّ السلامَ، فقلتُ: يا أبا قتادة، أُنشدك بالله، هل تعلمني أحب الله ورسوله؟ فسكتَ، فعدتُ له فنشدتُه فسكتَ، فعدتُ له فنشدتُه، فقال: الله ورسوله أعلم. ففاضتْ عيناي وتوليتُ حتى تسورتُ الجدارَ، قال: فبينا أنا أمشي بسوقِ المدينة، إذا نبطي من أنباط أهل الشام ممَّن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة يقول: من يدل على كعبِ بن مالكٍ؟ فطفق الناس يُشيرون له، حتى إذا جاءني دفع إليَّ كتابًا مِن ملكِ غسَّان، فإذا فيه:

أما بعد؛ فإنه قد بلغني أن صاحبك قد جفاك، ولم يجعلك اللهُ هوانٍ ولا مضيعةٍ، فالحَقْ بنا نواسك.

فقلتُ لمَّا قرأتُها: وهذا أيضًا من البلاء. فتيممتُ بها التورَ(1) فسجرتُه بها... » الحديث.

صحيح

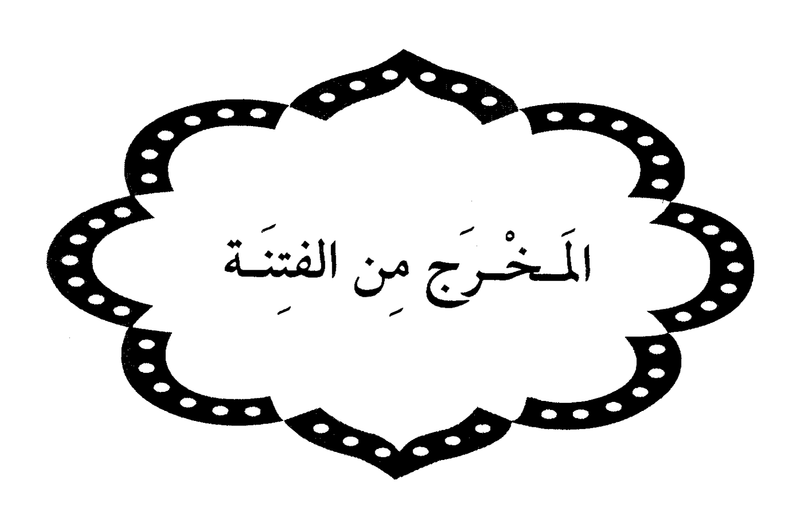
وأخرجه مسلم (٢٧٦٩).

* * *

---

(١) «التنور» هو: ما يُخبز فيه.

قال الحافظ في «الفتح» (٨/ ١٢١): (ودل صنيع كعب على قوة إيمانه ومحبته لله ولرسوله، وإلاَّ فمن صار في مثل حاله من الهجر والإعراض قد يضعف عن احتمال ذلك، وتحمله الرغبة في الجاه والمال على هُجران من هجره، ولا سيما مع أمنه من الملك الذي استدعاه إليه أن لا يُكرهه على فراقِ دينه، لكن لما احتمل عنده أنه لا يأمن من الافتتان حسم المادة وأحرق الكتابَ ومنعَ الجوابَ، هذا مع كونه من الشعراء الذين طُبعت نفوسهم على الرغبة، ولا سيما بعد الاستدعاء والحث على الوصول إلى المقصود من الجاه والمال، ولا سيما والذي استدعاه قريبه ونسيبه، ومع ذلك فغلب عليه دينه وقوي عنده يقينه، ورجَّح ما هو فيه من النكد والتعذيب على ما دُعي إليه من الراحة والنعيم حُبًا في الله ورسوله، كما قال ﷺ: «وأن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما»، وعند ابن عائذ: أنه شكا حاله إلى رسول الله ﷺ وقال: «ما زال إعراضك عنّي حتى رغب فيَّ أهل الشرك»).



المَخْرَجَ مِن الفتنَة

تقوى الله سبحانه وتعالى

قال الله عز وجل: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا﴾[١] [الطلاق: ٢].

قال الله عز وجل: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٤].

التوكل على الله

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣].

وقال سبحانه: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٧٣ - ١٧٤].

قال الإمام البخاري رحمه الله (٤٥٦٣):

حدثنا أحمد بن يونس - أراه[٢] قال - حدثنا أبو بكر، عن أبي حصين، عن أبي الضحى، عن ابن عباس: «﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ قالها إبراهيم عليه السلام حين أُلقي في النار، وقالها محمد ﷺ حين قالوا: ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾».

صحيح

وأخرجه النسائي في «عمل اليوم والليلة» (٦٠٣).

---

(١) ولا يخفى على القارئ الكريم حديثُ الثلاثة (أصحاب الغار)، وكيف أنجاهم الله عز وجل بفضله ثُمَّ بسبب تقواهم.

(٢) وهذا التشكك قد دُفع في رواية البخاري التالية لهذه الرواية، وذلك لأنَّ البخاري أخرجه من طريق: مالك بن إسماعيل، حدثنا إسرائيل، عن أبي حصين، عن أبي الضُّحى، عن ابن عباس قال: (كان آخر قول إبراهيمَ حين أُلقي في النارِ: «حسبي الله ونعم الوكيل»).

الاستغفار والتضرع واللجوء إلى الله

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَذَا النُّون إذ ذَّهَبَ مُغَاضبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدرَ عَلَيْه فَنَادَىٰ في الظُّلُمَات أَن لاَّ إلَهَ إلاَّ أَنتَ سُبْحَانَكَ إنِّي كُنتُ منَ الظَّالمينَ (٨٧) فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ منَ الْغَمِّ وَكَذَلكَ نُنجي الْمُؤْمنينَ﴾ [الأنبياء: ٨٨].

وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلكَ فَأَخَذْنَاهُم بالْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ (٤٢) فَلَوْلا إذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٤٢ـ٤٣].

وقال عز وجل: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بالْعَذَاب فَمَا اسْتَكَانُوا لرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾ [المؤمنون: ٧٦].

* * *

الاستعانة بالصبر والصلاة

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ [البقرة: ١٥٣].

وهذا مُطَّرِدٌ في كتابِ الله عز وجل.

قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴾(١) [الحجر: ٩٨].

وقال جل ذكره: ﴿ وَإِن كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لاَّ يَلْبَثُونَ خِلافَكَ إِلاَّ قَلِيلاً ﴿٧٦﴾ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلاً ﴿٧٧﴾ أَقِمِ الصَّلاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾ (٢) [الإسراء: ٧٦-٧٩].

وقال جل ذكره: ﴿ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴾ [طه: ١٣٠].

وقال سبحانه: ﴿ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً ﴿٥﴾ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلاً ﴾ [المزمل: ٥، ٦].

وقال عز وجل: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ

---

(١) فأرشد اللَّهُ نبيه للصلاة علاجًا لضيق صدره ممَّا يقوله قومه.

(٢) فأرشده اللَّه إلى الصلاة عند محاولات استفزاز قومه له.

وقد قالت عائشة: «كانَ رسولُ اللَّهِ ﷺ إذا حزَبَهُ أمرٌ فزع إلى الصلاةِ».

بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة: ١١٠].

* * *

النبي ﷺ يحث أهل بيته على الصلاة تحسبًا للفتن

قال الإمام البخاري رحمه الله (٧٠٦٩):

حدثنا أبو اليمان، أخبرنا شعيب، عن الزهري /ح/ . وحدثنا إسماعيل، حدثني أخي، عن سُليمان بن بلال، عن محمد بن أبي عتيق، عن ابن شهاب، عن هند بنت الحارث الفراسية: أن أم سلمة زوج النبي ﷺ قالت: استيقظَ رسولُ الله ﷺ ليلة فزعًا يقول: «**سبحان الله، ماذا أنزل الله(١) من الخزائن(٢)؟ وماذا أنزل من الفتن؟ مَن يوقظ صواحبَ الحُجُراتِ - يريد أزواجَه - لكي يُصلِّين؟ رُبَّ كاسيةٍ في الدنيا عاريةٍ في الآخرة(٣)**».

صحيح:

وأخرجه الترمذي (٢١٩٦) وقال: هذا حديث حسن صحيح.

---

(١) قال الحافظ («فتح الباري» ١/ ٢١٠): (والمراد بالإنزال: إعلامُ الملائكة بالأمر المقدور، أو: أن النبي ﷺ أُوحي إليه في نومه ذاك بما سَيَقع بعده من الفِتنِ فعَبَّر عنه بالإنزال.

(٢) قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله - («فتح الباري» ١/ ٢١٠): (قال الداودي: الأول هو الثاني(يريد: أن الخزائن هي الفتن أو عكسه)، والشيء قد يعطف على نفسه تأكيدًا، لأنَّ ما يفتح من الخزائن يكون سببًا للفتنة، وكأنَّه فَهِمَ أن المراد بالخزائن خزائن فارس والروم وغيرهما مما فتح على الصحابة، لكن المغايرة بين الخزائن والفتن أوضح لأنهما غير متلازمين، وكم من نائلٍ من تلك الخزائن سالمٍ من الفتن).
وقال في «الفتح» (١٣/ ٢٣): (قال ابن بطال: في هذا الحديث: أن الفتوح في الخزائن تنشأ عنه فتنة المال بأن يتنافس فيه فيقع القتال بسببه، وأن يبخل به فيمنع الحق، أو يبطر صاحبه فيسرف، فأراد ﷺ تحذير أزواجه من ذلك كله، كذا غيرهن ممن بلغه ذلك، وأراد بقوله: «مَن يوقظ؟» بعضَ خدمه كما قال يوم الخندق: «من يأتيني بخبر القوم؟» وأراد أصحابَه، لكن هناك عُرف الذي انتُدب كما تقدَّم، وهنا لم يُذكَر، وفي الحديثِ الندبُ إلى الدعاءِ والتضرعُ عند نزول الفتنةِ، ولا سيما في الليلِ لرجاء وقت الإجابةِ لتكشفَ أو يسلمَ الداعي ومن دعا له، وباللَّه التوفيق.

(٣) قال الحافظ في «الفتح» (١٣/ ٢٣): (واختلف في المراد بقوله: «كاسية عارية» على أوجه: =

صلاة الجماعة زمن الفتنة

قال الإمام البخاري رحمه الله (٦٩٥):

وقال لنا محمد بن يوسف: حدثنا الأوزاعي، حدثنا الزهري، عن حميد بن عبد الرحمن، عن عبيد الله بن عدي بن خيار، أنه دخل على عثمان بن عفان رضي الله عنه وهو محصورٌ فقال: إنَّك إمامُ عَامَّةٍ[1]، ونزل بك ما نرى، ويصلي لنا إمامُ فتنةٍ[2]، ونتحرَّج. فقال: الصلاة أحسنُ ما يعمل الناسُ، فإذا أحسنَ الناسُ فأحسِنْ معه. ، وإذا أساءوا فاجتنب إساءتهم.

صحيح

* * *

= أحدها: كاسية في الدنيا بالثياب لوجود الغنى، عارية في الآخرة من الثواب لعدم العمل في الدنيا.

ثانيها: كاسية بالثياب لكنها شفافة لا تستر عورتها، فتعاقب في الآخرة بالعُري جزاء على ذلك.

ثالثها: كاسية من نعم الله، عارية من الشكر الذي تظهر ثمرتُهُ في الآخرة بالثواب.

رابعها: كاسية جسدها لكنها تشد خمارها من ورائها، فيبدو صدرها، فتصيرُ عاريةً فتعاقب في الآخرة.

خامسة: كاسية من خلعة التزوج بالرجلِ الصالح، عارية في الآخرة من العمل، فلا ينفعها صلاحِ زوجها، كما قال تعالى: ﴿فلا أنساب بينهم﴾ [المؤمنون: ١٠١] ذكر هذا الأخير الطيبي ورجَّحه لمناسبة المقام، واللفظة وإن وردتْ في أزواج النبي ﷺ لكن العبرة بعموم اللفظ.

وقد سبق لنحوه الداودي فقال: كاسية للشرف في الدنيا لكونها أهل التشريف وعارية يوم القيامة. قال: ويحتمل أن يراد عارية في النار).

(١) أي: إمام الجماعة أو الإمام الأعظم.

(٢) أي: رئيس الفتنة الذي خرج على إمام المسلمين.

قال الحافظ ابن حجر «فتح الباري» (٢/ ١٩٠): (وفي هذا الأثر الحض على شهود الجماعة، =

قول النبي ﷺ: «إن السعيد لَمَنْ جُنِّبَ الفتنَ»

قال أبو داود رحمه الله (٤٢٦٣):

حدثنا إبراهيم بن الحسن المصيصي، حدثنا حجاج - يعني: ابن محمد -، حدثنا الليث بن سعد، قال: حدثني معاوية بن صالح، أن عبد الرحمن بن جبير حدثه، عن أبيه، عن المقداد بن الأسود قال: أيم الله؛ لقد سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**إن السعيدَ لمن جُنبَ الفتنَ، إن السعيدَ لمن جُنبَ الفتنَ، إن السعيدَ لمن جُنبَ الفتن ولَمَنِ ابْتلُي فصبَرَ؛ فَوَاهًا**»[1]

حسن

❊ ❊ ❊

= ولا سيما في زمن الفتنة؛ لئلا يزداد تفرق الكلمة.
وفيه: أن الصلاة خلف مَن تُكره الصلاةُ خلفه أولى من تعطيل الجماعة.

(١) الذي يظهر لي - والله أعلم - في معنى قوله عليه السلام «ولمن ابتلي فصبر فواهًا» أن المراد التعجب من أمر من ابتلي فصبر على البلاء، فكأنَّه قال: وما أحسن وما أطيب من ابتلى فصبر على البلاء، والله أعلم.
هذا، وليس في الحديث التعرض لطلب البلاء كما هو واضح.

الفرار من الفتن

قال الإمام البخاري رحمه الله (حديث ١٩):

حدثنا عبد الله بن مسلمة، عن مالك، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة، عن أبيه عن أبي سعيد الخدري، أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يوشكُ أن يكون خيرَ مالِ المسلمِ غنمٌ يتبع بها شعفَ الجبال**[١] **ومواقع القطر**[٢] **يفرُّ بدينه من الفتن**».

صحيح

أخرجه البخاري في مواضع متعددة من «صحيحه»، وأبو داود (٤٢٦٧)، والنسائي (٨/ ١٢٣)، وابن ماجه (٣٩٨٠).

قال الإمام البخاري رحمه الله (٢٧٨٦):

حدثنا أبو اليمان، أخبرنا شعيب، عن الزهري قال: حدثني عطاء بن يزيد الليثي، أن أبا سعيد الخدري رضي الله عنه حدثه قال: قيل: يا رسول الله؛ أيُّ الناس أفضل؟ فقال رسولُ الله ﷺ: «**مؤمنٌ يُجاهد في سبيلِ الله بنفسه وماله. قالوا: ثمَّ مَن؟ قال: مؤمنٌ في شِعْبٍ مَن الشِّعابِ، يَتّقي الله ويَدَعُ الناس من شرِّه**»[٣].

صحيح

---

(١) شعف الجبال: هي رءوس الجبال.

(٢) مواقع القطر: أي: بطون الأودية.

قال الخطابي: وفيه الحثُّ على العزلة أيام الفتن. وقال الحافظ ابن حجر «فتح الباري» (١٣/ ٤٢): والخبر دال على فضيلة العزلة لمن خاف على دينه.

(٣) قال الحافظُ في «الفتح» (٦/ ٦): (... وإنما كان المؤمن المعتزل يتلوه في الفضيلة؛ لأنَّ الذي =

وأخرجه مسلم (١٨٨٨)، وأبو داود (٢٤٨٥)، والترمذي (١٦٦٠)، وقال: هذا حديث صحيح، والنسائي (٦/ ١١)، وابن ماجه (٣٩٧٨).

قال الإمام مسلم رحمه الله (١٨٨٩):

حدثنا يحيى بن يحيى التميمي، حدثنا عبد العزيز بن أبي حازم، عن أبيه، عن بعجة، عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: **«من خير معاشِ الناس لهم: رجلٌ ممسكٌ عنانَ فرسه في سبيلِ الله، يطير على مَتْنه، كُلما سمع هَيْعةً أو فَزعةً طار عليه يبتغي القتلَ والموتَ مظانه، أو رجلٌ في غنيمة في رأسِ شَعَفة من هذه الشعف، أو بطنِ وادٍ من هذه الأودية يُقيم الصلاةَ ويُؤتي الزكاة ويَعبدُ ربَّه حتَّى يأتيه اليَقينُ، ليس مِنَ الناس إلا في خيرٍ»**[1].

صحيح:

وأخرجه ابن ماجه (٢٩٧٧)، وعزاه المزي للنسائي.

قال الإمام مسلم رحمه الله (٢٨٨٧):

حدثني أبو كامل الجحدري فضيل بن حسين، حدثنا حماد بن زيد، حدثنا عثمان الشحام قال: انطلقتُ أنا وفرقد السبخي إلى مسلم بن أبي بكرة - وهو في

= يخالط الناس لا يسلم من ارتكاب الآثام، فقد لا يَفي هذا بهذا وهو مقيد بوقوع الفتن).
قال الخطابي (كما نقل عنه الحافظ في «الفتح» ١١/ ٣٣١): (لو لم يكن في العزلة إلا السلامة من الغيبة ومن رؤية المنكر الذي لا يقدر على إزالته لكان ذلك خيرًا كثيرًا).
وقال الحافظ في «الفتح» (٦/ ٧): (وفي الحديث فضل الانفراد لما فيه من السلامة من الغيبة واللغو ونحو ذلك).

(١) قال الحافظ في «الفتح» (١٣/ ٤٣): الحديث كأنَّه ورد في أي الكسب أطيب، فإن أخذ على عمومه دلَّ على فضيلة العُزلة لمن لا يتأتى له الجهاد في سبيل اللَّه، إلا أن يكون قيد بزمان وقوع الفتن، واللَّه أعلم.

أرضه فدخلنا عليه، فقلنا: هل سمعتَ أباك يحدث في الفتن حديثًا؟ قال: نعم، سمعتُ أبا بكر يحدّث قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنها ستكون فتنٌ، ألاَ ثُمَّ تكون فتنةٌ، القاعد فيها خيرٌ من الماشي فيها، والماشي فيها خيرٌ من الساعي إليها، ألا فإذا نزلت أو وقعتْ فَمَنْ كان له إبلٌ فليلحق بإبله، ومَن كانت له غنم فليلحق بغنَمه، ومَن كانت له أرضٌ فليلحقْ بأرضه**».

قال: فقال رجلٌ: يا رسول الله؛ أرأيتَ من لم يكن له إبلٌ ولا غنمٌ ولا أرضٌ؟ قال: «**يعمد إلى سيفه فيدقُّ على**[1] **حدِّه بحجر، ثم لينجُ إن استطاع النجاء، اللهم هل بلَّغتَ؟ اللهم هل بلَّغتَ؟ اللَّهم هل بلَّغتَ؟**» قال: فقال رجل: يا رسول الله؛ أرأيتَ إن أُكرهتُ حتى يُنطلق بي إلى إحدى الصفَّين أو إحدى الفئتين، فضربني رجلٌ بسيفه أو يجيءُ سهمٌ فيقتلني؟ قال: «**يبوء بإثمه وإثمك ويكون من أصحاب النار**».

صحيح

وأخرجه أبو داود (٤٢٥٦).

قال الإمام البخاري رحمه الله (٧٠٨١):

حدثنا محمد بن عبيد الله، حدثنا إبراهيم بن سعد، عن أبيه، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، عن أبي هريرة، قال إبراهيم: وحدثني صالح بن كيسان، عن ابن شهاب، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**ستكون فتنٌ**[2]؛ **القاعد فيها خيرٌ من القائم، والقائمُ فيها خيرٌ من الماشي،**

---

(١) قال النووي ـ رحمه الله ـ: قيل: المراد: كسر السيف حقيقةً على ظاهر الحديث لِيَسُدَّ على نفسه باب هذا القتال، وقيل هو مجاز، والمراد به: ترك القتال، والأول أصح.

(٢) في بعض روايات مسلم: «النائم فيها خيرٌ من اليقظان، واليقظان فيها خيرٌ من القائم...».

والماشي فيها خيرٌ مِن الساعي(١)، مَن تَشرَّفَ لها(٢) تستشرفه فمن وجد منها ملجأ أو معاذًا(٣) فليعذ به».

صحيح

وأخرجه مسلم (٢٨٨٦).

---

(١) قال النووي -رحمه الله- (٥/ ٧٣٥): (وأما قوله ﷺ: «القاعد فيها خير من القائم...» فمعناه: بيان عظيمُ خطرها والحث على تجنبها والهرب منها، ومن التشبث في شيءٍ، وأنَّ شرَّها وفتنتها يكونُ على حسبِ التعلقِ بها).

وقال الحافظ في «الفتح» (١٣/ ٣٠): (قال بعض الشُّرَّاحِ في قوله: «والقاعد فيها خير من القائم» أي: القاعد في زمانها عنها. قال: والمراد بـ«القائم»: الذي لا يستشرفها، وبـ«الماشي» من يمشي في أسبابه لأمر سواها، فربما يقع بسبب مَشْيه في أمر يكرهه، وحكى ابن التين عن الداودي: أن الظاهر أن المراد: من يكون مباشرًا لها في الأحوال كلها، يعني: أن بعضهم في ذلك أشد من بعض، فأعلاهم في ذلك: الساعي فيها؛ بحيث يكون سببًا لإثارتها.

ثم: من يكون قائمًا بأسبابها، وهو: الماشي.

ثم: من يكون مباشرًا لها وهو القائم.

ثم: من يكون مع النظارة ولا يقاتل، وهو القاعد.

ثم: من يكون مجتنبًا لها ولا يباشر ولا ينظر وهو المضطجع اليقظان.

ثم: من لا يقع منه شيء من ذلك ولكنه راضٍ وهو نائم.

والمراد بالأفضلية في هذه الخيرية: من يكون أقل شرًا ممَّن فوقه على التفصيل المذكور).

(٢) قال النووي -رحمه الله-: (قوله: «تشرف» هو من الإشراف للشيء، وهو: الانتصاب والتطلع إليه والتعرض له، ومعنى: «تستشرفه»: تقلبه وتصرعه).

وقال الحافظ في «الفتح»: («تستشرفه» أي: تهلكه، بأن يشرف منها على الهلاك، يقال: «استشرفت الشيء»: علوته وأشرفت عليه، يريد: من انتصب لها انتصبت له، ومَن أعرض عنها أعرضت عنه.

وحاصله: أنَّ من طلع فيها بشخصه قابلته بشرها، ويحتمل أن يكون المراد: مَن خاطر فيها بنفسه أهلكته، ونحوه قول القائل: «من غالبها غلبته»).

(٣) «المعاذ» بمعنى: الملجأ.

قال الحافظ ابن حجر -رحمه الله-: (والمراد بـ«الفتنة»: ما ينشأ عن الاختلاف في طلب الملك =

. . . .

= حيث لا يعلم المحق من المبطل . قال الطبري : اختلف السلفُ فحمل ذلك بعضُهم على العموم وهم مَن قعد عن الدُّخول في القتال بين المسلمين مطلقًا كسعد وابن عمر ومحمد بن مسلمة وأبي بكرة في آخرين ، وتمسكوا بالظواهر المذكورة وغيرها ، ثم اختلف هؤلاء ، فقالت طائفة بلزوم البيت ، وقالت طائفة : بل بالتحول عن بلد الفتن أصلاً ، ثم اختلفوا ، فمنهم من قال : «إذا هجم عليه شيء من ذلك يكف يده ولو قُتل» ، ومنهم من قال : «بل يدافع عن نفسه وعن ماله وعن أهله وهو معذور إن قَتَلَ أو قُتِل» .

وقال آخرون : «إذا بغت طائفة على الإمام فامتنعت من الواجب عليها ونصبت الحرب وجب قتالها ، وكذلك لو تحاربت طائفتان وجب على كل قادر الأخذ على يد المخطئ ونصر المصيب» ، وهذا قول الجمهور .

وفصَّل آخرون فقالوا : كل قتال وقع بين طائفتين من المسلمين حيث لا إمام للجماعة فالقتال حينئذٍ ممنوع ، وتنزل الأحاديثُ التي في هذا الباب وغيره على ذلك . وهو قول الأوزاعي .

قال الطبري : والصواب أن يُقال : إن الفتنة أصلها الابتلاء ، وإنكار المنكر واجبٌ على كل من قدر عليه ، فمن أعان المحقَّ أصاب ، ومن أعان المخطئ أخطأ ، وإن أشكل الأمر فهي الحالة التي ورد النهي عن القتال فيها .

وذهب آخرون إلى : أن الأحاديث وردت في حق ناس مخصوصين ، وأن النهي مخصوص بمن خوطب بذلك .

وقيل : إن أحاديث النهي مخصوصة بآخر الزمان ، حيث يحصل التحقق أن المقاتلة إنَّما هي في طلب الملك وقد وقع في حديث ابن مسعود : (قلت : يا رسول اللَّه ، ومتى ذلك؟ قال : «أيام الهرج» . قلت : ومتى؟ قال : «حين لا يأمن الرجل جليسه») .

قلت : وهذا الحديث أخرجه أحمد (١/ ٤٤٨ - ٤٤٩) ، وفي إسناده مبهم ؛ فالإسناد ضعيف) .

وقال النووي - رحمه اللَّه - (٥/ ٧٣٦) : (وقد اختلف العلماء في قتال الفتنة ، فقالت طائفة : لا يقاتل في فتن المسلمين ، وإذا دخلوا عليه بيته وطلبوا قتله فلا يجوز له المدافعة عن نفسه ، لأن الطالب متأول ، وهذا مذهب الصحابيِّ أبي بكرة رضي اللَّه عنه وغيره ، وقال ابن عمر وعمران ابن الحصين رضي اللَّه عنهم وغيرهما : لا يدخل فيها ، لكن إن قُصِد دفع عن نفسه . فهذان المذهبان متفقان على ترك الدخول في جميع فتن الإسلام) .

(وقال معظم الصحابة والتابعين وعامة علماء الإسلام : يجب نصر المحق في الفتن والقيام معه بمقاتلة الباغين ، كما قال تعالى : ﴿فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء . . .﴾ الآية [الحجرات : ٩] ، وهذا هو الصحيح ، وتتأوَّل الأحاديثُ على من لم يظهر له المحق أو على طائفتين ظالمتين لا =

قال أبو داود رحمه الله (٤٢٥٩):

حدثنا مسدد، حدثنا عبد الوارث بن سعيد، عن محمد بن جحادة، عن عبد الرحمن بن ثروان[١]، عن هزيل عن أبي موسىٰ الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن بين يدي الساعة فتنًا كقطع الليل المظلم، يُصبح الرجل فيها مؤمنًا ويُمسي كافرًا، ويُمسي مؤمنًا ويُصبح كافرًا، القاعد فيها خيرٌ من القائم، والماشي فيها خير من الساعي، فكسِّروا قِسيَّكُم، وقطعوا أوتاركم، واضربوا سيوفكم بالحجارة، فإن دخل** - يعني: علىٰ أحدٍ منكم - **فَلْيَكُنْ كخير ابني آدم**»[٢].

صحيح

وأخرجه الترمذي (٢٢٠٤) وقال: هذا حديث حسن غريب صحيح.

وأخرجه ابن ماجه (٣٩٦١).

قال الإمام البخاري رحمه الله (٧٠٨٧):

حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا حاتم، عن يزيد بن أبي عبيد، عن سلمة بن الأكوع، أنه دخل علىٰ الحجاج فقال: يا ابن الأكوع، ارتددتَ علىٰ عقبيك، تعربتَ؟[٣]، قال: لا، ولكن رسول الله ﷺ أذِن لي في البدوِّ.

صحيح

= تأويل لواحدة منهما، ولو كان كما قال الأولون لظهر الفساد، واستطال أهل البغي والمبطلون. والله أعلم).

(١) وقد رُوي هذا الحديثُ بإسقاطِ عبد الرحمن بن ثروان، ورجَّح أبو حاتم في «العلل» (٢/ ٤١٤) رواية من أثبت ابنَ ثروان.

(٢) أي: فليكن كابنِ آدم المقتول ليس القاتل، إذِ القاتل أظلم.

(٣) «التعرب» هو: أن ينتقل المهاجر من البلدِ التي هاجر منها فيسكن البدو فيرجع بعد هجرته =

وعن يزيد بن أبي عبيد قال: لما قتل عثمان بن عفان خَرج سلمةُ بنُ الأكوع إلى الربِذة وتزوَّج هناك امرأةً وولدتْ له أولادًا فلم يَزَلْ بها حتى قَبْل أن يموتَ بليالٍ نزل المدينة.

وأخرجه مسلم (١٨٦٢).

= أعرابيًا، وكان إذ ذاك محرمًا، إلا أن الشارع أذن له في ذلك، وقيَّده بالفتنة، إشارة إلى ما ورد من الإذن في ذلك عند حلول الفتن، وقيل: بمنعه في زمن الفتنة، لما يترتب عليه من خذلان أهلِ الحقِّ، ولكن نظر السلف اختلف في ذلك، فمنهم من آثر السلامة واعتزل الفتنَ كسعدٍ ومحمد ابن مسلمة وابنِ عمر في طائفة. ومنهم من باشر القتالَ، وهم الجمهور.

مسألة: هل العزلة أفضل أم الاختلاط بالناس؟

● ذكر الخطابي في كتاب «العزلة» (كما نقل عنه الحافظ في «الفتح» (١١/ ٣٣٣): (أن العزلة والاختلاط يختلفان باختلاف متعلقاتهما، فتحمل الأدلة الواردة في الحض على الاجتماع على ما يتعلق بطاعة الأئمة وأمور الدين، وعكسها في عكسه، وأما الاجتماع والافتراق بالأبدان: فمن عرف ا لاكتفاء بنفسه في حق معاشه ومحافظة دينه فالأولى له الانكفاف عن مخالطة الناس، بشرط: أن يحافظ على الجماعة والسلام والرد وحقوق المسلمين من العيادة وشهود الجنازة ونحو ذلك، والمطلوب إنما هو: ترك فضول الصحبة لما في ذلك من العيادة وشهود الجنازة ونحو ذلك، والمطلوب إنما هو: ترك فضول الصحبة لما في ذلك من شغل البال وتضييع الوقت عن المهمات، ويجعل الاجتماع بمنزلة الاحتياج إلى الغذاء والعشاء، فيقتصر منه على ما لا بد له منه فهو أروح للبدن والقلب. والله أعلم).

● وقال القشيري في «الرسالة»: (طريق من آثر العزلة: أن يعتقد سلامة الناس من شره لا العكس، فإن الأول ينتجه استصغاره نفسه وهي صفة المتواضع، والثاني شهوده مزية له على غيره، وهذه صفة المتكبر).

● وقال الحافظ ابن حجر «فتح الباري» (١٣/ ٤٢): (وقد اختلف السلف في أصل العزلة، فقال الجمهور: الاختلاط أولى؛ لما فيه من اكتساب الفوائد الدينية للقيام بشعائر الإسلام وتكثير سواد المسلمين وإيصال أنواع الخير إليهم من إعانة وإغاثة وعيادة وغير ذلك. وقال قوم: العزلة أولى لتحقق السلامة، بشرط: معرفة ما يتعين).

وقال النووي: (المختار تفضيل المخالطة لمن لا يغلب على ظنه أنه يقع في معصية فإن أشكل الأمر فالعزلة أولى. وقال غيره: يختلف الأحوال فإن تعارضا اختلف باختلاف الأوقات، =

. . . .

= فمن يتحتم عليه المخالطة من كانت له قدرة على إزالة المنكر، فيجب عليه إما عينًا وإما كفاية بحسب الحال والإمكان، وممن يترجح من يغلب على ظنه أنه يسلم في نفسه إذا قام في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وممن يستوي من يأمن على نفسه، ولكنه يتحقق أنه لا يطاع، وهذا حيث لا يكون هناك فتنة عامة، فإن وقعت الفتنة ترجحت العزلة لما ينشأ فيها غالبًا من الوقوع في المحذور، وقد تقع العقوبة بأصحاب الفتنة فتعُمَّ من ليس من أهلها، كما قال تعالى: ﴿واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة﴾ [الأنفال: ٢٥].

● قلت: وقد ورد في الباب حديث: «المسلم الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من المسلم الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم».

وها هو تخريجه - (انظر أعلاه).

هذا، وقد سُئل شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - كما في «مجموع الفتاوى» (١٠/ ٤٢٥):

هل الأفضل للسالك العزلة أو الخلطة؟

فأجاب:

هذه المسألة وإن كان الناس يتنازعون فيها إما نزاعًا كليًا، وإما حاليًا، فحقيقة الأمر: أن «الخلطة» تارة تكون واجبة، أو مستحبة، والشخص الواحد قد يكون مأمورًا بالمخالطة تارة، وبالانفراد تارة، وجماع ذلك: أن «المخالطة» إن كان فيها تعاون على البر والتقوى فهي مأمور بها، وإن كان فيها تعاون على الإثم والعدوان فهي منهيٌّ عنها، فالاختلاط بالمسلمين في جنس العبادات، كالصلوات الخمس والجمعة والعيدين وصلاة الكسوف والاستسقاء، ونحو ذلك، هو مما أمر الله به ورسوله.

وكذلك الاختلاط بهم في الحج وفي غزو الكفار والخوارج المارقين، وإن كان أئمة ذلك فجارًا، وإن كان في تلك الجماعات فجار، وكذلك الاجتماع الذي يزداد العبد به إيمانًا إما لانتفاعه به، وإما لنفعه له ونحو ذلك.

ولا بُد للعبدِ من أوقات ينفر بها بنفسه في دعائه وذكره وصلاته وفكره ومحاسبة نفسه وإصلاح قلبه، وما يختص به من الأمور التي لا يشركه فيها غيره، فهذه يحتاج فيها إلى انفراده بنفسه، إما في بيته كما قال طاووس: «نِعم صومعة الرجل بيته؛ يكف فيها بصره ولسانه»، وإما في غير بيته.

فاختيار المخالطة مُطلقًا خطأ، واختيار الانفراد مطلقًا خطأ وأما مقدار ما يحتاج إليه كل إنسان من هذا وهذا، وما هو الأصلح له في كل حال، فهذا يحتاج إلى نظر خاصٍّ كما تقدَّم.

قال الترمذي رحمه الله (٢٥٠٧):

حدثنا أبو موسى محمد بن المثنى، حدثنا ابن أبي عدي، عن شعبة، عن سليمان الأعمش، عن يحيى بن وثاب، عن شيخ من أصحاب النبي ﷺ، عن النبي ﷺ قال: **«المسلمُ إذا كان مُخالطًا الناس ويصبر على أذاهم خيرٌ من المسلم الذي لا يُخالط الناس ولا يصبر على أذاهم»**.

صحيح

قال أبو موسى: قال ابن أبي عدي: كان شعبة يرى أنه ابنُ عمر.

وأخرجه أحمد (٥/ ٣٦٥)[1]، والبخاري في «الأدب المفرد» (٣٨٨)، وابن ماجه (٤٠٣٢).

* * *

(١) لفظ أحمد: «المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم أعظم أجرًا من الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم». وإسناده صحيح أيضًا.
قال الصنعاني - رحمه الله - «سبل السلام» (ص١٦١٦): (فيه أفضلية من يخالط الناس مخالطة يأمرهم فيها بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحسن معاملتهم؛ فإنَّه أفضل من الذي يعتزلهم ولا يصبر على المخالطة، ولكل حال مقال، ومن رجَّح العزلة فله على فضلها أدلة، وقد استوفاها الغزالي في «الإحياء» وغيره).

الأخذ على يد الظالم

وقول الله عز وجل

﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً ﴾

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله (٢/ ٢٩٨): (يحذر تعالى عباده المؤمنين فتنة - أي اختبارًا ومحنة - يعم بها المسيء وغيره؛ لا يخص بها أهل المعاصي ولا من باشر الذنب، بل يعمها لم تدفع وترفع).

وقال الشوكاني رحمه الله «فتح القدير» (٢/ ٢٩٩): قوله: ﴿ **وَاتَّقُوا فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً** ﴾ [الأنفال: ٢٥]. أي: اتقوا فتنة تتعدى الظالم فتصيب الصالح والطالح ولا تختص إصابتها بمن يباشر الظلم منكم.

قال الإمام البخاري رحمه الله (٢٤٩٣):

حدثنا أبو نعيم حدثنا زكرياء، قال: سمعت عامرًا، يقول: سمعت النعمان بن بشير رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «**مَثَلُ القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة، فأصاب بعضهم أعلاها، وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مرُّوا على مَن فوقهم، فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقًا ولم نؤذِ مَن فوقنا، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعًا، وإن أخَذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعًا**».

صحيح

وأخرجه الترمذي (٢١٧٢) وقال: هذا حديث حسن صحيح.

قال الترمذي رحمه الله (٢١٦٨):

حدثنا أحمد بن منيع، حدثنا يزيد بن هارون، أخبرنا إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن أبي حازم، عن أبي بكر الصديق، قال: أيها الناس، إنكم تقرءون هذه الآية: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ**﴾ [المائدة: ١٠٥]، وإني سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أَوْشَكَ أن يُعمَّهم الله بعقابٍ منه**».

إسناده صحيح(١)

---

(١) وقد رواه جماعة عن إسماعيل، عن قيس، عن أبي بكر مرفوعًا، ورواه آخرون عن إسماعيل، عن قيس، عن أبي بكرة موقوفًا. كما قال الترمذي - رحمه الله -.

قال ابن أبي حاتم في «العلل» (٢/ ٩٨): سمعت أبا زرعة وسئل عن حديث رواه شعيب عن إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن أبي حازم، عن أبي بكر، عن النبي ﷺ قال: «أيها الناس؛ لعلكم تقرءون هذه الآية وتضعونها على غير ما وضعها الله: ﴿يا أيها آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم﴾ [المائدة: ١٠٥] وإن الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيروه أوشكوا أن يعمهم الله بعقابٍ».

قال أبو زرعة: وقد وقفه ابن عيينة ووكيع ويحيى بن سعيد القطان عن إسماعيل ويونس بن أبي إسحاق، ورواه يونس عن طارق بن بيان بن بشر عن قيس عن أبي بكر موقوفًا، ورواه الحكم عن قيس عن أبي بكر موقوفًا.

قال أبو زرعة: وأحسب إسماعيل بن أبي خالد كان يرفعه مرة ويوقفه مرة.

وقال الدارقطني - رحمه الله - «العلل» (١/ ٢٥٠) - وسئل عن هذا الحديث -: هو حديث رواه إسماعيل بن أبي خالد عن قيس، فرواه عنه جماعة من الثقات فاختلفوا عليه فيه، فمنهم من أسنده إلى النبي ﷺ، ومنهم من أوقفه على أبي بكر. فمن أسنده إلى النبي ﷺ: عبد الله بن نمير، وأبو أسامة، ويحيى بنُ سعيدٍ الأموي، وزهيرُ بنُ معاوية، وهُشيم بن بشير، وعبيد الله بن عَمرو ويحيى بن عبد الملك بن أبي غنية، ومروانُ بن معاوية الفزاري، ومرجي بنُ رجاءٍ، ويزيدُ بنُ هارون وعبد الرحيم بن سُليمان، والوليدُ بن القاسم، وعليُّ بنُ عاصم، وجرير بن عبد الحميد وشعبة بن الحجاج، ومالكٌ بن مغولٍ، ويونس بن أبي إسحاق وعبد العزيز بن =

حدثنا محمد بن بشار، حدثنا يزيد بن هارون، عن إسماعيل بن أبي خالد نحوه.

قال أبو عيسىٰ: وفي الباب عن عائشة وأم سلمة والنعمان بن بشير وعبد الله بن عُمر وحذيفة، وهذا حديث صحيح، وهكذا رَوىٰ غيرُ واحدٍ عن إسماعيل نحو حديث يزيد، ورفعه بعضهم عن إسماعيل وأوقفه بعضهم.

قلت: والحديث أخرجه الترمذي أيضًا (٣٠٥٧) وقال: هذا حديث حسن صحيح ثم ذكر نحو ما تقدم.

وأخرجه أيضًا: أحمد (١/ ٢، ٥، ٧، ٩)، وأبو داود في الملاحم (٤٣٣٨)، وابن ماجه (٤٠٠٥)، ونسبه المنذري للنسائي.

وأخرجه عبد بن حميد في «المنتخب» (بتحقيقي حديث ١).

مسلم القسملي، وهياج بن بسطام، ومعلَّىٰ بنُ هلالٍ، وأبو حمزة السكري، ووكيعُ بنُ الجرَّاح. فاتفقوا علىٰ رفعه إلىٰ النبي ﷺ.

وخالفهم: يحيىٰ بن سعيد القطان، وسفيانُ بن عيينة، وإسماعيلُ بن مجالدٍ، وعبيدُ اللَّه بن موسىٰ؛ فرووه عن إسماعيل موقوفًا علىٰ أبي بكر.

ورواه بيان بن بشر وطارق بن عبد الرحمن وذر بن عبد اللَّه الهمداني والحكم بن عتيبة، وعبد الملك بن عمير وعبد الملك بن ميسرة فرووه عن قيس عن أبي بكر موقوفًا.

وجميع رواة هذا الحديث ثقات - (قال مصطفىٰ: بل في بعضهم ضعف) - ويشبه أن يكون قيس بن أبي حازم كان ينشط في الرواية مرة فيسنده ومرة يجبن عنه فيقفه علىٰ أبي بكر! ورُوي هذا الحديثُ عن محمد بن قدامة المصيصي، عن جرير عن إسماعيل بن أبي خالد، عن طارق بن شهاب، عن أبي بكر، عن النبي ﷺ مرفوعًا.

وذلك وهمٌ من راويه، والصحيح عن جرير ما تقدَّم ذكره عن إسماعيل عن قيس.

قلت (والقائل مصطفىٰ): ولا شك أن رواية من رفعوه إلىٰ النبي ﷺ صحيحة فعددهم كبير ومنهم ثقات أثبات فيصح رفعه إلىٰ النبي ﷺ. والعلم عند اللَّه.

قال الإمام أبو داود السجستاني رحمه الله (٤٢٧٧):

حدثنا مسدد، حدثنا أبو الأحوص سلام بن سليم، عن منصور، عن هلال بن يساف، عن سعيد بن زيد قال: كنا عند النبيِّ ﷺ، فذكر فتنةً فعظَّم أمرَها، فقلنا -أو: قالوا:- يا رسول الله؛ لئن أدركتنا هذه لتهلكنا[١]؟ فقال رسول الله ﷺ: «كلاَّ، إن بحسبكم القتل»[٢] قال سعيد: فرأيت إخواني قُتلوا.

صحيح لغيره[٣]

وأخرجه الطبراني (٣٤٦، ٣٤٧، ٣٤٨، ٣٤٩)، وأحمد (١/ ١٨٩).

❊ ❊ ❊

(١) كأنَّ مرادهم: أنها إذا أدركتهم أهلكت دنياهم وآخرتهم.

(٢) المعنى -والله أعلم- أنكم يكفيكم كونكم قتلتم، ولا يلحقكم بعد ذلك ضرر في أخراكم، بل يرحمكم الله ويتجاوز عنكم، والله أعلم.

(٣) ورجال هذا الإسناد ثقات، إلا أن الحديث قد رُوي عند أحمد والطبراني بإدخال واسطةٍ بينَ هلالِ بن يسافٍ وسعيدِ بن زيدٍ، ألا وهو: عبد الله بن ظالم.
وانظر: «علل الدارقطني» (٤/ ٤١٣)، و«عبد الله بن ظالم» هذا: لا يحتج بحديثه، إلا أن للحديث شاهدًا عند أحمد (٣/ ٤٧٢)، فقال أحمد: ثنا يزيد بن هارون ببغداد، أنبأنا أبو مالك الأشجعي سعد بن طارق، عن أبيه، أنه سمع النبيَّ ﷺ يقول: «بحسب أصحابي القتل».
وهذا إسناد صحيح.
هذا، وقد ورد في هذا الباب حديثٌ أخرجه: أبو داود (٤٢٧٨)، وأحمد (٤/ ٤١٠، ٤١٨)، وعبد بن حميد في «المنتخب» (بتحقيقي رقم ٥٣٥)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٤٤٤) من طريق: عبد الرحمن بن عبد الله بن عتبة المسعودي، عن سعيد بن أبي بردة، عن أبيه، عن أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ: «أُمتي هذه أمة مرحومةٌ، ليس عليها عذاب في الآخرة، عذابها في الدُّنيا: الفتن والزلازل والقتل» إلا أن في هذا الإسناد «المسعودي»: وهو مختلط.
وقد توبع المسعودي كما عند أحمد (٤/ ٤٠٨)، فقد أخرج أحمد الحديث هناك من طريق: محمد بن سابق، ثنا ربيع -يعني: أبا سعيد النصري- عن معاوية بن إسحاق عن أبي بردة. قال =

= أبو بردة: حدثني أبي أنه سمع رسول اللَّه ﷺ. فذكر نحوه.
لكن في هذا الإسناد «أبو سعيد النصري»: وهو مجهول.
وفي الإسناد إشكالٌ آخر ألا وهو: الاختلاف على أبي بردة في هذا الحديث، فقد روى عنه عن أبيه (أبو موسى الأشعري) عن النبي ﷺ كما هنا، وكما عند البخاري في «التاريخ الكبير» (١/ ١/ ٣٨-٣٩).
وروى عنه عن عبد اللَّه بن يزيد كما عند الحاكم في «المستدرك» (١/ ٤٩) و(٤/ ٢٥٤).
وذلك من طريق: أبي بكر بن عياش، ثنا أبو حصين، عن أبي بردة، قال: كنت جالسًا عند عبيد اللَّه بن زياد، فأتى برءوس الخوارج، كُلما جاء رأس قلتُ: إلى النار - (وفي رواية: كُلما مروا عليه برأس قال: إلى النار) - فقال عبد اللَّه بن يزيد الأنصاري: أوَ لم تعلم يا ابن أخي، أني سمعتُ رسول اللَّه ﷺ يقول: «إن عذاب هذه الأمة جعل في دنياها»؟ قال الحاكم: هذاحديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ولا أعلم له علة وله شاهد صحيح.
ووافقه الذهبي فقال: على شرطهما، ولا علة له.
قلت: «أبو بكر بن عياش» لم يخرج له مسلم، فالإسناد على شرط البخاري وحده.
هذا ولم يعبأ الإمام أحمد بهذه الرواية، فقد سئل (كما في «التهذيب» (٦/ ٧٩): هل لعبد اللَّه ابن يزيد صُحبة صحيحة؟ قال: أمَّا صحيحة: فلا. ثم قال: شيء يرويه أبوبكر بن عياش عن أبي حصين عن أبي بردة عن عبد اللَّه بن يزيد سمعت النبي ﷺ، وما أرى ذاك بشيء.
ثم أورد الحاكم له شاهدًا من طريق يحيى بن زكرياء عن إبراهيم بن سويد النخعي وكان ثقة (كذا في «المستدرك») عن الحسن بن الحكم النخعي عن أبي بردة قال: سمعت عبد اللَّه بن يزيد يقول: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «عذاب أُمتي في دنياها».
قلت: وهذا يصلح شاهدًا للحديث إذا سلم الحديث من سائر العلل.
وثمة اختلاف آخر على أبي بردة فقد أخرجه الحاكم (٤/ ٢٥٣-٢٥٤) من طريق أحمد بن عبد الجبار، ثنا ابن فضيل بن غزوان، ثنا صدقة بن المثنى، ثنا رباح بن الحارث، عن أبي بردة.
قال: بينا أنا واقف في السوق في إمارة زياد إذ ضربتُ بإحدى يدي على الأخرى تعجبًا، فقال رجل من الأنصار - قد كانت لأبيه صحبة مع رسول اللَّه ﷺ -: مما تعجب ياأبا بردة؟ قلت: أعجب من قوم دينهم واحد ونبيهم واحد ودعوتهم واحدة وحجهم واحد وغزوهم واحد يستحل بعضهم قتل بعض؟ قال: فلا تعجب، فإني سمعتُ والذي أخبرني أنه سمع رسول اللَّه =

. . . .

ﷺ يقول: «إنَّ أُمتي أمة مرحومة، ليس عليها في الآخرة حساب ولا عذاب، إنَّما عذابها القتل والزلازل والفتن». هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال الذهبي: صحيح.

قلت: وفي هذا الإسناد «أحمد بن عبد الجبار» وهو ضعيف، إلا أنه قد توبع كما عند البخاري في «التاريخ الكبير» (١/ ١/ ٣٩)، تابعه البخاري نفسه.

وقد أورد البخاري في «التاريخ الكبير» (١/ ١/ ٣٩) ما يؤيد رواية أبي بردة عن رجل من الأنصار عن أبيه، فقال البخاري: وقال لنا سعيد بن يحيى: حدثنا أبي، قال: حدثنا بريد، عن أبي بردة، عن رجل من الأنصار، عن أبيه، عن النبي ﷺ.

والذي يبدو لنا أن الصواب من هذه الطرق هي رواية مِن روى الحديث من طريق أبي بردة، عن رجل من الأنصار عن أبيه عن النبي ﷺ.

وذلك لأمور، منها: أولاً: أن الطريق إلى أبي بردة بذلك هي الأصح، والأسلم من الإشكالات.

ثانيًا: أن طريق أبي بردة عن رجل من الأنصار عن أبيه عن رسول اللَّه ﷺ هي غير الجادة، وكما هو معلوم أن غير الجادة إذا تعارضت مع الجادة قدمت غير الجادة، فعليه؛ تُقدم رواية أبي بردة عن رجل من الأنصار عن أبيه مرفوعًا على رواية من روى أبو بردة عن أبيه عن النبي ﷺ.

وأيضًا فتقدم على رواية من ذكر عبد اللَّه بن يزيد؛ فعبد اللَّه بن يزيد مختلف في صُحبته.

ومن ثم؛ إذا تقرر لك ذلك وعلمتَ أن رواية أبي بردة عن رجل من الأنصار عن أبيه سمعت رسول اللَّه هي التي يعول عليها، فبالتعويل عليها نجدأنها رواية ضعيفة، وذلك لأن الرجل من الأنصار لم يُسم فهو مبهم، وعليها فالسند ضعيف. واللَّه أعلم.

تنبيه: قد يعكر على رواية إسماعيل بن عياش (وإسماعيل يغلط كثيرًا كما في تراجمه) بتعكير آخر وهو: أن الصحابي نزَّل الحديث على الخوارج، وفيه: أن النبي ﷺ قال: «إن عذاب هذه الأمة جُعل في دنياها» مع أنه قد ورد في الخوارج أنهم يُعذَّبون وأنهم كلابُ أهل النار، وشرُّ قتلى تحت أديم السماءِ، وفي قتلهم أجرٌ لمن قتلهم. . . إلى آخر ما ورد في ذلك. واللَّه أعلم.

قول الله عز وجل: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾

أقوال أهل العلم في الآية[١]

قال أبو جعفر الطبري رحمه الله (٣/ ٥٧٠):

يقول تعالىٰ ذكره لنبيه ﷺ: وقاتلوا المشركين الذين يقاتلونكم حتىٰ لا تكون فتنة يعني: حتىٰ لا يكون شرك بالله، وحتىٰ لا يعبد دونه أحد، وتضمحلُ عبادةُ الأوثان والآلهة والأنداد، وتكون العبادة والطاعة لله وحده دون غيره من الأصنام والأوثان.

ثم ذكَر رحمه الله بإسناد صحيح إلىٰ قتادة في قوله تعالىٰ: ﴿حَتَّىٰ لا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ قال: حتىٰ لا يكون شرك.

وبإسناد صحيح إلىٰ ابن زيد أيضًا في قوله: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ قال: حتىٰ لا يكون كفر، وقرأ: (تقاتلونهم أو يُسلمون) وأورد جملة آثارٍ أخرىٰ في هذا المعنىٰ عن ابن عباس ومجاهد والسدي، وفي الأسانيد إليهم ضعف.

* * *

(١) وقد تقدَّم قول ابن عمر رضي اللّه عنهما في الآية في أبواب الفتن الواردة في زمن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي اللّه عنه.

قول الله عز وجل ﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾

أقوال أهل العلم في الآية:

قال أبو جعفر الطبري رحمه الله: (يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾: والشرك بالله أشد من القتل، وقد بينت فيما مضى أن أصل «الفتنة»: الابتلاء والاختبار، فتأويل الكلام: وابتلاء المؤمن في دينه حتى يرجع عنه، فيصير مشركًا بالله من بعد إسلامه، أشد عليه وأضر من أن يقتل مقيمًا على دينه متمسكًا عليه مُحقًا فيه).

ثم أورد جملة آثار عن السلف بعضها صحيح وبعضها ضعيف تدور على هذا القول، أي: أن المراد: الشرك أشد من القتل.

وقال ابن كثير رحمه الله («التفسير» ١/ ٣٩٩ - بتحقيق الوادعي): (ولما كان الجهاد فيه إزهاق النفوس وقتل الرجال نبه تعالى على أن ما هم مشتملون عليه من الكفر بالله والشرك به والصد عن سبيله أبلغ وأشد وأعظم وأطم من القتل، ولهذا قال: ﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾، قال أبو مالك: أي: ما أنتم مقيمون عليه أكبر من القتل، وقال أبو العالية ومجاهد وسعيد بن جبير وعكرمة والحسن وقتادة والضحاك والربيع بن أنس في قوله: ﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾ يقول: الشرك أشد من القتل).

* * *

كراهية تكثير سواد أهل الفتن

وقول الله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ﴾

قال الإمام البخاري رحمه الله (٧٠٨٥):

حدثنا عبد الله بن يزيد، حدثنا حيوة وغيره، قال: حدثنا أبو الأسود، وقال الليث عن أبي الأسود قال: قطع على أهل المدينة بعث، فاكتتبْتُ فيه، فلقيتُ عكرمة فأخبرُته، فنهاني أشد النهي ثم قال: أخبرني ابنُ عباس: أن أُناسًا من المسلمين كانوا مع المشركين يُكثرون سَوَادَ المشركين على رسول الله ﷺ، فيأتي السهمُ فَيُرمىَ به فيصيب أحدُهم فيقتله أو يضربه فيقتله، فأنزل الله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ**﴾(١) [النساء: ٩٧].

صحيح

قال الإمام البخاري رحمه الله (٢١١٨):

حدثني محمد بن الصباح، حدثنا إسماعيل بن زكرياء، عن محمد بن سوقة، عن نافع بن جبير بن مطعم، قال: حدثتني عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**يغزو جيش الكعبة، فإذا كانوا ببيداء**(٢) **من الأرض يُخسف**

(١) قال الحافظ في «الفتح» (١٣/ ٣٨): (وفيه تخطئة من يقيم بين أهل المعصية باختياره لا لقصد صحيح من إنكار عليهم مثلاً أو رجاء إنقاذ مسلم من هلكة، وأن القادر على التحول عنهم لا يعذر، كما وقع للذين كانوا أسلموا ومنعهم المشركون من أهلهم من الهجرة ثم كانوا يخرجون مع المشركين لا لقصد قتال المسلمين بل لإيهام كثرتهم في عيون المسلمين، فحصلت لهم المؤاخذة بذلك، فرأى عكرمة أن من خرج في جيش يقاتلون المسلمين يأثم، وإن لم يقاتل ولا نوى ذلك، ويتأيد ذلك في عكسه بحديث: «هم القوم لا يشقى بهم جليسُهم»).

(٢) قال النووي: («البيداء»: كل أرض ملساء لا شيء بها).

بأولهم وآخرهم. قالت: قلتُ: يا رسول الله، كيف يخسف بأولهم وآخرهم وفيهم أَسْواقهم و مَن ليس منهم؟ قال: **يُخسف بأولهم وآخرهم ثم يُبعثون على نِيَّاتهم**»[١].

صحيح

قال الإمام البخاري رحمه الله (٧١٠٨):

حدثنا عبد الله بن عثمان، أخبرنا عبد الله، أخبرنا يونس، عن الزهري، أخبرني حمزة بن عبد الله بن عمر، أنه سمع ابن عمر رضي الله عنهما يقول: قال رسول الله ﷺ: «**إذا أنزل الله بقومٍ عذابًا أصابَ العذابُ من كان فيهم**[٢] **ثم بُعثوا على أعمالهم**[٣]».

صحيح

وأخرجه مسلم (٢٨٧٩).

(١) قال الحافظ في «الفتح» (٤/ ٢٤١): (قال المهلب: في هذا الحديث أن من كثر سواد قوم في المعصية مختاراً أن العقوبة تلزمه معهم. قال: واستنبط منه مالك عقوبة من يجالس شَرَبَةَ الخمر وإن لم يشرب، وتعقبه ابن المنير بأن العقوبة التي في الحديث هي الهجمة السماوية، فلا يقاس عليها العقوبات الشرعية، ويؤيده آخر الحديث حيث قال: «ويُبعثون على نياتهم»، وفي هذا الحديث: أن الأعمال تُعتبر بنيةِ العامل، والتحذير من مصاحبة أهل الظلم ومجالستهم وتكثير سوادهم إلا لمن اضطر إلى ذلك، ويتردد النظر في مصاحبة التاجر لأهل الفتنة هل هي إعانة لهم على ظلمهم أو هي من ضرورة البشرية؟ ثم يعتبر عمل كل أحد بنيته، وعلى الثاني يدل ظاهر الحديث.
وقال ابن التين: يحتمل أن يكون هذا الجيش الذي يخسف بهم هم الذين يهدمون الكعبة فينتقم منهم فيخسف بهم، وتعقب بأن في بعض طرقه عند مسلم: «إن ناسًا من أُمتي»، والذين يهدمونها من كفار الحبشة، وأيضًا فمقتضى كلامه: أنهم يخسف بهم بعد أن يهدموها ويرجعوا، وظاهر الخبر: أنه يخسف بهم قبل أن يصلوا إليها).

(٢) قال الحافظ في «الفتح» (١٣/ ٦٠): (المراد: من كان فيهم ممن ليس هو على رأيهم).

(٣) أي: بعث كل واحد منهم على حسب عمله، إن كان صالحًا فَعُقباهُ صالحة وإلا فَسيئة، فيكون =

قال الإمام مسلم رحمه الله (٢٨٨٤):

وحدثنا أبو بكر ابن أبي شيبة، حدثنا يونس بن محمد، حدثنا القاسم بن الفضل الحداني، عن محمد بن زياد، عن عبد الله بن الزبير، أن عائشة قالت: عبث[١] رسول الله ﷺ في منامه، فقلنا: يا رسول الله؛ صنعت شيئًا في منامك لم تكن تفعله؟! فقال: «**ما العجب، إن ناسًا من أمتي يؤمون بالبيت برجل من**

= ذلك العذاب طُهرةٌ للصالحين ونقمةٌ على الفاسقين.

وقال الحافظ - رحمه الله - بعد أن أورد كلام عدد من أهل العلم: (والحاصل: أنه لا يلزم من الاشتراكِ في الموت الاشتراكُ في الثواب أو العقاب، بل يجازئ كل أحدٍ بعمله على حسب نيته، وجنح ابن أبي جمرة إلى أن الذين يقع لهم ذلك إنما يقع بسبب سكوتهم عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأما من أمر ونهى فَهُم المؤمنون حقًا؛ لا يرسل الله عليهم العذابَ، بل يدفع بهم العذاب، ويؤيده قوله تعالى: ﴿وما كنا مهلكي القرى إلا وأهلها ظالمون﴾ وقوله تعالى: ﴿وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم، وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون﴾.

ويدل على تعميم العذاب لمن لم ينه عن المنكر وإن لم يتعاطاه قوله تعالى: ﴿فلا تقعد معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذًا مثلهم﴾، ويستفاد من هذا: مشروعية الهرب من الكفار ومن الظلمة؛ لأن الإقامة معهم من إلقاء النفس إلى التهلكة، هذا إذا لم يعنهم ولم يرض بأفعالهم، فإن أعان أو رضي فهو منهم، ويؤيده أمره ﷺ بالإسراع في الخروج من ديار ثمود، وأما بعثهم على أعمالهم فحكمٌ عدلٌ؛ لأن أعمالهم الصالحة إنما يجازون بها في الآخرة، وأما في الدنيا فمهما أصابهم من بلاء كان تكفيرًا لما قدَّموه من عملٍ سيءٍ، فكان العذاب المرسل في الدنيا على الذين ظلموا يتناول من كان معهم ولم ينكر عليهم، فكان ذلك جزاءً لهم على مداهنتهم، ثم يوم القيامة يبعث كل منهم فيجازئ بعمله. وفي الحديث تحذيرٌ وتخويفٌ عظيمٌ لمن سكت عن النهي، فكيف بمن داهن؟! فكيف بمن رضي؟! فكيف بمن عاون؟! نسأل الله السلامة.

قال الحافظ: قلت: ومقتضى كلامه أن أهل الطاعة لا يصيبهم العذاب في الدنيا بجريرة العصاة، وإلى ذلك جنح القرطبي في «التذكرة»، وما قدمناه قريبًا أشبه بظاهر الحديث، وإلى نحوه مال القاضي ابن العربي.

قلتُ: (يعني بما قدمه قوله: أي: «بعث كل واحد منهم على حسب عمله إن كان صالحًا فعقباه صالحة وإلا فسيئة فيكون ذلك العذاب طهرة للصالحين ونقمة على الفاسقين») والله أعلم.

(١) قال النووي - رحمه الله - «شرح مسلم» (٥/ ٧٣٣): («عبثَ: هو بكسر الباء، قيل: معناه اضطرب بجسمه، وقيل: حرك أطرافه كمن يأخذ شيئًا أو يدفعه).

قريش قد لجأ بالبيت، حتى إذا كانوا بالبيداء خُسف بهم»، فقلنا: يا رسول الله؛ إن الطريق قد يجمعُ الناس؟ قال: «**نعم، فيهم المستبصر**[١] **والمجبور**[٢] **وابن السبيل**[٣]، **يهلكون مَهلكًا واحدًا، ويصدرون مصادر شتَّى، يبعثهم الله على نيَّاتهم**».

صحيح

قال الإمام مسلم رحمه الله (٢٨٨٢):

حدثنا قتيبة بن سعيد وأبو بكر ابن أبي شيبة وإسحاق بن إبراهيم ـ واللفظ لقتيبة ـ (قال إسحاق: أخبرنا، وقال الآخرون: حدثنا)، جرير، عن عبد العزيز بن رفيع، عن عبيد الله بن القبطية قال: دخل الحارث بن أبي ربيعة وعبد الله بن صفوان ـ وأنا معهما ـ على أم سلمة أم المؤمنين، فسألاها عن الجيش الذي يخسف به ـ وكان ذلك في أيام ابن الزبير ـ فقالت: قال رسول الله ﷺ: «**يعوذ عائذٌ بالبيت فيبعث إليه بعث، فإذا كانوا ببيداء من الأرض خُسف بهم**» فقلت: يا رسول الله! ؛ فكيف بمن كان كارهًا؟ قال: «**يُخسف به معهم، ولكنه يُبعث يوم القيامة على نيته**». وقال أبو جعفر: هي بيداء[٤] المدينة.

صحيح

---

(١) «المستبصر» هو: المستبين لذلك؛ القاصد للمقاتلة.

(٢) «المجبور»: هو المكره.

(٣) «ابن السبيل»: المراد به هنا: سالك الطريق معهم وليس منهم.
قال النووي ـ رحمه الله ـ: (وفي هذا الحديث من الفقه: التباعد من أهل الظلم، والتحذير من مجالستهم، ومجالسة البغاة ونحوهم من المبطلين لئلا يناله ما يعاقبون به.
وفيه: أن من كثر سواد قوم جرئ عليه حكمهم في ظاهر عقوبات الدنيا).

(٤) قال النووي: (و«بيداء المدينة»: الشرف الذي قُدَّام ذي الحليفة، أي: إلى جهة مكة).
قلت: وقد تقدم أن البيداء هي كل أرض ملساء.

حدثناه أحمد بن يونس، حدثنا زهير، حدثنا عبد العزيز بن رفيع بهذا الإسناد، وفي حديثه قال: فلقيت أبا جعفر فقلت: إنها إنَّما قالت: «ببيداء من الأرض»؟ فقال أبو جعفر: كلا والله، إنها لبيداءُ المدينة.

والحديث أخرجه أبو داود مختصراً (٤٢٨٩).

قال الإمام مسلم رحمه الله (٢٨٨٣):

حدثنا عمرو الناقد وابن أبي عمر (واللفظ لعمرو)، قالا: حدثنا سفيان بن عيينة، عن أمية بن صفوان سمع جده عبد الله بن صفوان يقول: أخبرتني حفصة، أنها سمعت النبي ﷺ يقول: **«ليؤمَّن[1] هذا البيت جيشٌ يغزونه، حتى إذا كانوا ببيداء من الأرض يُخسف بأوسطهم ويُنادي أولُهم آخرَهم، ثم يخسف بهم، فلا يبقى إلا الشريد الذي يُخبر عنهم»**.

صحيح

فقال رجلٌ: أشهد عليك أنك لم تكذب على حفصة، وأشهد على حفصة أنها لم تكذب على النبيِّ ﷺ.

وأخرجه النسائي (٥/ ٢٠٧)، وابن ماجه (٤٠٦٣).

قال الإمام النسائي رحمه الله (ص٢٢١٠):

وحدثني محمد بن حاتم بن ميمون، حدثنا الوليد بن صالح، حدثنا عبيد الله عَمرو، حدثنا زيد بن أبي أُنيسة عن عبد الملك العامري، عن يوسف بن ماهك، أخبرني عبد الله بن صفوان، عن أم المؤمنين: أن رسول الله ﷺ قال: «سَيَعوذُ

(١) «ليؤمن» أي: ليقصدن.

بهذا البـيت ـ يعني: الكعبـة ـ قومٌ ليست لهم مـنعة ولا عددٌ ولا عُـدةٌ، يُبعث إليهم جيشٌ حتى إذا كانوا ببيداء مِن الأرض خسف بهم».

صحيح[١]

قال يوسف: وأهل الشام يومئذ يسيرون إلى مكة، فقال عبد الله بن صفوان: أما واللهِ؛ ما هو بهذا الجيش.

قال زيد: وحدثني عبد الملك العامري، عن عبد الرحمن بن سابط، عن الحارث بن أبي ربيعة، عن أم المؤمنين بمثل حديث يوسف بن ماهك غير أنه لم يذكر هذا الحديث الذي ذكره عبد الله بن صفوان.

* * *

(١) وانظر الحديث المتقدم.

اعتزال الفتن

قال أبو يعلى الموصلي رحمه الله (٢/ ٢٤٥):

حدثنا زحمويه[١]، حدثنا صالح بن عُمر، عن مطرف، عن عامر قال: لما قاتل مروانُ الضحاك بن قيس أَرسل إلى أيمن بن خريم الأسدي فقال: إنا نحب أن تقاتل معنا. فقال: إن أبي وعمي شهدا بدرًا[٢]، فعهدا إليَّ: أن لا أقاتل أحدًا يشهد أن لا إله إلا الله، فإن جئتني ببراءةٍ من النار قاتلتُ معك!! فقال: اذهب ووقع فيه وسبَّه، فأنشأ أيمن يقول:

ولست مقاتلاً[٣] رجلاً يصلي ... على سلطان آخر من قريشِ
له سلطانه وعليَّ إثمي ... معاذ الله من جهلٍ وطيشِ
أقاتل مسلمًا في غير شيء[٤] ... فليس بنافعي ما عشت عيشي

موقوف صحيح

---

(١) «زحمويه» هو: زكريا بن يحيى بن صبيح الواسطي، ترجمته في «تعجيل المنفعة»، وفيها: «ذكره ابن حبان في «الثقات»، وقال: كان من المتقنين في الروايات».
قلت: فعلى هذا فالرجل ثقة؛ لأن ابن حبان لم يقتصر على ذكره في الثقات، بل أتبعها بقوله: «كان من المتقنين في الروايات»، وهذا عند أهل العلم المطلعين على طريقة ابن حبان ومدى موافقته لغيره مرتبة في التوثيق لا تقلُّ عن توثيق غير ابن حبان.

(٢) في قوله: «شهدا بدرًا» بعض الخلاف، فقد رجَّح بعض أهل العلم هذه الرواية - رواية أنه شهد بدرًا - ورجح آخرون أنها الحديبية.
كما في «التهذيب» (ترجمة خريم بن فاتك)، وكما في الإصابة» (ترجمة أيمن بن خريم ابن فاتك)، وكذلك (ترجمة خريم بن فاتك): (١/ ١٠٣)، و(١/ ٤٢٣).

(٣) في رواية البيهقي والطبراني: «ولست بقاتل».

(٤) في رواية البيهقي والطبراني أيضًا: «أأقتل مسلمًا في غير جرم..؟!».

والحديث أخرجه البيهقي في «السنن الكبرىٰ» (٨/ ١٩٣)، والطبراني في «الكبير» (١/ ٢٩٠).

قال الإمام أحمد رحمه الله (٤/ ٢٢٦):

حدثنا عبد الصمد، ثنا زياد بن مسلم أبو عُمر، ثنا أبو الأشعث الصنعاني، قال: بعثنا يزيد بن معاوية إلىٰ ابن الزبير، فلما قدمتُ المدينةَ دخلتُ علىٰ فلانٍ - سمَّي زيادٌ اسمه - فقال: إن الناس قد صنعوا ما صنعوا، فما ترىٰ؟ فقال: أوصاني خليلي أبو القاسم ﷺ: **إن أدركتَ شيئًا من هذه الفتن فاعمدْ إلى أُحُد، فاكسرْ به حدَّ سيفك، ثم اقعد في بيتك. قال: فإن دخل عليك أحدٌ إلى البيتَ فَقُمْ إلى المَخْدَعِ، فإن دخَل عليك المَخْدَعَ فاجْثُ على رُكبتيك وقل: بُوء بإثْمي وإثمك فتكون مِن أصحابِ النارِ، وذلك جزاء الظالمين** فقد كسرتُ حدَّ سيفي وقعدتُ في بيتي.

حسن

* * *

ترك أرض الفتن

قال الإمام مسلم ـ رحمه الله ـ (٢٧٦٦):

حدثنا محمد بن المثنى ومحمد بن بشار (واللفظ لابن المثنى)، قالا: حدثنا معاذ بن هشام، حدثني أبي، عن قتادة، عن أبي الصديق، عن أبي سعيد الخدري، أن نبي الله ﷺ قال: **«كان فيمن كان قبلكم رجلٌ قتل تسعة وتسعين نَفْسًا، فسأل عن أعلم أهل الأرض، فَدُلَّ على راهب، فأتاه فقال: إنه قتل تسعة وتسعين نفسًا، فهل له من توبة؟ فقال: لا. فقتله فكمَّل به المائة، ثم سأل عن أعلم أهل الأرض، فَدُلَّ على رجلٍ عالمٍ، فقال: إنه قتل مائة نفس، فهل له من توبة؟ فقال: نَعم، ومَن يحول بينه وبين التوبة؟! انطلقْ إلى أرضِ كذا وكذا، فإنَّ بها أناسًا يعبدون اللَّهَ فاعبد اللَّه معهم، ولا ترجع إلى أرضِك؛ فإنها أرضُ سوء، فانطلق حتى إذا نَصَفَ الطريقَ أتاه الموتُ[(١)]، فاختصمت فيه ملائكةُ الرحمة وملائكة العذاب[(٢)]، فقالت ملائكة الرحمة: جاء تائبًا مُقبلاً بقلبه إلى اللَّه، وقالت ملائكة العذاب: إنه لم يعمل خيرًا قط، فأتاهم مَلَكٌ في صورة آدميٍّ، فجعلوه بينهم. فقال: قيسُوا ما بين الأرضين؛ فإلى أيتهما كان أَدْنى فهو له. فقاسوه فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد[(٣)]؛ فقبضته ملائكةُ الرحمة».**

صحيح

---

(١) في رواية البخاري: «فأدركه الموت فناء بصدره نحوها ـ(أي: نحو القرية الطيبة)» كما هو واضح في رواية البخاري.

(٢) في رواية البخاري: «فأوحى اللَّه إلى هذه: أن تَقرَّبي، وأوحى اللَّه إلى هذه: أن تباعدي».

(٣) في رواية لمسلم (ونحوها عند البخاري): «فكان إلى القرية الصالحة أقرب منها بشبر، فجعل من =

قال قتادة: فقال الحسن: ذكر لنا أنه لما أتاه ملك الموت نَأَىٰ بِصَدْرِه.

والحديث أخرجه البخاري مختصراً بعض الشيء (٣٤٧٠)، وابن ماجه (٢٦٢٢)، وأحمد (٣/ ٧٢).

* * *

= أهلها».

قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله - «فتح الباري» (٦/ ٥١٧): وفيه فضل التحول من الأرض التي يصيب الإنسان فيها المعصية لما يغلب بحكم العادة على مثل ذلك إما لتذكره لأفعاله الصادرة قبل ذلك والفتنة بها، وإما لوجود من كان يعينه على ذلك ويحضه عليه ولهذا قال له الأخير: ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء، ففيه إشارة إلى أن التائب ينبغي له مفارقة الأحوال التي اعتادها في زمن المعصية، والتحول منها كلها والاشتغال بغيرها.

وفيه فضل العالم على العابد؛ لأن الذي أفتاه أولاً بأن لا توبة له غلبت عليه العبادة فاستعظم وقوع ما وقع من ذلك القاتل من استجرائه على قتل هذا العدد الكثير، وأما الثاني فغلب عليه العلم فأفتاه بالصواب ودلَّه على طريق النجاة.

وصية الرسول ﷺ لأبي ذرٍّ في الفتنة

قال ابن حبان ـ رحمه اللَّه ـ «موارد الظمآن» (١٨٦٢):

أخبرنا عبد اللَّه بن محمد الأزدي، حدثنا إسحاق بن إبراهيم، أنبأنا مرحوم بن عبد العزيز، حدثنا أبو عمران الجوني، حدثنا عبد اللَّه بن الصامت، عن أبي ذر قال: ركب رسول اللَّه ﷺ حماراً وأردفني خلفه، ثم قال: **«أبا ذر؛ أرأيت إن أصاب الناس جوعٌ شديد حتى لا تستطيع أن تقوم من فراشك إلى مسجدك»** قلت: اللَّه ورسوله أعلم. قال: **«تَعَفَّفْ»** قال: **«يا أبا ذر، أرأيت إن أصاب الناسَ موتٌ شديدٌ حتى يكون البيت بالعبدِ، كيف تصنع؟»** قال: اللَّه ورسوله أعلم، قال: **«اصبِر يا أبا ذر، أرأيت إن قتل الناس بعضهم بعضًا حتى تغرق حجارة الزيت في الدماء، كيف تصنع؟»** قال: اللَّه ورسوله أعلم. قال: **«اقعد في بيتك وأَغلق عليك بابك»**. قال: أرأيت إن لم أُترك؟ قال: **«ائتِ من أنت منه فكُن فيهم»**، قال: فآخُذُ سلاحي؟ قال: **«إذًا تشاركهم، ولكن إن خشيتَ أن يروعك شعاعُ السَّيفِ فألق طرفَ ردائك على وجهك يَبُوءُ بإثمه وإثمك»**.

إسناده صحيح[1]

---

(١) قلت: وإسناده صحيح كما ترى، إلا أن أبا داود وابن ماجه والحاكم قد أخرجوه بزيادة بين أبي عمران الجوني وبين عبد اللَّه بن الصامت وهو: المشعث بن طريق، والذي زاد هذه الزيادة هو: حماد بن زيد، وهو ثقة ثبت، وهو الذي تفرَّد بذكر المشعث بن طريف على ما ذكره أبو داود في «سننه»، فقال أبو داود: لم يذكر المشعث في هذا الحديث غير حماد بن زيد وتعقب الحافظ في «تهذيب التهذيب» هذا الكلام بقوله: «وقد رواه جعفر بن سليمان وغير واحد عن أبي عمران عن عبد اللَّه بن الصامت نفسه».

قلت: وعلى أي الأحوال، فالمشعث بن طريق يصح حديثه لدينا في هذا الباب، ففي ترجمته =

أخبرنا الحسن بن سفيان، حدثنا حبان بن موسى، أنبأنا عبد اللَّه، أنبأنا حماد بن سلمة، عن أبي عمران الجوني . . . فذكر نحوه.

قلت: وأخرجه أحمد (٥/ ١٤٩)، وأبو دود (٤٢٦١)، وابن ماجه (٣٩٥٨)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٤٢٣).

وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، وقد أخرجه البخاري من حديث همام عن أبي عمران، وقد زاد في إسناده بين أبي عمران الجوني وعبد اللَّه بن الصامت المشعث بن طريق بزيادة في المتن، وحماد بن زيد أثبت من حماد بن سلمة.

وقال الذهبي: وقد أخرجه البخاري من حديث همام عن أبي عمران، وزاد حماد بن زيد في إسناده بين أبي عمران وعبد اللَّه بن الصامت المشعث بن طريف.

* * *

= في «التهذيب»:
قال صالح بن محمد: كان قاضي هراة، ولا نعرف بخراسان قاضيًا أقدم منه إلا يحيى بن يعمر، ومشعث جليل لا يعرف في خراسان أجلّ منه، وذكره ابن حبان في الثقات».

الاعتصام بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ

قال أبو داود رحمه الله (٤٦٠٧):

حدثنا أحمد بن حنبل، حدثنا الوليد بن مسلم، حدثنا ثور بن يزيد، قال: حدثني خالد بن معدان، قال: حدثني عبد الرحمن بن عَمرو السلمي وحجر بن حجر، قالا: أتينا العرباض بن سارية وهو ممن نزل فيه: ﴿**وَلا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ**﴾ [التوبة:٩٢]فسلمنا وقلنا: أتيناك زائرين وعائدين(١) ومقتبسين(٢) فقال العرباض: صلَّي بنا رسول الله ﷺ ذات يوم، ثم أقبل علينا فوعظنا موعظة بليغة؛ ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوبُ، فقال قائل: يا رسول الله، كأن هذه موعظة مودع، فماذا تعهد إلينا؟ قال: «**أُوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن عبدًا حبشيًا؛ فإنَّه من يعشْ منكم بعدي فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسُنتي وسنة الخلفاء الراشدين المَهْديين، تمسَّكوا بها وعَضُّوا عليها بالنواجذ**(٣) **وإياكم ومحدثات الأمور؛ فإن**

---

(١) عائدين من العيادة يعني عيادة المريض.

(٢) مقتبسين أي: مقتبسين من علمك.

(٣) قال صاحب«العون» (١٢/ ٣٦٠): («وعضوا عليها بالنواجذ»: جمع «ناجذة» بالذال المعجمة، قيل: هو الضرس الأخير، وقيل: هو مرادف السِّنِّ، وهو كناية عن شدة ملازمة السنة والتمسك بها.

وقال الخطابي: وقد يكون معناه أيضًا: الأمر بالصبر على ما يصيبه من المضض في ذات الله كما يفعله المتألم بالوجع يصيبه.

«وإياكم ومحدثات الأمور» قال الحافظ ابن رجب في «جامع العلوم والحكم»: فيه تحذير للأمة من اتباع الأمور المحدثة المبتدعة.. إلى آخره، فراجعه إن شئتَ.

قلت: لمزيد كلام حول الحديث راجع «تحفة الأحوذي شرح سنن الترمذي» (٧/ ٤٤٩).

كلَّ محدثة بدعةٌ، وكلَّ بدعةٍ ضلالة».

حسن[1]

وأخرجه الترمذي (٢٦٧٦)، وقال: هذا حديث حسن صحيح، وأخرجه أحمد (٤/ ١٢٦).

وأخرجه أيضًا ابن أبي عاصم في «السنة» (٥٤)، وابن ماجه (٤٣، ٤٤)، والدارمي (١/ ٤٤ ـ ٤٥)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٩٥ ـ ٩٦ ـ ٩٧) وقال هذا حديث صحيح ليس له علة. ووافقه الذهبي.

* * *

(١) وانظر «سنن ابن ماجه» رقم (٤٢).

فضل العبادة في الهرج

قال الإمام مسلم رحمه اللّه (٢٩٤٨):

حدثنا يحيىٰ بن يحيىٰ، أخبرنا حماد بن زيد، عن معلىٰ بن زياد، عن معاوية بن قرة، عن معقل بن يسار: أن رسول اللّه ﷺ / ح/ . وحدثناه قتيبة بن سعيد، حدثنا حماد، عن المعلىٰ بن زياد ردَّه إلىٰ معاوية بن قرة، ردَّه إلىٰ معقل بن يسار، ردَّه إلىٰ النبي ﷺ قال: «**العبادة في الهرج كَهِجرة إليّ**»[١] .

وحدثنيه أبو كامل حدثنا حماد بهذا الإسناد نحوه.

صحيح

وأخرجه: الترمذي (٢٢٠١) وقال: هذا حديث صحيح غريب، إنما نعرفه من حديث حماد بن زيد عن المعلىٰ.

وأخرجه ابن ماجه (٣٩٨٦).

* * *

(١) قال النووي - رحمه اللّه - «شرح مسلم» (٥/ ٨٠٩): (قوله ﷺ: «العبادة في الهرج كهجرة إليّ» المراد بالهرج هنا: الفتنة واختلاط أمور الناس، وسبب كثرة فضل العبادة فيه: أن الناس يغفلون عنها ويشتغلون عنها ولا يتفرغ لها إلا أفراد).

الإقبال على أمر الخاصة وترك أمر العامة[1]

قال الإمام أحمد رحمه الله (٢/ ٢٢٠):

حدثنا حسين بن محمد ثنا محمد مطرف، عن أبي حازم، عن عَمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، عن النبي ﷺ أنه قال: «**يأتي على الناس زمان يغربلون[2] فيه غربلة يبقى منهم حثالة[3] قد مرجت[4] عهودهم وأماناتهم واختلفوا، فكانوا هكذا ـ وشبك بين أصابعه ـ، قالوا: يا رسول الله؛ فما المَخْرج من ذلك؟ قال: تأخذون ما تَعرفون، وتَدَعُون ما تنكرون، وتُقْبلون على أمرِ خاصَّتكم، وتدعون أمر عامَّتكم**».

صحيح بمجموع طرقه(*)

---

(١) وذلك إذا ما كان حال العامة كما هو موصوف في الحديث.

(٢) قال شمس الحق العظيم أبادي (١١/ ٤٩٧): («يغربل الناس»: أي: يذهب خيارهم ويبقى أراذلهم، كأنه نقّي بالغربال). كذا في «المجمع».

(٣) تبقى حثالة (بمثلثة): أي: أراذل الناس. قاله السيوطي، نقل ذلك صاحب «العون» عنه، وفي «المرقاة» للقاري: بضم الحاء وبالثاء المثلثة، وهي: ما سقط من قشر الشعير والأرز والتمر والرديء من كل شيء.

(٤) «مرجت» أي: اختلطت وفسدت.

قال القاري: (بفتح الميم وكسر الراء، أي: فسدت (عهودهم وأماناتهم: أي: لا يكون أمرهم مستقيمًا، بل يكون كل واحد في كل لحظة على طبع وعلى عهد، ينقضون العهود ويخونون الأمانات ـ واختلفوا فكانوا هكذا وشبك بين أصابعه ـ أي: يمرج بعضهم بعض وتلبّس أمر دينهم، فلا يعرف الأمين من الخائن، ولا البر من الفاجر. كذا في «المجمع» («فقالوا: كيف بنا يا رسول الله؟» أي: فما نفعل عند ذلك؟ وبِمَ تأمرنا؟

«ما تعرفون»: أي: ما تعرفون كونه حقًا.

«وتذرون» أي: تتركون.

«ما تنكرون» أي: ما تنكرون أنه حق).

(*) فللحديث طرق عن عبد الله بن عَمرو مرفوعًا، منها: ما أخرجه أبو داود (٤٣٤٢)، وابن ماجه =

كفُّ اليدِ في الفتنة

قال الإمام أبو داود السجستانيّ رحمه اللَّه (٤٢٤٩):

حدثنا محمد بن يحيىٰ بن فارس، حدثنا عبيد اللَّه بن موسىٰ، عن شيبان، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «**ويلٌ للعرب من شرٍّ قد اقترب، أفلح مَن كفَّ يَدَهُ**»[١]. **صحيح**

قال الإمام الترمذي رحمه اللَّه (٢١٩٤):

حدثنا قتيبة، حدثنا الليث، عن عياش بن عياش[٢]، عن بكير بن عبد اللَّه بن الأشج، عن بسر بن سعيد، أن سعد بن أبي وقاص قال عند فتنة عثمان بن عفان: أشهد أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**إنها ستكون فتنةٌ، القاعدُ فيها خيرٌ من القائم، والقائمُ خيرٌ من الماشي، والماشي خيرٌ من الساعي**». قال: أفرأيتَ إن دخل علىٰ بيتي وبسط يده إليّ ليقتلني؟ قال: «**كُن كابنِ آدم**».

إسناده صحيح[٣]

وأخرجه أحمد (١/ ١٨٥).

= (٣٩٥٧)، وأحمد (٢/ ٢٢١)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٤٣٥). من طريق: أبي حازم عن عمارة بن عَمرو بن حزم، عن عبد اللَّه بن عَمرو مرفوعًا بنحوه، وقال الحاكم: هذا حديث صحيحُ الإسنادِ ولم يخرجاه. وقال الذهبي: صحيح.

وشاهد آخر عند أحمد (٢/ ١٦٢) من طريق: الحسن عن عبد اللَّه بن عَمرو مرفوعًا بنحوه.

وشاهد ثالث عند: أبي داود (٤٣٤٣)، وأحمد (٢/ ٢١٢)، والحاكم (٤/ ٥٢٥) من طريق: هلال بن خباب، قال: حدثني عكرمة، حدثني عبد اللَّه بن عَمرو بن العاص بنحوه مرفوعًا مع زيادة. وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وقال الذهبي: صحيح.

(١) أي: كفه يدع عن قتلٍ وقتالِ المسلمين وأذىٰ المسلمين.

(٢) في رواية المسند: عياش بن عباس.

(٣) وقد أخرج أبو داود هذا الحديث (٤٢٥٧) بذكر واسطة بين بُسر بن سعيد وسعد بن أبي وقاص، =

حفظ اللسان في الفتنة

قال الترمذي رحمه اللَّه (٢٥٠١):

حدثنا قتيبة، حدثنا ابن لهيعة، عن يزيد بن عَمرو المعافري، عن أبي عبد الرحمن الحُبُلي، عن عبد اللَّه بن عُمرو قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «مَن صَمتَ نَجا»[١].

حسن[٢]

قال أبو عيسى: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث ابن لهيعة.

والحديث أخرجه أحمد (٢/ ١٥٩، ١٧٧)، والدارمي في «السنن» (٢/ ٢٩٩)، وابن المبارك في «الزهد» (٣٨٥).

= ألا وهو: حسين بن عبد الرحمن الأشجعي، وهو مجهول ولكن طريق قتيبة هذه أقوىٰ، واللَّه أعلم.

(١) والمراد به: الصمت حين لا يدري ما وجه الحق والصواب، وحين لا يتأكد الشخص هل في كلامه نفع أم لا؟ وقد عُلم ما للسان من دور في الفتنة، أما إذا علم الشخص علمًا وكان الناس في وقت يحتاجون إلىٰ ذلك العلم فلا يتنزل هنا: «من صمت نجا»، وقد قال اللَّه تبارك وتعالىٰ: ﴿إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدىٰ من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم اللَّه ويلعنهم اللاعنون﴾. وقال عليه الصلاة والسلام: «مَن سُئل عن علم فكتمه ألجمه اللَّه بلجام من نار يوم القيامة»، كل ذلك بضوابطه المبسوطة في محلها.

(٢) وقد روىٰ ابن المبارك الحديث عن ابن لهيعة (كما في «الزهد لابن المبارك رقم ٣٨٥)، وابن المبارك من العبادلة الأربعة الذين رووا عن ابن لهيعة قبل الاختلاط.

ويتنزل في أوقات الفتن حديثُ رسول اللَّهِ ﷺ: «ألا أدلكم علىٰ خير أعمالكم وأزكاها عند مليككم، وأرفعها في درجاتكم، وخير لكم من إنفاق الذهب والورق، وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم؟

قالوا: بلىٰ يا رسول اللَّه.

قال: ذكر اللَّه». (وقد خرجنا هذا الحديث في كتابنا: «الصحيح المسند من الأذكار». =

قال ابن حبان رحمه اللَّه (موارد الظمآن ـ١١١):

أخبرنا عمر بن محمد الهمداني، حدثنا محمد بن عبد الملك بن زِنجويه، حدثنا محمد ابن يوسف الفريابي، عن سفيان، عن عُبيد اللَّه بن عُمر، عن نافع، عن ابن عمر قال: «لم يكن يُقَصُّ في زمان رسول اللَّه ﷺ ولا أبي بكر ولا عمر ولا عثمان، إنما كان القصص زمن الفتنة»(١).

صحيح

* * *

= فذكر اللَّه من أفضل ما يتقرب به إلى اللَّه في الفتن؛ بما يحويه الذكر من توبةٍ واستغفارٍ وتحميدٍ وتهليلٍ وتكبيرٍ وتسبيحٍ، وما يتبع ذلك من التفقه في الدين والعلم، فقد أنجى اللَّه أبا بكرة رضي اللَّه عنه بحديثٍ سمعه من رسول اللَّه ﷺ لما ولى الفرس ابنة كسرى عليهم، فقال رسول اللَّه ﷺ: «لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة»، فعلقت هذه الكلمة بقلبِ أبي بكرة وامتنع عن الخروج مع عائشة يوم الجمل، فأنجاه اللَّه (الحديث بتصرف وهو موجود في «الصحيح»، وفي هذا الكتاب أيضًا).

(١) ولذلك كثيرًا ما ترى في زمن الفتنة التعلق بالأحاديث الواهية التي تدور على الحكايات والروايات، ويتعلق الناس بأحاديث أسانيدها أوهى من خيوط العنكبوت، يُصبِّرون بها أنفسهم ويَرْثون بها حالهم ويُرفِّهون بها على العامة، فاللَّه المستعان.

تحريم ترويع المسلم

قال أبو داود رحمه اللَّه (٥٠٠٤):

حدثنا محمد بن سليمان الأنباري، حدثنا ابن نمير، عن الأعمش، عن عبد اللَّه بن يسار، عن عبد الرحمن بن أبي ليلىٰ قال: حدثنا أصحاب محمد ﷺ أنهم كانوا يسيرون مع النبي ﷺ، فنام رجلٌ منهم، فانطلق بعضهم إلىٰ حبلٍ معه فأخَذه، ففزع؛ فقال رسول اللَّه ﷺ: **«لا يحل لمسلمٍ أن يُروِّع مسلمًا»**.

صحيح[1]

وأخرجه أحمد (٥/ ٣٦٢).

قال الترمذي (٢١٦٠):

حدثنا بندار، حدثنا يحيىٰ بن سعيد، حدثنا ابن أبي ذئب، حدثنا عبد اللَّه بن السائب ابن يزيد، عن أبيه، عن جده قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«لا يأخذ أحدكم عصا أخيه لاعبًا أو جادًا[2]، فمن أخذ عصا أخيه فليردَّها إليه»**.

صحيح

أخرجه أبو داود (٥٠٠٣)، وأحمد (٤/ ٢٢١)، والبيهقي (٦/ ٩٢)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٢٤١).

---

(١) ولا يشوب إسناده شيء، إلا عنعنة الأعمش، ولا نراها تضر هاهنا؛ لأنَّهُ صرَّح بالواسطة بينه وبين ابن أبي ليلىٰ، واللَّه أعلم.
ثم إن جهالة الصحابة لا تضرُّ، فكلهم عدول. وباللَّه التوفيق.

(٢) قال الخطابي - رحمه اللَّه - (كما نقل عنه في «عون المعبود» ١٣/ ٣٤٦): معناه: أن يأخذه علىٰ وجه الهزل وسبيل المزاح ثم يحبسه عنه ولا يرده فيصير ذلك جدًا.
وقال صاحب «العون»: وجْه النهي عن الأخذ جادًا ظاهرٌ، لأنَّه سرقة، وأما النهي عن الأخذ =

النهي عن الإشارة بالسلاح إلى المسلمين

قال الإمام البخاري رحمه الله (٧٠٧٢):

حدثنا محمد أخبرنا عبد الرزاق، عن معمر، عن همام، سمعت أبا هريرة، عن النبي ﷺ قال: **«لا يشير أحدُكم على أخيه بالسلاح؛ فإنه لا يدري لعلَّ الشيطان يَنزغُ في يده»**(١) ....

لعبًا فلأنه لا فائدة فيه، بل قد يكون سببًا لإدخال الغيظ والأذى على صاحب المتاع.

قلت: وفي رواية للترمذي: «لاعبًا جادًا»، قال المباركفوري «تحفة الأحوذي» (٦/ ٣٧٩):

(قوله: «لا يأخذ» بصيغة النهي - وقيل بالنفي - «عصا أخيه» يعني: مثلاً، وفي رواية أبي داود: «لا يأخذن أحدكم متاع أخيه» و«لاعبًا جادًا»: حالان من فاعل «يأخذ»، وإن ذهب إلى أنهما مترادفتان تناقضتا، وإن ذهب إلى التداخل صحَّ، ذكره الطيبي - رحمه الله -.

قال القاري: يعني: ويكون حالاً من الأول، لكن الظاهر: أن الحال الثانية مُقدَّرة حتى لا يلزم التناقض، سواء كانتا مترادفتين أو متداخلتين، إلا أن يحمل الأول على ظاهر الأمر، والثاني على باطنه أي: لاعبًا ظاهرًا جادًا باطنًا، أي: يأخذ على سبيل الملاعبة، وقصده في ذلك إمساكه لنفسه، لئلا يلزم اللعب والجد في زمن واحدٍ، ولذا قال المظهر: معناه أن يأخذ على وجه الدَّل وسبيل المزاح ثم يحبسها عنه ولا يرده، فيصير ذلك جَدًا.

وفي «شرح السنة» عن أبي عبيد: هو أن يأخذ متاعه لا يريد سرقته، إنما يريد إدخال الغيظ عليه، فهو لاعبٌ في السرقة جادٌ في إدخال الغيظ والروع والأذى عليه. انتهى.

وينصر الأول قوله: «فمن أخذ عصا أخيه فليردها إليه»، قال التوربشتي - رحمه الله -: وإنما ضُرب المثل بالعصا لأنَّه من الأشياء التافهة التي لا يكون لها كبيرُ خطرٍ عند صاحبها، ليعلم أن ما كان فوقه فهو بهذا المعنى أحق وأجدر.

(١) قال النووي - رحمه الله - (٥/ ٤٧٦): («ولعل الشيطان ينزع» ضبطناه بالعين المهملة، وكذا نقله القاضي عن جميع روايات مسلم، وكذا هو في نسخ بلادنا، ومعناه: يرمي في يده ويحقق ضربته ورميته، ورُوي في غير مسلم بالغين المعجمة، وهو بمعنى: الإغراء، أي: يحمل على تحقيق الضرب به ويزين ذلك).

وقال الحافظ في «الفتح» (١٣/ ٢٥): (المراد: أنه يغري بينهم، حتى يضرب أحدهما الآخر بسلاحه، فيحقق الشيطان ضَربته له).

في حفرٍ من النار»[١] .

صحيح

وأخرجه مسلم (٢٦١٧) .

قال الإمام مسلم رحمه الله (٢٦١٦):

حدثني عَمرو الناقد وابن أبي عمر - قال عَمرو: حدثنا سفيان بن عيينة[٢] ، عن ابن سيرين، سمعت أبا هريرة يقول: قال أبو القاسم ﷺ: **«من أشار إلى أخيه بحديدة فإن الملائكة تلعنه، حتى وإن كان أخاه لأبيه وأمه»**.

صحيح

أخرجه الترمذي (٢١٦٢)، وعزاه الترمذي للنسائي .

* * *

(١) قال الحافظ في «الفتح» (١٣/ ٢٥): (هو كناية عن وقوعه في المعصية التي تفضي به إلى دخول النار) .

(٢) وقد أشار ابن أبي حاتم في «العلل» (٢/ ٤١٠) إلى أن حماد بن زيد روى هذا الحديث عن يونس وأيوب عن محمد بن أبي هريرة موقوفًا، وصحَّح أبو حاتم الرازي المُسند .
وورد هذاالحديث من طريق أبي سلمة عن أبي هريرة، وهذه الرواية فيها وهم (أعني: رواية أبي سلمة) .
انظر: «العلل» (٢/ ٤٢٠) .

النهي عن تعاطي السيف مسلولاً

قال أبو داود رحمه الله (٢٥٨٨):

حدثنا موسىٰ بن إسماعيل، حدثنا حماد، عن أبي الزبير، عن جابر: أن النبي ﷺ نهىٰ أن يُتعاطىٰ السيفُ مسلولاً (١).

صحيح(٢)

وأخرجه الترمذي (٢١٦٣).

قال ابن حبان رحمه الله «موارد الظمآن» (١٨٥٤):

أخبرنا عبد الله بن أحمد بن موسىٰ، حدثنا محمد بن معمر، حدثنا أبو عاصم، عن ابن جريج، قال: أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابرًا يقول: إن النبي ﷺ مرَّ علىٰ قومٍ يتعاطون سيفًا بينهم مسلولاً، فقال: **«ألم أزجركم عن هذا؟ ليغمدْه ثم يُناوله أخاه»**.

صحيح

* * *

(١) «مسلولاً»: أي: خارجًا من غمده.

(٢) وإن كان في إسناده أبو الزبير وهو: محمد بن مسلم المكي مدلس، وقد عنعن، لكن للحديث شاهد عند أحمد (٥/ ٤١ ـ ٤٢) قال أحمد: ثنا أبو النضر وعفان، قالا: حدثنا المبارك، عن الحسن، عن أبي بكرة ـ قال عفان في حديثه: ثنا المبارك قال: سمعت الحسن يقول: أخبرني أبو بكرة، قال: أتىٰ رسول الله ﷺ علىٰ قوم يتعاطون سيفًا مسلولاً فقال: «لعن الله من فعل هذا، أَوَ لَيس قد نهيتُ عن هذا؟ ثُم قال: إذا سلَّ أحدكم سيفه فنظر إليه فأراد أن يناوله أخاه فليغمده ثم يُناوله إياه».

قال الحافظ في «الفتح» (١٣/ ٢٥): (قال ابن العربي: إذا استحق الذي يشير بالحديدة اللعن =

ومن حفاظ رسول الله ﷺ على أمته

قال الإمام البخاري رحمه الله (٧٠٧٣):

حدثنا علي بن عبد الله، حدثنا سفيان، قال: قلت لعمرو: يا أبا محمد؛ سمعت جابر بن عبد الله يقول: مرَّ رجلٌ بسهامٍ في المسجد، فقال له رسول الله ﷺ: «**أمسك بنصالها**»[١] ؟ قال: نعم[٢].

صحيح

وأخرجه: مسلم (٢٦١٤)، والنسائي (٢/ ٤٩)، وابن ماجه (٣٧٧٧).

قال الإمام البخاري رحمه الله (٧٠٧٥):

حدثنا محمد بن العلاء، حدثنا أبو أسامة، عن بريد، عن أبي بردة، عن أبي موسى، عن النبي ﷺ قال: «**إذا مرَّ أحدُكم في مسجدنا ـ أو: في سُوقنا ـ ومعه نبلٌ فليمسك على نصالها ـ أو قال: فليقبض بكفه ـ؛ أن يصيب أحدًا من المسلمين منها بشيء**».

صحيح

وأخرجه: مسلم (٢٦١٥)[٣] وأبو داود (٢٥٨٧)، وابن ماجه (٣٧٧٨).

= فكيف الذي يصيب بها؟! وإنما يستحق اللعن إذا كانت إشارته تهديدًا سواء كان جادًّا أم لاعبًا، وإنما أوخذ اللاعب لما أدخله على أخيه من الروع، ولا يخفى أن إثم الهازل دون إثم الجاد، وإنما نهى عن تعاطي السيف مسلولاً لما يخاف من الغفلة عند التناول فيسقط فيؤذي).

(١) «النصل»: هو حديدة السهم.

(٢) وفي رواية في «الصحيح» أيضًا: «أن رجلاً مرَّ في المسجد بأسهم قد بدا نصولها، فأمر أن يأخذ بنصولها؛ لا يخدش مسلمًا».

(٣) وفي لفظ لمسلم: «إذا مرَّ أحدكم في مجلسٍ أو سوقٍ وبيده نبلٌ فليأخذ بنصالها، ثم ليأخذ =

التحذير من حمل السلاح على المسلمين

حديث ابن عمر رضي الله عنهما

قال الإمام البخاري رحمه الله (٧٠٧٠):

حدثنا عبد الله بن يوسف، أخبرنا مالك، عن نافع، عن عبد الله بن عُمر رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: «**مَن حمل علينا**[١] **السلاح فليسَ منَّا**»[٢].

صحيح

وأخرجه مسلم (٩٨)، والنسائي (٧/ ١١٧).

* * *

= بنصالها، ثم ليأخذ بنصالها» قال: فقال أبو موسىٰ: والله ما متنا حتىٰ سَدَدناها بعضنا في وجوه بعض.

(١) أي: من حمل السلاح علىٰ المسلمين لقتالهم بغير وجه حق، وفيه دليلٌ علىٰ تحريم قتال المسلمين.

(٢) قال النووي - رحمه الله «شرح مسلم» (ص١/ ٩٢): (ومعناه عند أهل العلم: أنه ليس ممن اهتدىٰ بهدينا واقتدىٰ بعلمنا وعملنا وحسن طريقتنا، كما يقول الرجل لولده إذا لم يرض فعله: «لستَ مني»، وهكذا القول في كل الأحاديث الواردة بنحو هذا القول، كقوله ﷺ: «من غش فليس منا»).

وقال (ص٢٩٨) ما حاصله: (وقاعدة مذهب أهل السنة والفقهاء هي: أن من حمل السلاح علىٰ المسلمين بغير حقٍّ ولا تأويلٍ ولم يستحله فهو عاصٍ، ولا يُكفَّر بذلك، فإن استحله كفر، فأما تأويل الحديث فقيل: هو محمول علىٰ المستحل بغير تأويل فيكفر ويخرج من الملة، وقيل: معناه: ليس علىٰ سيرتنا الكاملة وهدينا. =

حديث أبي موسى رضي الله عنه

قال الإمام البخاري رحمه الله (٧٠٧١):

حدثنا محمد بن العلاء، حدثنا أبو أسامة، عن بريد، عن أبي بردة، عن أبي موسى، عن النبي ﷺ قال: «**مَن حمل علينا السلاح فليس مِنَّا**».

صحيح

وأخرجه مسلم (١٠٠)، والترمذي (١٤٥٩)، وقال: حديث حسن صحيح. وابن ماجه (٢٥٧٧).

* * *

= وكان سُفيان بن عيينة - رحمه اللَّه - يكره قول من يفسره: بـ«ليس على هَدينا» ويقول: بئس هذا القول - يعني: بل يمسك عن تأويله ليكون أوقع في النفوس وأبلغ في الزجر. واللَّه أعلم).

أما الحافظ ابن حجر - رحمه اللَّه - فقال في «فتح الباري» (١٣/ ٢٤): (قوله: «فليس منا» أي: ليس على طريقتنا، أو: ليس متبعًا لطريقتنا، لأن مِن حق المسلم على المسلم أن ينصره ويقاتل دونه، لا أن يرعبه بحمل السلاح عليه لإرادة قتاله أو قتله، ونظيره: «من غشنا فليس منا»، و«ليس منا من ضرب الخدود وشق الجيوب» وهذا في حق من لا يستحل ذلك، فأما من يستحله فإنّه يكفر باستحلال المحرم بشرطه، لا مجرد حمل السلاح، والأولى عند كثير من السلف: إطلاق لفظ الخبر من غير تعرض لتأويله، ليكون أبلغ في الزجر، وكان سفيان بن عيينة ينكر على من يصرفه عن ظاهره، فيقول: «معناه: ليس على طريقتنا»، ويرى أن الإمساك عن تأويله أولى لما ذكرناه، والوعيد المذكور لا يتناول مَن قاتل البغاة من أهل الحق، فيحمل على البغاة وعلى من بدأ بالقتال ظالمًا.

حديث سلمة بن الأكوع رضي الله عنه

قال الإمام مسلم ـ رحمه الله ـ (٩٩):

حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة وابن نمير، قالا: حدثنا مصعب ـ وهو ابن المقدام ـ، حدثنا عكرمة بن عمار، عن إياس بن سلمة، عن أبيه، عن النبي ﷺ قال: «**من سلَّ علينا السيف فليس منِّا**».

صحيح

* * *

حديث أبي هريرة رضي الله عنه

قال الإمام مسلم رحمه اللّه (١٠١):

حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا يعقوب ـ وهو ابن عبد الرحمن القارئ / ح/ . وحدثنا أبو الأحوص محمد بن حيان، حدثنا ابن أبي حازم كلاهما عن سهيل بن أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هريرة، أن رسول اللّه ﷺ قال: «**من حمل علينا السلاح فليس مِنَّا، ومن غشَّنا فليس منَّا**».

صحيح

وأخرجه: ابن ماجه (٢٥٧٥).

* * *

وصية الرسول لأمته بعدم الاقتتال فيما بينها

قال ابن ماجه رحمه اللَّه (٣٩٤٤):

حدثنا محمد بن عبد اللَّه بن نمير، ثنا أبي ومحمد بن بشر، قالا: ثنا إسماعيل، عن قيس[1] عن الصنابح الأحمسي، قال رسول اللَّه ﷺ: **«ألا إني فَرَطُكم[2] على الحوض، وإني مُكاثرٌ بكم الأمم فلا تَقْتتِلُنَّ بعدي»**.

صحيح

وأخرجه: أحمد (٤/ ٣٤٩).

* * *

(١) وقد رُوي هذا الحديث من طريق مجالد، عن قيس، عن الصنابحي. مرفوعًا، وهذا وهم، إنما هو: الصنابح الأحمسي ابن الأعسر، وقد رجَّح ذلك أبو حاتم في «العلل» (٢/ ٤١٠).

(٢) «الفرط»: هو المتقدم والسابق.

الترهيب من قتل المسلم بغير حق[1]

والتحذير من فتن القتل والقتال بين المسلمين[2]

قال اللَّه تعالىٰ: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٩٣].

وقال سبحانه: ﴿ وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [الفرقان: ٦٨ ـ ٧٠].

* * *

---

(١) أوردنا هنا بعض الآيات والأحاديث فقط، ليس على سبيل الاستقصاء، وإنما ما يحصل به المراد ويليق بالمقام في أبواب الفتن.
ولمزيد انظر: «تفسير ابن كثير» (١/ ٥٣٤)، و«الصحيح المسند من الأحاديث القدسية» (تأليفي).

(٢) من المعلوم: أن رأي جمهور أهل السنة على أن لقاتل النفس توبة، وأنه يسري عليه ما يسري على أهل التوحيد إذا لم يكن مستحلاً، ولهم على ذلك جملة أدلة، منها: الآية التالية (آية الفرقان)، ومنها: حديث قاتل التسعة وتسعين نفسًا، وغير ذلك من الأدلة.

قال البخاري رحمه الله (مع الفتح ١٣/ ٤٧):

وقال ابن عيينة عن خلف بن حوشب:

كانوا يستحبون أن يتمثلوا بهذه الأبيات عند الفتن، قال امرؤ القيس[(١)]:

الحربُ أَوَّلُ ما تكون فَتِيَّةٌ تَسْعَى بِزِينَتِها لكُلِّ جَهُولِ
حتَّى إذا اشْتَعَلَتْ وَشَبَّ ضِرامُها وَلَّتْ عَجُوزًا غَيرَ ذاتِ حَلِيلِ
شَمْطَاءَ يُنكرُ لونُها وتَغَيَّرَت مكروهةٌ للشَّمِّ والتَّقْبِيلِ

قال النسائي ـ رحمه الله ـ (٧/ ٨٣):

أخبرنا الحسن بن إسحاق المروزي ـ ثقة ـ حدثني خالد بن خداش قال: حدثنا حاتم بن إسماعيل، عن بشير بن المهاجر، عن عبد الله بن بريدة، عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: **«قَتْلُ المؤمن أعظمُ عند الله من زوال الدُّنيا»**.

صحيح لغيره[(١)]

---

(١) قال الحافظ في «الفتح» (١٣/ ٤٩): (والمحفوظ: أن الأبيات المذكورة لعَمرو بن معديكرب الزبيدي، كما جزم به أبو العباس المبرِّد في «الكامل». وكذا رويناه في كتاب «الغرر من الأخبار» لأبي بكر حمد بن خلف القاضي المعروف بـ«وكيع»، قال: حدثنا معدان بن عليّ، حدثنا عمرو بن محمد الناقد، حدثنا سفيان بن عيينة، عن خلف بن حوشب، قال: قال عمرو بن معديكرب.

وبذلك جزم السهيليُّ في «الروض»، ووقع لنا موصولاً من وجهٍ آخر، وفيه زيادة رويناه في «فوائد الميمون بن حمزة المصري» عن الطحاوي فيما زاده في «السنن» التي رواها عن المزني عن الشافعي فقال: «حدثنا المزني، حدثنا الحميدي، عن سفيان، عن خلف بن حوشب، قال: قال عيسىٰ بن مريم للحواريين: كما ترك لكم الملوك الحكمة فاتركوا لهم الدنيا»، وكان خلف بن حوشب يقول: ينبغي للناس أن يتعلموا هذه الأبيات في الفتنة).

(١) ففي إسناده «بشير بن المهاجر»: فيه كلام، إلا أن للحديث شاهدًا عند النسائي (٧/ ٨٢) =

قال الإمام البخاري رحمه اللَّه (٦٨٦٢):

حدثنا عليّ، حدثنا إسحاق بن سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص، عن أبيه، عن ابن عمر رضي اللَّه عنهما قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«لن يزال المؤمن في فسحةٍ من دينه ما لم يُصِبْ دمًا حرامًا»**.

صحيح

قال الإمام البخاريّ رحمه اللَّه (٦٨٦٤):

حدثنا عبيد اللَّه بن موسى، عن الأعمش، عن أبي وائل، عن عبد اللَّه بن مسعود قال: قال النبيُّ ﷺ: **«أول ما يُقضى بين الناس في الدِّماء»**[١].

صحيح[٢]

والترمذي (١٣٩٥) من طريق: ابن أبي عدي، عن شعبة، عن يعلى بن عطاء، عن أبيه، عن عبد اللَّه بن عَمرو، عن النبي ﷺ قال: «لزوال الدنيا أهون عن اللَّه من قتل مسلم»، وهذا إسناد صحيح. إلا أنه اختلف في رفعه ووقفه، فرواه محمد بن جعفر عن شعبة عن يعلى عن أبيه عن عبد اللَّه بن عمرو موقوفًا، ورجح الترمذي - رحمه اللَّه - الموقوف.

وللحديث شاهد آخر عند ابن ماجه (٢٦١٩) من حديث البراء بن عازب رضي اللَّه عنه مرفوعًا.

وبالجملة؛ فالحديثُ يرتقي بمجموع طرقه للصحة. واللَّه أعلم.

(١) وقد ورد حديث: «أول ما يحاسب به العبد الصلاة»، ووجه الجمع بينه وبين هذا الحديث: أن أول ما يحاسب عنه فيما يتعلق بالحقوق بينه وبين ربه من حقوق هو الصلاة، وأما أول ما يحاسب عنه فيما يتعلق بالحقوق بينه وبين البشر فهو: الدماء. واللَّه أعلم.

وقد أخرج النسائي (٧/ ٨٣) كتاب تحريم الدم، باب: تعظيم الدم. حديثًا يجمع بينهما لفظه: «أول ما يحاسب به العبد: الصلاة، وأول ما يقضى بين الناس: في الدماء»، وهو بهذا الاقتران ضعيف، ففي إسناده «شريك» وهو سيئ الحفظ. واللَّه أعلم.

(٢) وانظر «علل الدارقطني» (٥/ ٩٠) إن شئت.

وأخرجه مسلم (١٦٧٨)، والترمذي (١٣٩٦، ١٣٩٧)، وقال: حديث عبد الله حديث حسن صحيح، وهكذا روىٰ غير واحد عن الأعمش مرفوعًا، وروىٰ بعضهم عن الأعمش ولم يرفعوه.

وأخرجه النسائي (٧/ ٨٣) موقوفًا ومرفوعًا. وابن ماجه (٢٦١٥).

قال أبو داود رحمه الله (٤٢٧٠):

حدثنا مؤمل بن الفضل الحراني، حدثنا محمد بن شعيب، عن خالد بن دهقان قال: كُنَّا في غزوة القسطنطينية بذُلُقْية«(١)، فأقبل رجل من أهل فلسطين من أشرافهم وخيارهم يعرفون ذلك له، يقال له: هانئ بن كلثوم بن شُريك الكناني، فسلَّم علىٰ عبد الله بن أبي زكرياء وكان يعرف له حقه، قال لنا خالد: فحدثنا عبد الله بن أبي زكريا قال: سمعت أم الدرداء تقول: سمعت أبا الدرداء يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**كلُّ ذنب عسىٰ الله أن يغفره، إلا مَن مات مُشركًا، أو مؤمن قتل مؤمنًا متعمدًا**»(٢)، فقال هانئ بن كلثوم: سمعت

(١) «ذُلقية»: اسم مدينة بالروم. قاله صاحب «عون المعبود» (١١/ ٣٥١)، وهي بضم الدَّال واللام وسكون القاف وفتح الياء التحتية.

(٢) الذي عليه جمهور أهل السنة والجماعة: أن توبة القاتل صحيحة كغيره، وذلك لقول الله تبارك وتعالىٰ: ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ [النساء: ٤٨، ١١٦]، ولحديث الرجل الذي قتل تسعة وتسعين نفسًا، ثم دُلَّ علىٰ راهب فأتاه فقيل: هل لي من توبة؟ قال: لا. فقتله فأكمل به المائة. ثم ذهب إلىٰ آخر فقال: ومن يحول بينك وبين التوبة؟.. الحديث، وفيه: «إن ملائكة الرحمة وملائكة العذاب اختصموا فيه، فكان مآله في آخر الأمر إلىٰ ملائكة الرحمة».

ولقول الله تعالىٰ: ﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا علىٰ أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعًا...﴾ [الزمر: ٥٣] إلىٰ غير ذلك.

محمد بن الربيع يُحدث عن عبادة بن الصامت أنه سمعه يحدث عن رسول اللَّه ﷺ أنه قال: «**مَن قتل مؤمنا فاعتبط**(١) **بقتله لم يقبل اللَّه منه صرفًا ولا عدلاً**»(٢).

قال لنا خالد: ثم حدثني ابن أبي زكريا، عن أم الدرداء، عن أبي الدرداء، أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**لا يزال المؤمن معنقًا**(٣) **صالحًا ما لم يُصب دمًا حرامًا،**

= أما هذا الحديث ونحوه: فقد حمله بعض أهل السنة على المستحل، وحمله آخرون: أنه ورد على سبيل الزجر والتغليظ، وقال السندي في «حاشيته على النسائي» (٧/ ٨١): وكأن المراد كل ذنب تُرجَى مغفرته ابتداء، إلا قتل المؤمن فإنه لا يغفر بلا سبق عقوبة، وإلا الكفر، فإنه لا يغفر أصلاً، وإذا حمل على القتل مستحلاً لا يبقى المقابلة بينه وبين الكفر، ثم لا بد من حمله على ما إذا لم يتب، وإلا فالتائب من الذنب كمن لا ذنب له.

قلت: ويمكن أن يقال: إن القتل لما كان متعلقًا بحقوق الآدميين فتوقف ذلك على عفو المقتول. واللَّه تعالى أعلم.

وعلى كلٍّ، فليس المجال هنا مجال بسط هذه المسألة، إنما ذكرناها في غاية الاختصار وباللَّه التوفيق.

(١) في رواية أبي داود (٤٢٧١) أورد أبو داود بسنده إلى خالد بن دهقان قال: سألت يحيى بن يحيى الغساني عن قوله: «اعتبط بقتله» قال: الذين يقاتلون في الفتنة، فيقتل أحدهم فيرى أنه على هدى لا يستغفر اللَّه - يعني: من ذلك.

قال أبو داود: وقال: «فاعتبط بصب دمه صبًا». وقال الخطابي في «معالم السنن مع عون المعبود» (١١/ ٣٥٣): (يريد: أنه قتله ظلمًا لا عن قصاص).

وفي «اللسان» مادة: «عبط» قال: (وفي الحديث: «من اعتبط مؤمنًا قتلاً فإنه قود» أي: قتله بلا جناية كانت منه ولا جريرة توجب قتله، فإن القاتل يقاد به ويقتل، وكل من مات بغير علة فقد اعتبط). ثم أورد كلام يحيى بن يحيى الغساني المتقدم، وقال: (قال ابن الأثير: وهذا التفسير يدل على أنه من الغبطة - بالغين المعجمة - وهي: الفرح والسرور وحسن الحال؛ لأن القاتل يفرح بقتل خصمه، فإذا كان المقتول مؤمنًا وفرح بقتله دخل في هذا الوعيد).

(٢) قال صاحب «العون»: «صرفًا ولا عدلاً»: قال العلقمي: أي: نافلة ولا فريضة، وقيل غير ذلك.

(٣) «معنقًا» قال صاحب «العون»: بصيغة اسم الفاعل، من الإعناق، أي: خفيف الظهر سريع =

فإذا أصاب دمًا حرامًا بلَّح»[١] .

صحيح[٢]

وحدث هانئ بن كلثوم، عن محمود بن الربيع، عن عبادة بن الصامت، عن رسول الله ﷺ مثله سواء.

وحديث أبي الدرداء أخرجه: ابن حبان (موارد الظمآن - ٥١)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٣٥١) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وقال الذهبي: صحيح.

* * *

= السير، قال الخطابي: يريد خفيف الظهر، «يعنق مشيه» أي: يسير سير العنق، و«العنق» ضربٌ من السير وسيعٌ، يقال: «أعنق الرجل في سيره فهو معنق».

وقال في «النهاية»: أي: مسرعًا في طاعته منبسطًا في عمله، وقيل: أراد يوم القيامة.

(١) «بلَّح»: قال الخطابي: بموحدة وتشديد اللام وحاء مهملة، أي: أعيا وانقطع.

وقال في «النهاية»: يُقال: «بلح الرجل» إذا انقطع من الإعياء فلم يقدر أن يتحرك، وقد أبلحه السير فانقطع به، يريد: وقوعه في الهلاك بإصابة الدم الحرام، وقد يخفف اللام. كذا في «مرقاة الصعود» قاله صاحب «العون».

(٢) وللحديث شاهد عند: النسائي (٧/ ٨١)، وأحمد (٤/ ٩٩)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٣٥١) من حديث معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه مرفوعًا.

قال الإمام مسلم رحمه اللَّه (١٨٤٨):

حدثنا شيبان بن فروخ، حدثنا جرير - يعني: ابن حازم - حدثنا غيلان بن جرير، عن أبي قيس بن رياح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «**من خرج من الطاعة وفارق الجماعة فمات مات ميتة جاهلية، ومن قاتل تحت راية عمية يغضب لعصبة أو يدعو إلى عصبة فقتل فقتلة جاهلية، ومَن خرج على أمتي يضرب برها وفاجرها ولا يتحاش من مؤمنها ولا يفي لذي عهد عهده فليس منِّي ولست منه**».

صحيح

وأخرجه النسائي (٧/ ١٢٣) وابن ماجه (٣٩٤٨).

قال الإمام البخاري رحمه اللَّه (٦٨٦٣):

حدثني أحمد بن يعقوب، حدثنا إسحاق بن سعيد، قال: سمعت أبي يحدث، عن عبد اللَّه بن عمر قال: إن ورطات الأمور التي لا مخرج لِمَنْ أوقع نفسه فيها: سفك الدم الحرام بغير حله.

موقوف صحيح

قال الإمام مسلم رحمه اللَّه (٩٧):

حدثنا أحمد بن الحسن بن خراش، حدثنا عمرو بن عاصم، حدثنا معتمر، قال: سمعت أبي يحدث أن خالدًا الأثبج - ابن أخي صفوان بن محرز -، حدث عن صفوان بن محرز أنه حدث، أن جندب بن عبد اللَّه البجلي بعث إلى عسعس ابن سلامة زمن فتنة ابن الزبير فقال: اجمع لي نفرًا من إخوانك حتى أحدثهم.

فبعث رسولاً إليهم فلما اجتمعوا جاء جندب وعليه برنس أصفر، فقال:

تحدثوا بما كنتم تحدثون به حتىٰ دار الحديث، فلما دار الحديث إليه حسر البرنس عن رأسه فقال: إني أتيتكم ولا أريد أن أخبركم عن نبيكم، إن رسول اللّه ﷺ بعث بعثًا من المسلمين إلىٰ قوم من المشركين، وإنهم التقوا فكان رجلٌ من المشركين إذا شاء أن يقصد إلىٰ رجل من المسلمين قصد له فقتله، وإن رجلاً من المسلمين قصد غفلته ـ قال: وكنا نحدث أنه أسامة بن زيد ـ فلما رفع عليه السيف قال: لا إله إلا اللّه، فقتله.

فجاء البشير إلىٰ النبي ﷺ، فسأله فأخبره، حتىٰ أخبر خبرَ الرجل كيف صنع، فدعاه فسأله، فقال: «**لم قتلته؟**» قال: يا رسول اللّه، أوجع في المسلمين وقتل فلانًا وفلانًا ـ وسمَّىٰ له نفرًا ـ، وإني حملتُ عليه، فلما رأىٰ السيف قال: لا إله إلا اللّه. قال رسول اللّه ﷺ: «**أقتلته؟**» قال: نَعَم. قال: «**فكيف تصنع بـ(لا إله إلا اللّه) إذا جاءت يوم القيامة؟!**» قال: يا رسول اللّه، استغفر لي. قال: «**وكيف تصنع بـ(لا إله إلا اللّه) إذا جاءت يوم القيامة؟!**» قال: فجعل لا يزيده علىٰ أن يقول: «**كيف تصنع بـ (لا إله إلا اللّه) إذا جاءت يوم القيامة؟!**».

صحيح

قال الإمام البخاري رحمه اللّه (٤٠١٩):

حدثنا أبو عاصم، عن ابن جريج، عن الزهري، عن عطاء بن يزيد، عن عبيد اللّه بن عدي، عن المقداد بن الأسود / ح/ . وحدثني إسحاق، حدثنا يعقوب بن إبراهيم بن سعد، حدثنا ابن أخي شهاب، عن عمه، قال: أخبرني عطاء بن يزيد الليثي ثم الجندعي: أن عبيد اللّه بن عدي بن الخيار أخبره: أن المقداد بن عمرو الكندي ـ وكان حليفًا لبني زهرة، وكان ممن شهد بدرًا مع رسول

اللَّه ﷺ، أخبره أنه قال لرسول اللَّه ﷺ: أرأيت إن لقيتُ رجلاً من الكفار فاقتتلنا، فضرب إحدىٰ يدي بالسيف فقطعها، ثم لاذ منِّي بشجرة فقال: أسلمتُ للَّه. أأقتله يا رسول اللَّه بعد أن قالها؟ فقال رسول اللَّه ﷺ: «**لا تقتله**». فقال: يا رسول اللَّه، إنَّه قطع إحدىٰ يدي ثم قال ذلك بعدما قطعها؟ فقال رسول اللَّه ﷺ: «**لا تقتله، فإنْ قتلته فإنَّه بمنزلتك قبل أن تَقتله، وإنك بمنزلته قبل أن يقول كلمته التي قال**».

صحيح

وأخرجه مسلم (٩٥)، وأبو داود (٢٦٤٤). وعزاه المزي للنسائي.

قال الإمام البخاري رحمه اللَّه (٦٨٧٢):

حدثنا عمرو بن زرارة، حدثنا هشيم، حدثنا حصين، حدثنا أبو ظبيان قال: سمعت أسامة بن زيد بن حارثة رضي اللَّه عنهما يحدث قال: بعثنا رسول اللَّه ﷺ إلىٰ الحرقة - من جهينة -، قال: فصبَّحنا القومَ فهزمناهم. قال: ولحقتُ أنا ورجل من الأنصار رجلاً منهم، قال: فلما غشيناه قال: لا إله إلا اللَّه. قال: فكفَّ عنه الأنصاريُّ، فطعنته برُمحي حتىٰ قتلتُهُ. قال: فلما قدمنا بلغ ذلك النبيَّ ﷺ، قال: فقال لي: «**يا أسامة، أقتلته بعد ما قال: لا إله إلا اللَّه؟**» قال: قلت يا رسول اللَّه، إنما كان متعوِّذًا. قال: «**قتلته بعدما قال: لا إله إلا اللَّه؟!**» قال: فما زال يكررها عليَّ حتىٰ تمنيتُ أني لم أكن أسلمتُ قَبْلَ ذلك اليوم.

صحيح

وأخرجه مسلم (٩٦)، وأبو داود (٢٦٤٣)، وعزاه المزي للنسائي.

* * *

قول النبي ﷺ «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر»

قال الإمام البخاري رحمه الله (٧٠٧٦):

حدثنا عمر بن حفص، حدثني أبي، حدثنا الأعمش، حدثنا شقيق[١] قال: قال عبد الله: قال النبي ﷺ: **«سبابُ المسلم فسوقٌ، وقتالُه كفرٌ»**[٢].

صحيح

وأخرجه مسلم (٦٤)، والنسائي (٧/ ١٢٢)، وابن ماجه (٦٩).

* * *

---

(١) وقد رُوي هذا الحديث بذكر واسطة بين شقيق وعبد الله؛ وهو: مسروق.
وقال الدارقطني في «العلل» (٥/ ٢٥٩): والصحيحُ قولُ من لم يذكر مسروقًا.

(٢) قال الحافظ في «الفتح» (١/ ١١٢): (إن قيل هذا وإن تضمن الرد على المرجئة، لكن ظاهره يقوي مذهب الخوارج الذين يكفرون بالمعاصي؟ فالجواب: إن المبالغة في الرد على المبتدع اقتضتْ ذلك، ولا متمسك للخوارج فيه، لأن ظاهره غير مرادٍ، لكن لما كان القتال أشدّ من السباب - لأنه مُفضٍ إلى إزهاق الأرواح - عبَّر عنه بلفظٍ أشد من لفظ الفسق وهو الكُفر، ولم يرد حقيقة الكفر التي هي الخروج عن الملة، بل أطلق عليه الكفر مبالغة في التحذير، معتمدًا على ما تقرر من القوعد أن مثل ذلك لا يخرج عن الملة مثل حديث الشفاعة، ومثل قوله تعالى: ﴿إن اللَّه لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ وقد أشرنا إلى ذلك في باب المعاصي من أمر الجاهلية، أو أطلق عليه الكفر لشبهه به، لأن قتال المؤمن من شأن الكافر، وقيل: المراد هنا الكفر اللغوي وهو التغطية؛ لأن حق المسلم على المسلم أن يعينه وينصره ويكف عنه أذاه، فلما قاتله كان كأنه غطَّى على هذا الحق. والأوَّلان أليقُ بمراد المصنف وأولى بالمقصودِ من التحذير من فعل ذلك والزجر عنه، بخلاف الثالث، وقيل: أراد بقوله: «كفر» أي: قد يؤول هذا الفعل بشؤمه إلى الكفر، وهذا بعيدٌ، وأبعد منه حمله على المستحل لذلك؛ لأنه لا يطابق الترجمة، ولو كان مرادًا لم يحصل التفريق بين السباب والقتال، فإن مُستحل لعن المسلم بغير تأويل يكفر أيضًا، ثم ذلك محمول على من فعله بغير تأويل، مثل هذا الحديث: =

قول النبي ﷺ: «لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض»

حديث أبي بكرة رضي الله عنه

قال الإمام البخاري رحمه الله (٧٠٧٨):

حدثنا مسدد، حدثنا يحيىٰ، حدثنا قرة بن خالد، حدثنا ابن سيرين، عن عبد الرحمن بن أبي بكرة، عن أبي بكرة، وعن رجل آخر هو أفضل في نَفْسي من عبد الرحمن بن أبي بكرة، عن أبي بكرة: أن رسولَ اللَّه ﷺ خطب الناس فقال: «ألا تدرون أي يوم هذا؟» قالوا: اللَّه ورسوله أعلم. قال: حتىٰ ظننا أنه

= قوله ﷺ: «لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض»، ففيه هذه الأجوبة، وسيأتي في «كتاب الفتن، ونظيره قوله تعالىٰ: ﴿أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض﴾ [البقرة: ٨٦] بعد قوله تعالىٰ: ﴿ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقًا منكم من ديارهم﴾ الآية، فدلَّ علىٰ أن بعض الأعمال يُطلق عليه الكفر تغليظًا، وأما قوله ﷺ فيما رواه مسلمٌ: «لعن المسلم كقتله»؛ فلا يخالف هذا الحديث؛ لأن المشبه به فوق المشبه، والقدر الذي اشتركا فيه بلوغ الغاية في التأثير، هذا في العِرض، وهذا في النفس. واللَّه أعلم). اهـ.

وأورد النووي هذا الكلامَ ملخَّصًا (١/ ٢٥٢) فقال: (وأما قتاله بغير حق: فلا يكفر به عند أهل الحق كفرًا يخرج به من الملة ـ كما قدمناه في مواضع كثيرة ـ إلا إذا استحله؛ فإذا تقرر هذا فقيل في تأويل الحديث أقوالٌ:

أحدها: أنه في المستحل.

الثاني: أن المراد كفر الإحسان والنعمة وأخوة الإسلام، لا كفر الجحود.

الثالث: أنه يؤول إلىٰ الكفر بشؤمه.

الرابع: أنه كفعل الكفار واللَّه أعلم.

ثم إن الظاهر من قتاله: المقاتلة المعروفة، قال القاضي: ويجوز أن يكون المراد: المشادة والمدافعة. واللَّه أعلم.

سيسميه بغير اسمه - فقال: «**أليس بيوم النحر؟**» قلنا: بلى يا رسول اللَّه. قال: «**فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم وأبشاركم عليكم حرام، كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا، ألا هل بلغتُ؟**» قلنا: نَعم. قال: «**اللَّهمَّ اشهدْ. فليبلِّغِ الشاهدُ الغائبَ، فإنَّه رُبَّ مُبلَّغٍ يبلغه مَن هو أوعى له فكان كذلك**»، قال: «**لا ترجعوا بعدي كُفَّارًا يضرب بعضكم رقاب بعض**»[1].

فلما كان يوم حُرق ابن الحضرمي[2] حين حرقه جارية بن قدامة قال: وأشرفوا على أبي بكرة؛ فقالوا: هذا أبو بكرة يراك. قال عبد الرحمن: فحدثتني أُمي عن

(١) قال النووي - رحمه اللَّه - (١/ ٢٥٤): (قيل في معناه سبعة أقوال:
أحدها: أن ذلك كفر في حق المستحل بغير حق.
والثاني: المراد كفر النعمة وحق الإسلام.
والثالث: أنه يقرب من الكفر ويؤدي إليه).
قال الحافظ في «الفتح» (١٣/ ٢٧): (لأن من اعتاد الهجوم على كبار المعاصي جره شؤم ذلك إلى أشد منها، فيخشى ألا يختم له بخاتمة الإسلام).
ثم قال النووي رحمه اللَّه:
(والرابع: أنه فعل كفعل الكفار.
والخامس: المراد حقيقة الكفر، ومعناه: لا تكفروا بل دوموا مسلمين.
والسادس: حكاه الخطابي وغيره: أن المراد بالكفار: المتكفرون بالسلاح، يقال: «تكفر الرجل بسلاحه» إذا لبسه، قال الأزهري في كتابه «تهذيب اللغة»: يقال للابس السلاح: «كافر».
والسابع: - قاله الخطابي - معناه: لا يكفر بعضكم بعضًا، فتستحلوا قتال بعضكم بعضًا).
وأورد الحافظ ابن حجر نحو هذه الأقوال في «الفتح» (١٢/ ١٩٤) وزاد:
(ثامنها: لا يكفر بعضكم بعضًا، كأن يقول أحد الفريقين للآخر: «يا كافر»، فيكفر أحدهما، وأورد الحافظ أن الخوارج حملت هذا الحديث على ظاهره.
وقال هناك أيضًا: قال الداودي: معناه: لا تفعلوا بالمؤمنين ما تفعلون بالكفار، ولا تفعلوا بهم ما لا يحل وأنتم ترونه حرامًا.
(٢) قال الحافظ في «الفتح» (١٣/ ٢٨): (وابن الحضرمي فيما ذكره العسكري اسمه: عبد اللَّه بن =

أبي بكرة أنه قال: لو دخلوا عليَّ ما بهشت[1] بقصبةٍ.

صحيح

وأخرجه مسلم (١٦٧٩)، وعزاه المزي للنسائي.

* * *

= عَمرو بن الحضرمي، وأبوه: «عَمرو» هو أول من قتل من المشركين يوم بدر، وعلى هذا فلعبدِ اللَّه رؤية، وقد ذكره بعضهم في الصحابة، ففي «الاستيعاب»: قال الواقدي: وُلد على عهد رسول اللَّه ﷺ، وروى عن عمر، وعند المدائني: أنه عبد اللَّه بن عامر الحضرمي، وهو: ابن عَمرو المذكور، والعلاء بن الحضرمي الصحابي المشهور عمُّه). ثم ذكَر الحافظ ابن حجر القول المعتمد عنده في قصة قتل ابن الحضرمي هذا فقال: (وذكر الطبري في حوادث سنة ثمان وثلاثين من طريق أبي الحسن المدائني ـ وكذا أخرجه عمر بن شَبَّة في «أخبار البصرة» ـ:

أن عبد اللَّه بن عباس خرج من البصرة وكان عاملها لعليٍّ، واستخلف زياد بن سمية على البصرة، فأرسل معاوية عبد اللَّه بن عَمرو الحضرمي ليأخذ له البصرة، فنزل في بني تميم، وانضمتْ إليه العثمانيةُ، فكتب زياد إلى عليّ يستنجده فأرسل إليه أعين بن ضبيعة المجاشعي، فقتل غيلة، فبعث عليٌّ بعده جارية بن قدامة، فحصر ابن الحضرمي في الدار التي نزل فيها، ثم أحرق الدار عليه وعلى من معه، وكانوا سبعين رجلاً أو أربعين، وأنشد في ذلك أشعاراً، وهذا هو المعتمد).

(١) «ما بهشت» أي: ما دافعتهم، يقال: «بهش بعض القوم إلى بعض» أي: تراموا للقتال. قاله الحافظ في «الفتح». وقال: «وكأنه قال: ما مددتُ يدي إلى قصبةٍ ولا تناولتُها لأدافع بها عنّي».

حديث جرير رضي الله عنه

قال الإمام البخاري رحمه اللَّه (٧٠٨٠):

حدثنا سليمان بن حرب، حدثنا شعبة، عن علي بن مدرك، سمعت أبا زرعة بن عَمرو بن جرير، عن جدِّه جرير قال: قال لي رسولُ اللَّه ﷺ في حَجة الوداع: استنصِت[1] الناسَ: ثم قال: «**لا ترجعوا بعدي كُفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض**».

صحيح

وأخرجه مسلم (٦٥)، وابن ماجه (٣٩٤٢)، وعزاه المزي للنسائي.

* * *

(١) أي: مُرْهم بالإنصاتِ ليسمعوا هذه الأمورَ المهمةَ، والقواعدَ التي سأقررها لكم وأحملكموها.



حديث ابن عباس رضي الله عنهما

قال الإمام البُخاري رحمه اللَّه (٧٠٧٩):

حدثنا أحمد بن إشكاب، حدثنا محمد بن فضيل، عن أبيه، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي اللَّه عنهما قال: قال النبي ﷺ: «**لا ترتدوا بعدي كفارًا، يضرب بعضكم رقاب بعض**».

صحيح

وأخرجه الترمذي (٢١٩٣) وقال: هذا حديث حسن صحيح.

* * *

حديث ابن عمر رضي الله عنهما

قال الإمام البخاري رحمه اللَّه (٦٨٦٨):

حدثنا أبو الوليد، حدثنا شعبة، قال واقد بن عبد اللَّه[1] : أخبرني عن أبيه، سمع عبد اللَّه بن عُمر، عن النبي ﷺ قال: «**لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعضٍ**».

صحيح

وأخرجه: مسلم (٦٦)، وأبو داود (٤٦٨٦)، والنسائي (٧/ ١٢٦)، وابن ماجه (٣٩٤٣).

* * *

(١) واقد بن عبد اللَّه كذا هي في البخاري وفي مسلم واقد بن محمد. قال الحافظ في «الفتح» (١٢/ ١٩٤):

«وواقد هذا قال أبو ذر في روايته: كذا وقع هنا واقد بن عبد اللَّه والصواب واقد بن محمد.
قلت: (القائل هو الحافظ) وهو كذلك لكن لقوله واقد بن عبد اللَّه توجيه؛ وهو أن يكون الراوي نسبه لجده الأعلى عبد اللَّه بن عمر، فإنه واقد بن محمد بن زيد بن عبد اللَّه بن عمر، والذي نسبه كذلك أبو الوليد شيخ البخاري فيه فقد أخرجه أبو داود في السنن عن أبي الوليد كذلك، وتقدَّم للمصنف في الأدب من رواية خالد بن الحارث عن شعبة على الحقيقة فقال: (عن واقد بن محمد)» إلى آخر ما قاله الحافظ ـ رحمه اللَّه ـ.

قول النبي ﷺ: «إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار»

قال الإمام البخاري رحمه اللَّه (حديث ٣١):

حدثنا عبد الرحمن بن المبارك، حدثنا حماد بن زيد، حدثنا أيوب ويونس، عن الحسن[١]، عن الأحنف بن قيس قال: ذهبتُ لأنصر هذا الرجل، فلقيني أبو بكرة فقال: أين تريد؟ قلت: أنصر هذا الرجل. قال: ارجعْ، فإني سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «**إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتلُ والمقتول في النار**»، فقلتُ: يا رسول اللَّه، هذا القاتل فما بال المقتول؟ قال: «**إنه كان حريصًا على قتل صاحبه**»[٢].

صحيح

وأخرجه مسلم (٢٨٨٨)، وأبو داود (٤٢٦٨)، والنسائي (٧/ ١٢٥).

* * *

(١) وقد رُوي هذا الحديث عن الحسن عن أبي بكرة ـ بدون ذكر الأحنف ـ ورجح الدارقطني في «العلل» (٧/ ١٦٢ ـ ١٦٤) رواية من أثبت الأحنف في السند.

(٢) قال الحافظ ابن حجر «فتح الباري» (١٣/ ٣٣ ـ ٣٤): (وذهب جمهور الصحابة والتابعين إلى وجوب نصر الحق وقتال الباغين، وحمل هؤلاء الأحاديث الواردة في ذلك على من ضعف عن القتال أو قصر نظره عن معرفة صاحب الحق، واتفق أهل السنة على وجوب منع الطعن على أحد من الصحابة بسبب ما وقع لهم من ذلك، ولو عرف المحق منهم؛ لأنهم لم يقاتلوا في تلك الحروب إلا عن اجتهاد، وقد عفا اللَّه تعالى عن المخطئ في الاجتهاد، بل ثبت أنه يؤجر أجرًا واحدًا، وأن المصيب يؤجر أجرين.

وحمل هؤلاء الوعيدَ المذكورَ في الحديث على من قاتل بغير تأويل سائغ، بل بمجرد طلب الملك).

ما العمل مع أمراء الجُور

قال الإمام مسلم رحمه الله (١٨٤٦):

حدثنا محمد بن المثنى ومحمد بن بشار، قالا: حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، عن سماك بن حرب، عن علقمة بن وائل الحضرمي، عن أبيه قال: سأل سلمةُ بن يزيد الجعفي رسول الله ﷺ فقال: يا نبي الله، أرأيت إن قامت علينا أمراء يسألونا حقهم ويمنعونا حقنا، فما تأمرنا؟ فأعرض عنه، ثم سأله فأعرض عنه، ثم سأله في الثانية أو الثالثة فجذبه الأشعثُ بن قيس، وقال [(١)]: «**اسمعوا وأطيعوا؛ فإنما عليهم ما حُمِّلوا وعليكم ما حُمِّلتم**».

صحيح

وأخرجه الترمذي (٢١٩٩) وقال: هذا حديث حسن صحيح.

قال الإمام البخاري رحمه الله (٧٠٥٢):

حدثنا مسدد، حدثنا يحيى بن سعيد، حدثنا الأعمش، حدثنا زيد بن وهب، قال: سمعت عبد الله قال: قال لنا رسول الله ﷺ: «**إنكم سترون بعدي أثرة** [(٢)]

= ونقل الحافظ - رحمه الله - عن الطبري قوله: (لو كان الواجب في كل اختلاف يقع بين المسلمين الهرب منه بلزوم المنازل وكسر السيف لما أقيم حد ولا أبطل باطل، ولوجد أهل الفسوق سبيلاً إلى ارتكاب المحرمات من أخذ الأموال وسفك الدماء وسبي الحريم بأن يحاربوهم ويكف المسلمون أيديهم عنهم بأن يقولوا هذه فتنة وقد نهينا عن القتال فيها وهذا مخالف للأمر بالأخذ على أيدي السفهاء.

(١) في رواية في مسلم: فقال رسول الله ﷺ: «اسمعوا وأطيعوا، فإنما عليهم ما حُمِّلوا وعليكم ما حُمِّلتم».

(٢) قال الحافظ في «الفتح» (٨/ ٥٢): («أثرة» بضم الهمزة وسكون المثلثة وبفتحتين، ويجوز كسر أوله مع الإسكان، أي: الانفراد بالشيء المشترك دون من يشركه فيه، وفي رواية الزهري: =

وأمورًا تُنكـرونها[١]». قالوا: فما تأمرنا يا رسول اللّه؟ قال: «أدُّوا إليـهم[٢] حقَّهم[٣]، وسَلوا اللّهَ حقَّكم»[٤].

صحيح

وأخرجه مسلم (١٨٤٣)، والترمذي (٢١٩٠)، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

«أثرة شديدة» والمعنى: أنه يستأثر عليهم بما لهم فيه اشتراك في الاستحقاق، وقال أبو عبيد: معناه: يفضل نفسه عليكم في الفيء، وقيل: المراد بالأثرة الشدة، ويرده سياق الحديث وسببه).

(١) يعني: من أمور الدين.

(٢) أي: إلى الأمراء.

(٣) أي: الذي وجب لهم المطالبة به وقبضه، سواء كان يختص بهم أو يعم.
قاله الحافظ (فتح ١٣/ ٦)، وقال أيضًا: ووقع في رواية الثوري: «تؤدون الحق الذي عليكم» أي: بذل المال الواجب في الزكاة والنفس في الخروج إلى الجهاد عند التعيين، ونحو ذلك.

(٤) قال الحافظ في «الفتح» (١٣/ ٦): (قوله: «وسلوا اللّه حقكم» في رواية الثوري: «وتسألون اللّه الذي لكم»، أي: بأن يلهمهم إنصافكم أو يبدلكم خيرًا منهم، وهذا ظاهره العموم في المخاطبين، ونقل ابن التين عن الداودي: أنه خاص بالأنصار، ولا يلزم من مخاطبة الأنصار بذلك أن يختص بهم إنه يختص بهم بالنسبة إلى المهاجرين، ويختص ببعض المهاجرين دون بعض، فالمستأثر من يلي الأمر، ومن عداه هو الذي يستأثر عليه، ولما كان الأمر يختص بقريش ولا حظَّ للأنصار فيه خُوطب الأنصار بأنكم ستلقون أثرة، وخُوطب الجميع بالنسبة لمن يلي الأمر، ففي حديث يزيد بن سلمة الجعفي عند الطبراني أنه قال: يا رسول اللّه، إن كان علينا أمراء يأخذون بالحق الذي علينا ويمنعونا الحق الذي لنا، أنقاتلهم؟ قال: «لا، عليهم ما حُمِّلوا وعليكم ما حُمِّلتُم»(*) وأخرج مسلم من حديث أم سلمة مرفوعًا: «سيكون أمراء فيعرفون وينكرون، فمن كره برئ ومن أنكر سلم، ولكن من رضي وتابع». قالوا: أفلا نقاتلهم؟ قال: «لا، ما صلُّوا» ومن حديث عوف بن مالك رفعه في حديث في هذا المعنى قلنا: يا رسول اللّه، أفلا ننابذهم عند ذلك؟ قال: «لا، ما أقاموا الصلاة»، وفي رواية له «بالسيف» وزاد: «وإذا =

(*) الحديث ورد بنحوه عند مسلم أيضًا وسيأتي.

قال الإمام مسلم رحمه الله (ص١٤٧٦):

وحدثني محمد بن سهل بن عسكر التميمي حدثنا يحيى بن حسان / ح/ . وحدثنا عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي أخبرنا يحيى (وهو ابن حسان) حدثنا معاوية (يعني بن سلام) حدثنا زيد بن سلام عن أبي سلام قال: قال حذيفة بن اليمان قلت: يا رسول الله: إنا كنا بشرٍّ فجاء الله بخير فنحن فيه فهل من وراء هذا الخير شرٌّ؟ قال: «**نعم**» قلت هل وراء ذلك الشر خيرٌ؟ قال: «**نعم**» قلت: فهل وراء ذلك الخير شرٌّ؟ قال: «**نعم**» قلت كيف؟ قال: «**يكون بعدي أئمةٌ لا يهتدون بهُداي، ولا يستنون بسنتي، وسيقوم فيهم رجالٌ قلوبهم قلوبُ الشياطين في جُثمان إنس**» قال: قلت: كيف أصنع يا رسول الله إن أدركتُ ذلك؟ قال: «**تسمع وتطيع للأمير، وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك فاسمع وأَطِع**».

مرسل[(١)]

= رأيتم من ولاتكم شيئًا تكرهونه فاكْرهوا عمله، ولا تنزعوا يدًا من طاعة»، وفي حديث عمر في «مسنده للإسماعيلي» من طريق أبي مسلم الخولاني، عن أبي عبيدة بن الجراح، عن عُمر - رفعه - قال: «أتاني جبريل فقال: إن أُمتك مفتتنة من بعدك. فقلت: مِن أين؟ قال: مِن قبل أمرائهم وقرائهم، يمنع الأمراءُ الناسَ الحقوقَ، فيطلبون حقوقهم فيفتنون، ويتبع القراء هؤلاء الأراءَ فيفتنون. قلت: كيف يسلم من سلم منهم؟ قال: بالكف والصبر، إن أعطوا الذي لهم أخذوه، وإن منعوه تركوه».

(١) قال النووي - رحمه الله - (٤/ ٥١٥): (قال الدار قطني: هذا عندي مرسل؛ لأن أبا سلام لم يسمع حذيفة، وهو كما قال الدارقطني، لكن المتن صحيح متصل بالطريق الأول، وإنما أتى مسلم بهذا متابعة كما ترى، وقد قدمنا في «الفصول» وغيرها: أن الحديث المرسل إذا روي من طريق آخر متصلاً تبينا به صحة المرسل، وجاز الاحتجاج به ويصير في المسألة حديثان صحيحان).

كذا قال النووي - رحمه الله -، إلا أن الجزء الأخير وهو: «وإن ضرب ظَهْرك وأخذ مالك» ليس

قال الإمام البخاريّ رحمه اللَّه (٧٠٥٥):

حدثنا إسماعيل، حدثني ابن وهب، عن عمرو، عن بكير، عن بُسر بن سعيد، عن جنادة بن أبي أمية، قال: دخلنا على عُبادة بن الصامت وهو مريض، قلنا: أصلحك اللَّهُ، حدِّث بحديث ينفعك اللَّه به سمعته من النبي ﷺ. قال: دعانا النبيُّ ﷺ فبايعناه، فقال فيما أخذ علينا: أن بايعنا على السمع والطاعة في منشطنا ومَكْرهنا وعُسرنا ويُسرنا وأثرةٍ علينا، وأن لا نُنازع الأمر(١) أهله، إلا أن تروا كفرًا بواحًا(٢) عندكم من اللَّه فيه برهان(٣).

صحيح

وأخرجه مسلم (١٧٠٩).

= له ما يشهد له في الحديث الأول الذي قدمناه وقدمه مسلم. واللَّه أعلم.

هذا، ولهذا الجزء الأخير شاهد عند ابن حبان «موارد الظمآن» (١٥٤٥) من طريق: حيان أبي النضر، عن جنادة بن أبي أمية، عن عبادة بن الصامت رضي اللَّه عنه مرفوعًا.

(١) أي: أمر المُلك والإمارة، والمراد بأهله هُم الملوك والأمراء والخلفاء والحكام.

(٢) قال الحافظ في «الفتح» (١٣/ ٨): (قوله: «بواحًا» بموحدة ومهملة قال الخطابي: معنى قوله: «بواحًا» يريد: ظاهرًا باديًا، من قولهم: «باح بالشيء يبوح به بوحًا وبواحًا» إذا أذاعه وأظهره، وأنكر ثابتٌ في «الدلائل» بواحًا وقال: إنما يجوز بوحًا بسكون الواو وبوحًا بضم أوله ثم همزة ممدودة، وقال الخطابي: من رواه بالراء فهو قريب من هذا المعنى. وأصل «البراح» الأرض القفراء التي لا أنيس فيها ولا بناء، وقيل: «البراح»: البيان، يقال: برح الخفاء إذا ظهر.

وقال النووي في «شرح مسلم» (٤/ ٥٠٦): (هكذا هو لمعظم الرواة، وفي معظم النسخ: «بواحًا» بالواو، وفي بعضها: «براحًا» والباء مفتوحة فيهما، ومعناه: كفرًا ظاهرًا، والمراد بالكفر هنا المعاصي، ومعنى: «عندكم من اللَّه فيه برهان» أي: تعلمونه من دين الله تعالى.

(٣) قال الحافظ في «الفتح» (١٣/ ٨): قوله: (عندكم من الله فيه برهان): أي: نصٌّ آيةٍ أو خبرٌ صحيح لا يحتمل التأويل، ومقتضاه: أنه لا يجوز الخروج عليهم ما دام فعلهم يحتمل التأويل.

. . . .

= وقال النووي - رحمه الله - «شرح مسلم» (٥/ ٥٠٧): (ومعنى الحديث: لا تنازعوا ولاة الأمور في ولايتهم ولا تعترضوا عليهم، إلا أن تروا منهم منكرًا محققًا تعلمونه من قواعد الإسلام، فإذا رأيتم ذلك فأنكروه عليهم، وقولوا بالحق حيثما كنتم.

وأما الخروج عليهم وقتالهم: فحرام بإجماع المسلمين، وإن كانوا فسقة ظالمين، وقد تظاهرت الأحاديث بمعنى ما ذكرته، وأجمع أهل السنة أنه لا ينعزل السلطان بالفسق، وأما الوجه المذكور في كتب الفقه لبعض أصحابنا «أنه ينعزل» وحُكي عن المعتزلة أيضًا فغلطٌ من قائله مخالف للإجماع.

قال العلماء: وسبب عدم انعزاله وتحريم الخروج عليه ما يترتب على ذلك من الفتن وإراقة الدماء وفساد ذات البين، فتكون المفسدة في عزله أكثر منها في بقائه.

قال القاضي عياض: أجمع العلماء على أن الإمامة لا تنعقد لكافر، وعلى أنه لو طرأ عليه الكفر انعزل، قال: كذا لو ترك إقامة الصلوات والدعاء إليها، قال: وكذلك عند جمهورهم: البدعة.

قال: وقال بعض البصريين: تنعقد له وتستدام له لأنه متأول، قال القاضي: فلو طرأ عليه كفر وتغيير للشرع أو بدعة خرج عن حكم الولاية وسقطت طاعته، ووجب على المسلمين القيام عليه وخلعه ونصب إمام عادل إن أمكنهم ذلك، فإن لم يقع ذلك إلا لطائفة وجب عليهم القيام بخلع الكافر، ولا يجب في المبتدع، إلا إذا ظنوا القدرة عليه، فإن تحققوا العجز لم يجب القيام، وليهاجر المسلم عن أرضه إلى غيرها ويفر بدينه.

قال: ولا تنعقد لفاسقٍ ابتداءً، فلو طرأ على الخليفة فسق، قال بعضهم: يجب خلعه إلا أن تترتب عليه فتنة وحرب، وقال جماهير أهل السنة من الفقهاء والمتكلمين والمحدثين: لا ينعزل بالفسق والظلم وتعطيل الحقوق، ولا يخلع ولا يجوز الخروج عليه بذلك، بل يجب وعظه وتخويفه للأحاديث الواردة في ذلك.

قال القاضي: وقد ادعى أبو بكر بن مجاهد في هذا الإجماعَ، وقد رد عليه بعضهم هذا بقيام الحسين وابن الزبير وأهل المدينة على بني أُمية، وبقيام جماعة عظيمة من التابعين والصدر الأول على الحجاج مع ابن الأشعث، وتأول هذا القائل قوله: «ألا ننازع الأمر أهله» في أئمة العدل، وحجة الجمهور: أن قيامهم على الحجاج ليس بمجرد الفسق، بل لما غير من الشرع وظاهر من الكفر، قال القاضي: وقيل: إن هذا الخلاف كان أولاً، ثم حصل الإجماع على منع الخروج عليهم. والله أعلم).

قال الإمام البخاري رحمه الله (٧٠٥٣):

حدثنا مسدد، عن عبد الوارث، عن الجعد بن أبي رجاء، عن ابن عباس، عن النبي ﷺ قال: «مَن كره من أميره شيئًا فليصبر، فإنه من خرج من السلطان[١] شبرًا مات مِيتةً جاهلية»[٢].

صحيح

وأخرجه مسلم (ص١٤٧٨).

وقال الحافظ في «الفتح» (١٣/ ٨): (وقال غير النووي: المراد بالإثم هنا: المعصية والكفر، فلا يعترض على السُّلطان، إلا إذا وقع في الكفر الظاهر، والذي يظهر حمل رواية الكفر على ما إذا كانت المنازعة في الولاية، فلا ينازعه بما يقدح في الولاية إلا إذا ارتكب الكفر، وحمل رواية المعصية على ما إذا كانت المعصية فيما عدا الولاية، فإذا لم يقدح في الولاية نازعه في المعصية بأن ينكر عليه برفق ويتوصل إلى تثبيت الحق له بغير عنف، ومحل ذلك: إذا كان قادرًا والله أعلم.

ونقل ابن التين عن الداودي قال: الذي عليه العلماء في أمراء الجور أنه إن قدر على خلعه بغير فتنة ولا ظلم وجب، وإلا فالواجب الصبر، وعن بعضهم: لا يجوز عقد الولاية لفاسق ابتداءً، فإن أحدث جورًا بعد أن كان عدلاً فاختلفوا في جواز الخروج عليه، والصحيح: المنع، إلا أن يكفر فيجب الخروج عليه).

قلت (القائل مصطفى): كل هذا مقيد بقواعد المفاسد والمصالح المقررة في الشرع والله أعلم.

وفي هذا الباب بعض الأقوال والمباحث الأخرى، ليس هنا محل إيرادها، انظر بعضها في «تفسير القرطبي» (١/ ٢٧١).

(١) في رواية للبخاري: «فإنه من فارق الجماعة شبرًا فمات إلا مات ميتة جاهلية».

(٢) قال الحافظ في «الفتح» (١٣/ ٧): (والمراد بالمِيتة الجاهلية - وهي بكسر الميم -: حالة الموت كموت أهل الجاهلية على ضلال، وليس له إمام مطاع، لأنهم كانوا لا يعرفون ذلك، وليس المراد أنه يموت كافرًا بل يموت عاصيًا، ويحتمل أن يكون التشبيه على ظاهره، ومعناه: أن يموت مِثل موت الجاهلي، وإن لم يكن هو جاهليًا أو أن ذلك ورد مورد الزجر والتنفير، وظاهره غير مراد، ويؤيد أن المراد بالجاهلية التشبيه قولُهُ في الحديث الآخر: «من فارق الجماعة شبرًا فكأنما خلع ربقة الإسلام من عنقه».

قال الإمام البخاري رحمه اللَّه (٣٤٥٥):

حدثني محمد بن بشار، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، عن فرات القزاز قال: سمعت أبا حازم قال: قاعدتُ أبا هريرة خمس سنين، فسمعته يحدث عن النبي ﷺ قال: «**كانت بنو إسرائيل تسوسُهم الأنبياء، كُلما هلك نبي خلفه نبيٌّ، وإنه لا نبيَّ بعدي، وسيكون خلفاء فيكثرون**». قالوا: فما تأمرنا؟ قال: «**فُوا ببيعة الأوَّلِ فالأوَّلِ، أعطوهم حقَّهم؛ فإن اللَّه سائِلُهم عما استرعاهم**».

صحيح

وأخرجه مسلم (١٨٤٢)، وابن ماجه (٢٨٧١).

قال الإمام مسلم رحمه اللَّه (١٨٥٤):

حدثنا هداب بن خالد الأزدي، حدثنا همام بن يحيى، حدثنا قتادة، عن الحسن، عن ضبَّة بن محصن، عن أم سلمة: أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**ستكون أمراء، فتعرفون وتنكرون، فمن عرف برئ**[1]**، ومن أنكر سلم، ولكن مَن**

= قال ابن بطال: في الحديث حُجة في ترك الخروج على السلطان ولو جار، وقد أجمع الفقهاء على وجوب طاعة السلطان المتغلب والجهاد معه، وأن طاعته خير من الخروج عليه، لما في ذلك من حقن الدماء وتسكين الدهماء، وحُجتهم هذا الخبر وغيره مما يساعده، ولم يستثنوا من ذلك، إلا إذا وقع من السُّلطان الكفر الصريح فلا تجوزُ طاعته في ذلك، بل تجب مجاهدته لمن قدر عليها.

(١) في رواية لمسلم: «من كره فقد سلم»، قال النووي ـ رحمه اللَّه ـ: (معناه: من كره ذلك المنكر فقد برئ من إثمه وعقوبته، وهذا في حق من لا يستطيع إنكاره بيده ولا لسانه فليكرهه بقلبه وليبرأ، وأما من روى: «فمن عرف فقد برئ» فمعناه ـ واللَّه أعلم ـ: فمن عرف المنكر ولم يشتبه عليه فقد صارت له طريق إلى البراءة من إثمه وعقوبته بأن يغيره بيديه أو بلسانه، فإن عجز =

رضي وتابع» قالوا: أفلا نقاتلهم؟ قال: «**لا؛ ما صلُّوا**»[1].

صحيح

وأخرجه أبو داود (٤٧٦٠)، والترمذي (٢٦٦٥)، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

* * *

= فليكرهه بقلبه.

وقوله ﷺ: «ولكن من رضي وتابع» معناه: ولكن الإثم والعقوبة على من رضي وتابع، وفيه دليلٌ على أن من عجز عن إزالة المنكر لا يأثم بمجرد السكوت، بل إنما يأثم بالرضى أو بألا يكرهه بقلبه أو بالمتابعة عليه).

(١) قال النووي: (فيه معنى ما سبق؛ أنَّه: لا يجوز الخروج على الخلفاء بمجرد الظلم أو الفسق، ما لم يغيروا شيئًا من قواعد الإسلام).

ما العمل إذا لم يكن للمسلمين جماعة ولا إمام؟

قال الإمام البخاري رحمه اللَّه (٧٠٨٤):

حدثنا محمد بن المثنى، حدثنا الوليد بن مسلم، حدثنا ابن جابر، حدثني بسر ابن عبد اللَّه الحضرمي، أنه سمع أبا إدريس الخولاني، أنه سمع حذيفة بن اليمان يقول: كان الناس يسألون رسول اللَّه عن الخير(١)، وكنتُ أسأله عن الشرِّ؛ مخافةَ أن يُدركني، فقلت: يا رسول اللَّه؛ إنا كنا في جاهليةٍ وشرٍّ(٢)، فجاءنا اللَّه بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شرٍّ؟ قال: «**نعم**»، قلت: وهل بعد ذلك الشرِّ من خيرٍ؟ قال: «**نعم، وفيه دَخَنٌ**»(٣). قلت: وما دخنه؟ قال: «**قوم يَهدون بغير هَدْيي، تعرفُ منهم وتُنكر**»(٤)، قلت: فهل بعد ذلك الخير من

---

(١) في رواية البخاري (٣٦٠٧): «تعلَّم أصحابي الخير وتعلمتُ الشرَّ»، وفي رواية ابن أبي شيبة (١٨٩٦١)، وأحمد (٥/ ٣٨٦): «وعرفتُ أن الخير لن يسبقني».

(٢) قال الحافظ في «الفتح» (١٣/ ٣٥): (يشير بذلك إلى ما كان قبل الإسلام من الكفر، وقتل بعضهم بعضًا، ونهب بعضهم بعضًا، وإتيان الفواحش، وقوله: «فجاءنا اللَّه بهذا الخير» يعني: الإيمان والأمن وصلاح الحال واجتناب الفواحش).

(٣) قوله: «وفيه دخن» قال النووي -رحمه اللَّه- (٤/ ٥١٤): (قال أبو عبيد وغيره: «الدَّخَنُ» بفتح الدال المهملة والخاء المعجمة أصله: أن تكون في لون الدابة كدورة إلى سوادٍ، قالوا: والمراد هنا: ألا تصفو القلوب بعضها لبعض، ولا يزول خبثها، ولا ترجع إلى ما كانت عليه من الصفا).

وقال الحافظ في «الفتح»: (وهو الحقد، وقيل: الدَّغَل، وقيل: فسادٌ في القلب، ومعنى الثلاثة متقاربٌ يشير إلى أن الخير الذي يجيء بعد الشرّ لا يكون خيرًا خالصًا، بل فيه كدر، وقيل: المراد بالدخن الدخان، ويشير بذلك إلى كَدَرِ الحال، وقيل: «الدخن»: كل أمرٍ مكروه، وقال أبو عبيد -يفسر المراد بهذا الحديث- الحديثَ الآخر: «لا ترجع قلوبٌ قوم على ما كانت عليه». وأصله: أن يكون في لون الدابة، كدورة، فكأن المعنى: أن قلوبهم لا يصفو بعضها لبعض).

(٤) أي: من أعمالهم.

شر؟ قال: «**نعم، دُعاة على أبواب جهنَّم**[(١)]، **من أجابهم إليها قَذفوه فيها**».
قلت: يا رسول اللَّه، صِفهم لنا، قال: «**هُم من جلدتنا ويتكلمـون بألسنتنا**».
قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: «**تلزم جماعـة المسلمين وإمامهم**»،
قلتُ: فإن لم يكن لهـم جماعة ولا إمام؟ قال: «**فاعتـزل تلك الفرق كلَّها، ولو أن تعضَّ بأصلِ شجرة حتى يدركك الموتُ وأنت على ذلك**»[(٢)].

صحيح

وأخرجه مسلم (١٨٤٧)، وابن ماجه (٣٩٧٩).

* * *

---

(١) قال النووي -رحمه اللَّه-: (قال العلماء: هؤلاء من كان من الأمراء يدعو إلى بدعة أو ضلال آخر، كالخوارج والقرامطة وأصحاب المحنة).
وقال الحافظ في «الفتح» (١٣/ ٣٦): (أطلق عليهم ذلك باعتبار ما يؤول إليه حالهم، كما يقال لمن أمر بفعل محرم: «وقف على شفير جهنم»).

(٢) قال الحافظ في «الفتح» (١٣/ ٣٦): (قال البيضاوي: المعنى: إذا لم يكن في الأرض خليفة فعليك بالعزلة والصبر، والصبر على تحمل شدة الزمان وعضّ أصل الشجرة» كناية عن مكابدة المشقة، كقولهم: «فلان يعض الحجارة» من شدة الألم، أو المراد: اللزوم، كقوله في الحديث الآخر: «عضوا عليها بالنواجذ»، ويؤيد الأول قولُهُ في الحديث الآخر: «فإن مِتَّ وأنت عاض على جذلٍ خيرٌ لك من أن تتبع أحدًا منهم».
وقال ابن بطال: فيه حُجة لجماعة الفقهاء في وجوب لزوم جماعة المسلمين وترك الخروج على أئمة الجور؛ لأنه وَصَفَ الطائفة الأخيرة بأنهم: «دُعاةٌ على أبواب جهنم» ولم يقل فيهم: «تعرف وتنكر» كما قال في الأولين، وهم لا يكونون كذلك إلا وهم على غير حقٍّ. وأمر مع ذلك بلزوم الجماعة.
قال الطبري: اختلف في هذا الأمر وفي الجماعة، فقال قوم: هو للوجوب، والجماعة: السواد الأعظم، ثم ساق عن محمد بن سيرين عن أبي مسعود أنه وصى لمن سأله لَمَّا قُتل عثمان: «عليك بالجماعة؛ فإن اللَّه عز وجل لم يكن ليجمع أُمة محمد ﷺ على ضلالة» وقال قوم: «المراد بالجماعة: الصحابة دُون من بعدهم»، وقال قوم: «المراد بهم: أهل العلم؛ لأن اللَّه =

هل يتمنى المسلم الموت في الفتنة أو خشية الفقر؟

قال الإمام أحمد رحمه الله (٥/ ٢٤٣):

حدثنا أبو سعيد - مولى بني هاشم - ثنا جهضم - يعني: اليمامي -، ثنا يحيى - يعني: ابن أبي كثير -، ثنا زيد - يعني: ابن أبي سلام - عن أبي سلام - وهو: زيد ابن سلام بن أبي سلام نسبةً إلى جده -، أنَّه حدثه عبد الرحمن بن عياش الحضرمي، عن مالك بن يخامر، أن معاذ بن جبل قال: احتبس علينا رسول الله ﷺ ذات غداةٍ عن صلاةِ الصبح، حتى كِدْنا نتراءئ قرن الشمس، فخرج رسول الله ﷺ سريعًا، فثوَّب بالصلاة وصلَّي وتجوز في صلاته، فلمَّا سلَّم قال: «**كما أنتم على مصافِّكُم**» ثم أقبل إلينا فقال: «**إني سأحدثكم ما حبسني عنكم الغداة، أني قمتُ من الليل فصليتُ ما قُدِّر لي، فنعستُ في صلاتي حتى استيقظتُ، فإذا أنا بربي عز وجل في أحسن صورة فقال: يا محمد؛ أتدري فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قلت: لا أدري يا رب. قال: يا محمد؛ فيم يختصم الملأ الأعلىٰ؟ قلت: لا أدري ربِّ. فرأيتُهُ وضع كفَّه بين كتفي حتى وجدتُ**

= جعلهم حجة على خلق والناس تبع لهم في أمر الدين»، قال الطبري: والصواب: أن المراد من الخبر لزوم الجماعة الذين في طاعة من اجتمعوا على تأميره، فمن نكث بيعته خرج عن الجماعة.

قال: وفي الحديث أنه متى لم يكن للناس إمام فافترق الناس أحزابًا فلا يتبع أحدًا في الفرقة ويعتزل الجميع إن استطاع ذلك خشيةً من الوقوع في الشر، وعلى ذلك يتنزل ما جاء في سائر الأحاديث، وبه يُجمع بين ما ظاهره الاختلاف منها.

قال ابن أبي جمرة: في الحديث حكمة الله في عباده، كيف أقام كُلاً منهم فيما شاء، فحبَّب إلى أكثر الصحابة السؤال عن وجوه الخير ليعملوا بها، ويبلغوها غيرهم، وحبَّب لحذيفة السؤال عن الشر ليجتنبه ويكون سببًا لدفعه عن من أراد الله له النجاة.

برد أنامله بين صدري، فتجلَّى لي كل شيء وعرفتُ. فقال: يا محمد؛ فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قلت: في الكفَّاراتٍ قال: وما الكفارات؟ قلت: نَقْلُ الأقدام إلى الجُمُعات، وجلوسٌ في المساجد بعد الصلاة، وإسباغُ الوضوء عند الكريهات. قال: وما الدرجات؟ قلت: إطعام الطعام، ولين الكلام، والصلاة والناس نيام. قال: سَلْ قلت: اللَّهم؛ إني أسألك فعل الخيرات، وترك المنكرات، وحب المساكين، وأن تغفر لي وترحمني، وإذا أردت فتنة في قوم فتوفَّني غير مفتون، وأسألك حبّك وحب عملٍ يقربني إلى حبك»، وقال رسول اللَّه ﷺ: «إنَّها حقٌّ، فادْرِسوها وتَعَلَّموها».

إسناده صحيح[1]

وأخرجه الترمذي (٣٢٣٥) وقال: هذا حديث حسن صحيح. سألتُ محمد ابن إسماعيل عن هذا الحديث فقال: هذا حديث حسن صحيح.

وقال يوسف ﷺ: ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١].

وقال سحرةُ فرعون بعد أن هدَّدهم فرعون بالقتل[2]: ﴿إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا تَنقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٥-١٢٦].

وقالت مريم - عليها السلام - لَمَّا علمتْ أن الناس سيقذفونها بالفاحشة لأنها لم

(١) ولمزيد تفصيل حول هذا الحديث انظر: «الإصابة» (٢/ ٣٩٨-٣٩٩) ترجمة: عبد الرحمن بن عائش. هذا؛ وقد رُوي هذا الحديث من حديث ابن عباس رضي اللَّه عنهما مرفوعًا. انظر: «سنن الترمذي» (٣٢٣٣، ٣٢٣٤). وقد استدل الحافظ ابن كثير - رحمه اللَّه - بهذا الحديث على جواز سؤال الموت إذا كانت الفتنة في الدِّين «التفسير» (٢/ ٤٩٢)، وأيضًا استدل به الحافظ في «الفتح» (١٠/ ١٢٨) على جواز ذلك.

(٢) وذلك في قوله لهم: ﴿لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ثم لأصلبنَّكم أجمعين﴾.

تكن ذات زوج وقد حملت ووضعت: ﴿يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا﴾ [مريم: ٢٣].

وقال النبي ﷺ: «**اللَّهُمَّ ألحقني بالرَّفيق الأعلى**» (١).

وقال عليه الصلاة والسلام: «.. **وإذا أردتَ بقومٍ فتنةً فاقبضني إليك غيرَ مفتونٍ**» (١).

روى مالك في «الموطأ» (ص٨٢٤): عن يحيى بن سعيد، عن سعيد بن المسيب أنه سمعه يقول: لمّا صدر عمرُ بن الخطاب من منًى أناخ بالأبطح، ثم كوم كومة بطحاء، ثم طرح عليها رداءه واستلقى، ثم مدَّ يديه إلى السماء فقال: اللَّهم كبرتْ سنِّي، وضعفتْ قوتي، وانتشرت رعيتي، فاقبضني إليك غير مضيع ولا مفرطٍ.

ثم قدم المدينة فخطب الناسَ فقال: أيها الناس، قد سُنتْ لكم السُّنن وفُرضت لكم الفرائض، وتُركتم على الواضحة إلا أن تضلوا بالناس يمينًا وشمالاً. وضربَ بإحدى يديه على الأخرى، ثم قال: إياكم أن تهلكوا عن آية الرجم أن يقول قائل: لا نجد حدَّين في كتاب اللَّه، فقد رجم رسول اللَّه ﷺ ورجمنا، والذي نفسي بيده، لولا أن يقول الناس: زاد عمر بن الخطاب في كتاب اللَّه لكتبتها: (الشيخ والشيخة فارجموهما ألبتة)؛ فإنَّا قد قرأناها.

قال مالك: قال يحيى بن سعيد: قال سعيد بن المسيب: فما انسلخ ذو الحجة حتى قُتل عمر رحمه اللَّه.

رجاله ثقات(٢)

---

(١) سيأتي تخريجها قريبًا إن شاء اللَّه.

(٢) وفي سماع سعيد بن المسيب من عمر بعضُ الخلاف، فأثبتَ سماعه منه بعض أهل العلم، وقال آخرون: لم يسمع منه. لكن بانضمام القول بأن مرسلات سعيد بن المسيب من أصح المراسيل =

قال يحيى: سمعت مالكًا يقول: «قوله: (الشيخ والشيخة) يعني: الثيب والثيبة.

قال الإمام البخاري رحمه الله (٥٦٧٣):

حدثنا أبو اليمان، أخبرنا شعيب، عن الزهري، قال: أخبرني أبو عبيد[(١)] مولى عبد الرحمن بن عوف، أنا أبا هريرة قال: سمعتُ رسول اللَّهِ ﷺ يقول: «**لن يُدخل أحدًا عمله الجنة**». قالوا: ولا أنت يا رسول اللَّه؟ قال: «**لا، ولا أنا، إلا أن يتغمدني اللَّه بفضلٍ ورحمة، فسدِّدوا وقاربوا، ولا يتمنين أحدكم الموت، إما محسنًا فلعله أن يزداد خيرًا، وإما مُسيئًا فلعله أن يستعتب**»[(٢)].

صحيح

وأخرجه النسائي (٤/ ٣).

= إلى قولِ من قال: «إنه سمع من عُمر»، وكذلك بضم قول من قال: «إن سعيدًا كان شديد التحرِّي والبحث عن سيرة عمر حتى إن بعض أهل عمر كانوا يسألون سعيدًا عن سيرة عمر»، وبكون هذه القصة التي يحكيها سعيد عن عمر في أواخر حياة عمر رضي اللَّه عنه، كل ذلك يقوي الاستدلال بهذا الأثر، واللَّه تعالى أعلى وأعلم.
هذا وقد أخرج أحمد (٣/ ٤٩٤) من حديث عبس الغفاري رضي اللَّه عنه أنه قال: «يا طاعون خذني - ثلاثًا يقولها، فقال له عليم: لِمَ تقول هذا؟ ألم يقل رسول اللَّه ﷺ: «لا يتمنى أحدكم الموت، فإنه عند انقطاع عمله ولا يرد فيستعتب»؟! فقال: إني سمعتُ رسولَ اللَّه ﷺ يقول: «بادروا بالموت ستًا: إمرةَ السُّفهاء، وكثرة الشرط، وبيع الحكم، واستخفافًا بالدَّم، وقطيعة الرحم، ونشوًا يتخذون القرآن مزامير يقدمونه يغنيهم وإن كان أقل منهم فقهًا».
وفي إسناد هذا الحديث «عثمان بن عمير» وهو ضعيف، فالأثر لا يثبت.
وأخرج أحمد أيضًا (٦/ ٢٢) من حديث عوف بن مالك قال: («يا طاعون خذني إليك. قال: فقالوا: أليس قد سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «ما عمَّر المسلم كان خيرًا له»؟ قال: بلى، ولكن أخاف ستًا: إمارة السفهاء، وبيع الحكم، وكثرة الشرط، وقطيعة الرحم، ونشوًا يتخذون القرآن مزامير، وسفك الدم»).
وفي إسناده «النهاس بن قهم» وهو ضعيف أيضًا.

(١) هو: سعيد بن عبيد.

(٢) وقع في رواية لمسلم (٢٦٨٢) من طريق: همام، عن أبي هريرة قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «لا =

قال الإمام البخاريّ رحمه اللَّه (٥٦٧١):

حدثنا آدم، حدثنا شعبة، حدثنا ثابت البُناني، عن أنس بن مالك رضي اللَّه عنه قال: قال النبي ﷺ: «**لا يتمنين أحدكم الموت من ضر أصابه**[1]**، فإن كان لا بد فاعلاً فليقل: اللَّهم أحيني ما كانت الحياة خيرًا لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيرًا لي**».

صحيح

وأخرجه مسلم (٢٦٨٠).

= يتمنى أحدكم الموت، ولا يدع به من قبل أن يأتيه، إنه إذا مات أحدكم انقطع عمله، وإنه لا يزيد المؤمن عمره إلا خيرًا»، وفي حديث أنس المتقدم ما يُشعر بأن قصر العمر قد يكون فيه خير، وذلك في قوله عليه الصلاة والسلام: «. . وتوفني إذا كانت الوفاة خيرًا لي»، فوجه الجمع أن حديث أبي هريرة محمول على الأغلب، وذلك لأن المؤمن يعمل الخيرات ويحصل الثواب ويحقق التوحيد. . . وكل ذلك يثاب عليه، فإذا طال عمره كثر ذلك منه، وهذا في الغالب، أما حديث أنس الذي فيه: «وتوفني إذا كانت الوفاة خيرًا لي» فهو محمول على حالات نادرة تعرض لمن كتب له الشقاوة، فيرتد في أواخر عمره، والعياذ باللَّه.

وقوله: «لعله أن يستعتب» أي: يرجع عن موجب العتب عليه.

(١) قال الحافظ في «الفتح» (١٠/ ١٢٨): (وقوله: «من ضر أصابه» حمله جماعة من السلف على الضر الدنيوي، فإن وجد الضر الأخروي بأن خشي فتنة في دينه لم يدخل في النهي.

قال: ويمكن أن يؤخذ ذلك من رواية ابن حبان: «لا يتمنين أحدكم الموت لضر نزل به في الدنيا». .).

قلت: الرواية التي أشار إليها الحافظ عند ابن حبان «موارد الظمآن» (٢٤٦٢) من طريق: يحيى ابن أيوب -وهو: الغافقي-، ويحيى مُتكلَّم في حفظه، فلا تطمئن النفس إلى ما ينفرد به من زيادات، إلا أن ابن حبان عقبها بسندين إلى أنس. . وقال: فذكر نحوه، فلا ندري هل مراده بنحوه إثباتُ زيادةِ: «شر أصابه في الدنيا» أو بأصل الحديث. فاللَّه أعلم.

وعلى كلٍّ؛ فالحمل الذي حمله جماعة من السلف بأن ذلك محمول على الضر الدنيوي حَملٌ له على وجه قويّ لما سيرد، مما يشير إلى جواز تمني الموت خشية الفتنة في الدين واللَّه أعلم.

قال الإمام البخاري رحمه الله (٥٦٧٢):

حدثنا آدم قال: حدثنا شعبة، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن أبي حازم: دخلنا على خَبَّابٍ نعوده - وقد اكتوىٰ سبع كيات -، فقال: إن أصحابنا الذين سلفوا مضوا ولم تنقصهم الدُنيا، وإنا أصبنا ما لا نجدُ له موضعًا إلا التراب، ولولا أن النبيَّ ﷺ نهانا أن ندعو بالموت لدعوتُ به، ثم أتيناه مرة أخرىٰ وهو يبني حائطًا له فقال: «**إن المسلم ليؤجر في كل شيء ينفقه، إلا في شيء يجعله في هذا التراب**».

صحيح

وأخرجه مسلم (٢٦٨١)، والنسائي (٤/ ٤).

* * *

قول نبي اللَّه يوسف عليه السلام

﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾[(١)]

قال ابن جرير الطبري رحمه اللَّه (١٣/ ٤٨):

حدثنا بشر قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: ﴿توفَّني مُسْلِمًا وَأَلْحِقْني بالصَّالحين﴾ [يوسف:١٠١] لَمَّا جمع شمله وأقرَّ عينه، وهو يومئذٍ مغموس في نعيم الدُّنيا وملكها وغضارتها فاشتاق إلى الصالحين قبله.

صحيح من قول قتادة

---

(١) قال ابن جرير الطبري - رحمه اللَّه - (١٣/ ٤٧): «يقول تعالى ذكره: قال يوسف بعد ما جمع اللَّه له أبويه وإخوته وبسط عليه من الدُّنيا ما بسط من الكرامة ومكنه في الأرض متشوقًا إلى لقاء آبائه الصالحين: (رب قد آتيتني من الملك) يعني: من ملك مصر (وعلمتني من تأويل الأحاديث) يعني: من عبارة الرؤيا، تعديدًا لنعم اللَّه عليه وشكرًا له عليها، (فاطر السموات والأرض) يقول: يا فاطر السموات والأرض يا خالقها وبارئها؛ (أنت وليي في الدُّنيا والآخرة) يقول: أنت وليي في دنياي على من عاداني وأرادني بسوء بنصرك، وتغذوني فيها بنعمتك، وتَليني في الآخرة بفضلك ورحمتك، (توفني مسلمًا). يقول: اقبضني إليك مسلمًا، (وألحقني بالصالحين) يقول: وألحقني بصالح آبائي إبراهيم وإسحاق ومَن قبلهم من أنبيائك ورسلك».

ثم ذكر ابن جرير - رحمه اللَّه - جملة آثار في أغلبها نظر عندنا إلا ما قدمنا من قول قتادة رحمه اللَّه.

أما ابن كثير - رحمه اللَّه - فقال (٢/ ٤٩٢): (هذا دعاء من يوسف الصديق دعا به ربَّه عز وجل لَمَّا تمتْ نعمة اللَّه عليه باجتماعه بأبويه وإخوته وما مَنَّ اللَّه به عليه من النبوة والملك، سأل ربه عز وجل كما أتم نعمته عليه في الدنيا أن يستمر بها عليه في الآخرة وأن يتوفاه مسلمًا حين يتوفاه. قاله الضحاك، وأن يلحقه بالصالحين وهم إخوانه من النبيين والمرسلين صلوات اللَّه وسلامه عليهم أجمعين.

قال: وهذا الدعاء يحتمل أن يكون يوسف عليه السلام قاله عند احتضاره كما ثبت في «الصحيحين» عن عائشة رضي اللَّه عنها: أن رسول اللَّه ﷺ جعل يرفع إصبعه عند الموت ويقول: «اللَّهُمَّ في الرَّفيقِ الأعلى» ثلاثًا.

قال الإمام البخاري رحمه اللَّه (٥٦٧٤):

حدثنا عبد اللَّه بن أبي شيبة قال: حدثنا أبو أسامة عن هشام، عن عباد بن عبد اللَّه بن الزبير قال: سمعت عائشة رضي اللَّه عنها قالت: سمعت النبي ﷺ وهو مستند إليَّ يقول: «**اللَّهُمَّ اغفر لي وارحمني وألحقني بالرَّفيقِ الأعلى**»[1].

صحيح

وأخرجه مسلم (٢٤٤٤)، والترمذي (٣٤٩٦)، وقال: هذا حديث حسن صحيح، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (١٠٩٥).

قال الإمام أحمد رحمه اللَّه (٥/ ٤٢٧):

حدثنا أبو سلمة، أنا عبد العزيز - يعني: ابن محمد -، عن عمرو، عن عاصم

= ويحتمل أنه سأل الوفاة على الإسلام واللحاق بالصالحين إذا جاء أجله وانقضى عمره، لا أنه سأل ذلك منجزًا، كما يقول الداعي لغيره: «أماتك اللَّه على الإسلام»، ويقول الداعي: «اللَّهُمَّ أحينا مسلمين، وتوفَّنا مسلمين وألحقنا بالصالحين».

قال: ويحتمل أنه سأل ذلك منجزًا وكان ذلك سائغًا في مِلَّتهم. ثم أورد قول قتادة الذي ذكرناه.

(١) هل في هذا الحديث تمني الموت من رسول اللَّه ﷺ أم لا؟ فنقول وباللَّه التوفيق:

قد ثبت من وجوه، منها: ما أخرجه البخاري (٤٤٣٧) وغيره من حديث عائشة أنها قالت: كان رسول اللَّه ﷺ وهو صحيح يقول: «إنه لم يقبض نبي قط حتى يرى مقعده من الجنة ثم يحيا - أو يُخيَّر -» فلما اشتكى وحضره القبضُ ورأسه على فخذ عائشة غُشي عليه، فلما أفاق شخص بصُره نحو سقف البيت ثم قال: «اللَّهُمَّ في الرفيق الأعلى». فقلتُ: إذًا لا يختارنا، فعرفت أنه حديثه الذي كان يحدثنا وهو صحيحٌ.

فعلى هذا فالحديث محمول على صورة مخصوصة، وهي: صورة مَن نزل به الموت ورأى مقعده الحسن من الجنة. وقال فريق من أهل العلم: إن هذا خاص بالأنبياء، واللَّه أعلم.

فيكون النهي عن تمني الموت مختصًا بالحالة التي قبل نزول الموت، واللَّه أعلم.

ابن عُمر بن قتادة، عن محمود بن لَبيد[1] أن النَّبي ﷺ قال: «**اثنتان يكرههما ابن آدم: الموت، والموت خير للمؤمن من الفتنة، ويكره قلة المال، وقلةُ المال أقل للحساب**».

صحيح

وأخرجه أحمد أيضًا (٥/ ٤٢٨).

* * *

(١) أخرج أحمد بسندٍ حسنٍ (٥/ ٤٢٧) إلى محمود بن لبيد قال: أتانا رسول اللَّهِ ﷺ فصلَّى بنا المغرب في مسجدنا، فلما سلَّم منها قال: «اركعوا هاتين الركعتين في بيوتكم» للسَّبحة بعد المغرب.
فهذا مما يدلُّ على أن محمود بن لبيد رضي اللَّه عنه له صحبة.

الاستعاذة من الفتن

حديث عائشة رضي الله عنها

قال الإمام البخاري رحمه الله (٦٣٦٨):

حدثنا معلى بن أسد، حدثنا وهيب، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة رضي الله عنها، أن النبيَّ ﷺ كان يقول: «**اللَّهم إني أعوذ بك من الكسل، والهرم، والمأثم، والمَغْرَم، ومن فتنة القبر، وعذاب القبر، ومن فتنة النار، وعذاب النار، ومن شرِّ (١) فتنة الغنى، وأعوذ بك من فتنة الفقر، وأعوذ بك من فتنة المَسيح الدَّجال. اللَّهُمَّ اغسل عني خطاياي بماء الثلج والبرد، ونَقِّ قلبي من الخطايا كما نقيتَ الثوبَ الأبيضً من الدَّنسِ، وباعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرقِ والمغربِ**».

صحيح

* * *

(١) قال الحافظ «فتح الباري» (١١/ ١٧٧): (صرح في فتنة الغنى بذكر الشرّ إشارة إلى أن مَضرَّته أكثر من مضرة غيره، أو تغليظًا على أصحابه حتى لا يغتروا فيغفلوا عن مفاسده، أو إيماءً إلى أن صورته لا يكون فيها خير، بخلاف صورة الفقر فإنها قد تكون خيرًا. انتهى.

وكل هذا غفلة؛ فإن الذي ظهر لي أن لفظ «شر» في الأصل ثابتة في الموضعين، وإنما اختصرها بعض الرواة، فسيأتي بعد قليل في «باب: الاستعاذة من أرذل العمر» [كذا قال الحافظ، والصواب في باب: التعوذ من فتنة الفقر في «صحيح البخاري» حديث: ٦٣٧٧] من طريق: وكيع وأبي معاوية مفرَّقًا عن هشام بسنده هذا بلفظ: «شر فتنة الغنى وشر فتنة الفقر»، ويأتي بعد أبواب أيضًا من رواية سلام بن أبي مطيع عن هشام بإسقاط: «شر» في الموضعين، والتقييد في الغني والفقر بالشر لا بد منه؛ لأن كلاً منهما فيه خير باعتبار، فالتقييد في الاستعاذة منه بالشر يخرج ما فيه من الخير سواء قلَّ أم كثر).

حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه

قال الإمام البخاري رحمه الله (٢٨٢٢):

حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا أبو عوانة، حدثنا عبد الملك بن عمير، سمعت عمرو بن ميمون الأودي قال: كان سعد يعلم بنيه هؤلاء الكلمات كما يعلم المُعلِّمُ الغِلمان الكتابة ويقول: إن رسول الله ﷺ كان يتعوذ منهن دبر كل صلاة: «**اللَّهم إني أعوذ بك من الجبن، وأعوذ بك أن أُردَّ إلى أرذَل العُمر، وأعوذ بك من فتنة الدُّنيا** (١) **وأعوذ بك من عذاب القبر**». فحدثتُ به مصعبًا فصدَّقه.

صحيح

وأخرجه الترمذي (٣٥٦٨)، وقال: هذا حديث حسن صحيح من هذا الوجه، والنسائي (٨/ ٢٥٦).

= قال الغزالي: فتنة الغنى: الحرص على جمع المال وحبه؛ حتى يكسبه من غير حله، ويمنعه من واجبات إنفاقه وحقوقه.

وفتنة الفقر يراد به: الفقر المدقع الذي لا يصحبه خير ولا ورع، حتى يتورط صاحبه بسببه فيما لا يليق بأهل الدِّين والمروءة، ولا يُبالي بسبب فاقته على أي حرام وَثَبَ، ولا في أي حالة تورَّط، وقيل: المراد به فقر النفس الذي لا يَرُدُّه مُلك الدنيا بحذافيرها.

(١) في رواية البخاري (٦٣٦٥): «... وأعوذ بك من فتنة الدُّنيا - يعني: فتنة الدَّجال»، وأشار الحافظ في «الفتح» (١١/ ١٧٩) إلى أن الذي فسَّر فتنة الدنيا بأنها فتنة الدجال هو عبد الملك بن عمير. ثم قال الحافظ رحمه الله: (وفي إطلاق الدنيا على الدجال إشارة إلى أن فتنته أعظم الفتن الكائنة في الدنيا).

قلت: والقول بالتعميم أولى وأفضل؛ فيدخل في فتنة الدُّنيا فتنة الدجال وغير ذلك من الفتن. أعاذنا الله والمسلمين من الفتن ما ظهر منها وما بطن.

قال الإمام البُخاريّ رحمه اللَّه (٦٣٦٧):

حدثنا مسدد، حدثنا المعتمر، قال: سمعت أبي قال: سمعت أنس بن مالك رضي اللَّه عنه يقول: كان نبي اللَّه ﷺ يقول: «**اللَّهم إني أعوذ بك من العجز والكسل، والجُبن والهرم، وأعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات**»[(١)].

صحيح

وأخرجه مسلم (٢٧٠٦)، وأبو داود (١٥٤٠)، والنسائي (٨/ ٢٥٧-٢٥٨).

❊ ❊ ❊

(١) قال الحافظ ابن حجر «فتح الباري» (٢/ ٣١٩):

(قال ابن دقيق العيد: فتنة المحيا: ما يعرض للإنسان مدة حياته من الافتتان بالدنيا والشهوات والجهالات، وأعظمها - والعياذ باللَّه -: أمر الخاتمة عند الموت.

وفتنة الممات: يجوز أن يراد بها الفتنة عند الموت، أضيفت إليه لقربها منه، ويكون المراد بفتنة المحيا على هذا ما قبل ذلك، ويجوز أن يراد بها: فتنة القبر، وقد صحَّ حديث: «إنكم تفتنون في قبوركم مثل أو قريبًا من فتنة الدجال»، ولا يكون مع هذا الوجه متكررًا مع قوله: «عذاب القبر»؛ لأن العذاب مُرتَّب على الفتنة، والسبب غير المسبب.

وقيل: أراد بفتنة المحيا: الابتلاء مع زوال الصبر، وبفتنة الممات: السؤال في القبر مع الحيرة، وهذا من العام بعد الخاص؛ لأن عذاب القبر داخل تحت فتنة الممات، وفتنة الدَّجال داخلة تحت فتنة المحيا.

وأخرج الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» عن سفيان الثوري: «أن الميت إذا سئل: من ربك؟ تراءى له الشيطان فيشير إلى نفسه: إني أنا ربك»؛ فلهذا ورد سؤال التثبيت له حين يسأل.

ثم أخرج بسندٍ جيدٍ إلى عَمرو بن مُرة: «كانوا يستحبون إذا وضع الميت في القبر أن يقولوا: اللَّهمَّ أعذه من الشَّيطانِ».

حديث أنس ﷺ

قال الإمام البخاري رحمه الله (٦٣٦٢):

حدثنا حفص بن عمر، حدثنا هشام، عن قتادة، عن أنس رضي الله عنه: سألوا رسول الله ﷺ حتى أحفَوه بالمسألة، فغضب فصعدَ المنبرَ فقال: «**لا تسألوني اليوم عن شيء إلا بينتُهُ لكم**»، فجعلت أنظر يمينًا وشمالاً فإذا كل رجلٍ لافٌّ رأسه في ثوبه يبكي، فإذا رجل كان إذا لاحَى الرجالَ يُدْعَى لغير أبيه، فقال: يا رسول اللَّهِ، من أبي؟ قال: «**حُذافة**»، ثم أنشأ عمر فقال: رضينا باللَّه ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمدٍ ﷺ رسولاً، نعوذ باللَّه من الفتن[1] فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «**ما رأيتُ في الخيرِ والشرِّ كاليومِ قَطّ، إنَّه صُوِّرتْ لي الجنة والنار حتَّى رأيتُهُما وراءَ الحائط**».

وكان قتادة يذكر عند هذا الحديث هذه الآية: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ**﴾ [المائدة: ١٠١].

صحيح

وأخرجه مسلم (ص١٨٣٤).

* * *

(١) في رواية البخاري (٧٠٨٩): «نعوذ باللَّه من سوء الفتن»، وفي رواية: «عائذًا باللَّه من سوء الفتن»، وفي رواية: «عائذًا باللَّه من شر الفتن».
قال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (٣/ ٤٤): (قال ابن بطال: في مشروعية ذلك الرد على من قال: اسألوا اللَّه الفتنة، فإن فيها حصاد المنافقين. وزعم أنه ورد في حديث وهو لا يثبت رفعه، بل الصحيح خلافه، قلت: أخرجه أبو نعيم من حديث علي بلفظ: «لا تَكرهوا الفتنة في آخر الزمان؛ فإنها تبيِّرُ المنافقين»، وفي سنده ضعيف ومجهول).

حديث أبي سعيد رضي الله عنه

قال الإمام البخاري رحمه الله (٤٤٧):

حدثنا مسدد، قال: حدثنا عبد العزيز بن مختار، قال: حدثنا خالد الحذاء، عن عكرمة قال لي ابن عباس ولابنه عليّ: انطلقا إلى أبي سعيد فاسمعا من حديثه. فانطلقنا فإذا هو في حائطٍ يُصلحه، فأخذ رداءه فاحتبى، ثم أنشأ يُحدثنا، حتى أتى على ذكر بناء المسجد فقال: كُنَّا نحمل لبنة لبنة، وعمار لَبِنتين لَبِنتين، فرآه النبيُّ ﷺ فينفض التراب عنه ويقول: «**ويح عمَّار، تقتله الفئةُ الباغيةُ، يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار**». قال: «يقول عمَّار: أعوذ بالله من الفتن»[١].

صحيح

* * *

(١) قال الحافظ في «الفتح» (١/ ٥٤٣): فيه دليل على استحباب الاستعاذة من الفتن ولو علم المرء أنه متمسك فيها بالحق لأنها قد تفضي إلى وقوع من لا يرى وقوعه، قال ابن بطال: وفيه رد للحديث الشائع: لا تستعيذوا بالله من الفتن فإن فيها حصاد المنافقين. قلت: وقد سئل ابن وهب قديمًا عنه فقال: إنه باطل.

حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه

قال الإمام مسلم رحمه اللَّه (٢٨٦٧):

حدثنا يحيىٰ بن أيوب وأبو بكر بن أبي شيبة، جميعًا: عن ابن علية قال ابن أيوب: حدثنا ابن علية، قال: وأخبرنا سعيد بن الجريري، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد الخدري، عن زيد بن ثابت ـ قال أبو سعيد: ولم أشهده من النبي ﷺ، ولكن حدثنيه زيد بن ثابت ـ قال: بينما النبي ﷺ في حائط لبني النجار على بَغْلةٍ له ونحن معه، إذْ حادت به فكادت تُلقيه، وإذا أَقْبُر ستة أو خمسة أو أربعة (قال: كذا كان يقول الجريري) فقال: «**مَن يعرف أصحاب هذه الأقبر**»؟ فقال رجل: أنا. ، قال: «**فمتى مات هؤلاء؟**» قال: ماتوا في الإشراك. فقال: «**إن هذه الأمة تُبتَلى في قُبورها، فلولا أن لا تدافنوا لدعوتُ اللَّه أن يُسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع منه**» ثم أَقبل علينا بوجهه فقال: «**تعوَّذوا باللَّه من عذاب النار**» قالوا: نعوذُ باللَّه من عذاب النار، فقال: «**تعوَّذوا باللَّه من عذاب القبر**» قالوا: نعوذ باللَّه من عذاب القبر. قال: «**تعوذوا باللَّه من الفتن ما ظهر منها وما بطن**» قالوا: نعوذ باللَّه من الفتن ما ظهر منها وما بطن، قال: «**تعوَّذوا باللَّه من فتنة الدَّجال**» قالوا: نعوذ باللَّه من فتنة الدَّجال.

صحيح

* * *


فصــل
في المَلاحِمِ
وجملة منْ أشْرَاطِ السَّـاعَـةِ

تعريف الملحمة:

قال صاحب «اللسان»: (و«الملحمة»: الوقعة العظيمة القتل، وقيل: موضع القتال، و«أَلْحَمتُ القوم» إذا قتلتهم حتى صَاروا لحمًا، و«أُلحم الرجل إلحامًا واستُلحم استلحامًا» إذا نشب في الحرب فلم يجد مخلصًا، وألحمه غيره فيها، وألحمه القتال.

وفي حديث جعفر الطيار عليه السلام يوم مؤتة: «أنه أخذ الراية بعد قتل زيد فقاتل بها حتى ألحمه القتال، فنزلَ وعقَر فرسه»، ومنه حديث عمر رضي اللَّه عنه في صفة الغزاة: «ومنهم من ألحمه القتال»، ومنه حديث سهيل: «لا يرد الدعاء عند البأس حين يُلحم بعضهم بعضًا» أي: تشتبك الحرب بينهم، ويلزم بعضهم بعضًا.

وفي الحديث: «**اليوم يوم الملحمة**» وفي حديث آخر: «**ويجمعون للملحمة**» هي: الحرب وموضع القتال، والجمع: «الملاحم»، مأخوذ من اشتباك الناس واختلاطهم فيها كاشتباك لُحمة الثوب بالسَّدَي.

وقيل: هو من اللحم لكثرة لحوم القتلى فيها، وألحمت الحرب فالتحمت.

و«الملحمة»: القتال في الفتنة.

قال ابن الأعرابي: «الملحمة» حيث يقاطعون لحومهم بالسيوف، قال ابن بَرِّي: شاهد الملحمة:

قول الشاعر:

بملحمةٍ لا يَستقلُّ غرابُها   دَفيفًا ويمشي الذِّئبُ فيها معَ النِّسْرِ

و«الملحمة»: الحرب ذات القتل الشديد، و«الملحمة»: الوقعة العظيمة في

الفتنة ، وفي قولهم : «نبي الملحمة» قولان :

أحدهما : نبي القتال ، وهو كقوله في الحديث الآخر : «بعثت بالسيف» .

والثاني : نبي الصلاح وتأليف الناس ، كان يؤلّف أمر الأمة) .

* * *

قتال الترك من أشراط الساعة

قال الإمام البخاري رحمه الله (٣٥٨٧):

حدثنا أبو اليمان، أخبرنا شعيب، حدثنا أبو الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه، عن النبي ﷺ قال: «**لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قومًا نعالهم الشَّعر(١)، وحتى تقاتلوا التُّرك: صغارَ الأعين، حُمرَ الوجوه، ذُلْفَ(٢) الأنوف، كأن وجوههم المجانّ(٣) المطرقة(٤)**».

صحيح

وأخرجه مسلم (٢٩١٢).

* * *

(١) في رواية البخاري (٢٩٢٧): «ينتعلون نعال الشَّعر»، وفي رواية لمسلم: «يلبسون الشَّعر ويَمشون في الشَّعر»، وفي هذه الرواية ما يفيد أنهم التُّرك، فلفظها عند مسلم (ص٢٢٣٣): «لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون التُّرك، قومًا وجوههم كالمجان المطرقة يلبَسون الشَّعْرَ ويمشون في الشَّعر».
قال الحافظ في «الفتح» (٦/ ٦٠٨): (قيل: المراد به: طول شعورهم حتى تصير أطرافها في أرجلهم موضع النعال، وقيل: المراد أن نعالهم من الشعر، بأن يجعلوا نعالهم من شعر مضفور).
وقال الحافظ في «الفتح» (٦/ ١٠٤): (قوله: «ينتعلون نعال الشعر» هذا الحديث ظاهر في أن الذين ينتعلون الشعر غير الترك، وقد وقع للإسماعيلي من طريق محمد بن عباد قال: بلغني أن أصحاب بابك كانت نعالهم الشَّعر. قلت: «بابك» بموحدتين مفتوحتين وآخره كاف يقاله: «الخُرَّمي» بضم المعجمة وتشديد الراء المفتوحة، وكان من طائفة من الزنادقة استباحوا المحرمات، وقامت لهم شوكة كبيرة في أيام المأمون، وغلبوا على كثير من بلاد العجم كطبرستان والرِّي، إلى أن قُتل بابك المذكور في أيام المعتصم، وكان خروجه في سنة إحدى ومائتين أو قبلها، وقتله في سنة اثنتين وعشرين).
(٢) قال النووي «شرح مسلم» (٥/ ٧٦١): (معناه: فطس الأنوف»: قصارها مع انبطاح، وقيل: هو غلظ في أرْنبة الأنف، وقيل: تطامن فيها. وكله متقارب.
وفي «اللسان»: الذَّلَف بالتحريك قِصَرُ الأنف وصغره ـ وأورد فيه أقوالاً أخرَى وأورد الحديث ـ ثم قال: «الذُّلْفُ» بالتحريك قِصَرُ الأنفِ وانبطاحه، وقيل: ارتفاع طَرفه مع صِغَر أَرْنبته).
(٣) «المجان»: جمع «مجن» وهو: الترس.
(٤) «المطرقة»: في «لسان العرب» (المجان المطرقة: أي: التراس التي ألبست العقب شيئًا فوق =

شيء، أراد أنهم عراضُ الوجوه غِلاظُها).

وفي «الفتح» (٦/ ١٠٤): (والمطرقة: التي ألبست الأطرقة من الجلود وهي الأغشية تقول: «طارقت بين النعلين» أي: جعلت إحداهما على الأخرى، وقال الهروي: هي التي أطرقت بالعصب أي أُلبِسَتْ به).

وقال النووي «شرح مسلم» (٥/ ٧٦٠): (قال العلماء وهي التي أَلبست العقب وأطرقتْ به طاقةً فوق طاقةٍ. قالوا: ومعناه: تشبيه وجوه الترك في عرضها وتنور وجناتها بالترسة المطرقة.

وقال المصحح لمسلم: أي: التروس التي كُسيت جِلْدًا، شبه وجوههم بالترس لبسطتها وتدورها، وبالمطرقة لغلظها وكثرة لحمها.

وقال النووي رحمه الله: وقد وُجد قتالُ هؤلاءِ التُّرك بجميع صفاتهم التي ذكرها ﷺ: صغار الأعين، حُمر الوجوه، ذُلف الأنف، عِراض الوجوه، كأن وجوههم المجان المطرقة، ينتعلون الشَّعر، فَوُجدوا بهذه الصفات كلها في زماننا، وقاتلهم المسلمون مرات، وقتالهم الآن، ونسأل اللَّه الكريم إحسان العاقبة للمُسلمين في أمرهم وأمرِ غيرهم، وسائر أحوالهم، وإدامة اللطفِ بهم والحمايةَ، وصلى اللَّه على رسوله الذي لا ينطق عن الهوىٰ، إن هو إلا وحيٌ يوحىٰ).

وقال الحافظ في «الفتح» (٦/ ٦٠٩): (وقد كان مشهورًا في زمن الصحابة حديث: «اتركوا التُّرك ما تركوكم»، فروىٰ الطبراني من حديث معاوية قال: سمعت رسول اللَّه يقوله (*)، وروىٰ أبو يعلىٰ من وجه آخر عن معاوية بن خديج قال: «كنت عند معاوية، فأتاه كتابُ عامله: أنه وقع بالترك وهزمهم. فغضب معاوية من ذلك، ثم كتب إليه: لا تقاتلهم حتىٰ يأتيك أمري، فإنِّي سمعتُ رسول اللَّه ﷺ يقول: «إن التُّرك تجلي العرب حتىٰ تلحقها بمنابت الشيح» (**).

قال: فأنا أكره قتالهم لذلك.

وقاتل المسلمون الترك في خلافة بني أمية، وكان ما بينهم وبين المسلمين مسدودًا إلىٰ أن فتح ذلك شيئًا بعد شيء، وكَثُر السَّبيُ منهم، وتنافس الملوك فيهم لما فيهم من الشدة والبأس، حتىٰ كان أكثر عسكر المعتصم منهم، ثم غلب الأتراك علىٰ الملك فقتلوا ابنه المتوكل ثم أولاده واحدًا بعد واحد، إلىٰ أن خالط المملكة «الديلم»، ثم كان الملوك السامانية من الترك أيضًا فملكوا بلاد =

(*) هذا الحديث عند الطبراني في «المعجم الكبير» (٨٨٢، ٨٨٣)، وإسناده ضعيف.

(**) هذا الحديث لم أقف علىٰ إسناده، وانظر: «ضعيف الجامع» (٣٢٥٤).

. . . .

= العجم، ثم غلب على تلك الممالك آل سبكتكين، ثم آل سلجوق، وامتدت مملكتهم إلى العراق والشام والروم، ثم كان بقايا أتباعهم بالشام وهم آل زنكي وأتباع هؤلاء وهم بيت أيوب، واستكثر هؤلاء أيضًا من الترك فغلبوهم على المملكة بالديار المصرية والشامية والحجازية، وخرج على آل سلجوق في المائة الخامسة الغُزّ، فخرَّبوا البلادَ وفتكوا في العباد، ثم جاءت الطامة الكبرى بالطَّطَر، فكان خروج جنكيزخان بعد الستمائة، فأسعرت بهم الدنيا نارًا خصوصًا المشرق بأسره، حتى لم يبق بلد منه حتى دخله شرُّهم، ثم كان خراب بغداد وقتْل الخليفة المستعصم آخر خلفائهم على أيديهم في سنة ستة وخمسين وستمائة، ثم لم تزل بقاياهم يخربون، إلى أن كان آخرهم اللنك - ومعناه: الأعرج - واسمه: تمر، بفتح المثناة وضم الميم، وربما أشبعت - فطرق الديار الشامية وعاث فيها وحرق دمشق حتى صارت خاوية على عروشها، ودخل الروم والهندَ وما بين ذلك، وطالت مدته إلى أن أخذه اللّه، وتفرق بنوه البلادَ وظهر بجميع ما أوردته مصداق قوله ﷺ: «إن بني قنطوراء أول من سلب أمتي ملكهم»، وهو حديث أخرجه الطبراني من حديث معاوية (*)، والمراد ببني قنطورا: الترك، وقنطورًا: قيده الجواليقي في «المعرب» بالمد، وفي كتاب «البارع» بالقصر، قيل: كانت جارية لإبراهيم الخليل عليه السلام، فولدت له أولادًا فانتشر منهم الترك. حكاه ابن الأثير واستبعده، وأما شيخنا في «القاموس» فجزم به، وحكى قولاً آخر: أن المراد بهم: السُّودان، وقد تقدَّم في باب: قتال الترك من الجهاد.

قلت: أي: من كتاب الجهاد في «صحيح البخاري» بقية ذلك، وكأنه يريد بقوله: (أمتي) أمة النسب لا أمة الدعوة - يعني: العرب. واللّه أعلم.

قلت: والمراد بالترك في كل ما ذكر: غير المسلمين منهم. واللّه أعلم.

(*) قلت: بل وأخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٠٣٨٩) من حديث عبد الله بن مسعود وإسناده ضعيف جدًا، بل حكم عليه بعض أهل العلم بأنه موضوع.

من أشراط الساعة قتال أقوام ينتعلون نعال الشعر وأقوام وجوههم كالمجانّ المطرّقة

قال الإمام البخاري رحمه الله (٢٩٢٧):

حدثنا أبو النعمان، حدثنا جرير بن حازم، قال: سمعت الحسن يقول: حدثنا عمرو بن تغلب قال: قال النبي ﷺ: «**إن من أشراط الساعة أن تقاتلوا قومًا ينتعلون نِعال الشَّعر، وإن من أشراط الساعة: أن تقاتلوا قومًا عراض الوجوه، كأن وجوههم المجان المطرقة**».

صحيح

وأخرجه ابن ماجه (٤٠٩٨).

قال الإمام البخاري رحمه الله (٣٥٩٠):

حدثنا يحيى، حدثنا عبد الرزاق، عن معمر، عن همام، عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «**لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا خوزًا وكرمان**[1] **من الأعاجم: حُمر الوجوه، فُطس الأنوف، صغار الأعين، كأنَّ وجوههم المجان المطرقة، نعالهم الشعر**».

صحيح

تابعه غيره عن عبد الرزاق.

---

(١) قال الحافظ ابن حجر «فتح الباري» (٦/ ٦٠٧): أما «خوز»: فمن بلاد الأهواز، وهي من عراق العجم، وقيل: الخوز: صنف من الأعاجم، وأما كرمان فبلدة مشهورة من بلاد العجم أيضًا بين خاراسان وبحر الهند، ورواه بعضهم (خور كرمان) براء مهملة وبالإضافة، والإشكال باقٍ، ويمكن أن يجاب بأن ذلك الحديث غير حديث قتال الترك، ويجتمع منهما الإنذارُ بخروج الطائفتين.

قال الإمام أحمد رحمه اللَّه (٣/ ٣١):

حدثنا عمار بن محمد ـ ابن أخت سفيان الثوري ـ عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قومًا صغارَ الأعين، عراضَ الوجوه، كأنَّ أعينهم حدق الجراد، كأن وجوههم المجانّ المطرَّقة، ينتعلون الشَّعرَ، ويتخذون الدرقَ، حتى يربطوا خيولهم بالنخل**».

صحيح

* * *

ما جاء في بني قنطوراء

قال أبو داود رحمه الله (٤٣٠٦):

حدثنا محمد بن يحيىٰ بن فارس، حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث، حدثني أبي، حدثنا سعيد بن جُمهان، حدثنا مسلم بن أبي بكرة قال: سمعت أبي يحدث أن رسول الله ﷺ قال: «**ينزل ناس من أمتي بغائط يسمونه البصرة عند نهر يقال له دجلة، يكون عليه جسر يكثر أهلها وتكون من أمصار المهاجرين**» قال ابن يحيىٰ: قال أبو معمر -: «**وتكون من أمصار المسلمين**» **فإذا كان آخر الزمان جاء بنو قنطوراء(*) : عِراض الوجوه، صغار الأعين، حتى ينزلوا على شط النهر، فيتفرق أهلها ثلاث فرق: فرقة يأخذون أذناب البقر والبرية وهلكوا، وفرقة يأخذون لأنفسهم وكفروا، وفرقة يجعلون ذراريهم خلف ظهورهم ويقاتلونهم وهم الشهداء**».

إسناده حسن(١)

* * *

(*) أما بنو قنطوراء المذكورين في الحديث فقال الخطابي: هُم التُّرك، يقال: إن قنطوراء اسم جارية كانت لإبراهيم صلوات الله وسلامه عليه، ولدتْ له أولادًا جاء من نسلهم الترك.

(١) الحديث وإن كان إسناده حسن إلا أن فيه «سعيد بن جمهان»: وثَّقه عدد من أهل العلم، إلا أن البخاري قال: في حديثه عجائب. وفي صدورنا من هذا الحديث ريب من آجل غرابة لفظه كما ترىٰ، فنخشىٰ أن يكون من تلك العجائب. فالله أعلم.
وقد أورد ابن أبي حاتم هذا الحديث في «العلل» (٢/ ٤١٩) من طريق: راشد الحماني، عن أبي الحسن - مولىٰ أبي بكرة -، عن عبد الرحمن بن أبي بكرة، عن أبيه مرفوعًا. وقال: سألت أبي عنه؟ فقال: هو حديث منكر، فلا أدري هل النكارة في كونه من حديث عبد الرحمن أَمْ لا؟ ومثل هذا الإشكال واردٌ أيضًا في الحديث السابق لهذا عند أبي داود (٤٣٠٥)، فرواه أبو داود =

فتنة الأحلاس وفتنة الدهيماء

قال أبو داود رحمه الله (٤٢٤٢):

حدثنا يحيىٰ بن عثمان بن سعيد الحمصي، حدثنا أبو المغيرة، حدثني عبد اللَّه بن سالم، حدثني العلاء بن عتبة، عن عمير بن هانئ العنسي قال: سمعت عبد اللَّه بن عمر يقول: كنَّ قُعودًا عند رسول اللَّه ﷺ، فذكر الفتن فأكثر في ذكرها حتىٰ ذكر فتنة الأحلاس، فقال قائل: يا رسول اللَّه، وما فتنة الأحلاس[1]؟

= من طريق: بشير بن المهاجر، حدثنا عبد اللَّه بن بريدة، عن أبيه، عن النبي ﷺ في حديث: «يقاتلكم قوم صغار الأعين - يعني: التُّرك - قال: تسوقونهم ثلاثَ مِرَارٍ حتىٰ تلحقوهم بجزيرة العرب، فأما في السياقة الأولىٰ: فينجو من هرب منهم، وأما في الثانية: فينجو بعض ويهلك بعض، وأما في الثالثة: فيصطلمون». أو كما قال.

ففي إسناده «بشير بن المهاجر»، وإن وثَّقه بعض أهل العلم إلا أن أحمد قال: منكر الحديث قد اعتُبرت أحاديثه، فإذا هو يجيء بالعجب، وقال البخاري: يُخالَف في بعض حديثه. فمثل هذه الزيادات التي ينفرد بها ينبغي أن يتوقف فيها. واللَّه أعلم.

(١) في «اللسان»: «الحلس: (والحلس: كل شيء ولي ظهر البعير والدابة تحت الرحل والقتب والسرج، وهي بمنزلة المرشحة تكون تحت اللبد، وقيل: هو كساء رقيق يكون تحت البرذعة.

ثم أورد من معاني الحلس: اللزوم، فقال: «وفلان حلس بيته» إذا لم يبرحه، ثم أورد عن الأزهري عن الغتريفي: يقال: «فلان حلس من أحلاس البيت» الذي لا يبرح البيت، وهو عندهم ذم، أي: أنه لا يصلح إلا للزوم البيت.

ثم قال: وفي الحديث في الفتنة: «كن حلسًا من أحلاس بيتك»).

وقال صاحب «عون المعبود» (١١/٣٠٨): (قال في «النهاية»: الأحلاس: جمع «حلس»، وهو الكساء الذي يلي ظهر البعير تحت القتب، شبهها به للزومها ودوامها. انتهىٰ).

وقال الخطابي: (إنما أضيفت الفتنة إلىٰ الأحلاس لدوامها وطول لبثها، أو لسواد لونها وظلمتها. قال النبي ﷺ: «هي» أي: فتنة الأحلاس «هرب»: بفتحتين، أي: يفر بعضهم من بعض لما بينهم من العداوة والمحاربة. قاله القاري.

و«حرَب»: في النهاية: الحرب - بالتحريك -: نهب مال الإنسان وتركه لا شيء له. انتهىٰ.

وقال الخطابي: الحرب: ذهاب المال والأهل.

قال: «هي هرب وحرب، ثم فتة السَّرَّاء(١)، دخنها(٢) من تحت قدمي رجلٍ من أهل بيتي يزعم أنه منِّي وليس منِّي، وإنما أوليائي المتقون، ثم يصطلح الناسُ على رجل كَوَرِكٍ(٣) على ضِلَعٍ(٤)، ثم فتنة الدُّهَيماء(٥)؛ لا تدع أحدًا من هذه

(١) «فتنة السراء»: قال القاري: والمراد بالسراء: النعماء التي تسر الناس من الصحة والرخاء والعافية من البلاء والوباء، وأضيفت إلى السراء لأن السبب في وقوعها ارتكاب المعاصي بسبب كثرة التنعم، أو لأنها تسر العدو. انتهى.

(٢) «دخنها»: قال صاحب «العون»: يعني: ظهورها وإثارتها، شبهها بالدخان المرتفع، والدخن بالتحريك مصدر، «دخنت النار تدخن» إذا ألقي عليها حطب رطب فكثر دخانها، وقيل: أصل الدخن: أن يكون في لون الدابة كدورة إلى سواد. قاله في «النهاية»، وإنما قال: «من تحت قدمي رجل من أهل بيتي» تنبيهًا على أنه هو الذي يسعى في إثارتها أو إلى أنه يملك أمرها، «يزعم أنه مني» أي: في الفعل، وإن كان منِّي في النسب، والحاصل: أن تلك الفتنة بسببه وأنه باعث على إقامتها، «وليس مني» أي: من أخلائي أو من أهلي في الفعل؛ لأنه لو كان من أهلي لم يهيج الفتنة، ونظيره: قوله تعالى: ﴿إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح﴾ أو: ليس من أوليائي في الحقيقة، ويؤيده قوله: «وإنما أوليائي المتقون».

(٣) «الوَرِك»: هو ما فوق الفخذ، كالكتف فوق العضد، الورك بفتح الواو وكسر الراء.

(٤) «الضلع»: بفتح اللام ويجوز تسكينها.

قال الخطابي - رحمه الله -: (هو مثلٌ ومعناه: الأمر الذي لا يثبت ولا يستقيم وذلك أن الضلع لا يقوم بالورك، وبالجملة؛ يريد: أن هذا الرجل غير خليق للملك ولا مستقل به) انتهى.

وفي «النهاية»: (أي: يصطلحون على أمرٍ واهٍ لا نظام له ولا استقامة، لأن الورك لا يستقيم على الضلع ولا يتركب عليه لاختلاف ما بينهما وبعده، والورك: ما فوق الفخذ. انتهى).

وقال القاري: (هذا مثلٌ، والمراد: أنه لا يكون على ثبات، لأن الورك لثقله لا يثبت على الضلع لدقته، والمعنى: أنه يكون غير أهل الولاية لقلة علمه وخفة رأيه).

وقال الأردبيلي في «الأزهار»: (يقال في التمثيل للموافقة والملائمة: «كف في ساعد»، وللمخالفة والمغايرة: «ورك على ضلع» انتهى).

وفي «شرح السنة»: (معناه: أن الأمر لا يثبت ولا يستقيم له، وذلك أن الضلع لا يقوم بالورك ولا يحمله، وحاصله: أنه لا يستعد ولا يستبد، لذلك فلا يقع منه الأمر موقعه كما أن الورك على ضِلعٍ يقع غير موقعه).

(٥) «فتنة الدُّهَيماء: وهي بضم ففتح، والدهماء: السوداء، والتصغير للذم، أي: الفتنة العظماء =

الأمـة إلا لطمتـه لطمـة(١) ، فإذا قيل: انقضت، تمادت؛ يصبح الرَّجل فيها مؤمنًا(٢) ويمسى كافرًا، حتى يصير الناس إلى فُسْطَاطَيْن(٣) : فسطاط إيمان لا نفاق فيه، وفسطاط نفاق لا إيمان فيه، فإذا كان ذاكم فانظروا الدجال من يومه أو من غده».

إسناد صحيح(٤)

وأخرجه أحمد (٢/ ١٣٣)، والحاكم (٤/ ٤٦٦ ـ ٤٦٧) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وقال الذهبي: صحيح.

* * *

= والطامة العمياء». قاله القاري.

وفي «النهاية»: (تصغير الدهماء، يريد: الفتنة المظلمة، والتصغير فيها للتعظيم، وقيل: أراد بالدهيماء: الداهية، ومن أسمائها: الدهيم، زعموا أن الدهيم اسم ناقة كان غزا عليه سبعة إخوة فقتلوا عن آخرهم وحُملوا عليها حتى رجعت بهم، فصارت مثلاً في كل داهية).

وفي «اللسان»: (الدهيماء: السوداء المظلمة).

(١) (أي: أصابته بمحنة ومسته ببلية، وأصل اللطم: هو الضرب على الوجه ببطن الكف، والمراد: أن أثر تلك الفتنة يعم الناس ويصل لكل أحد من ضررها، «فإذا قيل: انقضت» أي: فمهما توهَّموا أن تلك الفتنة انتهت «تمادت» بتخفيف الدال، أي: بلغت المدى أي: الغاية من التمادي وبتشديد الدال من «التمادد» تفاعل من المد، أي: استطالتْ واستمرتْ واستقرت) قاله القاري.

(٢) «يصبح مؤمنًا» أي: لتحريمه دم أخيه وماله وعرضه، و«يمسي كافرًا» أي: لتحليله ما ذكر ويستمر ذلك.

(٣) المراد بالفسطاط هنا: الفرقة، وأصل الفسطاط: الخيمة.

(٤) تنبيه هام: ذكر ابن أبي حاتم هذا الحديث في كتاب «العلل» (٢/ ٤١٦ ـ ٤١٧).

وقال: سألت أبي عنه؟ فقال: رَوَىٰ هذا الحديث ابن جابر عن عمير بن هانئ عن النبي ﷺ مرسلا، والحديث عندي ليس بصحيح؛ كأنه موضوع.

كذا قال أبو حاتم الرازي ـ رحمه الله ـ في «العلل»، وهل نترك ظاهر إسناد الحديث لكلام الإمام =

ما جاء في ظهور الرايات السود

قال ابن ماجه رحمه الله (٤٠٨٤):

حدثنا محمد بن يحيى وأحمد بن يوسف، قالا: ثنا عبد الرزاق، عن سفيان الثوري، عن خالد الحذاء، عن أبي قلابة، عن أبي أسماء الرحبي، عن ثوبان قال: قال رسول الله ﷺ: «**يقتتل عند كنزكم ثلاثةٌ كلهم ابن خليفة، ثم لا يصير إلى واحد منهم، ثم تطلع الراياتُ السُّودُ من قِبَلِ المشرق، فيقتلونكم قتلاً لم يقتله قومٌ**».

ثم ذكر كلامًا لا أحفظه فقال: «**فإذا رأيتموه فبايعوه ولو حبوًا على الثلج؛ فإنه خليفة الله المهدي**».

إسناده صحيح[1]

وأخرجه: الحاكم (٤/ ٤٦٣ ـ ٤٦٤) وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

وأخرجه الحاكم أيضًا (٤/ ٥٠٢) وأحمد مختصرًا (٥/ ٢٧٧).

* * *

= الحافظ أبي حاتم الرازي: «كأنه موضوع»؟ أم نحكم بصحة الحديث بناء على ظاهر إسناده؟!! علمها عند ربي، ولكن ما شهدنا إلا بما علمنا، وما كنا للغيب حافظين، فحكمنا على الإسناد بظاهر الصحة، وتركنا ما وراء ذلك.

(١) وقد أعلَّ الشيخ ناصر الدين الألباني إسناد هذا الحديث بعنعنة أبي قلابة وهو: عبد الله بن زيد الجرمي، بناءً على أن الذهبي والعلائي وصفا أبا قلابة بالتدليس.

وهذا مما لا نوافق الشيخ ناصر ـ رحمه الله ـ عليه، فالذي عرف عن أبي قلابة كثرة الإرسال، أما التدليس فلم يصفه المتقدمون من أئمة الشأن كأبي حاتم وأحمد ومن في طبقتهما بذلك، وقد =

. . . .

= ذكره الحافظ ابن حجر في المرتبة الأولى من مراتب المدلسين، وقد ذكر في مقدمة رسالته: (أما بعد؛ فهذه معرفة مراتب الموصوفين بالتدليس في أسانيد الحديث النبوي، لخَّصتُها في هذه الأوراق لتُحفظ، وهي مستمدة من «جامع التحصيل» للإمام صلاح الدين العلائي شيخ شيوخنا تغمدهم اللَّه برحمته، مع زياداتٍ كثيرة في الأسماء تُعرف بالتأمل، وهم على خمسة مراتب:

المرتبة الأولى: من لم يوصف بالتدليس إلا نادرًا، كيحيى بن سعيد الأنصاري.

الثانية: من احتمل الأئمة تدليسه وأخرجوا له في «الصحيح» لإمامته وقلة تدليسه في جنب ما روى، كالثوري، أو كان لا يدلس إلا عن ثقة كابن عيينة.

الثالثة: من أكثر من التدليس فلم يحتج الأئمة من أحاديثهم إلا بما صرَّحوا فيه بالسماع، ومنهم من رد حديثهم مطلقًا، ومنهم من قبلهم مطلقًا، كأبي الزبير المكي..

ثم ذكر ـ رحمه اللَّه ـ الطبقة الرابعة والخامسة.

وفي ذكره لرجال كل طبقة عدَّ عبد اللَّه بن زيد الجرمي (أبا قلابة) في الطبقة الأولى من طبقات المدلسين، أي: ممن لا يضر تدليسهم، فَمَن كان مثل هذا فكيف يُعلُّ الحديث بعنعنته؟!!

وأيضًا فقد أخرج مسلم بهذا السند أحاديث، فهذا مما يؤيد سماع أبي قلابة من أبي أسماء الرحبي، ولا نعلم في ذلك خلافًا يُذكر.

فالصواب: أن الحديث صحيح الإسناد لا غبار على إسناده واللَّه أعلم.

أما المراد بـ«الكنز المذكور»: فقد قال ابن كثير رحمه اللَّه: كما نقل عنه المعلق على ابن ماجه: أنه كنز الكعبة.

تنبيه:

أخرج أحمد في «مسنده» (١/ ١٠، ١١) من طريق: ابن أبي مليكة قال: قيل لأبي بكر رضي اللَّه عنه: يا خليفة اللَّه، فقال: أنا خليفة رسول اللَّه، وأنا راضٍ به، راضٍ به، راضٍ به.

واحتج بهذا الأثر بعض أهل العلم على أنه لا يُقال: «يا خليفة اللَّه». وبالنسبة لهذا الأثر فهو ضعيف، ووجه ضعفه أنه لا تعرف لابن أبي مليكة عن أبي بكر رضي اللَّه عنه [لقية]، فالأثر منقطع.

الملاحم بين المسلمين والروم

قال الإمام أبو داود رحمه الله (٤٢٩٢):

حدثنا النفيلي، حدثنا عيسى بن يونس، حدثنا الأوزاعي، عن حسان بن عطية، قال: مال مكحول وابن أبي زكريا إلى خالد بن معدان ومِلْتُ معهم، فحدثنا، عن جبير بن نفير (عن الهدنة)، قال: قال جبير: انطلق بنا إلى ذي مِخْمَرٍ - رجل من أصحاب النبي ﷺ - فأتيناه، فسأله جبير عن الهدنة، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«ستصالحون الروم صلحًا آمنًا، فتغزون أنتم وهم عَدُوًّا من ورائكم، فتنصرون، وتغنمون، وتسلمون، ثم ترجعون حتى تنزلوا بمرج[1] ذي تلول[2]، فيرفع رجل من أهل النصرانية الصليبَ فيقول: غلب الصليب[3]. فيغضب رجلٌ من المسلمين فيدقُّه[4]، فعند ذلك تغدر الروم وتجمع للملحمة»[5].**

صحيح

---

(١) في «اللسان»: المرج الفضاء، وقيل: أرض ذات كلإ ترعى فيها الدواب. وفي «التهذيب»: أرض واسعة فيها نبت كثير، تمرج فيها الدواب.

(٢) تلول: جمع «تل»، وهو: الموضع المرتفع.

(٣) يقصد: أن دين النصارى قد غلب.

(٤) أي: يكسر الصليب.

(٥) قال صاحب «اللسان»: «الملحمة»: هي الحرب وموضع القتال، والجمع: الملاحم، مأخوذ من اشتباك الناس واختلاطهم فيها كاشتباك لُحْمة الثوب بالسَّدَى، وقيل: هو من اللَّحم لكثرة لحوم القتلى فيها. وقد تقدم لها تعريف أوسع؛ فراجعه.

والحديث أخرجه أيضًا أبو داود (٢٧٦٧)[١]، وابن ماجه (٤٠٨٩)[٢]، وابن حبان «موارد الظمآن» (١٨٧٤، ١٨٧٥)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٤٢١) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وقال الذهبي: صحيح، وأخرجه أحمد أيضًا (٤/ ٩١)، (٥/ ٣٧١ ـ ٣٧٢).

قال أبو داود رحمه الله (٤٢٩٨):

حدثنا هشام بن عمار، حدثنا يحيى بن حمزة، حدثنا ابن جابر، حدثني زيد ابن أرطأة قال: سمعت جبير بن نفير، يحدث عن أبي الدرداء أن رسول الله ﷺ قال: **«إن فُسطاط[٣] المسلمين يوم الملحمة[٤] بالغوطة إلى جانب مدينة يقال لها: دمشق[٥]، مِن خيرِ مدائن الشام».**

صحيح

وأخرجه أحمد (٥/ ١٩٧).

(١) قال أبو داود عقب إخراجه للحديث (وذلك في حديث رقم ٤٢٩٣): حدثنا مؤمل بن الفضل الحراني، حدثنا الوليد (بن مسلم)، حدثنا أبو عمرو، عن حسان بن عطية بهذا الحديث. وزاد فيه: «ويثور المسلمون إلى أسلحتهم فيقتتلون، فيُكرم اللَّه تلك العصابة بالشهادة»، إلا أن الوليد جعل الحديث عن جبير عن ذي مخبر عن النبي ﷺ قال أبو داود: ورواه روح ويحيى بن حمزة وبشر بن بكر عن الأوزاعي، كما قال عيسى.

(٢) في رواية لابن ماجه: «فيجتمعون للملحمة، فيأتون حينئذ تحت ثمانين غاية، تحت كل غاية اثنا عشر ألفًا»، وكذا هي عند الحاكم وابن حبان.

وفي رواية لأحمد: «فيأتونكم في ثمانين غاية، مع كل غاية عشرة آلاف».

(٣) أصل «الفسطاط»: الخيمة، ثم استُعمل في الحصن والملجأ.

(٤) «الملحمة»: تقدم الكلام عليها بتوسع، والمراد بها هنا: المقتلة العُظمى.

(٥) قال صاحب «عون المعبود»: «دمشق»: بكسر الدال المهملة وفتح الميم، وسُميت بذلك لأن دِمشاق بن نمرود بن كنعان هو الذي بناها فسُميت باسمه، وكان آمن بإبراهيم عليه السلام وسار معه، وكان أبوه نمرود دفعه إليه لما رأى له من الآيات.

قال الإمام مسلم رحمه الله (٢٨٩٩):

حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة وعلي بن حجر، كلاهما عن ابن عليّة (واللفظ لابن حجر) حدثنا إسماعيل بن إبراهيم، عن أيوب، عن حميد بن هلال، عن أبي قتادة العدوي، عن يُسير بن جابر قال: هاجتْ ريح حمراء بالكوفة، فجاء رجل ليس له هجيرى (١): ألا يا عبد الله بن مسعود جاءت الساعةُ. قال: فقعد وكان متكئًا فقال (٢): إن الساعة لا تقوم حتى لا يُقسَم ميراثٌ ولا يفرح بغنيمةٍ. ثم قال بيده هكذا (ونحاها نحو الشأم) فقال: عدو يجمعون لأهل الإسلام ويجمع لهم أهل الإسلام. قلت: الروم تعني؟ قال: نعم، وتكون عند ذاكم القتال ردة شديدة فيشترط المسلمون شرطة للموت لا ترجع إلا غالبةً، فيقتتلون حتى يحجز بينهم الليل، فيفيء هؤلاء وهؤلاء كلٌّ غير غالب، وتفنى الشرطة، ثم يشترط المسلمون شرطةً للموت لا ترجع إلا غالبةً، فيقتتلون حتى يحجز بينهم الليل، فيفيء هؤلاء وهؤلاء كل غير غالب وتفنى الشرطة، ثم يشترط المسلمون شرطة للموت لا ترجع إلا غالبة، فيقتتلون حتى يمسوا، فيفيء هؤلاء وهؤلاء كل غير غالب، وتفنى الشرطة، فإذا كان يوم الرابع نهد (٣) إليهم بقية أهل الإسلام، فيجعل الله الدبرة (٤) عليهم، فيقتتلون مقتلةً - إمَّا قال: «لا يُرى مثلها»، وإما قال: «لم يُر مثلها» - حتى إن الطائر ليمر بجنباتهم (٥) فما يخلفهم،

---

(١) أي: ليس له كلام ولا نداء ولا دأب ولا شأن إلا ذلك.

(٢) الجزء الأول منه موقوف على عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، إلا أنه لا يقال من قبيل الرأي، ثم إن في آخر الحديث ما يُشعر أنه تلقَّاه عن رسول الله ﷺ، والله أعلم.

(٣) «نهد» أي: نهض وتقدم.

(٤) «الدبرة»: أي: الهزيمة.

(٥) «جنباتهم»: يعني: نواحيهم.

حتىٰ يخر ميتًا، فيتعاد بنو الأب كانوا مائة، فلا يجدونه بقي منهم إلا الرجل الواحد، فبأي غنيمة يفرح -أو: أي ميراث يقاسم؟! فبينما هم كذلك إذ سمعوا ببأسٍ هو أكبر من ذلك، فجاءهم الصريخُ: إن الدجال قد خلَّفهم في ذراريهم. فيرفضون ما في أيديهم ويقبلون، فيبعثون عشرة فوارس طليعةً، قال: رسول الله ﷺ: «**إني لأعرف أسماءهم وأسماء آبائهم وألوان خيولهم، هُم خير فوارس على ظهر الأرض يومئذ، أو: مِن خير فوارس على ظهر الأرض يومئذ**».

صحيح(١)

قال الإمام مسلم رحمه الله (٢٩٠٠):

حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا جرير، عن عبد الملك بن عمير، عن جابر بن سمرة، عن نافع بن عتبة، **قال**: كنا مع رسول الله ﷺ في غزوةٍ، قال: فأتىٰ النبي ﷺ قوم من قبل المغرب عليهم ثياب الصوف، فوافقوه عند أكمةٍ، فإنهم لَقَيامٌ ورسول الله ﷺ قاعدٌ، قال: فقالتْ لي نفْسي: ائتْهم فقُم بينهم وبينه لا يغتالونه. قال: ثم قلتُ: لعله نجَىٰ معهم (٢). فأتيتُهم فقمتُ بينهم وبينه. قال: فحفظت منه أربع كلمات أعدهن في يدي قال: «**تغزون جزيرة العرب فيفتحها الله، ثم فارس فيفتحها الله، ثم تغزون الروم فيفتحها الله، ثم تغزون الدجال فيفتحه الله**».

صحيح

---

(١) انظر التعليق رقم (٢) المتقدم قريبًا.

(٢) «نَجَىٰ معهم»: أي يناجيهم.

قال : فقال نافع : يا جابر ، لا نرىٰ الدجال يخرج حتىٰ تفتح الروم .

وأخرجه ابن ماجه (٤٠٩١) .

* * *

ست خلال بين يدي الساعة

منها: هُدنة بين المسلمين وبين بني الأصفر ثم يغدرون

قال الإمام البخاري رحمه الله (٣١٧٦):

حدثنا الحميدي، حدثنا الوليد بن مسلم، حدثنا عبد الله بن العلاء بن زبر، قال: سمعت بسر بن عبيد الله، أنه سمع أبا إدريس، قال: سمعت عوف بن مالك قال: أتيت النبيَّ ﷺ في غزوة تبوك - وهو في قبة من أدم - فقال: **«اعدد ستًّا[١] بين يدي الساعة: مَوتي، ثم فتح بيت المقدس، ثم مُوْتان[٢] يأخذ فيكم كقعاص[٣] الغنم**.................................،

---

(١) قال الحافظ في «الفتح» (٦/ ٢٧٨): (أي: ست علامات لقيام الساعة أو لظهور أشراطها المقتربة منها).

(٢) قال الحافظ: (ثم «مُوتان» بضم الميم وسكون الواو، قال القزاز: هو الموت، وقال غيره: الموت الكثير الوقوع، ويُقال بالضم لغة تميم، وغيرهم يفتحونها، ويقال: للبليد: «مَوتان القلب» بفتح الميم والسكون، وقال ابن الجوزي: يغلط بعض المحدثين فيقول: «مَوَتان» بفتح الميم والواو، وإنما ذاك اسم الأرض التي لم تحيا بالزرع والإصلاح، ثم قال الحافظ:
تنبيه: في رواية ابن السكن: «ثم مَوتَتَان» بلفظ التثنية، وحينئذ فهو بفتح الميم.

(٣) قوله: («كقعاص الغنم»: بضم العين المهملة وتخفيف القاف وآخره مهملة، هو داء يأخذ الدواب فيسيل من أنوفها شيء فتموت فجأة. قال أبو عبيد: ومنه «أخذ الإقعاص»، وهو القتل مكانه، وقال ابن فارس: «القعاص»: داء يأخذ في صدر كأنه يكسر العنق، ويقال: إن هذه الآية ظهرت في طاعون عمواس في خلافة عمر، وكان ذلك بعد فتح بيت المقدس).
تنبيه: قال المعلق على «الفتح» (في حاشية الفتح في هامش طبعة بولاق): (كذا في نسخ الشارح التي بأيدينا، والذي في نسخ البخاري بتقديم القاف على العين، وبه ضبط القسطلاني، وهو المنصوص في كتب اللغة والمتعين من قول أبي عبيد ومنه: «أخذ الإقعاص»).

ثم استفاضة المال(١) حتى يُعطى الرجل مائة دينار فيظل ساخطًا، ثم فتنة لا يبقى بيت من العرب إلا دخلته، ثم هدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر (٢) فيغدرون فيأتونكم تحت ثمانين غاية(٣) تحت كل غاية اثنا عشر ألفًا».

صحيح

وسيأتي له تخريج قريب بسياق آخر.

* * *

(١) قال الحافظ رحمه الله: (قوله: «ثم استفاضة المال» أي: كثرته. وظهرت في خلافة عثمان عند تلك الفتوح العظيمة، والفتنة المشار إليها افتتحت بقتل عثمان واستمرت الفتن بعده، والسادسة لم تجئ بعد).

(٢) بنو الأصفر هُم الروم.

(٣) قال الحافظ في «الفتح»: (قوله: «غاية»: أي راية. وسميت بذلك لأنها غاية المتبع إذا وقفت وقف، ووقع في حديث ذي مِخْبَر بكسر الميم وسكون المعجمة وفتح الموحدة عند أبي داود في نحو هذا الحديث بلفظ «راية» بد ل «غاية». . ثم قال: قال ابن الجوزي: رواه بعضهم: «غابة» بموحدة بدل التحتانية، و«الغابة»: الأجمة، كأنه شبه كثرة الرماح بالأجمة.
وقال الخطابي: الغابة الغيضة، فاستُعيرت للرايات ترفع لرؤساء الجيش لما يشرع معها من الرماح، وجملة العدد المشار إليه تسعمائة ألف وستون ألفًا، ولعل أصله: «ألف ألف» فأُلغيت كسورة، ووقع مثله في رواية ابن ماجه من حديث ذي مخبر ولفظه: «فيجتمعون للملحمة»، فيأتون تحت ثمانين غاية تحت كل غاية اثنا عشر ألفًا، ووقع عند الإسماعيلي من وجه آخر عن الوليد بن مسلم قال: تذاكرنا هذا الحديث وشيخًا من شيوخ(*) المدينة، فقال: أخبرني سعيد ابن المسيب، عن أبي هريرة أنه كان يقول مكان «فتح بيت المقدس»: «عمران بيت المقدس».
قال المهلب فيه: إن الغدر من أشراط الساعة، وفيه أشياء أخر من علامات النبوة قد ظهر أكثرها. وقال ابن المنير: أما قصة الروم: فلم تجتمع إلى الآن ولا بلغنا أنهم غزوا في البر في هذا العدد، فهي من الأمور التي لم تقع بعد، وفيه بشارة ونذارة، وذلك أنه دلَّ على: أن العاقبة للمؤمنين مع كثرة ذلك الجيش، وفيه إشارة إلى أن عدد جيوش المسلمين سيكون =

(*) هذا الشيخ مبهم والأثر ضعيف.

لفظ آخر للحديث

قال ابن ماجه رحمه الله (٤٠٤٢):

حدثنا عبد الرحمن بن إبراهيم، ثنا الوليد بن مسلم، ثنا عبد الله بن العلاء، حدثني بسر بن عبيد الله، حدثني أبو إدريس الخولاني، حدثني عوف بن مالك الأشجعي، قال: أتيت رسولَ الله ﷺ وهو في غزوة تبوك، وهوفي خباءٍ من أدم، فجلست بفناء الخباء، فقال رسولُ الله ﷺ: **«ادخلْ يا عوف»** فقلت: بكُلِّي[(١)] يا رسول الله؟ قال: **«بُكلِّك»** ثم قال: **«يا عوف، احفظْ خلالاً ستًا بين يدي الساعة، إحداهن: مَوتي»** قال: فوجمتُ[(٢)] عندها وجمة شديدة فقال: **«قل إحدى ثم فتح بيت المقدس، ثم داء يظهر فيكم يَستشهد الله به ذراريكم وأنفسكم ويزكِّي به أعمالكم، ثم تكون الأموال فيكم حتى يُعطى الرجلُ مائة دينارٍ فيظل ساخطًا، وفتنة تكونَ بينكم لا يبقى بيت مسلم إلا دخلته، ثم تكون بينكم وبين بني الأصفر[(٣)] هدنة، فيغدرون بكم فيسيرون إليكم في ثمانين غاية تحت كل غاية اثنا عشر ألفًا»**.

صحيح

= أضعاف ما هو عليه، ووقع في رواية الحاكم من طريق الشعبي عن عوف بن مالك في هذا الحديث أن عوف بن مالك قال لمعاذ في طاعون عمواس: إن رسول اللَّه ﷺ قال لي: «اعددْ ستًا بين يدي الساعة»، فقد وقع منهن ثلاث، يعني: موته ﷺ وفتح بيت المقدس، والطاعون، قال: وبقي ثلاث. فقال له معاذ: «إن لهذا أهلاً»، ووقع في «الفتن» لنعيم بن حماد: أن هذه القصة تكون في زمن المهدي على يد ملك من آل هرقل.

(١) «بكلي» أي: بكل جسمي أو ببعضه، وذلك فيما يبدو لضيق الخباء. واللَّه أعلم.

(٢) «الواجم»: الذي حزن حزنًا أسكته.

(٣) بني الأصفر هُم الروم.

وأخرجه الحاكم في «المستدرك» (٤/ ٤١٩)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. وأخرجه أحمد (٦/ ٢٥)[1].

* * *

(١) عند أحمد من الزيادة: «فسطاط المسلمين يومئذ في أرض يقال لها: الغوطة، في مدينة يقال لها: دمشق». وللحديث طريق أخرى عند أحمد (٥/ ٢٢) عن عوف بن مالك.

تقوم الساعة والروم أكثر أهل الأرض

قال الإمام مسلم رحمه الله (٢٨٩٨):

حدثنا عبد الملك بن شعيب بن الليث، حدثني عبد الله بن وهب، أخبرني الليث بن سعد، حدثني موسى بن عليٍّ، عن أبيه قال: قال المستورد بن شداد عند عمرو بن العاص: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**تقوم الساعة والروم أكثر الناس**» فقال له عمرو: أبصرْ ما تقول! قال: أقول ما سمعتُ من رسول الله ﷺ. قال: لئن قلتَ ذلك «**إن فيهم لَخِصالاً أربعًا، إنهم لأحْلم الناس عند فتنة، وأسرعهم إفاقةً بعد مصيبة، وأوشكهم كَرَّةً بعد فَرَّة، وخيرهم لمسكين ويتيمٍ وضعيفٍ، وخامسة حسنة جميلة: وأمنعهم من ظُلم المُلوك**».

صحيح

* * *

فتح القسطنطينية

قال الإمام مسلم رحمه الله (٢٩٢٠):

حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا عبد العزيز (يعني: ابن محمد) عن ثور (وهو: ابن زيد الديلي)، عن أبي الغيث، عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «**سمعتم بمدينة؛ جانب منها في البر وجانب منها في البحر؟**» قالوا: نَعم يا رسول الله، قال: «**لا تقوم الساعة حتى يغزوها سبعون ألفًا من بني إسحاق**[١]، **فإذا جاءوها نزلوا فلم يقاتلوا بسلاح ولم يرموا بسهم» قالوا: لا إله إلا الله والله أكبر. فيسقط أحد جانبيها».**

قال ثور: لا أعلمه إلا قال: «**الذي في البحر، ثم يقولوا الثانية: لا إله إلا الله والله أكبر. فيسقط جانبها الآخر، ثم يقولوا الثالثة: لا إله إلا الله والله أكبر. فيفرج لهم، فيدخلوها فيغنموا، فبينما هم يقتسمون المغانم إذْ جاءهم الصريخُ فقال: إن الدجال قد خرج، فيتركون كل شيء ويرجعون».**

صحيح

* * *

(١) قال النووي رحمه الله «شرح مسلم» (٥/ ٧٦٧): (قال القاضي: كذا هو في جميع أصول «صحيح مسلم»: «من بني إسحاق»، قال: قال بعضهم: المعروف المحفوظ: «من بني إسماعيل»، وهو الذي يدل عليه الحديث وسياقه، لأنه إنما أراد العرب، وهذه المدينة: القسطنطينية).

من أشراط الساعة قتال اليهود

قال الإمام البخاري رحمه الله (٢٩٢٥):

حدثنا إسحاق بن محمد الفروي، حدثنا مالك، عن نافع، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**تقاتلون اليهود**[١]، **حتى يختبئ أحدهم وراء الحجر فيقول: يا عبد الله، هذا يهودي ورائي فاقتله**».

صحيح

وأخرجه مسلم (٢٩٢١).

قال الإمام البخاري رحمه الله (٢٩٢٦):

حدثنا إسحاق بن إبراهيم، أخبرنا جرير، عن عمارة بن القعقاع عن أبي زرعة، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: «**لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا اليهود، حتى يقول الحَجر وراءه اليهودي: يا مسلم، هذا يهوديّ ورائي فاقتله**».

صحيح

وأخرجه مسلم (٢٩٢٢)، من طريق: سهيل بن أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هريرة مرفوعًا[٢].

* * *

(١) في رواية البخاري (٣٥٩٣): «تقاتلكم اليهود، فتسلَّطون عليهم، حتىٰ يقول الحجر: يا مسلم، هذا يهودي ورائي فاقتله».

(٢) ولفظه عند مسلم: «لا تقوم الساعة حتىٰ يقاتل المسلمون اليهود، فيقتلهم المسلمون، حتىٰ يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر، فيقول الحجر أو الشجر: يا مسلم، يا عبد الله، هذا =

أخبار المهدي

قال أبو داود رحمه الله (٤٢٨٢):

حدثنا مسدد أن عمر بن عبيد حدثهم (ح)، وحدثنا محمد بن العلاء، حدثنا أبو بكر ـ يعني: ابن عياش (ح). وحدثنا مسدد، حدثنا يحيى، عن سفيان (ح).

وحدثنا أحمد بن إبراهيم، حدثنا عبيد الله بن موسى، أخبرنا زائدة (ح) وحدثنا أحمد ابن إبراهيم، حدثني عبيد اللَّه (بن موسى) عن فطر ـ المعنى واحد ـ كلهم عن عاصم عن زر عن عبد الله، عن النبي ﷺ قال: «**لو لم يبق من الدنيا إلا يوم**» قال زائدة في حديثه: «**لطَّول الله ذلك اليوم**» (ثم اتفقوا) **حتى يبعث** (فيه) **رجلاً مني أو من أهل بيتي، يُواطئ اسمه اسمي، واسم أبيه اسم أبي**» زاد في حديث فطر: «**يملأ الأرض قسطًا وعدلاً كما مُلئت ظُلمًا وجُورًا**».

وقال في حديث سفيان: «**لا تذهب ـ أو: لا تنقضي ـ الدنيا حتى يملك**

= يهودي خلفي، فتعالَ فاقْتله. إلا الغرقد؛ فإنه من شجر اليهود».

قال النووي: «والغرقد»: نوع من شجر الشوك معروف ببلاد بيت المقدس، وهناك يكون قتل الدجال واليهود، وقال أبو حنيفة الدِّينوري: إذا عظمت العوسجة صارت غرقدة.

قال الحافظ ابن حجر «فتح الباري» (٦/ ١٠٣): وفي الحديث إشارة إلى بقاء دين الإسلام إلى أن ينزل عيسى عليه السلام، فإنه الذي يقاتل الدجال ويستأصل اليهود الذين هم تبع الدجال.

وقال في «الفتح» (٦/ ٦١٠): وفي الحديث ظهور الآيات قُرب قيام الساعة من كلام الجماد من شجرة وحجر، وظاهره: أن ذلك ينطق حقيقة، ويحتمل المجاز بأن يكون المراد أنهم لا يفيدهم الاختباء، والأول أولى.

قلت: أما عن وقت تكليم الحجر والشجر للمسلم وقولها: «يا مسلم، هذا يهودي ورائي فاقتله» فإن ذلك عند قتال المسلمين الدجال وأتباعه من اليهود كما هو واضح في رواية أحمد وغيره من حديث ابن عمر (وستأتي إن شاء اللَّه في أبواب الدجال تحت باب: أكثر أتباع الدجال من النساء).

العرب رجل من أهل بيتي، يواطئ اسمه اسمي»[١] .

حسن

قال أبو داود: لفظ عمر وأبي بكر بمعنى سفيان.

قلتُ: والحديث أخرجه الترمذي (٢٢٣١) وقال: هذا حديث حسن صحيح.

وابن حبان «موارد الظمآن» (١٨٧٦، ١٨٧٧، ١٨٧٨، ١٨٧٩).

وأحمد مختصراً (١/ ٣٧٦-٣٧٧).

---

(١) قال صاحب «عون المعبود» رحمه الله (١١/ ٣٦١):

واعلم أن المشهور بين الكافة من أهل الإسلام على مر الأعصار: أنه لا بد في آخر الزمان من ظهور رجل من أهل البيت، يؤيد الدين، ويُظهر العدل، ويتبعه المسلمون، ويستولي على الممالك الإسلامية ويسمى بـ«المهدي»، ويكون خروج الدجال ومن بعده من أشراط الساعة الثابتة في «الصحيح» على أثره، وأن عيسى عليه السلام ينزل من بعده فيقتل الدجال أو ينزل معه فيساعده على قتله، ويأتم بالمهدي في صلاته.

وخرَّج أحاديث المهدي جماعةٌ من الأئمة، منهم أبو داود والترمذي، وابن ماجه، والبزار، والحاكم، والطبراني، وأبو يعلى الموصلي، وأسندوها إلى جماعة من الصحابة مثل: عليٍّ، وابن عباس، وابن عمر، وطلحةَ، وعبد الله بن مسعود، وأبي هريرة، وأنس وأبي سعيد الخدري، وأم حبيبة، وأم سلمة، وثوبان، وقرة بن إياس، وعليٍّ الهلالي، وعبد الله بن الحارث بن جزء رضي الله عنهم.

وإسناد أحاديث هؤلاء بيّن صحيح وحسن وضعيف، وقد بالغ الإمام المؤرخ عبد الرحمن بن خلدون المغربي في «تاريخه» في تضعيف أحاديث المهدي كلها(*) فلم يُصب بل أخطأ.

وما روي مرفوعاً من رواية محمد بن المنكدر عن جابر: «من كذَّب بالمهدي فقد كفر» فموضوعٌ، والمتهم فيه أبو بكر الإسكاف، وربما تمسك المنكرون لشأن المهدي بما روي مرفوعاً أنه قال: «لا مهديَّ إلا عيسى ابن مريم»، والحديث ضعفه البيهقي والحاكم، وفيه أبان بن صالح وهو متروك الحديث، والله أعلم.

(*) تعقب الشيخ ناصر الدين الألباني في «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (ج٤/ ٤٠ حديث رقم ١٥٢٩) هذا الكلام بقوله: لم يتمكن ابن خلدون من تضعيف هذا الحديث مع شططه في تضعيف أكثر أحاديث المهدي، بل أقر الحاكم على تصحيحه لهذه الطريق، فمن نسب إليه أنه ضعَّف كل أحاديث المهدي فقد كذب عليه سهواً أو عمداً.

قال أبو داود رحمه الله (٤٢٨٣):

حدثنا عثمان بن أبي شيبة، حدثنا الفضل بن دكين، حدثنا فطر، عن القاسم بن أبي بزة، عن أبي الطفيل، عن علي رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ قال: **«لو لم يبق من الدهر إلا يومٌ لبعث الله رجلاً من أهل بيتي، يملؤها عدلاً كما مُلئت جَورًا»**.

صحيح

قال الحاكم رحمه الله في «المستدرك» (٤/ ٥٥٧ ـ ٥٥٨):

أخبرني أبو العباس محمد بن أحمد المحبوبي(١)ـ بمَرْوٍ، ثنا سعيد بن مسعود(٢)، ثنا النضر بن شميل، ثنا سليمان بن عبيد(٣)، ثنا أبو الصديق الناجي، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **«يخرج في آخر أمتي المهدي، يسقيه الله الغيثَ، وتخرج الأرضُ نباتها، ويُعطى المال صحاحًا، وتكثر الماشيةُ وتعظم الأُمة، يعيش سبعًا أو ثمانيًا ـ يعني: حججًا»**.

صحيح

---

(١) ترجمته موجوده عرضًا في عدة مواضع من «سير أعلام النبلاء»، وهي تشعر بتوثيقه، وقد أكثر الحاكم رحمه اللّه من الإخراج له في «المستدرك».

(٢) ترجمته في «سير أعلام النبلاء» (١٢/ ٥٠٤) ووصفه الذهبي بأنه محدِّث، مسند، أحد الثقات.

(٣) سليمان بن عبيد هو السلمي، ترجمته في «الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم (٤/ ١٢٩)، أو (ج٢ قسم ١ ص١٢٩)، ووثقه ابن معين، وقال أبو حاتم: صدوق.

تنبيه: ما ذكره الشيخ ناصر الدين الألباني في «السلسلة الصحيحة» تحت رقم (٧١١) حيث قال: وسعيد بن مسعود كذا وقع في «المستدرك»: سعيد والصواب: «سعد» وهو: ابن مسعود المروزي، قال ابن أبي حاتم (٢/ ١/ ٩٥): روى عن إسحاق بن منصور السلولي، وروح بن عبادة، وخلف بن تميم، ومحمد بن مصعب القرقساني، كتب إلى أبي وأبي زرعة وإليّ ببعض =

قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال الذهبي: صحيح.

وأخرجه الترمذي (٢٢٣٢) وقال: هذا حديث حسن وابن ماجه (٤٠٨٣).

قال الإمام أحمد رحمه الله (٣/ ٣٦):

حدثنا محمد بن جعفر، ثنا عوف[١]، عن أبي الصديق الناجي، عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا تقوم الساعة حتى تمتلئ الأرض ظلمًا وعدوانًا. قال: ثم يخرج رجل من عترتي - أو: من أهل بيتي - يملؤها قسطًا وعدلاً كما مُلئت ظُلمًا وعُدوانًا»**.

صحيح

= حديثه وهو صدوق».

كذا قال الشيخ ناصر حفظه الله، وهذا الذي قاله غلط منه، فالصواب: سعيد بن مسعود وليس «سعدًا»، ولعل الحامل للشيخ على هذا هو أنه ما وجد ترجمة لسعيد بن مسعود فيما بين يديه من الكتب وقت كتابة الحديث في «سلسلته الصحيحة»، أما ترجمة سعيد: فهي موجودة في «سير أعلام النبلاء» (١٢/ ٥٠٤) وفيها:

«سعيد بن مسعود بن عبد الرحمن: المحدث المسند، أبو عثمان المروزي، أحد الثقات، حدَّث عن النضر بن شميل و. . . و. . . وعنه. . ومحمد بن أحمد المحبوبي وأهل مرو».

وكذلك في ترجمة محمد بن أحمد المحبوبي «سير أعلام النبلاء» (١٥/ ٥٣٧):

الإمام المحدث، مفيد مرو، أبو العباس محمد بن أحمد بن محبوب بن فضيل المحبوبي المروزي، راوي جامع أبي عيسى عنه، وسمع من سعيد بن مسعود صاحب النضر بن شميل. . .».

فثبت بهذا أنه: «سعيد بن مسعود، وليس «سعد بن مسعود»، كما زعم الشيخ - رحمه الله.

(١) وقد توبع عوف في روايته لهذا الحديث، عن أبي الصديق الناجي، فرواه عدد عن أبي الصديق. انظر «مستدرك الحاكم» (٤/ ٤٦٥، ٥٥٨).

وأخرجه ابن حبان «موارد الظمآن» (١٨٨٠)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٥٥٧)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي. وأخرجه أيضًا أبو نعيم في «الحلية» (٣/ ١٠١ ـ ١٠٢) وقال: مشهور من حديث أبي الصديق عن أبي سعيد رضي الله تعالى عنه.

ورواه من التابعين عن أبي الصديق مطر الوراق، وعنه: حماد بن زيد.

وانظر: تخريج الحديث المتقدم.

❊ ❊ ❊

مُدة بقاء المهدي

قال الإمام أحمد رحمه الله (٣/ ١٧):

حدثنا أبو النضر، ثنا أبو معاوية شيبان، عن مطر بن طهمان، عن أبي الصديق الناجي، عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتى يملك رجل من أهل بيتي أَجْلَى، أَقْنَى، يملأ الأرض عدلاً كما مُلئت قبله ظُلمًا، يكون سبع سنين**».

حسن

انظر ما تقدم.

* * *

غزو البيت الحرام بين يدي الساعة والخسف بجيش منهم

قال النسائي رحمه الله (٥/ ٢٠٦):

أخبرنا محمد بن إدريس أبو حاتم الرازي، قال: حدثنا عَمرو[١] بن حفص بن غياث، قال: حدثنا أبي، عن مسعر، قال: أخبرني طلحة بن مصرف، عن أبي مسلم الأغر، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: **«لا تنتهي البعوث عن غزو هذا البيت حتى يخسف بجيش منهم»**.

صحيح

وأخرجه الحاكم في «المستدرك» (٤/ ٤٣٠) وقال: هذا حديث غريب صحيح ولم يخرجاه، لا أعلم أحداً حدّث به غير عُمر بن حفص بن غياث، يرويه عنه الإمام أبو حاتم. وقال الذهبي: صحيح غريب.

* * *

(١) كذا هي عند النسائي: «عَمرو»، والصواب «عُمر» كما في رواية الحاكم.

خراب الكعبة على يد الأحباش وصفة من يخربها

قال الإمام البخاري رحمه الله (١٥٩٦):

حدثنا يحيى بن بكير، حدثنا الليث، عن يونس، عن ابن شهاب، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة**»[1].

صحيح

وأخرجه مسلم (٢٩٠٩).

قال الإمام البخاري رحمه الله (١٥٩٥):

حدثنا عمرو بن علي حدثنا يحيى بن سعيد، قال: حدثنا عبيد الله بن الأخنس، حدثني ابن أبي مليكة عن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ

(١) قال الحافظ في «الفتح» (٣/ ٤٦١): (قيل: هذا الحديث يخالف قوله تعالى: ﴿أو لم يروا أنا جعلنا حرمًا آمنًا﴾ ولأن اللَّه حبس عن مكة الفيل ولم يمكن أصحابه من تخريب الكعبة، ولم تكن إذ ذاك قبلة، فكيف يسلط عليها الحبشة بعد أن صارت قبلة للمسلمين؟!

وأجيب: بأن ذلك محمول على أنه يقع في آخر الزمان قرب قيام الساعة، حيث لا يبقى في الأرض أحدٌ يقول: «اللَّه اللَّه»، كما ثبت في «صحيح مسلم»: «لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض: اللَّه اللَّه»، ولهذا وقع في رواية سعيد بن سمعان: «لا يعمر بعده أبدًا»، وقد وقع قبل ذلك فيه من القتال وغزو أهل الشام له في زمن يزيد بن معاوية ثم من بعده في وقائع كثيرة، من أعظمها: وقعة القرامطة بعد الثلاثمائة، فقتلوا من المسلمين في المطاف من لا يحصى كثرةً، وقلعوا الحجر الأسود فحولوه إلى بلادهم ثم أعادوه بعد مدة طويلة. ثم غُزي مرارًا بعد ذلك، وكل ذلك لا يعارض قوله تعالى: ﴿أو لم يروا أنا جعلنا حرمًا آمنًا﴾ لأن ذلك إنما وقع بأيدي المسلمين، فهو مطابق لقوله ﷺ: «ولن يستحل هذا البيت إلا أهله»، فوقع ما أخبر به النبي ﷺ، وهو من علامات نبوته، وليس في الآية ما يدل على استمرار الأمن المذكور فيها، واللَّه أعلم.

قال: «كأني[١] به أسود أفحج[٢] يقلعها حجرًا حجرًا».

صحيح

قال الإمام أحمد رحمه الله (٢/ ٢٢٠):

حدثنا أحمد بن عبد الملك - وهو الحراني - ثنا محمد بن سلمة، عن محمد بن إسحاق، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، عن عبد الله بن عَمرو قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة ويسلبها حليتها ويجردها من كسوتها، ولكأني أنظر إليه أصيلع أفيدع يضرب عليها بمسحاته ومعاوله**».

حسن[٣]

قال الإمام أحمد رحمه الله (٢/ ٢٩١):

حدثنا يزيد، أنا ابن أبي ذئب، عن سعيد بن سمعان، سمعت أبا هريرة، يخبر أبا قتادة أن رسول الله ﷺ قال: «**يُبايع لرجل ما بين الركن والمقام، ولن يستحل البيت إلا أهله، فإذا استحلوه فلا يسأل عن هلكة العرب، ثم تأتي الحبشة فيخربونه خرابًا لا يعمر بعده أبدًا وهم الذين يستخرجون كنزه**».

صحيح

---

(١) قال الحافظ: (قوله: «كأني به» كذا في جميع الروايات عن ابن عباس في هذا الحديث، والذي يظهر أن في الحديث شيئًا حُذف، ويحتمل أن يكون هو ما وقع في حديث عليّ عند أبي عبيد في «غريب الحديث» من طريق أبي العالية عن علي قال: «استكثِروا من الطواف بهذا البيت قبل أن يُحال بينكم وبينه، فكأني برجل من الحبشة أصلع - أو قال: أصمع - حمش الساقين، قاعد عليها، وهي تهدم».

(٢) قال الحافظ في «الفتح»: («والفحج»: تباعد ما بين الساقين).

(٣) ولأصله شواهد تقدمت.

وأخرجه أحمد أيضًا (٢/ ٢٩١ ، ٣١٢، ٣٢٨، ٣٥١).

قال الإمام البخاري رحمه الله (١٥٩٣):

حدثنا أحمد، حدثنا أبي، حدثنا إبراهيم، عن الحجاج بن حجاج، عن قتادة، عن عبد الله بن أبي عتبة، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**ليحجن البيت وليعتمرن بعد خروج يأجوج ومأجوج**».

صحيح

تابعه «أبان»، و«عمران» عن قتادة، وقال عبد الرحمن عن شعبة قال: «**لا تقوم الساعة حتى لا يحج البيت**».

والأول أكثر[1] سمع قتادة عبد الله، وعبدُ الله أبا سعيد.

---

(١) أي: أن الذين رووا الحديث عن قتادة باللفظ الأول: «ليحجن البيت وليعتمرن بعد خروج يأجوج ومأجوج» أكثر عددًا.
قال الحافظ في «الفتح»: (قال البخاري: «والأول أكثر»، أي: لاتفاق من تقدم ذكره على هذا اللفظ وانفراد شعبة بما يخالفهم، وإنما قال ذلك لأن ظاهرهما التعارض؛ لأن المفهوم من الأول: أن البيت يحج بعد أشراط الساعة.
ومن الثاني: أنه لا يحج بعدها.
ولكن يمكن الجمع بين الحديثين، فإنه لا يلزم من حج الناس بعد خروج يأجوج ومأجوج أن يمتنع الحج في وقت ما عند قرب ظهور الساعة.
ويظهر والله أعلم أن المراد بقوله: «ليحجن البيت» أي: مكان البيت. لما سيأتي بعد باب؛ أن الحبشة إذا خربوه لم يعمر بعد).
هذا وقد رجح أبو حاتم في «العلل» (٢/ ٤٠٧) ما رجحه البخاري، ففي «العلل»: قال ابن أبي حاتم: (سألت أبي عن حديث رواه عبد الرحمن بن مهدي، عن شعبة عن قتادة عن عبد الله بن عتبة أو: ابن أبي عتبة، عن أبي سعيد قال: «ليحجن هذا البيت وليعتمرن بعد خروج يأجوج ومأجوج»، قلت: روى هذا الحديث أبان العطار عن قتادة عن عبد الله بن أبي عتبة عن أبي سعيد عن النبي ﷺ، فأيهما الصحيح؟ قال أبي: سمعت أبا زياد حماد بن زاذان يحدث عن =

قال الحافظ أبو يعلى الموصلي رحمه الله (٢/ ٢٧٧):

حدثنا أبو خيثمة، حدثنا يحيى، عن شعبة، حدثني قتادة، عن عبد الله بن أبي عتبة، عن أبي سعيد الخدري، قال: «كان رسول الله ﷺ أشد حياءً من العذراء في خِدْرِها» وقال: «**لا تقوم الساعة حتى لا يحج البيت**».

إسناده صحيح موقوف[1]

وأخرجه الحاكم (٤/ ٤٥٣)[2] قال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وقد أوقفه أبو داود عن شعبة، والله أعلم.

وانظر الحديث المتقدم.

* * *

عبد الرحمن هذين الحديثين، ثم قال: سمعت عبد الرحمن يقول: ما أرى أبان إلا وقد حفظ.
قال أبي: حديث أبان أصح من حديث شعبة.

(١) ونعني بالقدْرِ الموقوفِ قوله: «لا تقوم الساعة حتى لايحج البيت».

(٢) لفظ الحاكم . . عن أبي سعيد رضي الله عنه، عن النبي ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى لا يحج البيت».

بقاء طائفة من هذه الأمة ظاهرة على الحق إلى قيام الساعة لا يضرها تخاذل المتخاذلين ولا خلاف المخالفين

حديث المغيرة بن شعبة ﷺ

قال الإمام البخاري رحمه الله (٧٣١١):

حدثنا عبيد الله بن موسى، عن إسماعيل، عن قيس، عن المغيرة بن شعبة، عن النبي ﷺ قال: «**لاتزال طائفة**[1] **من أمتي ظاهرين**[2]، **حتى يأتيهم أمر**

---

(١) قال البخاري رحمه الله (مع «الفتح»، ١٣/ ٢٩٣) في تفسير هذه الطائفة: (هُم: أهل العلم)، وقال أبو عيسى الترمذي رحمه الله («السنن» مع تحقيق أحمد شاكر ٤/ ٥٠٤): (سمعت محمد ابن إسماعيل يقول: سمعت علي بن المديني يقول: وذكر هذا الحديث - يعني: حديث ثوبان وسيأتي قريبًا - عن النبي ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق»، فقال علي: هم أهل الحديث).

وقال الحافظ في «الفتح» (١٣/ ٢٩٣): (وأخرج الحاكم بسند صحيح عن أحمد: إن لم يكونوا أهل الحديث لا أدري مَنْ هم، ومن طريق يزيد بن هارون مثله.

وقال عدد من أهل العلم في تأويل قوله تعالى: ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطًا﴾ هم الطائفة المذكورة في حديث: «لا تزال طائفة من أمتي...» ذكر ذلك البخاري في «خلق أفعال العباد»).

وقال النووي رحمه الله «شرح مسلم» (٤/ ٥٨٤): (يحتمل أن هذه الطائفة مفرقة بين أنواع المؤمنين، منهم: شجعان مقاتلون، ومنهم: فقهاء، ومنهم: محدثون، ومنهم: زُهاد وآمرون بالمعروف وناهون عن المنكر، ومنهم: أهل أنواع أخرى من الخير.

ولا يلزم أن يكونوا مجتمعين بل قد يكونوا متفرقين في أقطار الأرض).

(٢) قال الحافظ في «الفتح» قوله: («حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون» أي: على من خالفهم، أي: غالبون. أو المراد بالظهور: أنهم غير مستترين بل مشهورون، والأول أولى).

الله[1] وهم ظاهرون».

صحيح

وأخرجه مسلم (١٩٢١).

* * *

(١) قال النووي رحمه اللَّه «شرح مسلم (٤/ ٥٨٣): (والمراد بقوله ﷺ: «حتىٰ يأتي أمر اللَّه» من الريح التي تأتي فتأخذ روح كل مؤمن ومؤمنة، وأن المراد برواية مَن روىٰ: «حتىٰ تقوم الساعة» أي: تقرب الساعة، وهو خروج الريح).
وذكر الحافظ في «الفتح» (أن المراد بأمر اللَّه هبوب تلك الريح، وأن المراد بقيام الساعة: ساعتهم، وأن المراد بالذين يكونون ببيت المقدس: الذين يحضرهم الدجال إذا خرج فينزل عيسىٰ إليهم فيقتل الدجال، ويظهر الدين في زمن عيسىٰ ثم بعد موت عيسىٰ تهب الريح المذكورة).

حديث ثوبان رضي الله عنه

قال الإمام مسلم رحمه الله (١٩٢٠):

حدثنا سعيد بن منصور وأبو الربيع العتكي وقتيبة بن سعيد قالوا: حدثنا حماد (وهو ابن زيد) عن أيوب عن أبي قلابة عن أبي أسماء عن ثوبان قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك**».

صحيح

وليس في حديث قتيبة: «وهم كذلك».

وتقدم تخريجه.

* * *

حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه

قال الإمام مسلم رحمه الله (١٩٢٣):

حدثني هارون بن عبد الله وحجاج بن الشاعر، قالا: حدثنا حجاج بن محمد، قال: قال ابن جريج: أخبرني أبو الزبير، أنه سمع جابر بن عبد الله يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة**».

صحيح

* * *

حديث جابر بن سَمُرَة رضي الله عنه

قال الإمام مسلم رحمه الله (١٩٢٢):

وحدثنا محمد بن المثنى ومحمد بن بشار، قالا: حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، عن سماك بن حرب، عن جابر بن سمرة، عن النبي ﷺ أنه قال: **«لن يبرح هذا الدين قائمًا، يقاتل عليه عصابة من المسلمين حتى تقوم الساعة»**.

صحيح

* * *

حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه

قال الإمام مسلم رحمه الله (١٩٢٥):

حدثنا يحيى بن يحيى، أخبرنا هشيم، عن داود بن أبي هند، عن أبي عثمان، عن سعد بن أبي وقاص قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا يزال أهلُ الغرب[١] ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة»**[٢].

صحيح

* * *

(١) قال النووي رحمه الله «شرح مسلم» (٤/ ٥٨٥): (قال عليّ بن المديني: المراد بأهل الغرب: العرب، والمراد بالغرب: الدلو الكبير، لاختصاصهم بها غالبًا، وقال آخرون: المراد به الغرب من الأرض. وقال معاذ: هم بالشام، وجاء في حديث آخر: «هُم ببيت المقدس»، وقيل: هم أهل الشام وما وراء ذلك. قال القاضي: وقيل: المراد بأهل الغرب: أهل الشدة والجلد، وغرب كل شيء حدُّه).
ولمزيد انظر: «فتح الباري» (١٣/ ٢٩٥).

(٢) إن قيل: كيف يجمع بين هذا الحديث من الأحاديث المشابهة له، وبين حديث «لا تقوم الساعة إلا على شرار الناس»؟
قد ذُكر عن الطبري رحمه الله أنه قال: (إن شرار الخلق الذين تقوم عليهم الساعة يكونون بموضع مخصوص، وأن موضعًا آخر يكون به طائفة يقاتلون على الحق لا يضرهم من خالفهم).
هذا وفي ثنايا هذا الكتاب مزيد كلام للجمع بين الحديثين.

حديث معاوية ﷺ

قال الإمام البخاري رحمه الله (٧٣١٢):

حدثنا إسماعيل، حدثنا ابن وهب، عن يونس، عن ابن شهاب، أخبرني حميد، قال: سمعت معاوية بن أبي سفيان يخطب، قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين وإنما أنا قاسمٌ ويُعطي الله، ولن يزال أمر هذه الأُمَّة مستقيمًا حتى يقوم الساعة أو: حتى يأتي أمر الله**».

صحيح

وأخرجه مسلم (١٠٣٧).

* * *

حديث عمران بن حصين ﷺ

قال أبو داود رحمه الله (٢٤٨٤):

حدثنا موسىٰ بن إسماعيل، حدثنا حماد، عن قتادة، عن مطرف، عن عمران بن حصين قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين علىٰ من ناوأهم**[1] **، حتى يقاتل آخرُهم المسيحَ الدجال**».

صحيح

* * *

(١) «المناوأة»: المعاداة. وناوأهم: ناهضهم وعاداهم.

حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه

قال الإمام مسلم رحمه الله (حديث ١٩٢٤ ص ١٥٢٤):

حدثني أحمد بن عبد الرحمن بن وهب، حدثنا عمي عبد الله بن وهب، حدثنا عمرو بن الحارث، حدثني يزيد بن أبي حبيب، حدثني عبد الرحمن بن شماسة المهري، قال: كنت عند مسلمة بن مخلد وعنده عبد الله بن عَمرو بن العاص، فقال عبد الله: لا تقوم الساعة إلا على شرار الخلق، هم شرٌّ من أهل الجاهلية، لا يدعون الله بشيء إلا ردَّه عليهم.

موقوف صحيح

فبينما هم على ذلك أقْبل عقبة بن عامر، فقال له مسلمة: يا عقبة، اسمعْ ما يقول عبد الله؟ فقال عقبة: هو أعلم، وأما أنا فسمعت رسول الله ﷺ يقول: **«لا تزال عصابة من أمتي يقاتلون على أمر الله قاهرين لعدوهم لا يضرهم من خالفهم حتي تأتيهم الساعة وهم على ذلك».**

صحيح

فقال عبد الله: أجل، ثم يبعث الله ريحًا كريح المسك مسها مس الحرير، فلا تترك نفسًا في قلبه مثقال حبة من الإيمان إلا قبضته، ثم يبقى شرار الناس عليهم تقوم الساعة.

موقوف صحيح

وأخرجه الحاكم في «المستدرك» (٤/ ٤٥٦) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه[1].

وقال الذهبي: صحيح.

---

(١) قلت: وقد أخرجه مسلم كما ترى.


بقية أشراط الساعة الصغرى
وقـول الله عـز وجـل
﴿فَهَلْ ينظُرُونَ إِلاَّ السَّاعَةَ
أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾

قرب الساعة

قال الإمام البخاري رحمه الله (٦٥٠٣):

حدثنا سعيد بن أبي مريم، حدثنا أبو غسان، حدثنا أبو حازم، عن سهل، قال: قال رسول الله ﷺ: «**بعثت أنا والساعة كهاتين**[1]، **ويشير بإصبعيه فيمدهما**».

صحيح

وأخرجه مسلم (٢٩٥٠).

قال الإمام البخاري رحمه الله (٦٥٠٥):

حدثني يحيى بن يوسف، أخبرنا أبو بكر، عن أبي حصين، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ، قال: «**بعثت أنا والساعة كهاتين، يعني: إصبعين**».

صحيح

تابعه إسرائيل عن أبي حصين.

وأخرجه ابن ماجه (٤٠٤٠).

---

(١) أخرج أحمد (٥/٣٤٨) من حديث بريدة رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «بعثت أنا والساعة جميعًا إن كادت لتسبقني»، وفي إسناده «بشير» وهو: ابن المهاجر، ويُخالف في بعض حديثه. قاله البخاري.
وقد روى ما لا يُتَابع عليه ـ قاله ابن عدي، فلا تطمئن أنفسنا إلى ما يأتي به من زيادات والله أعلم.

قال الإمام البخاري رحمه الله (٦٥٠٤):

حدثني عبد الله بن محمد ـ هو : الجعفي ـ حدثنا وهب بن جرير ، حدثنا شعبة عن قتادة وأبي التياح ، عن أنس ، عن النبي ﷺ أنه قال : «**بعثت أنا والساعة كهاتين**»(١) .

صحيح

وأخرجه مسلم (٢٩٥١)، والترمذي (٢٢١٤) وقال : هذا حديث حسن صحيح .

---

(١) قال الحافظ في «الفتح» (١١/ ٣٤٩): (قال عياض وغيره : أشار بهذا الحديث على اختلاف ألفاظه إلى قلة المدة بينه وبين الساعة ، والتفاوت إما في المجاورة وإما في قدر ما بينهما ، ويعضده قوله : «كفضل إحداهما على الأخرى» ، وقال بعضهم : هذا الذي يتجه أن يقال ، ولو كان المراد الأول لقامت الساعة ؛ لاتصال إحدى الإصبعين بالأخرى .

قال ابن التين : اختلف في معنى قوله : «كهاتين» ، فقيل : كما بين السبابة والوسطى في الطول ، وقيل : المعنى ليس بينه وبينها نبي .

وقال القرطبي في «المفهم» : حاصل الحديث : تقريب أمر الساعة وسرعة مجيئها ، قال : وعلى رواية النصب : يكون التشبيه وقع بالانضمام ، وعلى الرفع : وقع بالتفاوت .

وقال البيضاوي : معناه : أن نسبة تقدم البعثة النبوية على قيام الساعة كنسبة فضل إحدى الإصبعين على الأخرى . وقيل : المراد استمرار دعوته ، لا تفترق إحداهما عن الأخرى كما أن الإصبعين لا تفترق إحدهما عن الأخرى .

وقال القرطبي في «التذكرة» : معنى هذا الحديث : تقريب أمر الساعة ، ولا منافاة بينه وبين قوله في الحديث الآخر : «ما المسئول عنها بأعلم من السائل» فإن المراد بحديث الباب : أنه ليس بينه وبين الساعة نبي كما ليس بين السبابة والوسطى إصبع أخرى ، ولا يلزم من ذلك علم وقتها بعينه ، لكن سياقه يفيد قربها وأن أشراطها متتابعة ، كما قال الله تعالى ﴿فقد جاء أشراطها﴾ .

قال الضحاك : أول أشراطها : بعثة محمد ﷺ . والحكمة في تقدم الأشراط : إيقاظ الغافلين وحثهم على التوبة والاستعداد ، وقال الكرماني : قيل : معناه : الإشارة إلى قرب المجاورة ، وقيل : إلى تفاوت ما بينهما طولاً ، وعلى هذا فالنظر في القول الأول إلى العرض ، وقيل : =

قال الدولابي رحمه الله في «الكنى» (١/ ٢٣):

حدثنا محمد بن منصور الجوّاز، قال: ثنا سفيان، عن إسماعيل، عن قيس ابن أبي حازم، عن أبي جبيرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«بعثت في نسيم الساعة»**.

صحيح[1]

قال الإمام البخاري رحمه الله (٣٤٥٩):

حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا ليث، عن نافع، عن ابن عمر رضي الله عنهما، عن رسول الله ﷺ قال: **«إنما أجلكم[2] في أجل من خلا من الأمم ما بين صلاة العصر إلى مغرب الشمس، وإنما مثلكم ومثل اليهود والنصارى كرجل**

= المراد ليس بينهما واسطة، ولا معارضة بين هذا وبين قوله تعالى: ﴿إن اللَّه عنده علم الساعة﴾ ونحو ذلك، لأن علم قربها لا يستلزم علم وقت مجيئها معينًا.

وقيل: معنى الحديث: أنه ليس بينه وبين القيامة شيء، هي التي تليني كما تلي السبابة الوسطى.

وعلى هذا فلا تنافي بين ما دل عليه الحديث وبين قوله تعالى عن الساعة: ﴿لا يعلمها إلا هو﴾.

(١) وقد ورد بعض الاختلاف في صحبة أبي جبيرة كما في «الإصابة» (٤/ ٣١)، وقد احتج بعض أهل العلم على إثبات صحبته بما أخرجه أحمد (٤/ ٢٦٠) والترمذي (٣٢٦٨) وقال: حديث حسن صحيح، وغيرهما بإسناد صحيح إلى أبي جبيرة قال: فينا نزلت في بني سلمة ﴿ولا تنابزوا بالألقاب﴾. قال: قدم رسول اللَّه ﷺ المدينة وليس منا رجل إلا وله اسمان أو ثلاثة، فكان إذا دعي أحد منهم باسم من تلك الأسماء قالوا: يا رسول اللَّه، إنه يغضب من هذا. قال: فنزلت: ﴿ولا تنابزوا بالألقاب﴾.

(٢) قال الحافظ في «الفتح» (١١/ ٣٥١): (وله محملان: أحدهما: أن المراد بالتشبيه التقريب ولا يراد حقيقة المقدار فيه، والثاني: أن يحمل على ظاهره، ويكون فيه دلالة على أن مدة هذه الأمة: قدر خُمس النهار تقريبًا).

استعمل عمالاً، فقال: مَن يعمل لي إلى نصف النهار على قيراط قيراط؟ فعملت اليهودُ إلى نصف النهار على قيراط قيراط. ثم قال: مَن يعمل لي من نصف النهار إلى صلاة العصر على قيراط قيراط؟ فعملت النصارى من نصف النهار إلى صلاة العصر على قيراط قيراط، ثم قال: مَن يعمل لي من صلاة العصر إلى مغرب الشمس على قيراطين قيراطين؟ ألا فأنتم الذين يعملون من صلاة العصر إلى مغرب الشمس على قيراطين قيراطين، ألا لكم الأجر مرتين: فغضبت اليهودُ والنصارى فقالوا: نحن أكثر عملاً وأقل عطاءً؟ قال الله: هل ظلمتُكم مِن حقِّكم شيئًا؟ قالوا: لا. قال: فإنه فَضْلِي أعطيه من أشاء».

صحيح

قال الإمام أحمد رحمه الله (٢/ ١١٥):

حدثنا الفضل بن دكين، ثنا شريك، سمعت سلمة بن كهيل يحدث، عن مجاهد، عن ابن عُمر: قال كنا جلوسًا عند النبي ﷺ والشمس على قعيقعان بعد العصر، فقال: «**ما أعماركم في أعمار مَن مضى إلا كما بقي من النهار فيما مضى منه**».

حسن[1]

* * *

(١) وقد حسَّن الحافظ ابن حجر إسناده في «الفتح» (١١/ ٣٥٠).
وللحديث شاهد عند أحمد (٣/ ١٩، ٦١) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعًا بنحوه، وفي إسناده عليّ بن زيد بن جدعان، وهو ضعيف، إلا أنه يصلح في الشواهد والمتابعات.

قول النبي ﷺ: «كيف أنعم وقد الْتَقَمَ صاحبُ القرنِ القَرْنَ؟»

قال الحافظ أبو يعلى الموصلي رحمه الله (٢/ ٣٣٩):

حدثنا عثمان، حدثنا جرير، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: **«كيف أنعمُ وصاحب القَرْنِ[١] قد التقم وحنا جبهته ينتظر متى يؤمر أن ينفخ؟»** قيل: قلنا: يا رسول الله، ما نقول يومئذ؟ قال: **«قولوا: حسبنا الله ونِعْم الوكيل على الله توكلنا»**.

إسناده صحيح[٢]

وأخرجه ابن حبان «موارد الظمآن» (٢٥٦٩)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٥٥٩).

❊ ❊ ❊

---

(١) القرن: هو الصور.

(٢) وقد رواه عطية العوفي عن أبي سعيد عن رسول الله ﷺ بنحوه، أخرجه: أحمد (٣/ ٧، ٧٣)، والترمذي (٣٢٤٣) وقال: هذا حديث حسن، وقد رواه الأعمش أيضًا عن عطية عن أبي سعيد، وأخرجه أيضًا: ابن المبارك في «الزهد» (١٥٩٧)، وأبو نعيم في «الحلية» (٥/ ١٠٥، ٧/ ١٣٠)، وقد اضطرب فيه عطية العوفي فرواه عن أبي سعيد عن رسول الله ﷺ كما عند هؤلاء المذكورين الذين أشرنا إليهم، ورواه عطية العوفي أيضًا عن ابن عباس مرفوعًا كما عند أحمد (١/ ٣٢٦).

ورواه عطية العوفي عن زيد بن أرقم مرفوعًا كما عند أحمد (٤/ ٣٧٤)، ولكن أرى الرواية التي فيها ذكر زيد بن أرقم وهمًا، ليس من أوهام عطية العوفي بل من أوهام الراوي عنه، وهو: خالد بن طهمان أبو العلاء الخفاف، فقد ذكر ابن معين أنه قد اختلط قبل موته بعشر سنين، ومما يؤكد لي ذلك: أنه (أعني: خالدًا) رواه مرةً عن عطية بن زيد بن أرقم. ومرة: عن عطية عن أبي سعيد كما عند أحمد (٤/ ٣٧٤)، فهذا يدل على أن الوهم إنما هو من خالد.

وعلى كل حالٍ؛ فالرواية المحفوظة هي رواية عطية عن أبي سعيد، وعطية: ضعيف على =

دفع توهم(١)

قال الإمام البخاري رحمه الله (٦٠١):

حدثنا أبو اليمان، قال: أخبرنا شعيب، عن الزهري، قال: حدثني سالم بن عبد الله ابن عمر وأبو بكر بن أبي حثمة، أن عبد الله بن عمر، قال: صلى النبي ﷺ صلاة العشاء في آخر حياته، فلما سلَّم قام النبيُّ ﷺ فقال: «**أرأيتكم ليلتكم هذه فإن رأس مائة لا يبقى ممن هو اليوم على ظهر الأرض أحد**»، فوهل

= الراجح، ولكنه قد توبع كما في مسند حديث الباب، تابعه أبو صالح عن أبي سعيد، وإسناد طريق أبي صالح عن أبي سعيد صحيح، كما قد ذكرنا، ولكن الذي يخشى منه هو: أن الأعمش رحمه الله روى الحديث عن عطية عن أبي سعيد، ورواه عن أبي صالح عن أبي سعيد، فهل يُقال: إن للأعمش شيخين؛ أبو صالح وعطية؟ لقائل أن يقول هذا، ويشجعه على هذا القول كون الأعمش رحمه الله حافظًا مكثرًا، ويشجعه أيضًا ظاهر الروايات.

أم يقال: إن الأعمش أو من دونه وهموا في الرواية التي فيها ذكر أبي صالح وذلك لاشتهار طريق عطية العوفي عن أبي سعيد؟

هذا القول الأخير قول غير قويّ عندي، وذلك لأن فيه توهيم الرواة بلا مستند قوي، فالمصير إلى الظاهر أولى، والإسناد صحيح. والحمد لله.

وللحديث شاهد عند الحاكم (٤/ ٥٥٨ ـ ٥٥٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن طرف صاحب الصور مُذْ وُكل به مستعد ينظر نحو العرش، مخافة أن يؤمر قبل أن يرتد إليه طرفه، كأن عينيه كوكبان دُرِّيَّان».

(١) هذه الأحاديث قد تفهم على غير وجهها من بعض الناس فيتشككون في حديث رسول الله ﷺ، وهو عليه السلام لا ينطق عن الهوى، فأوردناها وأوردنا توجيهها دفاعًا عن سُنة المصطفى ﷺ، أما توجيهها: فقوله: «فإن رأس مائة لا يبقى ممن هو اليوم على ظهر الأرض أحد» فهو واضح أن المراد بذلك: انخرام قرن النبي ﷺ، أي: أنه لا تمرُّ مائة سنة من هذه المقالة إلا وقد مات كل من على ظهر الأرض ممن كان حيًا وقت هذه المقالة، ويوضحه الحديث الأخير الذي أوردناه وهو: «إن يعش هذا لا يدركه الهرم، حتى تقوم عليكم ساعتكم» ففي قوله: «ساعتكم» ما يشير إلى أن المراد: ساعة المخاطبين، والله تعالى أعلم.

الناس في مقالة رسول الله ﷺ إلى ما يتحدثون من هذه الأحاديث عن مائة سنة، وإنما قال النبي ﷺ: «**لا يبقى ممن هو اليوم على ظهر الأرض**» يريد بذلك: أنها تخرم ذلك القرن.

صحيح

وأخرجه مسلم (٢٥٣٧)، وأحمد (٢/ ١٢١).

قال الإمام مسلم رحمه الله (٢٥٣٩):

حدثنا ابن نمير، حدثنا أبو خالد، عن داود (واللفظ له) / ح/ وحدثنا أبو بكر ابن أبي شيبة، حدثنا سليمان بن حيان، عن داود، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد قال: لما رجع النبي ﷺ من تبوكَ. سألوه عن الساعة فقال رسول الله ﷺ: «**لا تأتي مائة سنة وعلى الأرض نفس منفوسة اليوم**».

صحيح

قال الإمام مسلم رحمه الله (٢٥٣٨):

حدثني هارون بن عبد الله وحجاج بن الشاعر، قالا: حدثنا حجاج بن محمد، قال: قال ابن جريج: أخبرني أبو الزبير، أنه سمع جابر بن عبد الله يقول: سمعت النبي ﷺ يقول قبل أن يموت بشهرٍ: «**تسألوني عن الساعة؟ وإنما علمها عند الله، وأُقسم بالله، ما على الأرض من نفس منفوسة تأتي عليها مائة سنة**».

صحيح

حدثنيه محمد بن حاتم، حدثنا محمد بن بكر، أخبرنا ابن جريج ـ بهذا الإسناد، ولم يذكر: «قبل موته بشهر».

قال الإمام البخاري رحمه الله (٦٥١١):

حدثني صدقة، أخبرنا عبدة، عن هشام، عن أبيه، عن عائشة قالت: كان رجال من الأعراب جفاة يأتون النبي ﷺ فيسألونه: متى الساعة؟ فكان ينظر إلى أصغرهم فيقول: «**إن يعش هذا لا يدركه الهرم حتى تقوم عليكم ساعتكم**» قال هشام: يعني: موتهم.

صحيح

وأخرجه مسلم (٢٩٥٢).

قال الإمام مسلم رحمه الله (٢٩٥٣):

وحدثنا أبو بكر ابن أبي شيبة، حدثنا يونس بن محمد، عن حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أنس: أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ: متى تقوم الساعة؟ وعنده غلام من الأنصار يقال له: محمد. فقال رسول الله ﷺ: «**إن يعش هذا الغلام فعسى أن لا يدركه الهرم حتى تقوم الساعة**»[١].

صحيح

* * *

(١) قال القاضي: (هذه الروايات كلها محمولة على معنى الأول، والمراد بـ«ساعتكم»: موتهم، ومعناه: يموت ذلك القرن أو أولئك المخاطَبون.
قلت: ويحتمل أنه علم أن ذلك الغلام لا يبلغ الهرم ولا يعمر ولا يؤخر).

غربة الإسلام وأهله آخر الزمان

قال الإمام مسلم رحمه الله (١٤٥):

حدثنا محمد بن عباد وابن أبي عمر، جميعًا: عن مروان الفزاري. قال ابن عباد: حدثنا مروان، عن يزيد - يعني: ابن كيسان، عن أبي حازم، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«بدأ الإسلام غريبًا[1]، وسيعود غريبًا كما بدأ فطوبى[2] للغرباء»**.

صحيح

وأخرجه ابن ماجه (٣٩٨٦).

(١) قال النووي رحمه الله «شرح مسلم» (١/ ٣٥٩): (وأما معنى الحديث: فقال القاضي عياض رحمه الله في قوله: «غريبًا»: روى ابن أبي أويس عن مالك رحمه الله: أن معناه: في المدينة، وأن الإسلام بدأ بها غريبًا وسيعود إليها. قال القاضي: وظاهر الحديث العموم، وأن الإسلام بدأ في آحاد من الناس وقلة ثم انتشر وظهر، ثم سيلحقه النقص والإخلال، حتى لا يبقى إلا في آحاد وقلة أيضًا كما بدأ، وجاء في الحديث تفسير «الغرباء» وهم: النزاع من القبائل. قال الهروي: أراد بذلك: المهاجرين الذين هجروا أوطانهم إلى الله تعالى.
قال القاضي: وقوله ﷺ: «وهو يأرز إلى المدينة» معناه: أن الإيمان أولاً وآخرًا بهذه الصفة؛ لأنه في أول الإسلام كان كل من خلص إيمانه وصح إسلامه أتى إلى المدينة، إما مهاجرًا مستوطنًا وإما متشوقًا إلى رؤية رسول الله ﷺ ومتعلمًا منه ومتقربًا، ثم بعده هكذا في زمن الخلفاء كذلك، ولأخذ سيرة العدل منهم والاقتداء بجمهور الصحابة رضوان الله عليهم فيها، ثم من بعدهم العلماء الذين كانوا سرج الوقت وأئمة الهدى لأخذ السنن المنتشرة بها عنهم، فكان كلٌّ ثابتَ الإيمان منشرح الصدر به يرحل إليها، ثم بعد ذلك في كل وقت إلى زماننا لزيارة قبر النبي ﷺ والتبرك بمشاهده وآثاره وآثار الصحابة الكرام، فلا يأتيها إلا مؤمن. هذا كلام القاضي، والله أعلم بالصواب).
قلت: وفي ختام كلامه نظرٌ، فلم نقف على أن أحدًا من الصحابة شد رحله لزيارة قبر رسول الله ﷺ بأبي هو وأمي (قاله مصطفى).

(٢) قال النووي رحمه الله: («طوبى»: فُعْلى من الطيب. قاله الفراء، قال: وإنما جاءت الواو

قال الإمام مسلم رحمه الله (١٤٧):

حدثنا أبو بكر ابن أبي شيبة، حدثنا عبد الله بن نمير وأبو أسامة، عن عبيد الله ابن عمر /ح/ وحدثنا ابن نمير، حدثنا أبي، حدثنا عبيد الله، عن خبيب بن عبد الرحمن، عن حفص بن عاصم، عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ، قال: **«إن الإيمان ليأرز**(١) **إلى المدينة كما تأرزُ الحيَّةُ إلى جُحرها»**.

صحيح

وأخرجه البخاري (١٨٧٦) وابن ماجه (٣١١١).

قال الإمام مسلم رحمه الله (١٤٦):

وحدثني محمد بن رافع والفضل بن سهل الأعرج، قالا: حدثنا شبابة بن سوار، حدثنا عاصم - وهو: ابن محمد العمري - عن أبيه، عن ابن عمر، عن النبي ﷺ قال: **«إن الإسلام بدأ غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ، وهو يأرز بين**

= لضمة الطاء. قال: وفيها لغتان، تقول العرب: «طوباك»، و«طوبى لك»، وأما معنى «طوبى» فاختلف المفسرون في معنى قوله تعالى: ﴿طوبى لهم وحسن مآب﴾ فروي عن ابن عباس رضي اللّه عنهما أن معناه: «فرح وقرة عين، وقال عكرمة: «نِعم ما لهم». وقال الضحاك: «غبطة لهم»، وقال قتادة: «حُسنى لهم»، وعن قتادة أيضًا معناه: «أصابوا خيرًا». وقال إبراهيم: «خير لهم وكرامة»، وقال ابن عجلان: «دوام الخير»، وقيل: «الجنة»، وقيل: «شجرة في الجنة»، وكل هذه الأقوال محتملة في الحديث واللّه أعلم).

(١) «يأرِز»: في «لسان العرب» (ص٥٩): «وأرزت الحية» تأرز: ثبتت في جحرها، وأرزت أيضًا: لاذت بجحرها ورجعت إليه، وفي الحديث: «إن الإسلام ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها».

قال الأصمعي: «يأرز»: أي: ينضم إليها ويجتمع بعضه إلى بعض فيها، ومنه كلام عليّ عليه السلام: «حتى يأرز الأمر إلى غيركم».

و«المأرز» الملجأ.

المسجدين كما تأرز الحيَّةُ في جُحرها».

صحيح

قال الإمام عبد الله بن أحمد رحمه الله «المسند» (١/ ٣٩٨):

حدثني أبي، ثنا عبد الله بن محمد بن أبي شيبة - وسمعته أنا من ابن أبي شيبة - ثنا حفص بن غياث، عن الأعمش، عن أبي إسحاق، عن أبي الأحوص، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الإسلام بدأ غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ، فطُوبى للغرباء**». قيل: ومنِ الغرباء؟ قال: «**النُّزَّاع من القبائل**».

رجاله ثقات

وأخرجه الدارمي (٢/ ٣١١-٣١٢) وأبو يعلى (٨/ ٣٨٨).

* * *

ذهاب الصالحين

قال الإمام البخاري رحمه الله (٦٤٣٤):

حدثني يحيى بن حماد، حدثنا أبو عوانة، عن بيان، عن قيس بن أبي حازم، عن مرداس الأسلمي، قال: قال النبي ﷺ: **«يذهب الصالحون الأوَل فالأوَل، ويبقى حفالةٌ[١] كحفالة الشعير أو التمر، لا يباليهم الله بالة»**[٢] قال أبو عبد الله: يقال: «حُفالةٌ» و«حُثالةٌ».

صحيح[٣]

وأخرجه أحمد (٤/ ١٩٣)، والدارمي (٢/ ٣٠١).

* * *

(١) قال الحافظ في «الفتح» (١١/ ٢٥٢): (وقال الخطابي: «الحثالة» بالفاء وبالمثلثة: الرديء من كل شيء، وقيل: آخر ما يبقى من الشعير والتمر وأرداه. وقال ابن التين: الحثالة سقط الناس، وأصلها ما يتساقط من قشور التمر والشعير وغيرهما. وقال الداودي: ما يسقط من الشعير عند الغربلة ويبقى من التمر بعد الأكل).

(٢) وقد أخرجه البخاري أيضًا موقوفًا (٤١٥٦)، ولا يضر وقف من وقفه؛ فقد رواه الأثبات مرفوعًا.

وقال الحافظ في «الفتح»: (وقد وجدت لهذا الحديث شاهدًا من رواية الفزارية امرأة عمر بلفظ: «تذهبون، الخيِّر فالخيِّر، حتى لا يبقى منكم إلا حُثالة كحثالة التمر، يَنْزُو بعضهم على بعض نَزْو المعز»).

(٣) في رواية البخاري الموقوفة: «لا يعبأ الله بهم شيئًا»، وهي كقوله ﷺ في حديث عياض بن حمار المجاشعي: «إن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم» والله أعلم.

وفي هذا الحديث دليل أن موت الصالحين من أشراط الساعة. وهذا واضح لا يخفى، هذا وللحديث طرق أخرى عند الحاكم في «المستدرك» (٤/ ٤٣٤)؛ فراجعها إن شئتَ.

ردة أقوام آخر الزمان

قال الإمام البخاري رحمه الله (٧١١٦):

حدثنا أبو اليمان، أخبرنا شعيب، عن الزهري، قال: قال سعيد بن المسيب: أخبرني أبو هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تقوم الساعة حتى تضطرب**[١] **أليات نساء دوس**[٢] **على ذي الخَلَصَة**».

صحيح

و«ذو الخلصة»: طاغية دوس التي كانوا يعبدون في الجاهلية[٣].

وأخرجه مسلم (٢٩٠٦).

قال الإمام مسلم رحمه الله (٢٩٠٧):

حدثنا أبو كامل الجحدري وأبو معن زيد بن يزيد الرقاشي (واللفظ لأبي

---

(١) في قوله: «تضطرب أليات» قولان:
الأول: أن أعجازهن تضطرب حول ذي الخلصة من الطواف حوله، أي: أنهم يكفرن ويرجعن إلى عبادة الأصنام وتعظيمها.
الثاني: أن النساء يركبن الدواب من البلدان إلى الصنم المذكور، فتضطرب ألياتهن.
وفي الحديث: أن الشرك سيرجع إلى بعض بلاد العرب مرة ثانية، ولايلزم من رجوعه أن يعم؛ فقد قال النبي ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي على الحق يقاتلون...» الحديث.
اللَّهمَّ إلا أن يقال: أن يعم وعلى أهله تقوم الساعة؛ لقول النبي ﷺ: «لا تقوم الساعة إلا على شرار الناس».

(٢) «دوس»: هي قبيلة من قبائل اليمن.

(٣) في بعض الروايات من الزيادة: «طاغية دوس التي كانوا يعبدون في الجاهلية بتبالة» قال النووي: و«تبالة» موضع باليمن، وليست تبالة التي يضرب بها المثل، ويقال: «أهون على الحجاج من تبالة»؛ لأن تلك بالطائف.

معن)، قالا: حدثنا خالد بن الحارث، حدثنا عبد الحميد بن جعفر، عن الأسود ابن العلاء، عن أبي سلمة، عن عائشة قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد اللات والعزى**» فقلت: يا رسول الله، إن كنت لأظن حين أنزل الله: ﴿**هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ**﴾ [الصف: ٩] أن ذلك تامًا؟ قال: «**إنه سيكون من ذلك ما شاء الله، ثم يبعث الله ريحًا طيبة فتوفي« كلَّ من في قلبه مثقال حبة خردلٍ من إيمان، فيبقى من لا خير فيه، فيرجعون إلى دِين آبائهم**».

صحيح

وحدثناه محمد بن المثنى، حدثنا أبو بكر (وهو الحنفي) حدثنا عبد الحميد بن جعفر بهذا الإسناد نحوه.

قال الترمذي رحمه الله (٢٢١٩):

حدثنا قتيبة، حدثنا حماد بن زيد، عن أيوب، عن أبي قلابة، عن أبي أسماء الرحبي، عن ثوبان قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتى تلحق قبائل من أمتي بالمشركين، وحتى يعبدوا الأوثان، وإنه سيكون في أُمتي ثلاثون كذَّابون، كلهم يزعم أنه نبيٌّ، وأنا خاتمُ النبيين لا نبيَّ بعدي**».

صحيح

وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

* * *

تداعي الأمم على أُمَّة محمد ﷺ

قال الإمام أحمد رحمه الله «المسند» (٥/ ٢٧٨):

حدثنا أبو النضر، ثنا ابن المبارك[١]، ثنا مرزوق أبو عبد الله الحمصي، أنا أبو أسماء الرحبي، عن ثوبان مولى رسول الله ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: **«يوشك أن تداعى عليكم الأُمم من كل أفق كما تَدَاعَي الأَكَلَةُ على قَصْعَتِها»**.

قال: قلنا: يا رسول الله، أمِنْ قِلَّة بنا يومئذ؟ قال: **«أنتم كثيرٌ، ولكن تكونون غثاء كغثاء السيل، يُنتزع المهابةُ من قلوب عدوكم، ويُجعل في قلوبكم الوهنُ»** قال: قلنا: وما الوهن؟ قال: **«حُب الحياة وكراهية الموت»**.

حسن

وأخرجه أبو نعيم في «الحلية» (١/ ١٨٢).

* * *

(١) كذا في المسند: (ابن المبارك)، والذي يبدو لي أنها تصحَّفت، والصواب: «مبارك»، وهو: ابن فضالة كما عند أبي نعيم في «الحلية» (١/ ١٨٢).
هذا وللحديث شاهد عند أبي داود (٤٢٩٧) من طريق: أبي عبد السلام، عن ثوبان، عن رسول الله ﷺ ـ بنحوه. إلا أن «أبا عبد السلام» مجهول.

نقض عُرى الإسلام عروة عروة

قال الإمام أحمد رحمه الله (٥/ ٢٥١):

حدثنا الوليد بن مسلم، حدثني عبد العزيز بن إسماعيل بن عبيد الله، أن سليمان بن حبيب حدثهم، عن أبي أمامة الباهلي، عن رسول الله ﷺ قال: **«لتنقضن عرى الإسلام عروة عروة، فكلما انتقضت عروة تشبثَ الناسُ بالتي تليها، وأوَّلهن نقضًا: الحكمُ، وآخرهن: الصلاة»**.

صحيح

وأخرجه ابن حبان «موارد الظمآن» (٢٥٧)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٩٢)، وقال: «عبد العزيز» هذا هو: ابن عبيد الله بن حمزة بن صهيب، و«إسماعيل» هو: ابن عبيد الله بن المهاجر، والإسناد كله صحيح.

وتعقَّبه الذهبي بقوله: «عبد العزيز» ضعيف[1].

* * *

(١) قلت: وما جزم به الحاكم وتعقبه بسببه الذهبي مِن أنَّ عبد العزيز هو: ابن عبيد اللَّه بن حمزة بن صهيب خطأٌ منشؤه التصحيف، فقد وقع في رواية الحاكم: «عبد العزيز عن إسماعيل»، والصواب: «عبد العزيز بن إسماعيل» كما في رواية أحمد وابن حبان، ثم إن عبد العزيز بن عبيد اللَّه بن حمزة بن صهيب لم يرو عنه إلا إسماعيل بن عياش.
فالصواب: أنه عبد العزيز بن إسماعيل بن عبيد اللَّه بن أبي المهاجر، وترجمته في «تعجيل المنفعة»، وفيها: أنه روىٰ عن سليمان بن حبيب، وروىٰ عنه الوليد بن مسلم. وفيها أيضًا: أن ابن حبان وثَّقه، وقال ابن أبي حاتم: ليس به بأس.

قلة العلم ورفعه وثبوت الجهل وتفشِّيه من أشراط الساعة

قال الإمام البخاري رحمه الله (حديث رقم ٨٠):

حدثنا عمران بن ميسرة، قال: حدثنا عبد الوارث، عن أبي التياح، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن من أشراط[١] الساعة: أن يُرفع العلمُ[٢]**،

---

(١) أشار الحافظ رحمه الله إلى أن من الأشراط ما يكون من قبيل المعتاد، ومنها ما يكون خارقًا للعادة. «فتح الباري» (١/ ١٧٨).

(٢) المراد برفع العلم: موت حَمَلته؛ لقول النبي ﷺ: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء..» الحديث، وسيأتي إن شاء الله.
أما ما ورد من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه الذي أخرجه ابن ماجه (٤٠٤٩)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٤٧٣)، وقال: صحيح على شرط مسلم. وسكت عليه الذهبي، وصححه الشيخ ناصر الدين الألباني في «السلسلةالصحيحة» رقم (٨٧) من طريق أبي معاوية، عن أبي مالك الأشجعي، عن ربعي بن حراش، عن حذيفة بن اليمان قال: قال رسول الله ﷺ: «يدرس الإسلام كما يدرس وشي الثوب، حتى لا يدري ما صيام ولا صلاة ولا نسك ولا صدقة، وليسرىٰ على كتاب الله عز وجل في ليلة فلا يبقىٰ في الأرض منه آية، وتبقىٰ طوائف من الناس الشيخ الكبير والعجوز يقولون: أدركنا آباءنا على هذه الكلمة: «لا إله إلا الله» فنحن نقولها. فقال: له صلة: ما تُغني عنهم «لا إله إلا الله» وهم لا يدرون ما صلاة ولا صيام ولا نسك ولا صدقة» فأعرض عنه حذيفة ثم رددها عليه ثلاثًا، كلٌّ ذلك يعرض عنه حذيفة، ثم أقبل عليه في الثالثة فقال: يا صلة، تنجيهم من النار. ثلاثًا.
فهذا الحديث وإن كان رواته ثقات إلا أن في إسناده «محمد بن خازم أبو معاوية الضرير»، وهو وإن خرَّج له الشيخان إلا أنه كان مرجئًا، وقد أطبق العلماء على وصفه بذلك، فقال العجلي: كوفي ثقة، وكان يرىٰ الإرجاء، وكان لين القول فيه. وقال يعقوب بن شيبة: ... وكان يرىٰ الإرجاء، وقال الآجري عن أبي داود: كان مرجئًا، وقال مرة: كان رئيس المرجئة بالكوفة، وقال ابن حبان: كان حافظًا متقنًا، ولكنه كان مرجئًا خبيثًا. وقال ابن سعد: ... وكان مرجئًا. وقال أبو زرعة: كان يرىٰ الإرجاء، قيل له: كان يدعو إليه؟ قال: نعم، قلت: فمثل هذا لا يشك أحد أنه كان مرجئًا، وهذا الحديث ـ حديث حذيفة ـ المروي من طريقه يوافق صميم بدعة الإرجاء، فنتوقف عن تصحيح هذا الحديث، إذ إنه من المقرر عن الكثيرين من علماء المصطلح: أن المبتدع الداعي إلى بدعته إذا روىٰ ما يوافق بدعته يتوقف في أمره. والله أعلم.

ويثبت الجهلُ[(١)] ويُشرب الخمر[(٢)]، ويَظهر الزنا»[(٣)].

صحيح

وأخرجه مسلم (٢٦٧١)، وعزاه المزي للنسائي.

* * *

(١) أي: ينتشر الجهل ويظهر، وسببه: قبض العلماء، وأيضًا: كثرة النساء اللواتي هن ناقصات عقل ودين.
(٢) أي: يكثر شرب الخمر.
(٣) قال الحافظ في «الفتح» (١٢/ ١١٥): (ويظهر الزنا: أي: يشيع ويشتهر، بحيث لا يتكاتم به لكثرة من يتعاطاه. وفي رواية لمسلم: «ويفشو الزنا»).

من أشراط الساعة: التماس العلم عند الأصاغر

قال عبد الله بن المبارك رحمه الله «الزهد» (٦١):

أخبرنا عبد الله بن لهيعة[١] ، قال: حدثني بكر بن سوادة، عن أبي أمية اللخمي أو قال: الجمحي، والصواب: هو: الجمحي - هذا قول ابن صاعد - أن رسول الله ﷺ قال: «**إن من أشراط الساعة ثلاثة: إحداهن: أن يُلتمس العلمُ عند الأصاغر**»[٢] .

رجاله ثقات[٣]

* * *

(١) ابن لهيعة مختلط، إلا أن الراوي عنه هو: ابن المبارك، وروايته عنه مقبولة عند كثير من أهل العلم.

(٢) عند ابن المبارك - في بعض النسخ - من الزيادة - كما أوردها المعلق على الزهد - قال نعيم: قيل لابن المبارك: من الأصاغر؟ قال: الذين يقولون برأيهم، فأما الصغير الذي يروي عن كبير فليس بصغير.

(٣) ولم يتيسر لي الوقوف على ما يثبت لأبي أمية الجمحي هذا صُحبة، وقد أورده الحافظ ابن حجر في القسم الأول من حرف الألف من «الكنى» في «الإصابة» (٤/ ١١). وقال: قال أبو عمر: ذكره بعضهم في الصحابة وفيه نظر، روى أن النبي ﷺ سئل عن الساعة؟ فقال: «من أشراطها: أن يلتمس العلم عند الأصاغر». وقال أبو موسى: ذكره أبو مسعود في الصحابة وقال: روى عنه بكر بن سوادة - فذكر هذا الحديث ولم يسق إسناده، وهو عند الطبراني من طريق ابن لهيعة عن بكر بمعناه.

كيف يُقبض العلمُ ؟

قال الإمام البخاري رحمه الله (حديث رقم ١٠٠):

حدثنا إسماعيل بن أبي أويس، قال: حدثني مالك، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عبد الله بن عَمرو بن العاص قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الله لا يقبض العلم[١] انتزاعًا ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبقَ عالمًا اتخذ الناسُ رءوسًا جُهالاً فَسُئلوا فأفتَوْا بغير علم فضَلُّوا وأَضَلُّوا**»[٢].

صحيح

وأخرجه مسلم (٢٦٧٣)، والترمذي (٢٦٥٢)، وقال: هذا حديث حسن صحيح. وابن ماجه (٥٢) وعزاه المِزِّيُّ للنسائي.

قال الإمام أحمد رحمه الله (٥/ ٢٦٦):

حدثنا أبو المغيرة، ثنا معان بن رفاعة، حدثني عليّ بن يزيد، حدثني القاسم مولى بني يزيد، عن أبي أمامة الباهلي قال: لما كان في حجة الوداع قام رسول الله ﷺ وهو يومئذٍ مردفٌ الفضل بن عباس على جملٍ آدم فقال: «**يا أيها الناس، خذوا من العلم قبل أن يقبض وقَبل أن يرفع العلم، وقد كان أنزل الله عز وجل ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ وَإِن تَسْأَلُوا**

---

(١) أي: لا يمحوه من الصدور.

(٢) في رواية البخاري (٧٣٠٧): «إن الله لا ينزع العلم من بعد أن أعطاكموه انتزاعًا، ولكن ينتزعه منهم مع قبض العلماء بعلمهم، فيبقى ناس جُهال، يستفتون فيفتون برأيهم فيضلُّون ويضلون».

عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ تُبْدَ لَكُمْ عفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾»، قال: فكنا نذكرها كثيراً من مسألته، واتقينا ذاك حين أنزل اللّه على نبيه ﷺ. قال: فأتينا أعرابيًا فرشوناه برداءٍ. قال: فاعتم به حتى رأيت حاشية البرد خارجة من حاجبه الأيمن، قال: ثم قلنا له: سَلِ النَّبيَّ ﷺ؟ قال: فقال له: يا نبي اللّه، كيف يرفع العلم منا وبين أظهرنا المصاحف، وقد تعلمنا ما فيها وعلمناها نساءنا وذرارينا وخدمنا؟ قال: فرفع النبي ﷺ رأسه وقد علت وجهه حمرة من الغضب. قال: فقال: «**أي ثكلتك أمك، هذه اليهود والنصارى بين أظهرهم المصاحف؛ لم يصبحوا يتعلقوا بحرف مما جاءتهم به أنبياؤهم، ألا وإن من ذهاب العلم: أن يذهب حَمَلَته ثلاث مرار**».

صحيح لشواهده[١]

والحديث أخرجه: الطبراني في «الكبير» (٧٨٦٧).

---

(١) ففي إسناده «معان بن رفاعة»، وعلي بن يزيد» وهما ضعيفان، إلا أن للحديث شواهد.

منها: ما أخرجه الطبراني (٧٩٠٦) فقال: حدثنا عليّ بن عبد العزيز وأبو مسلم الكشي، قالا: ثنا حجاج بن المنهال، وثنا أبو مسلم الكشي، ثنا أبو عمر الضرير، قالا: ثنا حماد بن سلمة عن الحجاج، عن الوليد بن أبي مالك، عن القاسم أبي عبد الرحمن، عن أبي أمامة أن رسول اللّه ﷺ قال: «خذوا العلم قبل أن ينفد ثلاثًا» قالوا: يا رسول اللّه وكيف ينفد وفينا كتاب اللّه؟ فغضب - لا يُغضبه اللّه - ثم قال: «ثكلتكم أمهاتكم، ألم تكن التوراة والإنجيل في بني إسرائيل ثم لم يغن عنهم شيئًا؟! إن ذهاب العلم: ذهاب حملته» - ثلاثًا.

وقد أخرجه: الدارمي (١/ ٧٧) من طريق: موسى بن خالد، أنا معتمر بن سليمان عن الحجاج، عن عوف بن مالك، عن القاسم أبي عبد الرحمن مولى عبد الرحمن بن يزيد، عن أبي أمامة، عن رسول اللّه ﷺ - بنحوه.

وله شاهد عند الطبراني في «الكبير» (٧٣٩٨) من حديث صفوان بن عسال رضي اللّه عنه مرفوعًا.

وله شاهد آخر أخرجه أحمد (٦/ ٢٦ - ٢٧)، والطبراني في «الكبير» (١٨/ ٤٣) من طرق عن =

. . . .

= إبراهيم بن أبي عبلة، عن الوليد بن عبد الرحمن الجرشي، قال: ثنا جبير بن نفير، عن عوف ابن مالك الأشجعي: أن رسو ل اللَّه ﷺ نظر إلىٰ السماء يومًا فقال: «هذا أوان يرفع العلم». فقال له رجل من الأنصار - يقال له: زياد بن لبيد -: يا رسول اللَّه، يرفع العلم وقد أُثبت ووعته القلوب؟! فقال رسول اللَّه ﷺ: «إن كنت لأحسبك من أفقه أهل المدينة» ثم ذكر له ضلالة اليهود والنصارىٰ علىٰ ما في أيديهم من كتاب اللَّه. فلقيتُ شداد بن أوس فحدثته بحديث عوف فقال: صدق عوف، ألا أخبرك بأول ذلك يرفع؟ قال: الخشوع؛ لا ترىٰ خاشعًا.

قلت: وهذا إسناد صحيح قوي.

وقد ورد الحديث عند الترمذي (٢٦٥٣) من حديث أبي الدرداء، فقال الترمذي: حدثنا عبداللَّه بن عبد الرحمن، أخبرنا عبد اللَّه بن صالح، حدثني معاوية بن صالح، عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير، عن أبيه جبير بن نفير، عن أبي الدرداء قال: كنَّا مع رسول اللَّه ﷺ فشخص بصره إلىٰ السماء ثم قال: «هذا أوان يختلس العلم من الناس حتىٰ لا يقدروا منه علىٰ شيء»، فقال زياد بن لبيد الأنصاري: كيف يختلس منَّا وقد قرأنا القرآن، فواللَّه لنقرأنَّه ولنقرئنَّه نساءنا وأبناءنا؟ فقال: «ثكلتك أمك يا زياد، إن كنت لأعدُّك من فقهاء أهل المدينة، هذه التوراة والإنجيل عند اليهود والنصارىٰ فماذا تغني عنهم؟!» قال جبير: فلقيت عبادة بن الصامت، قلت: ألا تسمع إلىٰ ما يقول أخوك أبو الدرداء؟ فأخبرته بالذي قال أبو الدرداء، قال: صدق أبو الدرداء، إن شئتَ لأحدثنَّك بأول علم يُرفع من الناس؟ الخشوع، يوشك أن تدخل مسجد جماعة فلا ترىٰ فيه رجلاً خاشعًا.

قال أبو عيسىٰ الترمذي: هذا حديث حسن غريب، ومعاوية بن صالح ثقة عند أهل الحديث، ولا نعلم أحدًا تكلم فيه غير يحيىٰ بن سعيد القطان، وقد روىٰ عن معاوية بن صالح نحو هذا، وروىٰ بعضهم هذا الحديث عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير، عن أبيه، عن عوف بن مالك، عن النبي ﷺ.

قلت: ولا أشك أن مرد الحديثين إلىٰ حديث واحد، والذي يترجح لي منهما هو الحديث الأول - حديث عوف بن مالك -؛ لقوة إسناده.

وعلىٰ كلٍّ؛ فهذا الخلاف لا يضر إذ إنه خلاف في تسمية صحابي الحديث، والصحابة كلهم عدول، فالحديث صحيح بمجموع طرقه. واللَّه تعالىٰ أعلم.

قال ابن ماجه رحمه اللَّه (٤٠٤٩):

حدثنا عليّ بن محمد، ثنا أبو معاوية، عن أبي مالك الأشجعي، عن ربعي ابن حراش، عن حُذيفة بن اليمان قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**يدرس الإسلام كما يدرس وشي الثوب، حتى لا يدري ما صيام ولا صلاة ولا نسك ولا صدقة، وليسري على كتاب اللَّه عز وجل في ليلة، فلا يبقى في الأرض منه آية، وتبقى طوائف من الناس الشيخ الكبير والعجوز يقولون: أدركنا آباءنا على هذه الكلمة: لا إله إلا اللَّه، فنحن نقولها**».

فقال له صلة: ما تغني عنهم «لا إله إلا اللَّه» وهم لا يدرون ما صلاة ولا صيام ولا نسك ولا صدقة؟» فأعرض عنه حذيفة. ثم ردها عليه ثلاثًا، كل ذلك يعرض عنه حذيفة، ثم أقبل عليه في الثالثة فقال: «يا صلة، تنجيهم من النار». ثلاثًا.

رجاله ثقات[١]

وأخرجه الحاكم في «المستدرك» (٤/ ٤٧٣، ٥٤٥)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، وسكت عنه الذهبي في الموضع الأول، ووافقه في الموضع الثاني.

* * *

(١) وقد قوّىٰ الحافظ ابن حجر إسناد هذا الحديث في أكثر من موضع من «فتح الباري»، منها (١٣/ ١٦).
وصححه الحاكم كما رأيت ووافقه الذهبي في موضع وسكت عنه في آخر.
وفي «الزوائد»: إسناده صحيح.

استحلال الخمر وتسميتها بغير اسمها من أشراط الساعة

قال النسائي رحمه الله (٨/ ٣١٢):

أخبرنا محمد بن عبد الأعلى، عن خالد ـ وهو ابن الحارث ـ، عن شعبة، قال: سمعت أبا بكر بن حفص يقول: سمعت بن محيريز يحدث عن رجل من أصحاب النبي ﷺ، عن النبي ﷺ قال: **«يشرب ناس من أمتي الخمر، يُسمُّونها بغير اسمها»**.

إسناده صحيح(١)

وأخرجه أحمد (٤/ ٢٣٧).

* * *

= وأيضًا قد صححه الشيخ ناصر الدين الألباني في «سلسلة الأحاديث الصحيحة» رقم (٨٧).
وعلى كلٍّ فالحديث رجاله ثقات، إلا أن فيه ما يعله من وجه قد لا يلتفت إليه بعض المصححين، ألا وهو كون أبي معاوية ـ أحد رجال إسناده ـ مرجئًا، وقد أطبق أهل العلم على وصفه بالإرجاء، بل وذكر غير واحد أنه كان داعية إلى الإرجاء، بل رأسًا من رءوس المرجئة، بل رئيسهم، وهذا الحديث يوافق صميم بدعة الإرجاء، ألا وهو تأخير العمل عن القول والاكتفاء بقول: لا إله إلا اللَّه.
فلذلك أعللنا هذا الحديث من هذا الجانب ـ أي: لأن في إسناده مبتدعًا داعية إلى بدعته، روى ما يوافق بدعته ـ وقد فصَّلنا القول في هذا في رسالتنا: «نظرات في سلسلة الأحاديث الصحيحة».
وأيضًا، ففي قوله: «على شرط مسلم» ما لا يوافق عليه؛ لأنه ليس في «صحيح مسلم» سند مشابه لهذا السند، وقد فصلنا القول في ذلك أيضًا.
ثم إن مما يُشعر بضعفه: تفرد ابن ماجه بروايته من بين أصحاب الكتب الستة، وأيضًا: فقد روي موقوفًا على حذيفة رضي اللَّه عنه كما عند الحاكم في «المستدرك» (٤/ ٥٠٥).
والعلم عند اللَّه تعالى.

(١) إلا أنه قد روي عند أحمد (٥/ ٣١٨)، ابن ماجه (٣٣٨٥) من طريق: سعد بن أوس الكاتب، عن بلال بن يحيى العبسي، عن أبي بكر بن حفص، عن ابن محيريز، عن ثابت ابن السمط، =

. . . .

= عن عبادة بن الصامت، عن رسول الله ﷺ ـ به.

أي: أن بلال بن يحيى زاد ثابت بن السمط في السند، وأيضًا سَمَّى صحابي الحديث عبادة بن الصامت، وثابت السمط لم يوثقه معتبر ـ اللَّهم إلا ابن حبان وابن حبان معروف بتوثيق المجاهيل ـ ولم يرو عنه ذاك الجمع الذي يرفعه إلى حد من يصحح حديثه أو يحسن.

ولكن الطريق التي بين أيدينا ـ طريق النسائي ـ التي رواها شعبة بدون ذكر ثابت هي الأثبت، فشعبة أثبت من بلال بن يحيى، وإلا أن يقال: إن مع بلال زيادة في السند، فيصار إلى روايته، والله أعلم.

وعلى كلٍّ؛ فللحديث شواهد، وهي وإن كانت ضعيفة إلا أنه يستأنس بها.

ومنها: ما أخرجه ابن ماجه (٣٣٨٤)، وأبو نعيم في «الحلية» (٦/ ٩٧) من طريق: عبد السلام ابن عبد القدوس، ثنا ثور بن يزيد، عن خالد بن معدان، عن أبي أمامة الباهلي قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تذهب الليالي والأيام حتى تشرب فيها طائفة من أمتي الخمر يُسمُّونها بغير اسمها».

قلت: وفي إسناده عبد السلام بن عبد القدوس وهو ضعيف.

وأيضًا قال أبو نعيم عقبه: كذا حدثناه عن أبي أمامة، وروي عن ثور عن خالد عن أبي هريرة رضي الله عنه مثله.

ومنها: ما أخرجه أبو داود (٣٦٨٨)، وابن ماجه (٤٠٢٠)، وأحمد (٥/ ٣٤٢)، وابن حبان في «موارد الظمآن» (١٣٨٤)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٨/ ٢٩٥)، وغيرهم من طريق: حاتم بن حريث، عن مالك بن أبي مريم، قال: دخل علينا عبد الرحمن بن غنم فتذاكرنا الطلاء، فقال: حدثني أبو مالك الأشعري أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «ليشربن ناس من أمتي الخمر يسمونها بغير اسمها». وفي إسناده مالك بن أبي مريم وهو مجهول.

ومنها: ما أخرجه البيهقي (٨/ ٢٩٤ ـ ٢٩٥)، والحاكم (٢/ ١٤٧) من طريق: سعيد بن أبي هلال، عن محمد بن عبد الله بن مسلم: أن أبا مسلم الخولاني حج فدخل على عائشة زوج النبي ﷺ، فجعلت تسأله عن الشام وعن بَرْدها فجعل يخبرها، فقالت: كيف يصبرون على بردها؟ قال: يا أم المؤمنين، إنهم يشربون شرابًا لهم يقال له الطلا. قالت: صدق الله وبلَّغ حِبِّي ﷺ، سمعتُه يقول: «إن ناسًا من أمتي يشربون الخمر يسمونها بغير اسمها». قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وتعقبه الذهبي بقوله: «قلت: كذا قال محمد، فمحمد مجهول، وإن كان ابن أخي الزهري فالسند منقطع. =

استحلال المعازف
ومسخ أقوام قردة وخنازير بين يدي الساعة

قال الإمام البخاري رحمه اللَّه (٥٥٩٠):

وقال[١] هشام بن عمار، حدثنا صدقة بن خالد، حدثنا عبد الرحمن بن يزيد ابن جابر، حدثنا عطية بن قيس الكلابي، حدثنا عبد الرحمن بن غنم الأشعري، قال: حدثني أبو عامر - أو: أبو مالك الأشعري - واللَّه ما كذبني - سمع النبي ﷺ يقول: «**ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الحر[٢] والحرير والخمر والمعازف[٣]**،

= ومنها: ما أخرجه الطبراني (١١٢٢٨) من طريق الحسن بن العباس الرازي، ثنا إسماعيل بن توبة القزويني، ثنا عفان بن سيار، ثنا أبو عامر الخزاز، عن ابن أبي مليكة، عن ابن عباس: أن رسول اللَّه ﷺ قال: «إن أمتي يشربون الخمر في آخر الزمان يسمونها بغير اسمها».

وفي إسناده «أبو عامر الخزاز» وهو: صالح بن رستم، وحاله إلى الضعف أقرب، إلا أنه يصلح للاستشهاد به واللَّه أعلم.

وبالجملة؛ فالحديث بهذه الطرق يرتقي إلى الصحة واللَّه تعالى أعلم.

(١) هذا معلق، وقد وصله البيهقي في «السنن الكبرى» (١٠/ ٢٢١)، ووصله أبو داود ببعضه (٤٠٣٩)، وذكر العلامة ابن القيم رحمه اللَّه في «حاشيته على سنن أبي داود» (عون المعبود ١٠/ ١٥٣): أن الإسماعيلي رحمه اللَّه قد وصله.

هذا وقد تكلم أبو محمد بن حزم رحمه اللَّه على هذا الحديث، وطعن فيه لكونه معلقًا، لكنه قد تُعقب بتعقبات جيدة، انظر ما ردّ به العلامة ابن القيم على ابن حزم في «التعليق على أبي داود» وما كتبه الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (١٠/ ٥٢ - ٥٣)، وما أورده الشيخ ناصر الألباني في «السلسلة الصحيحة» رقم (٩١).

(٢) «الحر»: بالحاء المهملة المكسورة والراء الخفيفة وهو الفرج، والمراد أنهم يستحلون الفرج بغير حله، أي: يستحلون الزنا.

(٣) المعازف: هي آلات اللهو والطرب.

ولينزلن أقوام إلى جنب علم[١] يروح[٢] عليهم بسارحة[٣] لهم، يأتيهم - يعني الفقير - لحاجة فيقولوا: ارجع إلينا غداً. فيبيتهم[٤] اللَّه، ويضع العلم[٥]، ويمسخ آخرين قردة وخنازير إلى يوم القيامة».

صحيح لغيره

* * *

(١) العلم: هو الجبل، وقيده بعضهم بالجبل العالي، ومنه قوله تعالى: ﴿وله الجوار المنشآت في البحر كالأعلام﴾.
(٢) يروح عليهم: أي: يروح عليهم الراعي.
(٣) السارحة: هي الماشية التي تسرح.
(٤) يبيتهم: أي يهلكهم ليلاً.
(٥) أي يدكدك الجبل أو يوقعه عليهم. واللَّه أعلم.

كثرة النساء وظهور الزنا من أشراط الساعة

قال الإمام البخاري رحمه الله (حديث ٨١):

حدثنا مسدد، قال: حدثنا يحيى، عن شعبة، عن قتادة، عن أنس قال: لأحدثنكم حديثًا لا يحدثكم أحد بعدي؛ سمعتُ رسول اللَّه ﷺ يقول: «**من أشراط الساعة: أن يقلَّ العلمُ، ويظهر الجهلُ، ويظهر الزنا، وتكثرُ النساءُ**[1]، **ويقلَّ الرجال، حتى يكون لخمسين**[2] **امرأة القيِّم**[3] **الواحد**».

صحيح

وأخرجه مسلم (٢٦٧١)، والترمذي (٢٢٠٥)، وقال: هذا حديث حسن صحيح،

وابن ماجه (٤٠٤٥)، وعزاه المزي للنسائي.

---

(١) ذهب فريق من العلماء إلى أن سبب كثرة النساء منشؤه: كثرة الهرج الذي هو القتل، فيؤدي القتل إلى قلة الرجال؛ لأنهم أهل القتل والقتال، فمن ثم تكثر النساء.
وذهب فريق آخر من أهل العلم إلى: أن كثرة النساء أمر مقدر من اللَّه عز وجل في آخر الزمان، فيقلّ من يولد من الذكور ويكثر من يولد من النساء.

(٢) قال الحافظ في «الفتح» (١/ ١٧٩): (يحتمل أن يراد بهذا العدد حقيقته، ويحتمل أن يراد المجاز على الكثرة).

(٣) «القيِّم» أي: من يقوم بأمورهن.
وهذه الأشياء الموجودة في الحديث قد يقع بعضها في زمن من الأزمان أو مكان من الأمكنة، ولكن من علامات الساعة اجتماعها واستحكامها.
قال الحافظ ابن حجر «فتح الباري» (١/ ١٧٩): (وكأن هذه الأمور الخمسة خُصت بالذكر لكونها مشعرة باختلال الأمور التي يحصل بحفظها صلاح المعاش والمعاد، وهي الدِّين؛ لأن رفع العلم يخل به، والعقل؛ لأن شرب الخمر يخل به، والنسب؛ لأن الزنا يخل به، والنفس والمال: لأن كثرة الفتن تخل بهما.

قال الإمام البخاري رحمه الله (١٤١٤):

حدثنا محمد بن العلاء، حدثنا أبو أسامة، عن بريد، عن أبي بردة، عن أبي موسى رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**ليأتينَّ على الناس زمان يطوف الرجل فيه بالصدقة من الذهب ثمَّ لا يجد أحدًا يأخذها منه، ويرى الرجل الواحد يتبعه أربعون امرأة يَلُذْنَ به من قلة الرجال وكثرة النساء**».

صحيح

وأخرجه مسلم (١٠١٢).

* * *

= قال الكرماني: وإنما كان اختلال هذه الأمور مؤذنًا بخراب العالم؛ لأن الخلق لا يتركون هملاً، ولا نبي بعد نبينا صلوات الله تعالى وسلامه عليهم أجمعين، فيتعين ذلك.

وقال القرطبي في «المفهم»: في هذا الحديث علم من أعلام النبوة، إذ أخبر عن أمور ستقع فوقعت خصوصًا في هذه الأزمان.

وقال القرطبي في «التذكرة»: يحتمل أن يراد بالقيم من يقوم عليهن سواء كن موطوآت أم لا، ويحتمل أن يكون ذلك يقع في الزمان الذي لا يبقى فيه من يقول: «الله الله»، فيتزوج الواحد بغير عدد جهلاً بالحكم الشرعي.

كثرة التبرج بين يدي الساعة

قال الإمام مسلم رحمه اللَّه (٢١٢٨):

حدثني زهير بن حرب، حدثنا جرير، عن سهيل، عن أبيه، عن أبي هريرة قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«صِنفان من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات، رءوسهن كأسنمة البخت المائلة، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها، وإن ريحها لتوجد من مسيرة كذا وكذا»**(١).

صحيح

* * *

(١) قال النووي رحمه اللَّه «شرح مسلم» (٥/ ٧١٠): (هذا الحديث من معجزات النبوة، فقد وقع ما أخبر به النبي ﷺ، فأما أصحاب السياط: فهم غلمان واليّ الشرطة أما الكاسيات: ففيه أوجه؛ أحدها: معناه كاسيات من نعمة اللَّه عاريات من شكرها.
والثاني: كاسيات من الثياب عاريات من فعل الخير، والاهتمام لآخرتهن، والاعتناء بالطاعات.
والثالث: تكشف شيئًا من بدنها إظهارًا لجمالها، فهن كاسيات عاريات.
والرابع: يلبسن ثيابًا رقاقًا تصف ما تحتها كاسيات عاريات في المعنى.
وأما مائلات مميلات: فقيل: زائغات عن طاعة اللَّه تعالى وما يلزمهن من حفظ الفروج وغيرها، «ومميلات» يعلمن غيرهن مثل فعلهن. وقيل: مائلات متبخترات في مشيتهن مميلات أكتافهن، وقيل: مائلات يتمشطن المشطة الميلاء، وهي مشطة البغايا معروفة لهن، مميلات يمشطن غيرهن تلك المشطة، وقيل: مائلات إلى الرجال، مميلات لهم بما يبدين من زينتهن وغيرها.
وأما رءوسهن كأسنمة البخت: فمعناه: يعظمن رءوسهن بالخُمُر والعمائم وغيرها مما يلف على =

تفشِّي الزنا في الطرقات بين يدي الساعة

قال ابن حبان رحمه اللَّه (موارد الظمآن ١٨٨٩):

أخبرنا أحمد بن علي بن المثنى حدثنا إبراهيم بن حجاج السامي حدثنا عبد الواحد بن زياد حدثنا عثمان بن حكيم حدثنا أبو أمامة بن سهل بن حنيف عن

= الرأس حتى تشبه أسنمة الإبل البخت، هذا هو المشهور في تفسيره.

قال المازري: ويجوز أن يكون معناه: يطمحن إلى الرجال ولا يغضضن عنهن، ولا ينكسن رءوسهن.

واختار القاضي: أن المائلات تمشطن المشطة الميلاء، قال: وهي ضفائر الغدائر وشدها إلى فوق وجمعها في وسط الرأس، فتصير كأسنمة البخت. قال: وهذا يدل على أن المراد بالتشبيه بأسنمة البخت إنما هو لارتفاع الغدائر فوق رءوسهن وجمع عقائصها هناك، وتكثرها بما يضفرنه حتى تميل إلى ناحية من جوانب الرأس كما يميل السنام.

قال ابن دريد: يقال: «ناقة ميلاء» إذا كان سنامها يميل إلى أحد شقيها. واللَّه أعلم.

قوله ﷺ: «لا يدخلن الجنة» يتأول التأويلين السابقين في نظائره:

أحدهما: أنه محمول على من استحلت حرامًا من ذلك مع علمها بتحريمه، فتكون كافرة مخلدة في النار، لا تدخل الجنة أبدًا.

والثاني: يحمل على أنها لا تدخلها أول الأمر مع الفائزين، واللَّه تعالى أعلم.

وقد ورد في هذا الباب ما أخرجه أحمد في «مسنده» (٢/ ٢٢٣)، وابن حبان «موارد الظمآن» (١٤٥٤)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٤٣٦) من حديث عبد اللَّه بن عمرو بن العاص رضي اللَّه عنهما قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «يكون في آخر أمتي رجال يركبون على سرج كأشباه الرجال، ينزلون على أبواب المساجد، نساؤهم كاسيات عاريات، على رءوسهن كأسنمة البخت العجاف، العنوهنَّ؛ فإنهنَّ ملعونات، لو كان وراءكم أمة من الأمم خدمهن نساؤكم كما خدمكم نساء الأمم قبلكم».

وفي إسناده عبد اللَّه بن عياش بن عباس، وهو ضعيف، وقد سقط ذكره من سند أحمد، ويلزم أن يكون هذا السقط بالنظر إلى الراوي عنه وهو مشترك عند أحمد وابن حبان، ألا وهو: عبداللَّه بن يزيد.

فالحاصل: أن الإسناد ضعيف واللَّه أعلم.

عبد اللَّه بن عمرو قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتى يتسافدوا**[1] **في الطريق تسافد الحمير**»، قلت: إن ذلك لَكائن؟ قال: «**نعم، ليكونن**».

صحيح

وعزاه الحافظ في «الفتح» (١٣/ ٨٤) إلى الحاكم والبزار والطبراني.

* * *

(١) في «اللسان»: السفاد: نزو الذكر على الأنثى، وقد وقع ذلك في بعض دول الكفر، أعاذنا اللَّه من ذلك وحمى اللَّه بلاد المسلمين وشبابهم وبناتهم من كل مكروه وسوء. وحسبنا اللَّه ونعم الوكيل.

المجاهرة بالفاحشة بين يدي الساعة

قال الحافظ أبو يعلى الموصلي رحمه اللَّه (١١/ ٤٣):

حدثنا داود بن رشيد، حدثنا خلف بن خليفة، حدثنا يزيد بن كيسان، عن أبي حازم، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «**والذي نفسي بيده، لا تفنى هذه الأمة حتى يقوم الرجل إلى المرأة فيفترشها في الطريق، فيكون خيارهم يومئذ من يقول: لو واريتَها وراء هذا الحائط**».

إسناده حسن

* * *

تغير أحوال الناس من أشراط الساعة

قال الإمام أحمد رحمه الله (٢/ ٣٣٨):

حدثنا يونس وسريج قالا : ثنا فليح، عن سعيد بن عبيد بن السباق، عن أبي هريرة قال رسول الله ﷺ : **«قبل الساعة سنوات خدَّاعة، يُكذَّب فيها الصادق، ويُصدَّق فيها الكاذبُ، ويُخوَّن فيها الأمينُ، ويُؤتمن فيها الخائن، وينطقُ فيها الرويبِضَة»**.

قال سريج : «وينطق فيها الرويبضة».

صحيح لشواهده[(١)]

قال الإمام أحمد رحمه الله (٢/ ٣٥٨):

حدثنا محمد بن عبد الله، قال : ثنا كامل، عن أبي صالح، عن أبي هريرة

---

(١) وله طريق أخرىٰ عن أبي هريرة عند أحمد (٢/ ٢٩١)، وابن ماجه (٤٠٣٦) من طريق : عبد الملك بن قدامة، ثنا إسحاق بن بكر بن أبي الفرات، عن سعيد بن أبي سعيد عن أبيه، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : «إنها ستأتي علىٰ الناس سنوات خدَّاعة، يُصدَّق فيها الكاذبُ، ويُكذَّب فيها الصادقُ، ويُؤتمن فيها الخائن، ويخوَّن فيها الأمين، وينطق فيها الرويبضة». قيل : وما الرويبضة؟ قال: «السفيه يتكلم في أمر العامة».

وشاهد آخر عند أحمد (٣/ ٢٢٠) من طريق : محمد بن جعفر أبي جعفر المدائني، ثنا عباد بن العوام، ثنا محمد بن إسحاق، عن محمد بن المنكدر، عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : «إن أمام الدجال سنين خدَّاعة، يُكذَّب فيها الصادق، ويصدَّق فيها الكاذب، ويُخون فيها الأمين، ويؤتمن فيها الخائن، ويتكلم فيها الرويبضة»، قيل : وما الرويبضة؟ قال : «الفُويسق يتكلم في أمر العامة».

قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تذهب الدنيا حتى تكون للُكَعِ ابنِ لُكَعٍ**».

صحيح لغيره[١]

وقد أخرجه أحمد أيضًا (٢/ ٣٢٦).

* * *

(١) ففي إسناده «كامل أبو العلاء»: متكلم فيه، لكن للحديث شواهد، منها: ما أخرجه أحمد (٣/ ٤٦٦)، من طريق: الجهم بن أبي الجهم، عن ابن نيار - وهو: أبو بردة -، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا تذهب الدنيا حتى تكون للكع ابن لكع»، وأبو الجهم مجهول.

وللحديث شاهد آخر، أخرجه الترمذي (٢٢٠٩)، من طريق عبد الله بن عبد الرحمن الأنصاري الأشهلي، عن حذيفة بن اليمان، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى يكون أسعد الناس بالدنيا لُكَع ابن لُكع».

وفي إسناده الأشهلي، وهو مجهول كذلك.

وبالجملة؛ فالحديث يرتقي للصحة بهذه الطرق، والله أعلم.

وفي رواية أحمد (٢/ ٣٢٦) تفسير لأحد الرواة لكلمة «لكع ابن لكع» بأنه: «متهم ابن متهم».

وأورد صاحب «اللسان» الحديث في مادة «لكع» ثم نقل عن أبي عبيد: («اللكع» عند العرب: العبد أو اللئيم، وقيل: الوسخُ، وقيل: الأحمق، ويقال: رجل لكيع وكيع، ووكوع لكوع، لئيم، وعبد ألكع أوكع، وأمة لكعاء ووكعاء، وهي الحمقاء، وقال البكري: هذا شتمٌ للعبد واللئيم).

ونُقل عن أبي نهشل: (يقال: هو لكعٌ لاكعٌ، قال: وهو الضيِّق الصدر القليل الغناء الذي يؤخره الرجال عن أمورهم فلا يكون له موقع، فذلك «اللكع»، وقال ابن شميل: يقال للرجل إذا كان خبيث الفعال شحيحًا قليل الخير: إنه للكوع).

رفع الأمانة وقلتها من أشراط الساعة

قال الإمام البخاري رحمه الله (٧٠٨٦):

حدثنا محمد بن كثير، أخبرنا سفيان، حدثنا الأعمش، عن زيد بن وهب، حدثنا حذيفة قال: حدثنا رسول الله ﷺ حديثين رأيت أحدهما وأنا أنتظر الآخر، حدثنا: «**أن الأمانة نزلت في جذر**[١] **قلوب الرجال، ثم علموا من القرآن، ثم علموا من السنة**، وحدثنا عن رفعها قال: **ينام الرجل نومة فتقبض الأمانة من قلبه، فيظل أثرها مثل أثر الوكت**[٢]، **ثم ينام النومة فتقبض، فيبقى فيها أثرها مثل أثر المَجْل**[٣]، **كجمرٍ دحرجته على رجلك فنفط**[٤]، **فتراه منتبرًا وليس فيه شيء، ويصبح الناس يتبايعون، فلا يكاد أحد يؤدي الأمانة، فيقال: إن في بني فلان رجلاً أمينًا، ويقال للرجل: ما أعقله! وما أظرفه! وما أجلده! وما في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان!**»، ولقد أتى عليَّ زمان ولا أُبالي أيكم بايعت[٥] لئن كان مسلمًا ردّه عليَّ الإسلام، وإن كان نصرانيًا رده

(١) الجذر: الأصل من كل شيء.

(٢) الوكت: أثر الشيء اليسير منه.

(٣) المجل: أثر العمل في الكف إذا غلظ، و«المَجْل» بفتح الميم وسكون الجيم.

(٤) نفط: أي ورم وامتلأ ماءً.

قال الحافظ في «الفتح» (١٣/ ٣٩): (وحاصل الخبر أنه أنذر برفع الأمانة، وأن الموصوف بالأمانة يسلبها حتى يصير خائنًا بعد أن كان أمينًا، وهذا إنما يقع على ما هو شاهد لمن خالط أهل الخيانة، فإنه يصير خائنًا لأن القرين يقتدي بقرينه).

(٥) قال الحافظ في «الفتح» (١٣/ ٣٩): (قوله: «ولقد أتى عليَّ زمان» يشير إلى حال الأمانة أخذ في النقص من ذلك الزمان، وكانت وفاة حذيفة في أول سنة ست وثلاثين بعد قتل عثمان بقليل، فأدرك بعض الزمن الذي وقع فيه التغير، فأشار إليه. قال ابن التين: «الأمانة» كل ما يخفى ولا يعلمه إلا الله من المُكلَّف، وعن ابن عباس: هي الفرائض التي أُمروا بها ونهوا عنها. وقيل: هي الطاعة، وقيل: التكاليف. وقيل: العهد الذي أخذه الله على العباد).

علي ساعيه، وأما اليوم فما كنت أبايع[1] إلا فلانًا وفلانًا».

صحيح

وأخرجه مسلم (١٤٣)، والترمذي (٢١٧٩)، وقال: هذا حديث حسن صحيح، وابن ماجه في الفتن (حديث رقم ٤٠٥٣).

* * *

(١) المراد بقوله: «بايعت» من البيع والشراء، أي: أنه كان في عهد رسول اللَّه ﷺ وعهد الصحابة يطمئن في بيعه وشرائه إلى من يبايعهم ويشترئ منهم لتوفر الأمانة وتوطنها في قلوب الناس، وحتى إن حدثت خيانة أوخطأ أو نحو ذلك من بعض البائعين والمشترين فالوالي أو القاضي أو الساعي أو الأمير يرد إليّ مظلمتي وحقي، أما الآن فقلّت الأمانة وقلَّ من يبحثون عن رد الحقوق إلى أهلها والأخذ على يد الظالم، فدفعني ذلك إلى أن لا أبيع ولا أشتري إلا مع مَن أثق به. واللَّه أعلم.

ومن أشراط الساعة

إسناد الأمر إلى غير أهله

قال الإمام البخاري رحمه اللَّه (حديث رقم ٥٩):

حدثنا محمد بن سنان، قال: حدثنا فليح / ح/ وحدثني إبراهيم بن المنذر قال: حدثنا محمد بن فليح قال: حدثني أبي قال: حدثني هلال بن عليّ، عن عطاء بن يسار، عن أبي هريرة قال: بينما النبي ﷺ في مجلس يحدث القوم، جاءه أعرابي فقال: متى الساعة؟ فمضى رسول اللَّه ﷺ يحدث، فقال بعض القوم: سمع ما قال فكره ما قال. وقال بعضهم: بل لم يسمع، حتى إذا قضى حديثه قال: **«أين أراه السائل عن الساعة؟»** قال: ها أنا يا رسول اللَّه. قال: **«فإذا ضُيِّعَت الأمانة فانتظر الساعة»**. قال: كيف إضاعتها؟ قال: **«إذا وُسِّدَ(١) الأمرُ إلى غيرِ أهله فانتظرِ السَّاعةَ»**.

صحيح

* * *

(١) قال الحافظ في «الفتح» (١/ ١٤٣): قوله: «إذا وسد»: أي: أسند، وأصله من الوسادة، وكان من شأن الأمير عندهم إذا جلس أن تُثنى تحته وسادة، فقوله: «وُسد» أي: جعل له غير أهله وسادًا، فتكون «إلى» بمعنى «اللام» وأتى بها ليدل على تضمين معنى «أسند»، ولفظ محمد بن سنان في الرقاق: «أسند».

ثم قال رحمه اللَّه: وإسناد الأمر إلى غيره أهله إنما يكون عند غلبة الجهل ورفع العلم، وذلك من جملة الأشراط.

هذا وفي إسناد هذا الحديث «فليح بن سليمان» وقد تكلم فيه بعض أهل العلم، وقال الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (١/ ١٤٢): (وهو صدوق تكلم بعض الأئمة في حفظه، ولم يخرج البخاري من حديثه في الأحكام إلا ما توبع عليه، وأخرج له في المواعظ والآداب وما =

اتباع هذه الأمة سنن اليهود والنصارى

قال الإمام البخاري رحمه الله (٧٣١٩):

حدثنا أحمد بن يونس، حدثنا ابن أبي ذئب، عن المقبري، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمتي بأخذ القرون قبلها**(١) **شبرًا بشبرٍ وذراعًا بذراع**».

فقيل: يا رسول الله، كفارس والروم؟ فقال: «**ومَن الناس إلا أولئك؟!**».

صحيح

قال الإمام البخاري رحمه الله (٧٣٢٠):

حدثنا محمد بن عبد العزيز، حدثنا أبو عمر الصنعاني - من اليمن -، عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن أبي سعيد الخدري، عن النبي ﷺ قال: «**لتتبعن سَنَنَ**(٢) **مَن كان قبلكم شبرًا بشبرٍ وذراعًا بذراع، حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم**».

قلنا: يا رسول الله، اليهود والنصارىٰ؟ قال: «**فمن؟!!**».

صحيح

وأخرجه: مسلم (٢٦٦٩).

= شاكلها طائفة من أفراده وهذا منها).

وقال الحافظ أيضًا في «هدي الساري» (ص٤٣٥): (لم يعتمد عليه البخاري اعتماده على مالك وابن عيينة وأضرابهما، وإنما أخرج له أحاديث أكثرها في المناقب وبعضها في الرقاق).

(١) «أخذ فلان بأخذ فلان»: أي سار بسيرته.

(٢) قال النووي رحمه الله «شرح مسلم» (٥/ ٥٢٥): («السَّنَن» بفتح السين والنون وهو الطريق، والمراد بالشبر والذراع وجحر الضبّ: التمثيل بشدة الموافقة لهم، والمراد الموافقة في المعاصي =

قال الإمام الترمذي رحمه الله (٢١٨٠):

حدثنا سعيد بن عبد الرحمن المخزومي، حدثنا سفيان، عن الزهري، عن سنان بن أبي سنان[1]، عن أبي واقد الليثي أنَّ رسول الله ﷺ لما خرج إلى خيبر مرَّ بشجرةٍ للمشركين يقال لها: «ذات أنواط» يعلقون عليها أسلحتهم، فقالوا: يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواطٍ كما لهم ذات أنواط، فقال النبي ﷺ: **«سبحان الله! هذا كما قال قوم موسى: ﴿اجْعَل لَّنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾. والذي نفسي بيده لتركبن سُنة من كان قبلكم».**

صحيح

قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح.

قلت: والحديث أخرجه أحمد (٥/ ٢١٨)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٧٦).

* * *

= والمخالفات لا في الكُفر).

(١) سنان بن أبي سنان قد أخرج له البخاري ومسلم.

من أشراط الساعة السلام للمعرفة

قال الإمام أحمد رحمه الله (١/ ٤٠٥ ـ ٤٠٦):

حدثنا أبو النضر، ثنا شريك، عن عياش العامري، عن الأسود بن هلال، عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن من أشراط الساعة أن يُسلِّم الرجل على الرجل لا يُسلم عليه إلا للمعرفة».**

صحيح لغيره(١)

* * *

(١) ففي إسناده شريك، وهو النخعي. وفي حفظه بعض المقال، لكن للحديث طرق عن ابن مسعود، منها: ما أخرجه أحمد (١/ ٤٠٧) من طريق أبي أحمد الزبيري، ثنا بشير بن سلمان عن سيار، عن طارق بن شهاب قال: كنا عند عبد الله جلوسًا فجاء رجل فقال: قد أقيمت الصلاة، فقام وقمنا معه، فلما دخلنا المسجد رأينا الناس ركوعًا في مقدم المسجد، فكبَّر وركع وركعنا، ثم مشينا وصنعنا مثل الذي صنع، فمرَّ رجل يسرع فقال: السلام عليك يا أبا عبد الرحمن. فقال: صدق الله ورسوله. فلما صلينا ورجعنا دخل على أهله جلسنا فقال بعضنا لبعض: أما سمعتم ردَّه على الرجل: صدق الله وبلَّغت رُسُله، أيكم يسأله؟ فقال طارق: أنا أسأله. فسأله حين خرج. فذكر عن النبي ﷺ: «إن بين يدي الساعة تسليم الخاصة، وفشوَ التجار؛ حتى تعين المرأة زوجها على التجارة، وقطع الأرحام، وشهادة الزور، وكتمان شهادة الحق، وظهور القلم».

وإسناده صحيح، إلا أن فيه «سيار» وقد اختلف فيه هل هو سيار أبو حمزة، أو سيار أبو الحكم؟ فجزم بعض أهل العلم أنه سيار أبو حمزة، (وحديثه لا يرتقي للحسن، لكنه يصلح في الشواهد)، ووقع عند أحمد (١/ ٤١٩) أنه «سيار أبو الحكم» وهو ثقة.

وعلى كل حال، فالحديث يصلح في الشواهد على أدنى الأحوال، والله أعلم.

إبل للشياطين وبيوت للشياطين بين يدي الساعة

قال أبو داود رحمه الله (٢٥٦٨):

حدثنا محمد بن رافع، حدثنا ابن أبي فديك، حدثني عبد اللَّه بن أبي يحيىٰ، عن سعيد بن أبي هند قال: قال أبو هريرة: قال رسول اللَّه ﷺ: «**تكون إبلٌ للشياطين، وبيوتٌ للشياطين، فأما إبل الشياطين فقد رأيتُها يخرج أحدكم بجنيبات معه قد أسنمها، فلا يعلو بعيراً منها، ويمر أخيه قد انقطع به فلا يحمله، وأما بيوت الشياطين فلم أرها**».

صحيح

كان سعيد يقول: لا أراها إلا هذه الأقفاص التي يستر الناس بالديباج[1].

* * *

(١) وحمل الشيخ ناصر «بيوت الشياطين» علىٰ أنها السيارات.

التطاول في البنيان من أشراط الساعة

قال الإمام البخاري رحمه اللَّه (٤٧٧٧):

حدثني إسحاق، عن جرير، عن أبي حيان، عن أبي زرعة، عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه أن رسول اللَّه ﷺ كان يومًا بارزًا للناس إذ أتاه رجلٌ يمشي فقال: يا رسول اللَّه، ما الإيمان؟ قال: **«الإيمان: أن تؤمن باللَّه وملائكته ورسله ولقائه وتؤمن بالبعث الآخر»**.

قال: ما الإسلام؟ قال: **«الإسلام أن تعبد اللَّه ولا تشرك به شيئًا، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان»**.

قال: يا رسول اللَّه، ما الإحسان؟ قال: **«الإحسان أن تعبد اللَّه كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك»**.

قال: يا رسول اللَّه، متى الساعة؟ قال: **«ما المسئول عنها بأعلم من السائل، ولكن سأحدثك عن أشراطها**(١)**: إذا ولدت المرأة ربتها**(٢) **فذاك من أشراطها،**

---

(١) «الأشراط» هي: الأمارات والعلامات.

قال القرطبي (نقلاً عنه من «الفتح» ١/ ١٢١): (علامات الساعة على قسمين ما يكون من نوع المعتاد أو غيره، والمذكور هنا على الأول، وأما الغير: مثل طلوع الشمس من مغربها فتلك مقاربة لها أو مضايقة).

(٢) في بعض الروايات الصحيحة: ربها، والمراد به: سيدها ومالكها، ولأهل العلم في تفسير هذا القدر من الحديث أقوال: أشهرها ما نقله النووي عن أكثر العلماء أن المراد هو: الإخبار عن كثرة السراري - أي: الإماء - وأولادهن، فإن ولدها من سيدها بمنزلة سيدها؛ لأن مال الإنسان صائر إلى ولده، وقد يتصرف فيه في الحال تصرف المالكين، إما بتصريح أبيه له بالإذن، وإما بما يعلمه بقرينة الحال أو عرف الاستعمال.

وذكره الخطابي في «معالم السنن» (٥/ ٧١) بأسلوب آخر فقال: (وقوله: «وأن تلد الأمة ربتها» =

وإذا كان الحفاة العراة رءوس الناس[(١)] فذاك من أشراطها في خمس لا

معناه: أن يتسع الإسلام ويكثر السبي ويستولد الناس أمهات الأولاد فتكون ابنة الرجل من أمته في معنى السيدة لأمها إذا كانت مملوكة لأبيها، وملك الأب راجع في التقدير إلى الولد).

لكن قد تعقب الحافظ ابن حجر هذا القول في «فتح الباري» (١/ ١٢٢)، فقال بعد أن أورد هذا القول: (لكن في كونه المراد نظر؛ لأن استيلاد الإماء كان موجودًا حين المقالة، والاستيلاء على بلاد الشرك وسبي ذراريهم واتخاذهم سراري وقع أكثره في صدر الإسلام، وسياق الكلام يقتضي الإشارة إلى وقوع ما لم يقع مما سيقع قرب قيام الساعة).

والقول الثاني ذكره النووي (١/ ١٣٤) «شرح مسلم»: (أن معناه: أنه تفسد أحوال الناس، فيكثر بيع أمهات الأولاد في آخر الزمان، فيكثر ترددها في أيدي المشترين حتى يشتريها ابنها ولا يدري، ويحتمل على هذا القول أن لا يختص هذا بأمهات الأولاد فإنه متصور في غيرهن، فإن الأمة تلد ولدًا حرًا من غير سيدها بشبهة، أو ولدًا رقيقًا بنكاح أو زنا، ثم تباع الأمة في الصورتين بيعًا صحيحًا، وتدور في الأيدي حتى يشتريها ولدها، وهذا أكثر وأعم من تقديره في أمهات الأولاد).

قلت: وهذا القول الثاني أقوى من غيره. والله أعلم.

(١) في رواية البخاري (٥٠): «وإذا تطاول رعاة الإبل البُهم في البنيان».

أما معناها: فقال ابن حجر في «الفتح» (١/ ١٢٣): (وميم «البُهم» في رواية البخاري يجوز ضمها على أنها صفة الرعاة، ويجوز الكسر على أنها صفة الإبل - يعني: الإبل السود -، وقيل: إنها شر الألوان عندهم، وخيرها الحمر التي ضرب بها المثل فقيل: «خير من حمر النعم»، ووصف الرعاة بالبُهم إما لأنهم مجهولو الأنساب، ومنه «أبهم الأمر فهو مبهم» إذا لم تعرف حقيقته، وقال القرطبي: الأولى: أن يحمل على أنه سود الألوان؛ لأن الأدمة غالب ألوانهم، وقيل: معناه أنه لا شيء لهم، كقوله ﷺ: «يحشر الناس حفاة عراة بهمًا»، قال: وفيه نظر؛ لأنه قد نسب لهم الإبل، فكيف يقال: لا شيء لهم؟! قلت: يحتمل على أنها إضافة اختصاص لا مِلك، وهذا هو الغالب أن الراعي يرعى لغيره بالأجرة، وأما المالك فقلَّ أن يباشر الرعي بنفسه.

قلت: وفي رواية مسلم: «وإذا تطاول رعاء البهم...» قال النووي: وهي الصغار من أولاد الغنم، الضأن والمعز جميعًا.

يعلمهن إلا الله(١) ﴿إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ﴾.

ثم انصرف الرجل، فقال: «ردوا عليَّ» فأخذوا ليردُّوا فلم يروا شيئًا، فقال: «هذا جبريل جاء ليعلِّم الناس دينهم».

صحيح

وأخرجه مسلم (٩)، وابن ماجه (٦٤).

= ثم قال الحافظ ابن حجر: (وقوله: «وإذا كان الحفاة العراة» زاد الإسماعيلي في روايته: «الصم البكم»، وقيل لهم ذلك مبالغة في وصفهم بالجهل، أي: لم يستعملوا أسماعهم ولا أبصارهم في الشيء من أمر دينهم، وإن كانت حواسهم سليمة، قوله: «رءوس الناس»: أي ملوك الأرض، وصرح به الإسماعيلي، وفي رواية أبي فروة مثله، والمراد بهم: أهل البادية، كما صرح به في رواية سليمان التيمي وغيره. قال: «ما الحفاة العراة؟ قال: العُريب»، وهو بالعين المهملة على التصغير، وفي الطبراني من طريق أبي جمرة عن ابن عباس مرفوعًا: «من انقلاب الدِّين تفصح النبط، واتخاذهم القصور في الأمصار»(*).

قال القرطبي: المقصود: الإخبار عن تبدل الحال، بأن يستولي أهل البادية على الأمر ويتملكوا البلاد بالقهر، فتكثر أموالهم وتنصرف هممهم إلى تشييد البنيان والتفاخر به، وقد شاهدنا ذلك في هذه الأزمان.

ومنه الحديث الآخر: «لا تقوم الساعة حتى يكون أسعد الناس بالدنيا لُكع ابن لُكع»، ومنه: «إذا وُسِّد الأمر إلى غير أهله فانتظروا الساعة»، وكلاهما في «الصحيح»).

(١) أي: أن علم الساعة داخل في هذه الخمس التي لا يعلمها إلا الله.

(*) هذا الحديث منكر ذكر ذلك ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٦/ ٢٩٥) عن أبيه فقال: سألت أبي عن عمران بن تمام - أحد رجال إسناد هذا الحديث، فالحديث عند الطبراني في «الكبير» (١٢٩٤٥) -؟ فقال: كان عندي مستورًا إلى أن حدَّث عن أبي جمرة عن ابن عباس عن النبي ﷺ بحديث منكر أنه قال: «من إكفاء الدين تفصح النبط واتخاذ القصور في الأمصار». قال الحافظ في «لسان الميزان» (٤/ ٤٣) بعد ذكره هذا الكلام: «يعني: فافتضح» - أي: أن عمران افتضح أمره لما حدَّث بهذا الحديث -، وانظر أيضًا: «ميزان الاعتدال» (٣/ ٢٣٥).

قال الإمام مسلم (٨):

حدثني أبو خيثمة زهير بن حرب، حدثنا وكيع، عن كهمس، عن عبد اللَّه بن بريدة، عن يحيىٰ بن يعمر /ح/ .

وحدثنا عبيد اللَّه بن معاذ العنبري - وهذا حديثه -، حدثنا أبي، حدثنا كهمس، عن ابن بريدة، عن يحيىٰ بن يعمر قال: كان أول من قال في القدر بالبصرة معبد الجهني، فانطلقت أنا وحميد بن عبد الرحمن الحميري حاجَّين أو معتمرَيْن، فقلنا: لو لقينا أحدًا من أصحاب رسول اللَّه ﷺ فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر؟ فُوفِّق لنا عبد اللَّه بن عمر بن الخطاب داخلاً المسجد، فاكتنفتُه أنا وصاحبي، أحدنا عن يمينه والآخر عن شماله، فظننتُ أن صاحبي سيكل الكلام إليَّ. فقلت: يا أبا عبد الرحمن، إنه قد ظهر قبلنا ناس يقرءون القرآن ويتقفَّرون العلم - وذكر من شأنهم وأنهم يزعمون أن لا قدر وأن الأمر أُنُف؟

قال: فإذا لقيتَ أولئك فأخبرهم أني بريء منهم وأنهم براء مني، والذي يحلفُ به عبد اللَّه بن عمر، لو أن لأحدهم مثل أُحُد ذهبًا فأنفقه ما قبل اللَّه منه حتىٰ يؤمن بالقدر.

ثم قال: حدثني أبي عمر بن الخطاب قال: بينما نحن عند رسول اللَّه ﷺ ذات يوم، إذْ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يُرىٰ عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد، حتىٰ جلس إلىٰ النبي ﷺ فأسْند ركبتيه إلىٰ رُكبتيه، ووضع كَفَّيه علىٰ فخذيه، وقال: يا محمد، أخبرني عن الإسلام؟

فقال رسول اللَّه ﷺ: «**الإسلام: أن تشهد أن لا إله إلا اللَّه، وأن محمدًا رسولُ اللَّه، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيتَ إن**

استطعت إليه سبيلاً».

قال: صدقت - قال: فعجبنا له يسأله ويُصدقه - قال: فأخبرني عن الإيمان؟ قال: «**أن تؤمن باللَّه وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره**».

قال: صدقت. قال: فأخبرني عن الإحسان. قال: «**أن تعبد اللَّه كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك**».

قال: فأخبرني عن الساعة. قال: «**ما المسئول عنها بأعلم من السائل**».

قال: فأخبرني عن أماراتها. قال: «**أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان**».

قال: ثم انطلقَ. فلبثتُ مَليًا. ثم قال: «**يا عمر، أتدري من السائل؟**».

قلت: اللَّه ورسوله أعلم.

قال: «**فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم**».

صحيح

وأخرجه أبو داود (٤٦٩٥)، والترمذي (٢٦١٠)، وقال: هذا حديث حسن صحيح، والنسائي (٨/ ٩٧ - ٩٨)، وابن ماجه (٦٣).

* * *

كثرة المال وعودة جزيرة العرب مروجًا وأنهارًا بين يدي الساعة

قال الإمام مسلم رحمه الله (١٥٧):

وحدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا يعقوب - وهو ابن عبد الرحمن القاري - عن سهيل عن أبيه، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تقوم الساعة حتى يكثر المال ويفيض، حتي يخرج الرجل بزكاة ماله فلا يجد أحدًا يقبلها منه، وحتى تعود أرض العرب مروجًا[١] وأنهارًا**».

صحيح

قال الإمام البخاري رحمه الله (١٤١٢):

حدثنا أبو اليمان، أخبرنا شعيب، حدثنا أبو الزناد، عن عبد الرحمن، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتى يكثر فيكم المال فيفيض، حتى يهمّ رب[٢] المال من يقبل صدقته، وحتى يعرضه فيقول الذي يعرضه عليه: لا أَرَبَ لي[٣]**».

صحيح:

وأخرجه مسلم من طريقين آخرين عن أبي هريرة مرفوعًا (١٥٧).

---

(١) المروج: هي الأراضي ذات الكلأ التي ترعى فيها الدواب وتكون نباتاتها كثيرة.

(٢) «رب المال»: أي صاحب المال.

(٣) «لا أرب لي فيه»: أي لا حاجة لي فيه.

قال الإمام مسلم رحمه اللَّه (٢٩١٤):

حدثنا نصر بن علي الجهضمي، حدثنا بشر - يعني: ابن المفضل / ح/ . وحدثنا عليّ بن حجر السعدي، حدثنا إسماعيل - يعني: ابن علية - كلاهما: عن سعيد بن يزيد عن أبي نضرة، عن أبي سعيد قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**من خلفائكم خليفة يحثو المال حثيًا لا يعده عددًا**».

صحيح

قال الإمام مسلم رحمه اللَّه (٢٩١٣):

حدثنا زهير بن حرب وعليّ بن حجر - واللفظ لزهير - قالا: حدثنا إسماعيل بن إبراهيم، عن الجريري، عن أبي نضرة قال: كنا عند جابر بن عبد اللَّه فقال: يوشك أهل العراق أن لا يجبى إليهم قفيز ولا درهم.

قلنا: من أين ذاك؟ قال: من قِبل العجم، يمنعون ذاك.

ثم قال: يوشك أهل الشام أن لا يُجبى إليه دينار ولا مدىٌ. قلنا: من أين ذاك؟ قال: من قبل الروم.

ثم أَسْكَتَ هنيهة ثم قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**يكون في آخر أمتي خليفة يحثي[1] المال حثيًا لا يعده عددًا**».

صحيح

قال: قلت لأبي نضرة وأبي العلاء: أترَيان أنه عمر بن عبد العزيز؟ فقالا: لا.

---

(١) الحثو: هو الحفْن باليدين، وإنما يفعل الخليفة ذلك لكثرة الغنائم والفتوحات والأموال مع سخاء نفسه.

قال الإمام مسلم رحمه الله (١٠١٣):

وحدثنا واصل بن عبد الأعلى وأبو كريب ومحمد بن يزيد الرفاعي - واللفظ لواصل -، قالوا: حدثنا محمد بن فضيل، عن أبيه، عن أبي حازم، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**تقيء الأرض أفلاذ**[١] **كبدها أمثال الأُسطوان من الذهب والفضة، فيجيء القاتل فيقول: في هذا**[٢] **قَتلتُ، ويجيء القاطع فيقول: في هذا قَطعت رحمي. ويجيء السارق فيقول: في هذا قُطعت يدي. ثم يَدَعُونه فلا يأخذون منه شيئًا**».

صحيح

وأخرجه الترمذي (٢٢٠٨)، وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب؛ لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

* * *

(١) قال النووي: («الأفلاذ» جمع فلذ ككتف، و«الفلذ»: جمع فلذة، وهي قطعة من الكبد مقطوعة طولاً، وخصَّ الكبد لأنها من أطايب الجزور، ومعنى الحديث: أنها تخرج ما في جوفها من القطع المدفونة فيها).

(٢) في هذا: أي من أجل هذا.

فُشو التجارة من أشراط الساعة

قال الإمام النسائي رحمه اللَّه (٧/ ٢٤٤):

أخبرنا عمرو بن علي قال: أنبأنا وهب بن جرير قال: حدثني أبي، عن يونس، عن الحسن[(١)] ، عن عمرو بن تَغلب قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**إن من أشراط الساعة: أن يفشو المال ويكثر، وتفشو التجارة، ويظهر العلم**[(٢)] ، **ويبيع الرجل البيع فيقول: لا حتى أستأمر تاجر بني فلان. ويلتمس في الحي العظيم الكاتب فلا يوجد**».

صحيح

* * *

---

(١) والحسن: مدلس وقد عنعن، إلا أن للحديث شواهد.

فأخرج أحمد (١/ ٤٠٧، ٤١٩ ـ ٤٢٠) من طريق: سيار، عن طارق بن شهاب قال: كنا عند عبد اللَّه جلوسًا، فجاء رجل فقال: قد أقيمت الصلاة فقام وقمنا معه، فلما دخلنا المسجد رأينا الناس ركوعًا في مقدم المسجد، فكبَّر وركع وركعنا، ثم مشينا وصنعنا مثل الذي صنع، فمرّ رجل يسرع فقال: عليك السلام يا أبا عبد الرحمن. فقال: صدق اللَّه ورسوله. فلمَّا صلينا ورجعنا دخل إلى أهله جلسنا، فقال بعضنا لبعض: أما سمعتم ردَّه على الرجل: «صدق اللَّه وبلَّغت رسله»؛ أيكم يسأله؟ فقال طارق: أنا أسأله. فسأله حين خرج فذكر عن النبي ﷺ: «إن بين يدي الساعة: تسليم الخاصة، وفشو التجارة حتى تعين المرأة زوجها على التجارة، وقطع الأرحام، وشهادة الزور، وكتمان شهادة الحق، وظهور القلم».

وهذا الشاهد رجاله ثقات، إلا أنه اختلف في «سيار» هل هو أبو الحكم أو سيار أبو حمزة؟ وقد وقع عند أحمد (١/ ٤١٩): سيار أبو الحكم، إلا أن الخلاف ما زال قائمًا.

وعلى كلٍّ؛ فأيًا كان أيهما فالحديث يصلح شاهدًا قويًا لحديث الباب. واللَّه أعلم.

(٢) قوله: (ويظهر العلم) في هذا الحديث مشكل عليَّ، إلا أن شارح النسائي فسَّره على أنه: «ويظهر الجهل» قال: بسبب اهتمام الناس بأمر الدنيا. هكذا في بعض النسخ، وفي كثير من =

كثرة الكذابين والدَّجالين بين يدي الساعة

قال الإمام مسلم رحمه اللَّه (حديث رقم ١٥٧ ص٢٢٣٩):

حدثني زهير بن حرب وإسحاق بن منصور (قال إسحاق: أخبرنا؛ وقال زهير حدثنا) عبد الرحمن - وهو ابن مهدي - عن مالك عن أبي الزناد عن الأعرج، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: **«لا تقوم الساعة حتى يُبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين، كلهم يزعمون أنه رسول اللَّه»**.

صحيح

وأخرجه البخاري (٣٦٠٩)، وأبو داود (٤٣٣٣)(١).

قال الإمام مسلم رحمه اللَّه (٢٩٢٣):

حدثنا يحيىٰ بن يحيىٰ وأبو بكر بن أبي شيبة (قال يحيىٰ: أخبرنا، وقال أبو بكر حدثنا) أبو الأحوص /ح/. وحدثنا أبو كامل الجحدري، حدثنا أبو عوانة، كلاهما: عن سماك، عن جابر بن سمرة قال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: **«إن بين يدي الساعة كذَّابين»**.

صحيح

= النسخ: «العلم»، فمعنى «يظهر»: يزول ويرتفع، أي: يذهب العلم عن وجه الأرض، واللَّه تعالىٰ أعلم.

قلت: ولي وجه آخر، وهو: أن قوله: «يظهر العلم» أي: يظهر العلم بعلوم الدنيا ومتعلقاتها كالتجارة وما شابه ذلك. والعلم عند اللَّه تعالىٰ.

(١) وعند أبي داود (٤٣٣٥) من طريق عبيد اللَّه بن الجراح، عن جرير، عن مغيرة، عن إبراهيم قال: قال عبيدة السلماني - بهذا الخبر، قال: فذكر نحوه، فقلت له: أترىٰ هذا منهم؟ يعني: المختار - قلت: وهو: ابن أبي عبيد الثقفي - فقال عبيدة: أما إنه من الرءوس.

وزاد في حديث أبي الأحوص: «قال: فقلت له: آنت سمعت هذا من رسول الله ﷺ؟ قال: نعم».

وحدثني ابن المثنى وابن بشار قالا: حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، عن سماك ـ بهذا الإسناد مثله.

قال سماك: وسمعت أخي يقول: قال جابر: «فاحذروهم».

قال ابن حبان رحمه الله «موارد الظمآن» (١٨٩٣):

أخبرنا الحسن بن سفيان، حدثنا الحسن بن الصباح البزار، حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم، أخبرني إبراهيم بن عقيل بن معقل، عن أبيه، عن وهب بن منبه، عن جابر بن عبد الله قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**إن بين يدي الساعة كذَّابين، منهم صاحب اليمامة، ومنهم صاحب صنعاء العَنسي، ومنهم صاحب حِمْيَر، ومنهم الدجال وهو أعظمهم فتنة**».

قال: وقال أصحابي: هُم قريب من ثلاثين كذابًا.

صحيح

* * *

تقارب الأسواق بين يدي الساعة

قال ابن حبان رحمه اللّه (١٨٨٢):

أخبرنا عبد اللّه بن محمد الأزدي، حدثنا إسحاق بن إبراهيم، أنبأنا عثمان بن عمر، حدثنا ابن أبي ذئب، عن سعيد بن سمعان، عن أبي هريرة، عن رسول اللّه ﷺ قال: «**يوشك أن لا تقوم الساعة حتى يُقبضَ العلمُ، وتَظهرَ الفتنُ، ويكثرَ الكذبُ، ويتقاربَ الزمانُ، وتتقاربَ الأسواقُ**».

صحيح

* * *

تقارب الزمان من أشراط الساعة

قال الإمام البخاري رحمه الله (١٠٣٦):

حدثنا أبو اليمان قال: أخبرنا شعيب قال: أخبرنا أبو الزناد، عن عبد الرحمن الأعرج، عن أبي هريرة قال: قال النبي ﷺ: **«لا تقوم الساعة حتى يُقبض العلم، وتكثر الزلازلُ، ويتقاربُ الزمان[1]، وتظهر الفتن، ويَكثُرُ الهرجُ** - وهو القتل - **حتى يكثر فيكم المال فيفيض»**.

صحيح

---

(١) ورد في تفسير قوله عليه الصلاة والسلام: «ويتقارب الزمان» جملةُ أقوالٍ، نذكر منها ما يلي:

١ - نزع البركة من كل شيء حتى من الزمان، وذلك من علامات قرب قيام الساعة، فيصير الانتفاع باليوم كالانتفاع بالساعة الواحدة.

٢ - المراد بتقارب الزمان: استواء الليل والنهار.

٣ - قرب يوم القيامة، واستدلوا لذلك بحديث رسول الله ﷺ: «إذا اقترب الزمان لم تكد رؤيا المؤمن تكذب».

٤ - المراد: تقارب أهل ذلك الزمان في الشر والفساد والجهل.

٥ - تسارع الدول إلى الفناء والانقضاء والزوال، فلا تطول مددهم لكثرة الفتن.

٦ - (قال الخطابي هو من استلذاذ العيش. يريد - والله أعلم - أنه يقع عند خروج المهدي ووقوع الأمنة في الأرض وغلبة العدل فيها، فيستلذ العيش عند ذلك وتستقصر مدته، وما زال الناس يستقصرون مدة أيام الرخاء وإن طالت ويستطيلون مدة المكروه وإن قصرت.

وتعقب هذا بقول الكرماني: إن هذا لا يناسب أخواته من ظهور الفتن وكثرة الهرج وغيرها). نقله عنهما الحافظ في «الفتح» (١٣/ ١٦).

٧ - المراد: قصر الزمان، ويؤيده الحديث الآتي قريبًا.

٨ - ما ذكره الشيخ عبد العزيز بن باز - رحمه الله - في تعليقه على «فتح الباري» (٢/ ٥٢٢):

أن التقارب المذكور في الحديث يفسَّر بما وقع في هذا العصر من تقارب ما بين المدن =

= والأقاليم، وقصَر زمن المسافة بينها بسبب اختراع الطائرات والسيارات والإذاعة وما إلى ذلك والله أعلم.

قوله عليه الصلاة والسلام: «ويلقى الشح».

أما معنى «الشح»: فقال بعض أهل العلم: إنه البخل. وقال آخرون: إنه البخل مع الحرص. وقال غيرهم: الشح أشد من البخل، وهو أبلغ في المنع من البخل، وقيل: البخل في أفراد الأمور وآحادها والشح عام، وقيل: البخل بالمال، والشح بالمال والمعروف. انظر «اللسان» (ص ٢٢٠٥).

قال الحافظ في «الفتح» (١٠/ ٤٥٩): (واختلف في ضبط «يلقى» فالأكثر على أنه بسكون اللام، أي: يوضع في القلوب فيكثر، وهو على هذا بالرفع، وقيل: بفتح اللام وتشديد القاف، أي: يعطي القلوب الشح، وهو على هذا بالنصب، حكاه صاحب «المطالع».

وقال الحميدي: لم تضبط الرواة هذا الحرف، ويحتمل أن يكون «تلقَّى» بالتشديد، أي: يتلقى ويتواصى به ويدعوه إليه، من قوله: ﴿ولا يلقاها إلا الصابرون﴾ أي: ما يعلمها وينبِّه عليها.

قال: ولو قيل: «يلقى» مخففة لكان بعيدًا؛ لأنه لو ألقي لترك وكان مدحًا، والحديث مساق للذم، ولو كان بالفاء بمعنى «يوجد» لم يستقم؛ لأنه لم يزل موجودًا). اهـ.

وقال رحمه الله «الفتح» (١٣/ ١٧): (وأما قوله: «ويلقى الشح» فالمراد: إلقاؤه في قلوب الناس على اختلاف أحوالهم، حتى يبخل العالم بعلمه فيترك التعليم والفتوى، ويبخل الصانع بصناعته حتى يترك تعليم غيره، ويبخل الغني بماله حتى يهلك الفقير، وليس المراد «وجود»، والذي يبدو: «إلقاء» أصل الشح؛ لأنه لم يزل موجودًا).

ثم قال رحمه الله: (وقال القرطبي في «التذكرة»: يجوز أن يكون «يلقي» بتخفيف اللام والقاف، أي يترك لأجل كثرة المال وإفاضته، حتى يهمَّ ذو المال من يقبل صدقته فلا يجد، ولا يجوز أن يكون بمعنى «يوجد»؛ لأنه ما زال موجودًا. كذا جزم به. قال: وقد تقدم ما يرد عليه).

ثم قال رحمه الله: (قال ابن أبي جمرة: يحتمل أن يكون إلقاء الشح عامًا في الأشخاص، والمحذور من ذلك ما يترتب عليه مفسدة، والشحيح شرعًا: هو من يمنع ما وجب عليه، وإمساك ذلك ممحق للمال مُذهِب لبركته، ويؤيده: «ما نقص مال من صدقة»، فإن أهل المعرفة فهموا منه أن المال الذي يخرج منه حق شرعي لا تلحقه آفة ولا عاهة، بل يحصل له النماء، ومن ثَم سميت «الزكاة» لأن المال ينمو بها ويحصل فيه البركة).

قال الإمام أحمد رحمه الله (٢/ ٥٣٧):

حدثنا هاشم، ثنا زهير، حدثنا سهيل، عن أبيه، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتى يتقارب الزمان، فتكون السَّنة كالشهر، ويكون الشهر كالجُمُعة، وتكون الجمعة كاليوم، ويكون اليوم كالساعة، وتكون الساعة كالسعفة الحوصة**». زعم سهيل.

حسن[١]

وأخرجه ابن حبان «موارد الظمآن» (١٨٨٧).

❊ ❊ ❊

(١) وله شاهد من حديث أنس مرفوعًا عند الترمذي (٢٣٣٢)، وفي إسناده ضعف.

من أشراط الساعة تباهي الناس في المساجد

قال الإمام أحمد رحمه اللَّه (٣/ ١٣٤):

حدثنا عبد الصمد، حدثنا حماد - يعني: ابن سلمة - عن أيوب، عن أبي قلابة، عن أنس أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**لا تقوم الساعة حتى يتباهى الناس في المساجد**»(١).

صحيح

وأخرجه أحمد أيضًا (٣/ ١٤٥، ١٥٢، ٢٣٠، ٢٨٣)، وأبو داود (٤٤٩)، والنسائي (٢/ ٣٢)، وابن ماجه (٧٣٩)، والدارمي (١/ ٣٢٧).

* * *

---

(١) قال أبو الطيب شمس الحق العظيم أبادي «عون المعبود» (٢/ ١١٨): («حتى يتباهى الناس في المساجد» أي: يتفاخر في شأنها أو بنائها، يعني: يتفاخر كل أحد بمسجده ويقول: مسجدي أرفع أو أزينُ، أو أوسعُ، أو أحسنُ. رياءً وسمعةً واجتلابًا للمدحة.
قال ابن رسلان: هذا الحديث فيه معجزة ظاهرة؛ لإخباره ﷺ عما سيقع بعده، فإن تزويق المساجد والمباهاة بزخرفتها كثر من الملوك والأمراء في هذا الزمان بالقاهرة والشام وبيت المقدس، بأخذهم أموال الناس ظُلمًا وعمارتهم بها المدارس على شكلٍ بديعٍ. نسأل اللَّه السلامة والعافية. انتهى).
وفي هذا الباب أخرج أبو داود (٤٤٨) بسندٍ صحيح إلى ابن عباس قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «ما أمرت بتشييد المساجد». قال ابن عباس: تزخرفنَّها كما زخرفت اليهود والنصارى.
قال الخطابي: («معنى قوله: تزخرفنها: تزيننها. أصل الزخرف: الذهب، يريد تمويه المساجد بالذهب ونحوه، ومنه قولهم: «زخرف الرجل كلامه» إذا موهه وزينه بالباطل. والمعنى: أن اليهود والنصارى إنما زخرفوا المساجد عندما حرفوا وبدلوا وتركوا العمل بما في كتبهم، يقول: فأنتم تصيرون إلى مثل حالهم إذا طلبتم الدنيا بالدين وتركتم الإخلاص في العمل، وصار =

بين يدي الساعة قوم يخضبون بالسواد كحواصل الحَمَام

قال أبو داود رحمه الله (٤٢١٢):

حدثنا أبو توبة، حدثنا عبيد الله، عن عبد الكريم - الجزري -، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «**يكون قوم يخضبون**[١] **في آخر الزمان بالسواد كحواصل الحمام**[٢]**، لا يريحون رائحة الجنة**»[٣].

صحيح

وأخرجه النسائي (٨/ ١٣٨).

* * *

= أمركم إلى المراءات بالمساجد والمباهاة في تشييدها وتزيينها).
وقوله: «كما زخرفت اليهود والنصارىٰ» قال شمس الحق: (قال علي القاري: وهذا بدعة؛ لأنه لم يفعله عليه السلام، وفيه موافقة أهل الكتاب. وفي «النهاية»: «الزخرف»: النقوش والتصاوير بالذهب).

(١) «يخضبون» أي: يُغيرون الشَّعر الأبيض من الشَّيب الواقع في الرأس واللحية «بالسواد»: أي باللون الأسود.

(٢) كحواصل الحمام: قال الطيبي: معناه: كحواصل الحمام في الغالب؛ لأن حواصل بعض الحمامات ليست بسود.

(٣) هذا إما أن يكون فيه الإخبار عن قوم هذه صفتهم، أي: أنهم يعملون أعمالاً أخرىٰ تصرفهم عن الجنة، ثم إنهم أيضًا يخضبون بالسواد، أو تحمل على المستحل، أو يحمل على منعهم من دخول بعض الجنان أو جنةٍ ما في وقتٍ من الأوقات. والله تعالىٰ أعلم.
هذا وقد ورد اختلاف بين العلماء في مسألة الخضاب بالسواد؛ فليراجعه من شاء في رسالة شيخنا مقبل بن هادي الوادعي - رحمه الله.

إخبار النبي ﷺ بكثرة إيذاء الشرطة للناس بين يدي الساعة

قال الإمام مسلم رحمه اللّه (٢٨٥٧):

حدثنا ابن نمير، حدثنا زيد - يعني: ابن حباب -، حدثنا أفلح بن سعيد[١]، حدثنا عبد اللّه بن رافع - مولى أم سلمة -، قال: سمعت أبا هريرة يقول: قال رسول اللّه ﷺ: «**يوشك إن طالت بك مدة أن ترى قومًا في أيديهم مثل أذناب البقر يغدون في غضب اللّه، ويروحون في سخط اللّه**».

قال الحاكم رحمه اللّه (٤/ ٤٣٦):

أخبرنا أبو عبد اللّه محمد بن يعقوب الشيباني، حدثنا يحيى بن محمد بن يحيى الذهلي، ثنا مسدد، ثنا بشر بن المفضل، ثنا عبد اللّه بن بجير، ثنا سيار بن سلامة، عن أبي أمامة رضي اللّه عنه قال: قال رسول اللّه ﷺ: «**يخرج في هذه الأمة في آخر الزمان رجال معهم سياط كأنها أذناب البقر، يغدون في سخط اللّه ويروحون في غضبه**».

صحيح

قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال الذهبي: صحيح.

* * *

(١) قال الذهبي في «ميزان الاعتدال» - ترجمة: أفلح بن سعيد -: (وقال ابن حبان: يروي - أي: أفلح - عن الثقات الموضوعات، لا يحل الاحتجاج به ولا الرواية عنه بحال. وتعقَّبه الذهبي بقوله: ابن حبان ربما قصَّب الثقة، حتى كأنه لا يدري ما يخرج من رأسه، ثم إنه بيَّن مستنده، =

مطر شديد بين يدي الساعة

قال الإمام أحمد رحمه الله (٢/ ٢٦٢):

حدثنا أبو كامل وعفان قالا: حدثنا حماد، عن سهيل - قال عفان في حديثه: أنا سهيل بن أبي صالح - عن أبيه، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا تقوم الساعة حتى يمطر الناس مطرًا لا تكن منه بيوت المدر ولا تكن منه إلا بيوت الشعر»**.

إسناده حسن

* * *

= فساق حديثَ عيسى بن يونس: حدثنا أفلح بن سعيد، عن عبد الله بن رافع، عن أبي هريرة مرفوعًا «إن طالت بك مدة فسترىٰ قومًا يغدون في سخط الله ويروحون في لعنته، يحملون سياطًا مثل أذناب البقر». ثم قال: وهذا بهذا اللفظ باطل، وقد رواه سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة مرفوعًا: «اثنان من أمتي لم أرهما: رجال بأيديهم سياط مثل أذناب البقر، ونساء كاسيات عاريات».

قال الذهبي: بل حديث أفلح صحيح غريب، وهذا شاهد لمعناه.

وأورد الحافظ في «التهذيب» كلام الذهبي ثم قال: والحديث في «صحيح مسلم» من الوجهين، فمستند ابن حبان في تضعيفه مردود، وقد غفل مع ذلك - أي: ابن حبان - فذكره في الطبقة الرابعة من الثقات، وذهل ابن الجوزي فأورد الحديث من الوجهين في «الموضوعات»، وهو من أقبح ما وقع له فيها؛ فإنه قلّد فيه ابن حبان من غير تأمل.

تفسير السَّنة

قال الإمام مسلم رحمه الله (٢٩٠٤):

حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا يعقوب - يعني ابن عبد الرحمن - عن سهيل، عن أبيه، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**ليست السَّنة**(١) **بأن لا تُمطروا، ولكن السنة: أن تمطروا وتمطروا ولا تنبت الأرض شيئًا**».

صحيح

* * *

(١) المراد «بالسنة» هنا: القحط.

متى يترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟

قال ابن ماجه رحمه اللَّه (٤٠١٥):

حدثنا العباس بن الوليد الدمشقي، ثنا زيد بن يحيى بن عبيد الخزاعي، ثنا الهيثم بن حميد، ثنا أبو معبد حفص بن غيلان الرعيني، عن مكحول، عن أنس بن مالك قال: قيل: يا رسول اللَّه، متى نترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟ قال: «**إذا ظهر فيكم ما ظهر في الأمم قبلكم**».

قلنا: يا رسول اللَّه، وما ظهر في الأمم قَبْلنا؟ قال: «**الملك في صغاركم، والفاحشة في كباركم**(١)**، والعلم في رذالتكم**».

إسناده صحيح

قال زيد: تفسير معنى قول النبي ﷺ: «**والعلم في رُذالتكم**»: إذا كان العلم في الفُسَّاق.

قلت: والحديث أخرجه: أحمد (٣/ ١٨٧)، وعزاه الحافظ في «الفتح» (١٣/ ٣٠١) إلى ابن أبي خيثمة(٢).

* * *

---

(١) أي: أن الفاحشة لا تقتصر على الصغار، بل تتفشى حتى تصل إلى الكبار وتدب فيهم، والمراد بـ«الفاحشة»: الزنا، واللَّه أعلم.

(٢) وقال الحافظ في نفس المصدر: (وفي «مصنف قاسم بن أصبغ» بسند صحيح عن عمر: «فساد الدين: إذا جاء العلم من قِبل الصغير استعصى عليه الكبير، وصلاح الناس: إذا جاء العلم من قِبل الكبير تابعه عليه الصغير»، وذكر أبو عبيد: أن المراد بالصِّغر في هذا: صِغر القدر لا السِّن، واللَّه أعلم).

تمني رؤية النبي ﷺ بين يدي الساعة

قال الإمام البخاري رحمه الله (٣٥٨٧):

حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب حدثنا أبو الزناد عن الأعرج، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: . . . فذكر الحديث وفيه: **«وليأتينَّ على أحدكم زمانٌ لأن يراني أَحَبَّ إليه من أن يكون له مثل أهله وماله»**.

صحيح

* * *

= هذا واللفظ الذي عزاه الحافظ في «الفتح» لابن أبي خيثمة هو: «إذا ظهر فيكم ما ظهر في بني إسرائيل؛ إذا ظهر الادّهان في خياركم والفحش في شراركم والملك في صغاركم والفقه في رُذَّالكم».

هذا وقد أُعل هذا الحديث بعلة غير قادحة، فقال ابن أبي حاتم في «العلل» (٢/ ٤١٢) رقم (٢٧٤٥): سألت أبي عن حديثٍ رواه الحكم بن موسى، عن الهيثم بن حميد، عن حفص، عن مكحول، عن أنس قال: يا رسول الله؛ متى يُترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟ فقال: «إذا كان العلم في رُذَّالكم» - فذكر الحديث. قال أبي: حدثني العباس بن الوليد بن مريد بعلةِ هذا الحديث وخلافه في الإسناد. قال أبي: حدثني العباس بن الوليد، قال: حدثني أبي، قال: حدثنا أبو مطيع معاوية بن يحيى، عن زيد بن واقد، عن مكحول، عن كثير بن مُرة، عن رجلٍ من أصحاب النبي ﷺ، قيل: يا رسول الله، متى يترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟ قال أبي: فكان هذا أشبه من ذاك.

قلت (والقائل مصطفى): والعلة فَحواها: أن مكحولاً اختلف عليه في الحديث فرواه مرةً عن أنس كما في حديث الباب، ورواه مرةً عن كثير بن مرة عن رجل من أصحاب النبي ﷺ: «قيل: يا رسول الله، . . .»، وهذا خلافٌ لا يضر، فالطريق إلى مكحول عن كثير بن مُرة عن رجلٍ من أصحاب النبي ﷺ صحيحة أيضًا، و«كثير» نفسه ثقة، وجهالة الصحابي لا تضر، فعليه فأيُّ الطريقين كانت راجحة فإسنادها صحيح. والله تعالى أعلم.

الحث على المبادرة بالأعمال الصالحة قبل نزول الفتن

قال الإمام مسلم رحمه الله (١١٨):

حدثني يحيى بن أيوب وقتيبة وابن حجر جميعًا، عن إسماعيل بن جعفر قال ابن أيوب: حدثنا إسماعيل قال: أخبرني العلاء عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**بادروا بالأعمال فتنًا كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مؤمنًا ويمسي كافرًا، أو يمسي مؤمنًا ويصبح كافرًا، يبيع دينه بعرضٍ من الدنيا**»(١)

صحيح

قال الإمام البخاري رحمه الله (٧١٢٠):

حدثنا مسدد، حدثنا يحيى، عن شعبة، حدثنا معبد: سمعت حارثة بن وهب قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**تصدَّقوا، فسيأتي على الناس زمان يمشي الرجل بصدقته فلا يجد من يقبلها**»(٢).

صحيح

قال مسدد: «حارثة» أخو عبيد الله بن عمر لأمه. قاله أبو عبد الله.

وأخرجه مسلم (١٠١١)، والنسائي (٥/ ٧٧).

---

(١) قال النووي رحمه الله «شرح مسلم» (١/ ٣٢٠): (معنى الحديث: الحث على المبادرة إلى الأعمال الصالحة قبل تعذرها، والاشتغال عنها بما يحدث من الفتن الشاغلة المتكاثرة المتراكمة، كتراكم ظلام الليل المظلم لا المقمر، ووصف ﷺ نوعًا من شدائد تلك الفتن وهو: «أنه يمسي مؤمنًا ثم يصبح كافرًا» أو عكسه - شك الراوي -، وهذا لِعظَم الفتن؛ ينقلبُ الإنسان في اليوم الواحد هذا الانقلاب، والله أعلم).

(٢) في بعض الروايات في «الصحيحين» من الزيادة: «يقول الرجل: لو جئتَ بها بالأمس لقبلتُها، فأما اليوم فلا حاجة لي بها».

قال ابن حبان رحمه اللَّه «موارد الظمآن» (١٨٨٨):

أخبرنا عمر بن محمد الهمداني، حدثنا عبد اللَّه بن سعد بن إبراهيم، حدثنا عَمِّي، حدثنا أبي، عن صالح بن كيسان، عن الزهري، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«لا تقوم الساعة حتى تكون السجدة الواحدة خيرًا من الدنيا وما فيها»**.

صحيح

* * *

= قال الحافظ في «الفتح» (٣/ ٢٨٢): (والظاهر: أن ذلك يقع في زمن كثرة المال وفيه قرب الساعة كما قال ابن بطال).

وأورد الحافظ احتمالات للزمان الذي يقع فيه هذا ـ «الفتح» (١٣/ ٨٢) ـ فقال رحمه اللَّه: (إن ذلك يقع في الزمان الذي يستغني فيه الناس عن المال، إما لاشتغال كل منهم بنفسه عند طروق الفتنة، فلا يلوي على الأهل فضلاً عن المال، وذلك في زمن الدجال، وإما بحصول الأمن المفرط والعدل البالغ، بحيث يستغني كل أحد بما عنده عما في يد غيره، وذلك في زمن المهدي وعيسى ابن مريم، وإما عند خروج النار التي تسوقهم إلى المحشر، فيعز حينئذ الظَّهر، وتباع الحديقة بالبعير الواحد، ولا يلتفت أحد حينئذ إلى ما يثقله من المال، بل يقصد نجاة نفسه ومن يقدر عليه من ولده وأهله، وهذا أظهر الاحتمالات وهو المناسب لصنيع البخاري. والعلم عند اللَّه تعالى).

وقال رحمه اللَّه: (قوله: «يمشي الرجل بصدقته فلا يجد من يقبلها» يحتمل أن يكون ذلك وقع كما ذكر).

كثرة الفتن من أشراط الساعة

قال الإمام البخاري رحمه الله (١٠٣٦):

حدثنا أبو اليمان، قال: أخبرنا شعيب قال: أخبرنا أبو الزناد، عن عبد الرحمن الأعرج، عن أبي هريرة قال: قال النبي ﷺ: **«لا تقوم الساعة حتى يُقبض العلمُ، وتكثرُ الزلازلُ، ويتقاربَ الزمانُ، وتظهر الفتنُ، ويكثرَ الهرجُ** - وهو: القتل القتل - **حتى يكثر فيكم المال فيفيض».**

صحيح

تقدم تخريجه.

* * *

كثرة القتل من أشراط الساعة

قال الإمام البخاري رحمه الله (٦٠٣٧):

حدثنا أبو اليمان، أخبرنا شعيب، عن الزهري، قال: أخبرني حميد بن عبد الرحمن، أن أبا هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«يتقارب الزمان، وينقص العمل، ويلقى الشح، ويكثر الهرج»**.

قالوا: وما الهرج[1]؟ قال: **«القتل القتل»**.

صحيح

وأخرجه مسلم (١٥٧)، وأبو داود (٤٢٥٥).

(١) هذه الرواية صريحة في تفسير «الهرج» هنا بأنه: القتل، وقد ورد ذلك في عدد من الروايات المرفوعة إلى رسول الله ﷺ.

وفي «اللسان»: (وأصل الهرج: الكثرة في المشي والاتساع، وأورد له هناك جملة معاني؛ منها: القتل، ومنها: شدة القتل وكثرته، ومنها: الاختلاط، ومنها: الفتنة في آخر الزمان، ومنها: كثرة الجماع والنكاح، ومنه حديث أبي الدرداء: «يتهارجون تهارج البهائم» أي: يتسافدون، ومنها: كثرة الكذب وكثرة النوم).

هذا وقد ورد في تفسير الهرج ما أخرجه أحمد (٤/ ٩٠) والطبراني في «الكبير» (٣٨٤١) من طريق: أبي وائل، عن عزرة بن قيس قال: قال خالد بن الوليد: كتب إليَّ عمر بن الخطاب أمير المؤمنين رضي الله عنه حين ألقى الشام بَوَانِيَهُ بَثْنِيةً وعسلاً، فأمرني أن أسير إلى الهند ـ قال: والهند في أنفسنا يومئذٍ البصرة ـ، وأنا لذلك كاره. قال: فقام رجل فقال: يا أبا سليمان، اتق الله عز وجل، فإن الفتن قد ظهرت.

قال: وابن الخطاب حيّ؟! إنما يكون ذلك بعده والناس بذي بليان ـ وذي بليان بمكان كذا وكذا ـ فينظر الرجل فيتفكر هل يجد مكانًا لم ينزل به مثل الذي نزل بمكانه الذي هو من الفتنة والشر فلا يجده.

قال: وأولئك الأيام التي ذكر رسول الله ﷺ: «بين يدي الساعة: أيام الهرج».

فنعوذ بالله أن تدركنا وإياكم هذه الأيام.

قال الإمام البخاري رحمه الله (٧٠٦٢، ٧٠٦٣):

حدثنا مسدد، حدثنا عبيد الله بن موسى، عن الأعمش، عن شقيق قال: كنت مع عبد الله وأبي موسى، فقالا: قال النبي ﷺ: «**إن بين يدي الساعة لأيامًا؛ ينزل فيها الجهلُ، ويُرفع فيها العلمُ، ويكثر فيها الهرج. والهرجُ: القتل**».

صحيح

وأخرجه مسلم (٢٦٧٢)، وابن ماجه (٤٠٥٠، ٤٠٥١)، والترمذي من حديث أبي موسى (٢٢٠٠) وقال: وهذا حديث صحيح.

* * *

= وقد حسَّن الحافظ ابن حجر إسناد هذا الأثر في «الفتح» (١٣/ ١٥)، وهذا غريب منه؛ ففي إسناده «عزرة بن قيس» وهو مجهول، وقد ترجمه الحافظ في «اللسان» (٤/ ١٦٧)، وقال الطبراني في «الكبير» (٤/ ١١٦): «لم يخرج عزرة بن قيس عن خالد بن الوليد».
أما مفردات هذا الحديث، فقوله: «بوَانيَةَ» أي: خيره وما فيه من السعة والنعمة. وقوله: «بَثْنِيَّة» أي: زبدًا.

كيف الهرج؟

قال ابن ماجه رحمه الله (٣٩٥٩):

حدثنا محمد بن بشار، ثنا محمد بن جعفر، ثنا عوف، عن الحسن، ثنا أسيد بن المتشمس قال: ثنا أبو موسى، حدثنا رسول الله ﷺ: **«إن بين يدي الساعة لهرجًا»**.

قال: قلت يا رسول الله، ما الهرج؟

قال: **«القتل»**.

فقال بعض المسلمين: يا رسول الله، إنا نقتل الآن في العام الواحد من المشركين كذا وكذا؟ فقال رسول الله ﷺ: **«ليس بقتل المشركين، ولكن يقتل بعضكم بعضًا، حتى يقتل الرجل جاره وابن عمه، وذا قرابته»**!

فقال بعض القوم: يا رسول الله، ومعنا عقولنا ذلك اليوم؟

فقال رسول الله ﷺ: **«لا، تُنزع عقول أكثر ذلك الزمان، ويخلف هباءٌ من الناس لا عقول لهم»**.

ثم قال الأشعري: وايم الله، إني لأظنها مُدركتي وإياكم، وايمُ الله، ما لي ولكم منها مخرج، إن أدركتنا فيما عهد إلينا نبينا ﷺ إلا أن نخرج منها كما دخلنا فيها.

حسن لغيره[1]

وأخرجه أحمد (٤/ ٤٠٦).

---

(١) ففي إسناده أسيد بن المتشمس، الذي يترجح لنا في أمره أنه مجهول، إلا أنه قد توبع؛ تابعه =

قال الإمام مسلم رحمه اللَّه (٢٩٠٨):

وحدثنا ابن أبي عمر المكي، حدثنا مروان، عن يزيد - وهو ابن كيسان -، عن أبي حازم، عن أبي هريرة قال: قال النبي ﷺ: «**والذي نفسي بيده، ليأتينَّ على الناس زمان لا يدري القاتل في أي شيء قَتل، ولا يدري المقتول على أي شيء قُتل**»![1].

صحيح

* * *

حطان بن عبد اللَّه الرقاشي عن أبي موسى أن رسول اللَّه ﷺ قال: «إن بين يدي الساعة الهرج»، قالوا: وما الهرج؟ قال: «القتل». قالوا: أكثر مما نقتل؟! إنا لنقتل كل عام أكثر من سبعين ألفًا، قال: «إنه ليس بقتلكم المشركين، ولكن قتل بعضكم بعضًا»، قالوا: ومعنا عقولنا يومئذ؟ قال: «إنه لتنزع عقول أهل ذلك الزمان ويخلف له هباء من الناس يحسب أكثرهم أنهم على شيء وليسوا على شيء» قال عفان في حديثه: قال أبو موسى: والذي نفسي بيده ما أجد لي ولكم منها مخرجًا إن أدركتني وإياكم إلا أن نخرج منها كما دخلنا فيها لم نصب منها دمًا ولا مالاً.

أخرجه أحمد (٤/ ٣٩١ـ٣٩٢، ٤١٤) من طريق حماد بن سلمة عن علي بن زيد (وهو ابن جدعان) عن حطان.. به، وعليّ بن زيد ضعيف إلا أنه يصلح للمتابعات والشواهد فيرتقي الحديث إلى الحسن واللَّه تعالى أعلم.

هذا وقد قال الدارقطني في «العلل» (٧/ ٢٣٧) بعد أن أورد أوجه الاختلاف فيه: والمحفوظ قول من قال: «عن الحسن عن أسيد بن المتشمس»، ومن قال: «عن الحسن عن حطان» فقوله غير مدفوع يحتمل أن يكون الحسن أخذه عنهما جميعًا.

قلت: فعلى هذا يصبح أحدهما متابعًا للآخر ويصبح الحديث حسنًا لغيره على ما قررناه والحمد للَّه.

(١) في رواية لمسلم: «فقيل: كيف ذلك؟ قال: الهرج، القاتل والمقتول في النار».

كثرة الموت والزلازل بين يدي الساعة

قال الإمام أحمد رحمه اللَّه (٤/ ١٠٤):

حدثنا أبو المغيرة، ثنا أرطأة - يعني ابن المنذر -، ثنا ضمرة بن حبيب، قال: ثنا سلمة بن نفيل السكوني قال: كنا جلوسًا عند رسول اللَّه ﷺ إذ قال له قائل: يا رسول اللَّه، هل أُتيتَ بطعام من السماء؟ قال: «نعم» قال: وبماذا؟ قال: «**بسخنة**». قالوا: فهل كان فيها فضل عنك؟ قال: «**نعم**». قال: فما فعل به؟ قال: «**رفع، وهو يوحى إليّ أني مكفوت غير لابث فيكم، ولستم لابثين بعدي إلا قليلاً، بل تلبثون حتى تقولوا: متى؟ وستأتون أفنادًا يفني بعضكم بعضًا، وبين يدي الساعة موتان شديد وبعده سنوات الزلازل**».

صحيح

وأخرجه أبو يعلى الموصلي في «مسنده» (١٢/ ٢٧١)، والدارمي في «سننه» (١/ ٢٩-٣٠).

* * *

تمنِّي الموت من كثرة الفتن آخر الزمان

قال الإمام مسلم رحمه اللَّه (ص٢٢٣١):

حدثنا عبد اللَّه بن عمر بن محمد بن أبان بن صالح ومحمد بن يزيد الرفاعي - واللفظ لابن أبان -، قال: حدثنا ابن فضيل، عن أبي إسماعيل[١]، عن أبي حازم، عن أبي هريرة قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**والذي نفسي بيده، لا تذهب الدنيا حتى يمر الرجل على القبر فيتمرَّغ عليه ويقول: يا ليتني كنت مكان صاحب هذا القبر. وليس به الدِّين إلا البلاء**»[٢]

صحيح

قال الإمام البخاري رحمه اللَّه (٧١١٥):

حدثنا إسماعيل، حدثني مالك، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه، عن النبي ﷺ قال: «**لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول: يا ليتني مكانه**»[٣].

صحيح

---

(١) اختار المزي - كما في «تحفة الأشراف» - أن «أبا إسماعيل» هو: بشير بن إسماعيل.

(٢) أي: أن الحامل له على تمني الموت ليس الخوف على دينه، إنما هو كثرة الفتن والمحن وسائر الضراء. وفي أبواب المخرج من الفتنة قد فصَّلنا القول في هذا الموضوع؛ فراجعه في هذا الكتاب.

(٣) قال الحافظ في «الفتح» (١٣/ ٧٥): (قال ابن بطال: تَغبُّط أهل القبور وتمنِّي الموت عند ظهور الفتن إنما هو خوف ذهاب الدين بغلبة الباطل وأهله وظهور المعاصي والمنكر. انتهى. وليس هذا عامًا في حق كل أحد، وإنما هو خاص بأهل الخير، وأما غيرهم فقد يكون لما يقع لأحدهم من المصيبة في نفسه أو أهله أو دنياه، وإن لم يكن في ذلك شيء يتعلق بدينه، ويؤيده: ما أخرجه في رواية أبي حازم عن أبي هريرة عند مسلم - وهي التي ستأتي قريبًا -. وذكْر الرجل فيه =

وأخرجه مسلم (١٥٧)، وأحمد (٢/ ٥٣٠)(١).

* * *

= للغالب، وإلا فالمرأة يتصور فيها ذلك، والسبب في ذلك ما ذكر في رواية أبي حازم: «أنه يقع البلاء والشدة حتى يكون الموت الذي هو أعظم للمصائب أهون على المرء، فيتمنى أهون المصيبتين في اعتقاده»، وبهذا جزم القرطبي، وذكره عياض احتمالاً.

قال ابن عبد البر: ظن بعضهم أن هذا الحديث معارض للنهي عن تمني الموت، وليس كذلك، وإنما في هذا أن هذا القدر سيكون لشدة تنزل بالناس من فساد الحال في الدين أو ضعفه أو خوف ذهابه، لا لضرر ينزل في الجسم كذا قال، وكأنه يريد: أن النهي عن تمني الموت هو حيث يتعلق بضرر الجسم، وأما إذا كان يتعلق بالدين فلا، وقد ذكره عياض احتمالاً أيضًا، وقال غيره: ليس بين هذا الخبر وحديث النهي عن تمني الموت معارضة؛ لأن النهي صريح، وهذا إنما فيه إخبار عن شدة ستحصل ينشأ عنها هذا التمني، وليس فيه تعرض لحكمه، وإنما سيق للإخبار عما سيقع.

قال الحافظ: قلت: ويمكن أخذ الحكم من الإشارة في قوله: «وليس به الدين إنما هو البلاء» فإنه سِيقَ مساق الذم والإنكار، وفيه إيماء إلى أنه لو فعل ذلك بسبب الدين لكان محمودًا، ويؤيده ثبوت تمني الموت عند فساد أمر الدين عن جماعة من السلف، قال النووي: لا كراهة في ذلك، بل فعله خلائق من السلف منهم: عمر بن الخطاب، وعيسى الغفاري، وعمر بن عبد العزيز، وغيرهم. ثم قال القرطبي: كأن في الحديث إشارة إلى: أن الفتن والمشقة البالغة ستقع حتى يخفَّ أمر الدِّين، ويقلَّ الاعتناء بأمره، ولا يبقى لأحدٍ إلا اعتناء بأمر دنياه ومعاشه نفسه وما يتعلق به، ومن ثَمَّ عظم قدر العبادة أيام الفتنة، كما أخرج مسلم من حديث معقل بن يسار - رفعه -: (العبادة في الهرج كهجرة إليّ)، ويؤخذ من قوله «حتى يمر الرجل بقبر الرجل» أن التمني المذكور إنما يحصل عند رؤية القبر.

وليس ذلك مرادًا بل فيه إشارة إلى قوة هذا التمني، لأن الذي يتمنى الموت بسبب الشدة التي تحصل عنده قد يذهب ذلك التمني أو يخف عند مشاهدة القبر والمقبور، فيتذكر هول المقام فيضعف تمنيه، فإذا تمادى على ذلك دلَّ على تأكد أمر تلك الشدة عنده، حيث لم يصرفه ما شهده من وحشه القبر وتذكر ما فيه من أهوال عن استمراره على تمني الموت.

(١) عند أحمد من الزيادة: «ما به حب لقاء الله عز وجل».

قول النبي ﷺ: «لن يهلك الناس حتى يعذروا من أنفسهم»

قال الإمام أحمد رحمه الله (٤/ ٢٦٠):

حدثنا محمد بن جعفر، ثنا شعبة، عن عمرو بن مرة، عن أبي البختري الطائي، قال: أخبرني مَن سمعه مِن النبي ﷺ أنه قال: «**لن يهلك الناس حتى يعذروا من أنفسهم**»[١].

صحيح

وأخرجه أبو داود (٤٣٤٧).

* * *

(١) قال الخطابي: (فسَّره أبو عبيد في كتابه، وحُكي عن أبي عبيد أنه قال: معنى «يعذروا» أي: تكثر ذنوبهم وعيوبهم، قال: وفيه لغتان، يقال: «أعذر الرجل إعذارًا» إذا صار ذا عيب وفساد، قال: وكان بعضهم يقول: «عذر» يعذر بمعناه، ولم يعرفه الأصمعي، قال أبو عبيد: «يعذروا» -بفتح الياء-: بمعنى يكون لمن بعدهم العذر في ذلك. والله أعلم).

انحسار الفرات عن كنز من ذهب
ووصية رسول الله ﷺ لمن حضر ذلك

قال الإمام البخاري رحمه الله (٧١١٩):

حدثنا عبد الله بن سعيد الكندي، حدثنا عقبة بن خالد، حدثنا عبيد الله، عن خبيب بن عبد الرحمن، عن جده حفص بن عاصم، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**يوشك الفرات أن يحسر**[١] **عن كنز**[٢] **من ذهب، فمن حضره فلا يأخذ منه شيئًا**».

صحيح

قال عقبة: وحدثنا عبيد الله، حدثنا أبو الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ مثله، إلا أنه قال: «**يحسر عن جبل من ذهب**».

وأخرجه مسلم[٣] (ص٢٢٢٠)، وأبو داود (٤٣١٣)، والترمذي (٢٥٦٩) وقال: هذا حديث حسن صحيح.

---

(١) «يحسر» أي: ينكشف لذهاب مائه.

(٢) في بعض الروايات: «جبل».

(٣) في رواية لمسلم من طريق: سهيل، عن أبيه، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى يحسر الفرات عن جبل من ذهب، يقتتل الناس عليه، فيقتل من كل مائة تسعة وتسعون، ويقول كل رجل منهم: لعلي أكون أنا الذي أنجو».
وفي رواية لأحمد (٢/ ٢٦١)، وابن ماجه (٤٠٤٦) من طريق: محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «يحسر الفرات عن جبل من ذهب، فيقتتل الناس عليه، فيقتل مِن كل عشرة تسعة». وإسناد هذه الرواية حسن إلا أن الحافظ ابن حجر قال في «فتح الباري» (١٣/ ٨١): (هي رواية شاذة، قال: والمحفوظ: ما تقدَّم عند مسلم، وشاهده من حديث أبي بن كعب: «من كل مائة تسعة وتسعون»). ثم استدرك الحافظ =

قال الإمام مسلم رحمه الله (٢٨٩٥):

حدثنا أبو كامل فضيل بن حسين وأبو معن الرقاشي - واللفظ لأبي معن -، قالا: حدثنا خالد بن الحارث، حدثنا عبد الحميد بن جعفر، أخبرني أبي، عن سليمان بن يسار، عن عبد الله بن الحارث بن نوفل قال: كنت واقفًا مع أُبَيِّ بن كعب فقال: لا يزال الناس مختلفة أعناقهم[1] في طلب الدنيا. قلت: أجل.

قال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يوشك الفرات أن يحسر عن جبل من ذهب، فإذا سمع به الناس ساروا إليه فيقول من عنده: لئن تركنا الناس يأخذون منه ليذهبن به كله. قال: فيقتتلون عليه، فيُقتل مِن كل مائة تسعة وتسعون**».

قال أبو كامل في حديثه: قال: وقفت أنا وأُبي بن كعب في ظل أجم حسان.

صحيح

* * *

= وقال: (ويمكن الجمع باختلاف الناس إلى قسمين).
قلت: والأخير هو الأولى. والله أعلم.

(١) قال النووي رحمه الله «شرح مسلم» (٥/ ٧٤٥): (قال العلماء: «المراد بالأعناق: هنا الرؤساء والكبراء، وقيل: الجماعات، وقال القاضي: وقد يكون المراد بالأعناق نفسها وعبّر بها عن أصحابها، لا سيما وهي التي بها التطلع والتشوف للأشياء).

ما جاء في القحطاني

قال الإمام البخاري رحمه الله (٧١١٧):

حدثنا عبد العزيز بن عبد الله، حدثني سليمان، عن ثور، عن أبي المغيث، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: **«لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان يسوق الناس بعصاه»**(١).

صحيح

وأخرجه مسلم (٢٩١٠).

* * *

(١) قال الحافظ في «الفتح» (١٣/ ٧٧): (قال القرطبي في «التذكرة»: قوله: «يسوق الناس بعصاه» كناية عن غلبته عليهم وانقيادهم له، ولم يُرد نفس العصا، لكن في ذكرها إشارة إلى خشونته وعسفه بهم، قال: وقد قيل: إنه يسوقهم بعصاه حقيقة كما تساق الإبل والماشية لشدة عنفه وعدوانه.

قال: ولعله جهجاه المذكور في الحديث الآخر، وأصل الجهجاه: الصياح، وهي صفة تناسب ذكر العصا.

قلت: ويرد هذا الاحتمال إطلاق كونه من قحطان، فظاهره: أنه من الأحرار، وتقييده في «جهجاه» بأنه من الموالي ما تقدم؛ أنه يكون بعد المهدي وعلى سيرته، وأنه ليس دونه).

ما جاء في «الجهجاه»

قال الإمام مسلم رحمه اللَّه (٢٩١١):

حدثنا محمد بن بشار العبدي، حدثنا عبد الكبير بن عبد المجيد أبو بكر الحنفي، حدثنا عبد الحميد بن جعفر، قال: سمعت عمر بن الحكم يحدث، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «**لا تذهب الأيام والليالي حتى يملك رجل يقال له: الجهجاه**».

صحيح

وأخرجه الترمذي (٢٢٢٨)[1] وقال: هذا حديث حسن غريب.

* * *

---

(١) قال المباركفوري «تحفة الأحوذي» (٦/ ٤٨٣): (أي: لا ينقطع الزمان ولا تأتي القيامة، حتى يملك الرجل الموالي، أي: على سبيل التغلب لا بشورى أهل الحل والعقد، فهذا الحديث لا يخالف الأحاديث القاضية بأن الخلافة في قريش، «والموالي» جمع «مولى»، أي: المماليك، والمعنى: حتى يصير حاكمًا على الناس).

فتنة قبيلة مُضَر للناس

قال الطيالسي رحمه اللّه «مسند الطيالسي» (حديث ٤٢٠):

حدثنا هشام، عن قتادة[١]، عن أبي الطفيل، عن حذيفة، سمعت رسول اللّه ﷺ يقول: «**إن هذا الحي من مضر لا يدع عبدًا للّه في الأرض صالحًا إلا فتنه وأهلكه، حتى يدركهم اللّه بعدُ بجنود من عنده أو من السماء، فيذلها حتى لا تمنع ذنب تلعة**».

صحيح

* * *

(١) «قتادة»: مدلس، إلا أن الراوي عنه هشام وهو الدستوائي وهو من أروى الناس عنه وأثبتهم فيه.

قول النبي ﷺ: «أسرع قبائل العرب فناءً قريش»

قال الإمام أحمد رحمه الله (٢/ ٣٣٦):

حدثنا عمر بن سعد، ثنا يحيى ـ يعني: ابن زكريا بن أبي زائدة ـ، عن سعد بن طارق، عن أبي حازم، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**أسرع قبائل العرب فناءً قريش، ويوشك أن تمر المرأة بالنعل فتقول: هذا نَعْل قُرشي**».

صحيح

قال الإمام أحمد رحمه الله (٦/ ٨١):

حدثنا هاشم، ثنا إسحاق بن سعيد، عن أبيه، عن عائشة قالت: دخل عليَّ رسول الله ﷺ وهو يقول: «**يا عائشة، قومك أسرع أُمتي بي لحاقًا**».

قالت: فلما جلس قلت: يا رسول الله، جعلني الله فداءك، لقد دخلت عليَّ وأنت تقول كلامًا ذعرني.

قال: «**وما هو؟**». قالت: تزعم أن قومي أسرع أمتك بك لحاقًا. قال: «**نعم**». قالت: ومِمَّ ذاك؟! قال: «**تستحليهم المنايا وتنفس عليهم أمتهم**».

قالت: فقلت: فكيف الناس بعد ذلك ـ أو عند ذلك ـ؟ قال: «**دبى**[1] **يأكل شداده ضعافه حتى تقوم عليهم الساعة**».

قال أبو عبد الرحمن: فسَّره رجلٌ: هو الجنادب التي لم تنبت أجنحتها.

صحيح

وأخرجه أحمد أيضًا (٦/ ٩٠).

---

(١) الدبى: هو الجراد قبل أن يطير.

بعض ما جاء في الشام وأهله

قال أبو داود رحمه اللَّه (٢٤٨٣):

حدثنا حيوة بن شريح الحضرمي، حدثنا بقية، حدثني بحير، عن خالد - يعني: ابن معدان - عن ابن أبي قُتيلة، عن ابن حوالة قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«سيصير الأمر إلى أن تكونوا جنودًا مجندة: جُند بالشام، وجُند باليمن، وجُند بالعراق»**.

قال ابن حوالة: خِر لي يا رسول اللَّه إن أدركتُ ذلك.

فقال: **«عليك بالشام، فإنها خيرة اللَّه من أرضه، يجتبي إليها خيرته من عباده، فأما إن أبيتم فعليكم بِيَمنكم واسقوا من غُدُرِكم؛ فإن اللَّه توكل لي بالشام وأهله»**.

صحيح لغيره(١)

وأخرجه أحمد (٤/ ١١٠).

---

(١) فله طرق عن ابن حوالة؛ فأخرجه: أحمد (٥/ ٢٨٨) من طريق: حريز، عن سلمان بن سمير، عن ابن حوالة - بنحوه مرفوعًا، وقد قال أبو داود: مشايخ «حريز» كلهم ثقات.
وله طريق أخرىٰ عند الحاكم (٤/ ٥١٠) من طريق: مكحول، عن أبي إدريس الخولاني، وعن عبد اللَّه بن حوالة قال: قال رسول اللَّه ﷺ: . . . فذكر نحوه. وقال الحاكم: صحيح الإسناد، ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي.
وانظر «علل ابن أبي حاتم» (٢/ ٤٢١).
وهذا الحديث محمول علىٰ أزمنة مخصوصة، وليس علىٰ إطلاقه، فإذا ظهرت فتن بالشام يخشىٰ المسلم منها علىٰ دينه فحينئذ يشرع له الفرار منها.
ولا شك أن اللجوء إلىٰ مكة والمدينة في زمن الدجال أولىٰ من اللجوء إلىٰ الشام، وقد قال ﷺ: «. . . وإنه - أي: الإسلام - يأرز بين المسجدين كما تأرز الحية إلىٰ جحرها»، واللَّه تعالىٰ أعلم. =

قال أبو داود الطيالسي رحمه اللَّه (المسند رقم ١٠٧٦):

حدثنا شعبة قال: حدثنا معاوية بن قرة، عن أبيه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«إذا فسد أهل الشام فلا خير فيكم، لا تزال طائفة من أمتي منصورين لا يضرهم من خذلهم حتى تقوم الساعة».**

صحيح

وأخرجه الترمذي (٢١٩٢)، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

قال الترمذي رحمه اللَّه (عقب حديث رقم ٢١٩٢):

حدثنا أحمد بن منيع، حدثنا يزيد بن هارون، أخبرنا بهز بن حكيم، عن أبيه، عن جده قال: قلت: يا رسول اللَّه، أين تأمرني؟ قال: «**هاهنا**» ونحا بيده نحو الشام.

حسن

قال أبو عيسىٰ: هذا حديث حسن صحيح.

قال الإمام أحمد رحمه اللَّه (٤/ ١٠٤):

حدثنا الحكم بن نافع، قال: ثنا إسماعيل بن عياش، عن إبراهيم بن سليمان، عن الوليد بن عبد الرحمن الجرشي، عن جبير بن نفير، أن سلمة بن نفيل أخبرهم: أنه أتىٰ النبي ﷺ فقال: إني سئمت الخيل وألقيتُ السلاحَ ووضعتِ الحربُ أوزارها.

= تنبيه: وقد ورد نحو هذا الحديث من حديث العرباض بن سارية، وهذا حديث فيه وهمٌ أي: قد وهم الراوي الذي ذكر العرباض بن سارية، وإنما هو حديث ابن حوالة، وقد دخل علىٰ الراوي حديثٌ في حديثٍ. وانظر «العلل» لابن أبي حاتم (٢/ ٤١٩).

قلت: لا قتال.

فقال له النبي ﷺ: «**الآن جاء القتال، لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الناس، يرفع اللّه قلوب أقوام فيقاتلونهم ويرزقهم اللّه منهم، حتى يأتي أمر اللّه عز وجل وهم على ذلك، ألا إن عقر دار المؤمنين الشام، والخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة**».

حسن

وعزاه المزي للنسائي.

* * *

بين يدي الساعة تكليم السباع للإنس

قال الإمام أحمد رحمه الله (٣/ ٨٣ ـ ٨٤):

حدثنا يزيد أنا القاسم بن الفضل الحداني، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد الخدري قال: عدا الذئب على شاةٍ فأخذها، فطلبه الراعي فانتزعها منه، فأقعى الذئب على ذَنَبه قال: ألا تتقي الله؛ تنزع مني رزقًا ساقه الله إليَّ؟!

فقال: يا عجبي! ذئب مُقْعٍ على ذنبه يُكلِّمني كلام الإنس؟!

فقال الذئب: ألا أخبرك بأعجب من ذلك؟! محمد ﷺ بيثرب يخبر الناس بأنباء ما قد سبق.

قال: فأقبل الراعي يسوق غنمه حتى دخل المدينة فزواها إلى زاوية من زواياها ثم أتى رسول الله ﷺ فأخبره، فأمر رسولُ الله ﷺ فنودي: الصلاة جامعة. ثم خرج، فقال للراعي: «**أخبرهم**». فأخبرهم.

فقال رسول الله ﷺ: «**صدق، والذي نفسي بيده؛ لا تقوم الساعة حتى يكلم السباعُ[(١)] الإنس، ويُكلم الرجل عَذَبَة[(٢)] سوطه[(٣)]، ويخبره فَخذه بما أحدث أهله بعده**».

إسناده صحيح[(٤)]

---

(١) «السباع»: هي سباع الوحش كالأسد والنمر ونحو ذلك، أو سباع الطير كالبازي ولا منع من الجمع. أشار إلى بعض ذلك المباركفوري «تحفة الأحوذي» (٦/ ٤٠٩).

(٢) العذبة: هي الطرف.

(٣) في بعض الروايات: «وشراك نعله»، وهو أحد سيور النعل التي تكون على وجهها.

(٤) قد روى ابن حبان هذا الحديث بإدخال واسطة بين القاسم وأبي نضرة وهو الجريري، والجريري هو: سعيد بن إياس كان قد اختلط إلا أن القاسم بن الفضل من طبقة من روى عنه قبل =

والحديث أخرج الترمذي الجزء الأخير منه (٢١٨١)، وقال: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث القاسم بن الفضل، والقاسم بن الفضل: ثقة مأمون عند أهل الحديث، وثَّقه يحيى بن سعيد القطان، وعبد الرحمن بن مهدي.

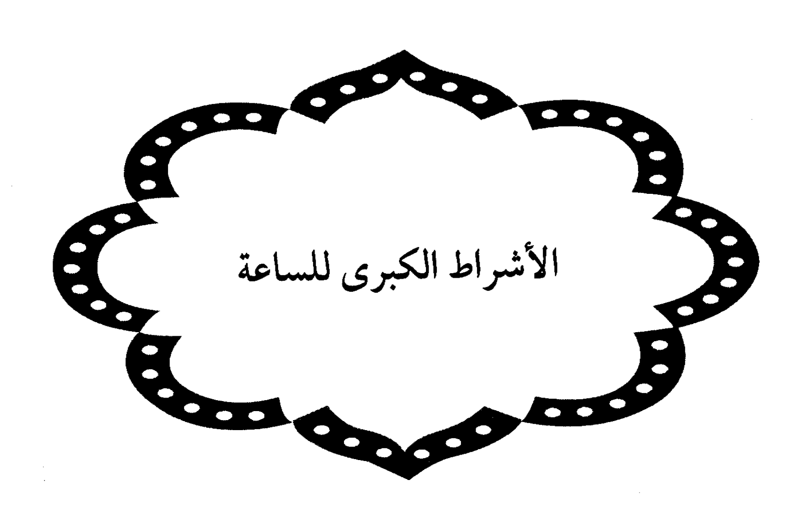
قلت: وأخرجه أيضًا ابن حبان «موارد الظمآن» (٢١٠٩)[١] مطولاً، وأخرجه الحاكم (٤/ ٤٦٧-٤٦٨) وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي.

* * *

= الاختلاط.

وفي «التهذيب» - ترجمة القاسم بن الفضل -: (وقال العقيلي: سأله شعبة - أي: أن شعبة سأل القاسم - عن حديث أبي النضرة - يعني: عن أبي سعيد - في قصة كلام الذئب، وفيه: «لا تقوم الساعة حتى يكلم الرجلَ عذبَتُهُ وَشِرَاكُ نعله بما أحدث أهله»؛ فحدثه فقال شعبة: لعلك سمعته من شهر بن حوشب؟ قال: لا، حدثناه أبو نضرة فما سكت حتى سكت شعبة).

(١) انظر هامش (٤) الصفحة السابقة.


الأشراط الكبرى للساعة

ذكر الأشراط الكبرى[١]

قال الإمام مسلم رحمه الله (٢٩٠١):

حدثنا أبو خيثمة زهير بن حرب وإسحاق بن إبراهيم وابن أبي عمر المكي - واللفظ لزهير - قال إسحاق: أخبرنا، وقال الآخران: حدثنا)، سفيان بن عيينة[٢]، عن فرات القزاز، عن أبي الطفيل، عن حذيفة بن أسيد الغفاري قال: اطّلع علينا النبي ﷺ ونحن نتذاكر فقال: «**ما تذاكرون؟**» قالوا: نذكر الساعة.

---

(١) وهي عشرة، وكأنها اجتمعت في حديث حذيفة بن أسيد الغفاري حيث قال: اطّلع علينا النبي ﷺ ونحن نتذاكر الساعة فقال: «ما تذاكرون؟» قالوا: نذكر الساعة. قال: «إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات»، فذكر: «الدخان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى ابن مريم ﷺ، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك: نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم». أخرجه مسلم وسيأتي.

وقال الشنقيطي رحمه الله «أضواء البيان» (٣/ ٣١٤): (وأشراط الساعة الكبرى: العشرة، وهي: نزول عيسى، وخروج الدجال، ويأجوج ومأجوج، والدابة، والدخان، ورفع القرآن، وطلوع الشمس من مغربها، وإغلاق باب التوبة، والخسف.

قلت: وينبغي أن يدرج مع هذا كله نزول عيسى عليه السلام.

تنبيه: لا يمتنع أن تتخلل الأشراط الصغرى الأشراط الكبرى، فلا يمتنع مثلاً أيام الدجال أن يكثر الزنا ويحدث ارتداد في طوائف المسلمين وتفشو التجارة مثلاً، إلى غير ذلك من الأشراط الصغرى المتقدمة).

(٢) وقد رواه شعبة أيضًا - كما عند مسلم - عن فرات بنحو حديث سفيان، ورواه شعبة (عند مسلم أيضًا): عن عبد العزيز بن رفيع، عن أبي الطفيل، عن حذيفة بن أسيد - موقوفًا، وقد استدركه الدارقطني بقوله: «ولم يرفعه غير فرات عن أبي الطفيل من وجه صحيح». قال: ورواه عبد العزيز بن رفيع وعبد الملك بن ميسرة موقوفًا.

قلت: ولا يضر مثل هذا، فإن فرات ثقة والزيادة منه مقبولة هنا، ثم إنَّ الحديث مما لا يقال من قبيل الرأي.

قال: «**إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات**». فذكر: «**الدخان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى ابن مريم ﷺ**[(١)]، **ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك: نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم**»[(٢)].

صحيح

وأخرجه أبو داود (٤٣١١)، والترمذي (٢١٨٣)، وقال: هذا حديث حسن صحيح،

وأخرجه ابن ماجه مختصراً (٤٠٤١)، وعزاه المزي للنسائي.

* * *

(١) في رواية لمسلم في العاشرة: «نزول عيسى ابن مريم ﷺ»، وفي أخرى: «وريح تلقي الناسَ في البحر».

(٢) في رواية عند مسلم: «ونار تخرج من قعرة عدن ترحل الناس».

قال النووي رحمه الله «شرح مسلم» (٥/ ٧٥٢): (هذا الحديث يؤيد قول من قال: «إن الدخان دخان يأخذ بأنفاس الكفار، ويأخذ المؤمن منه كهيئة الزكام» وأنه لم يأت بعد، وإنما يكون قريبًا من قيام الساعة، وقد سبق في (كتاب: بدء الخلق) قول من قال هذا. وإنكار ابن مسعود عليه وأنه قال: «إنما هو عبارة عما نال قريشًا من القحط حتى كانوا يرون بينهم وبين السماء كهيئة الدخان»، وقد وافق ابن مسعود جماعةٌ، وقال بالقول الآخر: حذيفة وابن عمر والحسن، ورواه حذيفة عن النبي ﷺ وأنه يمكث في الأرض أربعين يومًا، ويحتمل أنهما دخانان للجمع بين هذه الآثار.

وأما الدابة المذكورة في هذا الحديث: فهي المذكورة في قوله تعالى: ﴿وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض﴾ قال المفسرون: هي دابة عظيمة تخرج من صدع في الصفا، وعن عمرو بن العاص: أنها الجساسة المذكورة في حديث الدجال.

وقوله ﷺ: «وآخر ذلك: نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم»، وفي رواية: «نار تخرج من قعرة عدن»، هكذا هو في الأصول «قعرة» بالهاء والقاف مضمومة، ومعناه: من =

تتابُع أشراط الساعة

قال ابن حبان رحمه الله «موارد الظمآن» (١٨٨٣):

أخبرنا أبو يعلى، حدثنا أبو الربيع الزهراني، حدثنا هشام بن حسان، عن ابن سيرين، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«خروج الآيات بعضها على بعضٍ، يتتابعن كما تتابع الخرز»**.

صحيح

* * *

= أقصى قعر أرض عدن، و«عدن» مدينة معروفة مشهورة باليمن.
قال الماوردي: سُميت عدنًا من العدوان وهي الإقامة، لأن تُبعًا كان يحبس فيها أصحاب الجرائم، وهذه النار الخارجة من قعر عدن واليمن هي الحاشرة للناس كما صرَّح به في الحديث، أما قوله ﷺ في الحديث الذي بعده: «لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء أعناق الإبل ببصرى»، فقد جعلها القاضي عياضٌ حاشرةً، قال: ولعلهما ناران يجتمعان لحشر الناس.
قال: أو يكون ابتداء خروجها من اليمن ويكون ظهورها وكثرة قوتها بالحجاز. هذا كلام القاضي، وليس في الحديث أن نار الحجاز متعلقة بالحشر، بل هي آية من أشراط الساعة مستقلة، وقد خرجت في زماننا نار بالمدينة سنة أربع وخمسين وستمائة، وكانت نارًا عظيمة جدًا من جنب المدينة الشرقي وراء الحَرَّة، تواتر العلم بها عند جميع أهل الشام وسائر البلدان، وأخبرني مَنْ حضرها من أهل المدينة).



فصل في الدجَّال

أولاً: ذكْر ابن صياد وما جاء فيه وهل هو الدجال أم لا؟

مواقف الرسول ﷺ مع ابن صياد

قال الإمام البخاري رحمه الله (٣٠٥٥):

حدثنا عبد الله بن محمد، حدثنا هشام، أخبرنا معمر، عن الزهري، أخبرني سالم بن عبد الله، عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه أخبره: أن عمر انطلق في رهط من أصحاب النبي ﷺ مع النبي ﷺ قِبَل ابن صياد، حتى وجده يلعب مع الغلمان عند أُطم بني مغالة، وقد قارب يومئذٍ ابن صياد يحتلم، فلم يشعر بشيء حتى ضرب النبي ﷺ ظهره بيده، ثم قال النبي ﷺ: **«أتشهد أني رسول الله؟»** فنظر إليه ابن صياد فقال: أشهد أنك رسول الأُميين(١). فقال ابن صياد للنَّبيِّ ﷺ: أتشهد أني رسول الله؟ قال له النبي ﷺ: **«آمنت بالله ورسله»**(٢) قال النبي ﷺ: **«ماذا ترى؟»** قال: ابن صياد يأتيني صادقٌ وكاذب(٣). قال النبي ﷺ:

---

(١) قال الحافظ في «الفتح» (٦/ ١٧٣): (فيه إشعار بأن اليهود الذين كان منهم ابن صياد كانوا معترفين ببعثة رسول الله ﷺ لكن يدَّعون أنها مخصوصة بالعرب، وفساد حجتهم واضح جدًّا؛ لأنهم إذ أقروا بأنه رسول الله استحال أن يكذب على الله، فإذا ادعى أنه رسوله إلى العرب وإلى غيرها تعيَّن صدقه فوجب تصديقه).

(٢) قال الزين بن المنير: (إنما عرض النبي ﷺ الإسلام على ابن صياد بناءً على أنه ليس الدَّجال المحذر منه. قلت (القائل هو: الحافظ ابن حجر): ولا يتعين ذلك، بل الذي يظهر أن أمره كان محتملاً فأراد اختباره بذلك، فإن أجاب غلب ترجيح أنه ليس هو، وإن لم يجب تمادى الاحتمال أو أراد باستنطاقه إظهار كذبه المنافي لدعوى النبوة، ولما كان ذلك هو المراد أجابه بجوابٍ مُنصفٍ، فقال: «آمنت بالله ورسله».

وقال القرطبي: كان ابن صياد على طريقة الكهنة، يخبر بالخبر فيصحُّ تارةً ويفسد أخرى، فشاع ذلك ولم ينزل في شأنه وحي، فأراد النبي ﷺ سلوك طريقة يختبر حاله بها، أي: فهو السبب في انطلاق النبي ﷺ إليه.

(٣) أي: يأتيه الشيطان بما يسترقه من السمع فيصدق فيه، ويأتيه مع ذلك بالكذب فيكذب عليه، والله أعلم.

«**خلط عليك**(١) **الأمر**». قال النبي ﷺ: «**إني قد خبَّأتُ لك خبيئًا**»(٢)، قال ابن

(١) أي: لبَّس عليك الحق الذي يسترقه الشيطان بالباطل الذي هو كذب إبليس. والله أعلم.

(٢) في رواية أحمد (٢/ ١٤٨) بإسناد صحيح: «إني قد خبَّأت لك خبيئًا. وخبأ له ﴿يوم تأتي السماء بدخان مبين﴾. فيها تصريح بأن الذي (خُبِئ) هو سورة الدخان.
قال الحافظ في «الفتح»: (وأما جواب ابن صياد بالدُّخ فقيل: إنه اندهش فلم يقع من لفظ الدخان إلا على بعضه، وحكى الخطابي أن الآية حينئذٍ كانت مكتوبة في يد النبي ﷺ، (قلت: ولم نقف على إسناد صحيح يثبت هذه الدعوى) فلم يهتد ابن صياد منها إلا لهذا القدر الناقص على طريقة الكهنة، ولهذا قال له النبي ﷺ: «لن تعدو قدرك» أي: قدر مثلك من الكهَّان الذين يحفظون من إلقاء شياطينهم ما يحفظونه مختلطًا صدقه بكذبه.. ثم قال ـ رحمه الله ـ: إلا أن يكون خبأ له اسم الدخان في ضميره، وعلى هذا فيقال: كيف اطَّلع ابن صياد أو شيطانه على ما في الضمير؟! ويمكن أن يجاب باحتمال أن يكون النبي ﷺ تحدَّث مع نفسه أو أصحابه بذلك قبل أن يختبره فاسترق الشيطان ذلك أو بعضه).
وقال النووي ـ رحمه الله «شرح مسلم» (٥/ ٧٧١):
قوله: (هو الدُّخ) هو بضم الدال وتشديد الخاء، وهي لغة في الدخان كما قدمناه وحكى صاحب «نهاية الغريب» فتح الدال وضمَّها، والمشهور في كتب اللغة والحديث ضمها فقط، والجمهور على أن المراد بالدخ هنا الدخان، وأنها لغة فيه، وخالفهم الخطابي فقال: لا معنى للدخان هنا لأنه ليس ما يخبأ في كف أو كم، كما قال: بل الدخ بيت موجود بين النخيل والبساتين قال: إلا أن يكون معنى «خبأت» أضمرت لك اسم الدخان فيجوز، والصحيح المشهور أنه ﷺ أضمر له آية الدخان، وهي قوله تعالى: ﴿فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين﴾.
قال القاضي: قال الداودي: وقيل: كانت سورة الدخان مكتوبة في يده ﷺ. وقيل: كتب الآية في يده، قال القاضي: وأصح الأقوال أنه لم يهتد من الآية التي أضمر النبي ﷺ إلا هذا اللفظ الناقص، على عادة الكهان إذا ألقى الشيطان إليهم بقدر ما يخطف قبل أن يدركه الشهاب، ويدل عليه قوله ﷺ: «اخسأ؛ فلن تَعْدُو قدرك»، أي: القَدْر الذي يدرك الكهان من الاهتداء إلى بعض الشيء، وما لا يبين من تحقيقه ولا يصل به إلى بيان وتحقيق أمور الغيب.

صياد: هو الدُّخ. قال النبي ﷺ: «**اخسأ**[١]؛ **فلن تَعْدوَ قَدرك**»[٢]. قال عمر: يا رسول اللَّه، ائذن لي فيه أضرب عنقه. قال النبي ﷺ: «**إنْ يَكُنْهُ فلن تُسلَّط عليه، وإن لم يُكن هو فلا خير لك في قَتله**».

صحيح

وأخرجه مسلم (٢٩٣٠)، وأبو داود (٤٣٢٩)، والترمذي (٢٢٣٥) بنحوه، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

قال الإمام البخاري رحمه اللَّه (٦١٧٢):

حدثنا أبو الوليد، حدثنا سلم بن زرير، سمعت أبا رجاء، سمعت ابن عباس رضي اللَّه عنهما قال: قال رسول اللَّه ﷺ لابن صائد: «**قَد خبَّأتُ لكَ خبيئًا؛ فما هو؟**» قال: الدُّخ. قال: «**اخسأ**».

صحيح

قال الإمامُ البخاري رحمه اللَّه (٣٠٣٣):

قال الليث[٣]، حدثني عقيل، عن ابن شهاب، عن سالم بن عبد اللَّه، عن

(١) «اخسأ»: أي: اسكت صاغرًا مطرودًا. قاله ابن التين، وأصل معناها: التباعد والطرد (انظر «لسان العرب» ١١٥٥ـ١١٥٦)، وقال النووي: («اخسأ»: اقعد).

(٢) قوله: «فلن تَعْدو قدرك» قال الحافظ: أي: لن تجاوز ما قدر اللَّه فيك أو مقدار أمثالك من الكهان، قال العلماء: استكشف النبي ﷺ أمره ليبين لأصحابه تمويهه، لئلا يلتبس حاله على ضعيف لم يتمكن في الإسلام، ومُحصِّل ما أجاب به النبي ﷺ: أنه قال له على طريق الفرض والتنزل: إن كنت صادقًا في دعواك الرسالة ولم يختلط عليك الأمر آمنت بك، وإن كنت كاذبًا وخلط عليك الأمر فلا، وقد ظهر كذبك والتباس الأمر عليك؛ فلا تَعْدُو قدرك.

(٣) هذا معلق لكن قد قال الحافظ في «الفتح» (٦/ ١٦٠): (ثم وصله الإسماعيلي من طريق =

عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه قال: انطلق رسول الله ﷺ ومعه أُبيُّ بن كعب قِبَل ابن صياد - فحدَّث به في نخلٍ -، لما دخل عليه رسول الله ﷺ النخل وطفق يتقي بجذوع النخل، وابن صياد في قطيفةٍ له فيها رمرمة(١)، فرأت أمُّ صياد رسول اللهِ ﷺ فقالت: يا صاف؛ هذا محمد. فوثب ابن صياد، فقال رسول الله ﷺ: «**لو تَرَكَتْهُ بيَّن**»(٢).

صحيح لغيره

وأخرجه مسلم (٢٩٣١).

قال الإمام مسلم رحمه الله (٢٩٢٤):

حدثنا عثمان بن أبي شيبة وإسحاق بن إبراهيم - واللفظ لعثمان - (قال إسحاق أخبرنا وقال: عثمان حدثنا) جرير عن الأعمش، عن أبي وائل، عن عبد الله قال: كنا مع رسول الله ﷺ فمررنا بصبيان فيهم ابن صياد، ففر الصبيان وجلس ابن صياد، فكأنَّ رسول الله ﷺ كره ذلك، فقال له النبي ﷺ: «**تَرِبَتْ يداكَ. أَتَشْهَدُ أَنِّي رسولُ اللهِ؟**» فقال: لا، بل تشهد أنِّي رسول الله. فقال عمر بن الخطاب: ذَرْني يا رسول اللهِ حتى أقتله، فقال رسول الله ﷺ: «**إن يَكُن**

= يحيى بن بكير وأبي صالح كلاهما عن ليث).

(١) الزمزمة: بالزاي وفي رواية البخاري (رمرمة) بالراء قال النووي: هي صوت خفي لا يكاد يفهم أو لا يفهم.

(٢) قال الحافظ: (قوله «لو تركته بين» أي: أظهر لنا من حاله ما نطلع به على حقيقته والضمير لأم ابن صياد، أي: لو لم تعلمه بمجيئنا لتمادى على ما كان فيه فسمعنا ما يستكشف به أمره. ثم قال الحافظ - رحمه الله - وفي قصة ابن صياد اهتمام الإمام بالأمور التي يخشى منها الفساد والتنقيب عليها وإظهار كذب المدعي بالباطل وامتحانه بما يكشف حاله والتجسس على أهل الريب).

الذي[١] ترى فلن تستطيع قتْلَه».

صحيح

قال الإمام مسلم رحمه اللَّه (٢٩٢٨):

حدثنا نصر بن عليّ الجهضمي، حدثنا بشر (يعني: ابن مفضل)، عن أبي مسلمة، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد قال: **قال رسول اللَّه ﷺ لابن صائد: «ما تربة الجنة؟» قال: درمكة بيضاء مسك يا أبا القاسم، قال: «صَدَقْتَ»**[٢].

صحيح

* * *

(١) أي: إن يكن هو الدجال الذي سيخرج بين يدي الساعة فلن تستطيع قتله؛ لأن اللَّه سبحانه وتعالى قدَّر أنه خارج.

(٢) عقَّب مسلم - رحمه اللَّه - هذه الرواية برواية أخرى فيها (من حديث أبي سعيد أيضًا): (أن ابن صياد سأل رسول اللَّه ﷺ عن تربة الجنة؟ فقال: «درمكة بيضاء مسك خالص». قال النووي: قال العلماء: معناه أنها في البياض درمكة وفي الطيب مسك، و«الدرمك» هو الدقيق الحواري الخالص البياض).

الصحابة القائلون بأن ابن صياد هو الدجال

قال الإمام البخاري رحمه الله (٧٣٥٥):

حدثنا حماد بن حميد، حدثنا عبيد الله بن معاذ، حدثنا أبي، حدثنا شعبة، عن سعد بن إبراهيم، عن محمد بن المنكدر قال: رأيتُ جابر بن عبد الله يحلف بالله أن ابنَ صياد الدجالُ.

قلت: تحلفُ بالله؟ قال: إني سمعت عمر يحلف على ذلك عند النبي ﷺ فلم ينكره النبيُّ ﷺ(١).

صحيح

وأخرجه مسلم (٢٩٢٩)، وأبو داود (٤٣٣١).

---

(١) وقد أخرج أحمد في «مسنده» (٥/ ١٤٨) من طريق: الحارث بن حصيرة، ثنا زيد بن وهب، قال: قال أبو ذر: لأن أحلف عشر مرار أن ابن صائد هو الدجال أحبُّ إليَّ من أن أحلف مرة واحدة أنه ليس به، قال: وكان رسول الله ﷺ بعثني إلى أمه قال: «سَلْها كم حملت به؟» قال: فأتيتها فسألتها، فقالت: حملت به اثني عشر شهرًا. قال: ثم أرسلني إليها فقال: «سَلْها عن صيحته حين وقع؟» قال: فرجعت إليها فسألتها، فقالت: صاح صيحة الصبي ابن شهر، ثم قال له رسول الله ﷺ: «إني قد خبَّأتُ لك خبأ» قال: خبأتَ لي خطم شاة عفراء والدخان. قال: فأراد أن يقول: «الدخان» فلم يستطع، فقال: «الدُّخ. الدُّخ». فقال له رسول الله ﷺ: «اخسأ، فلن تعدو قدرك».
وقد صحَّح الحافظ ابن حجر - رحمه الله - إسناد هذا الحديث في «الفتح» (١٣/ ٣٢٩)، إلا أن في إسناده الحارث بن حصيرة وثقه غير واحد من أهل العلم، لكنه شيعي محترق، ذكر بعض أهل العلم أنه كان يؤمن بالرجعة، وقال العقيلي: له غير حديث مُنكر لا يتابع عليه، منها حديث أبي ذر في ابن صياد.
وانظر مزيدًا من ترجمته في «التهذيب»، و«الميزان».

قال أبو داود رحمه الله (٤٣٣٠):

حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا يعقوب - يعني: ابن عبد الرحمن - عن موسى بن عقبة، عن نافع قال: كان ابن عمر يقول: واللهِ، ما أشكُّ أنَّ المسيحَ الدجال ابن صياد.

حسن[١]

قال أبو يعلى الموصلي رحمه الله «المسند» (٩/ ١٢٧ - ١٣٢):

حدثنا أبو خيثمة، حدثنا محمد بن خازم، حدثنا الأعمش، عن عبد الله بن مُرة، عن أبي الأحوص، قال: قال عبد الله بن مسعود: لأن أحلف بالله تسعًا أن ابن صياد هو الدجال أحب إليَّ من أن أحلف واحدةً، ولأن أحلف تسعة أن رسول الله ﷺ قُتلَ قَتلاً[٢] أحبَّ إليّ من أن أحلف واحدةً، وذلك بأن الله اتخذه نبيًا وجعله شهيدًا.

صحيح

وأخرجه الطبراني في «الكبير» (١٠١١٩).

---

(١) وقد صححه النووي - رحمه الله - «شرح مسلم» (٥/ ٧٧٠)، والحديث وإن كان رجاله ثقات إلا أن موسى بن عقبة يُضعف بعض الشيء في «نافع»، ففي «التهذيب»: (وقال المفضل الغلابي عن ابن معين: ثقة، كانوا يقولون: في روايته عن نافع شيء، قال: وسمعت ابن معين يضعفه بعض الشيء، وقال إبراهيم بن الجنيد عن ابن معين: ليس موسى بن عقبة في نافع مثل مالك وعبيد الله بن عمر).
قلت: يعني أنه ليس بغاية في التثبت كمالك عن نافع، وهذا القول لا ينزل بحديثه عن الحسن والله أعلم.
وقد صحح الحافظ ابن حجر إسناده إلى موسى بن عقبة «الفتح» (١٣/ ٣٢٥).

(٢) أخرج البخاري معلقًا (٤٤٢٨) من حديث عائشة رضي الله عنها: كان النبي ﷺ يقول =

ابن صياد لا يكره أن يكون هو الدجال

قال الإمام مسلم رحمه اللَّه (ص٢٢٤٢):

حدثنا يحيىٰ بن حبيب ومحمد بن عبد الأعلىٰ، قالا: حدثنا معتمر، قال: سمعت أبي، يحدث عن أبي نضرة، عن أبي سعيد الخدري قال: قال لي ابن صائد - وأخذتني منه ذمامة هذا عذرت الناس - ما لي ولكم يا أصحاب محمد؟! ألم يقل نبي اللَّه ﷺ: «**إنه يهودي**» وقد أسلمت؟ قال: «**ولا يولد له**» وقد وُلد لي؟ وقال: «**إن اللَّه قد حرَّم عليه مكة**» وقد حججتُ.

قال: فما زال حتىٰ كاد أن يأخذ فيَّ قوله. قال: فقال له: أما واللَّه إني لأعلم الآن حيث هو وأعرف أباه وأمَّه، قال: وقيل له: أيسرك أنك ذاك الرجل؟ قال: فقال: لو عُرض عليَّ ما كرهت.

صحيح

* * *

= في مرضه الذي مات فيه: «يا عائشة، ما أزال أجد ألم الطعام الذي أكلت بخيبر، فهذا أوان وجدت انقطاع أبهري من ذلك السُّم».

وقد أشار الحافظ ابن حجر إلىٰ من وصله في «الفتح» (٨/ ١٣١). واللَّه أعلم.

ابن صياد يزعم أنه يعرف مولد الدجال ومكانه

قال الإمام مسلم رحمه الله (٢٩٢٧):

حدثني عبيد الله بن عمر القواريري ومحمد بن المثنى، قالا: حدثنا عبد الأعلى حدثنا داود، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد الخدري قال: صحبت ابن صائد إلى مكة، فقال لي: أما قد لقيت من الناس. يزعمون أني الدجال، ألست سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إنه لا يولد له**»؟ قلت: بلى. قال: فقد ولد لي، أو ليس قد سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا يدخل المدينة ولا مكة**»؟ قلت: بلى. فقال: فقد وُلدتُ بالمدينة، وهذا أنا أريد مكة، . قال: ثم قال لي في آخر قوله: أما واللهِ إني لأعلم مولده ومكانه وأين هو؟ قال: فَلَبَّسَني[1] .

صحيح

* * *

(١) أي: جعلني ألتبس في أمره.

ومن دجل ابن صياد

قال الإمام مسلم رحمه اللَّه (ص٢٢٤٦):

حدثنا محمد بن المثنى، حدثنا حسين ـ يعني: ابن حسن بن يسار ـ، حدثنا ابن عون، عن نافع قال: كان نافع يقول: ابن صياد، قال: قال ابن عمر: لقيته مرتين قال: فلقيته فقلت لبعضهم: هل تحدثون أنه هو؟ قال: لا. واللَّه. قال: قلت: كذبتني. واللَّه لقد أخبرني بعضكم أنه لن يموت حتى يكون أكثركم مالاً وولدًا، فكذلك هو زعموا اليوم.

قال: فتحدثنا ثم فارقته قال: فلقيته لُقيةً أخرى وقد نفرت[1] عينه، قال: فقلت: متى فعلت عينك ما أرى؟ قال: لا أدري. قال: قلت: لا تدري وهي في رأسك؟! قال: إن شاء اللَّه خلقها في عصاك هذه.

قال: فنخر كأشد نخير حمار سمعت. قال: فزعم بعض أصحابي أني ضربته بعصا كانت معي حتى تكسَّرت، وأما أنا فواللَّه ما شعرتُ.

قال: وجاء حتى دخل على أم المؤمنين فحدَّثنا، فقال: ما تريد إليه؟ ألم تعلم أنه قد قال: «**إن أول ما يبعثه على الناس غضب يغضبه؟**».

صحيح

قال الإمام مسلم رحمه اللَّه (٢٩٢٥):

حدثنا محمد بن المثنى، حدثنا سالم بن نوح، عن الجريري، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد قال: لقيه رسول اللَّه ﷺ وأبو بكرٍ وعمر في بعض طرق المدينة،

---

(١) قوله: «نفرت» قال النووي: أي: ورمت ونتأت.

قال له رسول اللَّه ﷺ: «**أتشهد أني رسول اللَّه؟**» فقال هو: أتشهد أني رسول اللَّه؟ فقال رسول اللَّه ﷺ: «**آمنت باللَّه وملائكته وكتبه، ما ترى؟**» قال: أرىٰ عرشًا علىٰ الماء، فقال رسول اللَّه ﷺ: «**ترى عرش إبليس على البحر. وما ترى؟**» قال: أرىٰ صادقين وكاذبًا ـ أو: كاذبين وصادقًا ـ. فقال رسول اللَّه ﷺ: «**لُبِّس عليه. دعوه**».

صحيح

وأخرجه الترمذي (٢٢٤٦)، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

أخرج عبد الرزاق في «المصنف» (٢٠٨٣٢):

عن معمر، عن الزهري، عن سالم، عن ابن عمر قال: لقيت ابن صياد يومًا ومعه رجل من اليهود، فإذا عينه قد طفيت، وكانت عينه خارجة مثل عين الجمل، فلما رأيتها قلت: يا ابن صياد؛ أنشدك اللَّه، متىٰ طفيت عينك؟ أو نحو هذا؟ قال: لا أدري والرحمن. فقلت: كذبتَ؛ لا تدري وهي في رأسك؟ قال: فمسحها. قال: فنخر ثلاثًا، فزعم اليهود أني ضربت بيدي علىٰ صدره. قال: ولا أعلمني فعلتُ ذلك، اخْسَ فلن تعدو قَدْرَك. قال: أجل، لعمري لا أَعدو قدري.

قال: فذكرت ذلك لحفصة فقالت: اجتنب هذا الرجل؛ فإنا نتحدث أن الدجال يخرج عند غضبةٍ يغضبها.

صحيح(١)

---

(١) وقد صحح الحافظ ابن حجر إسناده «فتح الباري» (١٣/ ٣٢٥).

قال الإمام مسلم رحمه اللَّه (ص٢٢٤٢):

حدثنا محمد بن المثنى، حدثنا سالم بن نوح، أخبرنا الجريري، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد الخدري قال: خرجنا حُجَّاجًا أو عُمَّارًا ومعنا ابن صائد، قال: فنزلنا منزلاً، فتفرق الناس وبقيتُ أنا وهو، فاستوحشتُ منه وحشةً شديدة مما يقال عليه، قال: وجاء بمتاعه فوضعه مع متاعي. فقلت: إن الحر شديد، فلو وضعته تحت تلك الشجرة. قال: ففعل. قال: فرفعت لنا غنم، فانطلق فجاء بعس فقال: اشرب أبا سعيد. فقلت: إن الحر شديد واللبن حار، ما بي إلا أني أكره أن أشرب عن يده - أو قال: آخذ عن يده - فقال: أبا سعيد، لقد هممتُ أن آخذ حبلاً فأعلقه بشجرةٍ ثم أختنق مما يقول لي الناس، يا أبا سعيد، من خفي عليه حديث رسول اللَّه ﷺ ما خفي عليكم معشر الأنصار. ألست من أعلم الناس بحديث رسول اللَّه ﷺ؟ أليس قد قال رسول اللَّه ﷺ: «**هو كافر**» وأنا مسلم؟! أو ليس قد قال رسول اللَّه ﷺ: «**هو عقيم لا يولد له**»، وقد تركت ولدي بالمدينة؟! أو ليس قد قال رسول اللَّه ﷺ: «**لا يدخل المدينة ولا مكة**» وقد أقبلت من المدينة وأنا أريد مكة؟!

قال أبو سعيد الخدري: حتى كدت أن أعذره. ثم قال: أما واللَّه إني لأعرفه وأعرف مولده وأين هو الآن.

قال: قلت له: تبًا لك سائر اليوم.

صحيح

وأخرجه الترمذي (٢٢٤٧) وقال: هذا حديث حسنٌ.

قال الإمام مسلم رحمه الله (٢٩٣٢):

حدثنا عبد بن حميد، حدثنا روح بن عبادة، حدثنا هشام، عن أيوب، عن نافع قال: لقي ابن عمر ابن صائدٍ في بعض طرق المدينة، فقال له قولاً أغضبه فانتفخ حتى ملأ السكة، فدخل ابن عمر على حفصة وقد بلغها فقالت له: رحمك الله، ما أردت من ابن صائد؟ أما علمت أن رسول الله ﷺ قال: «**إنما يخرج**[1] **من غضبة يغضبها**»؟

صحيح

تقدم تخريجه.

* * *

(١) تعني الدجال.

متى فُقد ابن صياد

قال أبو داود رحمه اللَّه (٤٣٣٢):

حدثنا أحمد بن إبراهيم، حدثنا عبيد اللَّه - يعني: ابن موسى - حدثنا شيبان، عن الأعمش، عن سالم، عن جابر قال: فقدنا ابن صياد يوم الحرة[١].

صحح إسناده الحافظ ابن حجر[٢]

* * *

(١) هو اليوم الذي دخل فيه أهل الشام - في عهد يزيد بن معاوية - المدينة، وسفكوا الدماء فيها واستحلوا حرماتها.

(٢) وذلك في «فتح الباري» (١٣/ ٣٢٨)، والذي يشوبه فقط عنعنة الأعمش وهو مدلس. إلا أنني لا أرىٰ لها تأثيرًا هنا واللَّه أعلم.
وقد صحح هذا الإسناد أيضًا النووي في «شرح مسلم» (٥/ ٧٧٠).

بعض أقوال أهل العلم في ابن صياد

قال الخطابي رحمه الله (معالم السنن مع أبي داود تحقيق الدعاس ٤/ ٥٠٣):

وقد اختلف الناس في ابن صياد اختلافًا شديدًا، وأشكل أمره حتى قيل فيه كل قول، وقد يسأل عن هذا فيقال: كيف يقر النبي ﷺ رجلاً يدعي النبوة كاذبًا، ويتركه بالمدينة يساكنه في داره ويجاوره فيها؟ وما معنى ذلك؟ وما وجه امتحانه إياه بما خبَّأه له من أنه الدخان؟ وقوله بعد ذلك: «**اخسأ فلن تعدو قدرك**»؟

والذي عندي: أن هذه القصة إنما جرت معه أيام مهادنة رسول اللَّه ﷺ اليهود وحلفاءهم، وذلك أنه بعد مَقدمه المدينة كتب بينه وبين اليهود كتابًا صالحهم فيه على أن لا يهاجوا وأن يتركوا على أمرهم، وكان ابن صياد منهم أو دخيلاً في جملتهم، وكان يبلغ رسول اللَّه ﷺ خبره وما يدعيه من الكهانة ويتعاطاه من الغيب، فامتحنه ﷺ بذلك ليزور به أمره ويخبر به شأنه، فلما كلَّمه علم أنه مبطل وأنه من جملة السحرة أو الكهنة، أو ممن يأتيه رُئِي من الجن أو يتعاهده شيطان فيلقي على لسانه بعض ما يتكلم به، فلما سمع منه قوله: «الدخ» زَبَره فقال: «**اخسأ فلن تعدو قدرك**»، يريد أن ذلك شيء اطلع عليه الشيطان فألقاه إليه، وأجراه على لسانه، وليس ذلك من قبل الوحي السماوي، إذ لم يكن له قدر الأنبياء الذين أوحى اللَّه إليهم من علم الغيب، ولا درجة الأولياء الذين يلهمون العلم، فيصيبون بنور قلوبهم، وإنما كانت له تارات يصيب في بعضها ويخطئ في بعض، وذلك معنى قوله: «يأتيني صادق وكاذب»، فقال له عند ذلك: «**قد خلط عليك**».

والجملة؛ أنه كان فتنة قد امتحن اللَّه به عباده المؤمنين ليهلك من هلك عن بينة ويحيىٰ من حَيَّ عن بينة، وقد امتحن قوم موسىٰ عليه السلام في زمانه بالعجل فافتتن به قوم وهلكوا، ونجا من هداه اللَّه وعصمه منهم.

وقد اختلفت الروايات في أمره وما كان من شأنه بعد كبره، فروي: أنه قد تاب عن ذلك القول ثم إنه مات بالمدينة وإنهم لما أرادوا الصلاة عليه كشفوا عن وجهه حتىٰ رآه الناس، وقيل لهم: اشهدوا.

(قلت: لم نقف علىٰ هذا السياق الأخير في حديثٍ مسندٍ صحيحٍ).

ثم قال الخطابي رحمه اللَّه: (ورُوي عن أبي سعيد الخدري رضي اللَّه عنه أنه قال: شتمتُ ابنَ صيادٍ، فقال: ألم تسمع رسول اللَّه ﷺ يقول: «**لا يدخل الدجال مكة**»، وقد حججت معك؟ وقال: «**لا يولد له**» وقد ولد لي؟

وكان ابن عمر وجابر بن عبد اللَّه رضي اللَّه عنهم - فيما روي عنهما - يحلفان أن ابن صياد هو الدجال لا يشكان فيه، فقيل لجابر: إنه أسلم؟ فقال: وإن أسلم. فقيل له: إنه دخل مكة، وكان بالمدينة؟ قال: وإن دخل.

وقد روي عن جابر أنه قال: «فقدنا ابن صياد يوم الحرة».

قلت: وهذا خلاف رواية من روىٰ أنه مات بالمدينة واللَّه أعلم) خطابي.

قال النووي رحمه اللَّه: باب ذكر ابن صياد:

يقال له: «ابن صياد»، و«ابن صائد»، وسُمي بهما في هذه الأحاديث، واسمه: «صاف».

قال العلماء: وقصته مشكلة، وأمره مشتبه في أنه هل هو المسيح الدجال المشهور أم غيره؟ ولا شك في أنه دجال من الدجاجلة.

قال العلماء: وظاهر الأحاديث أن النبي ﷺ لم يوحَ إليه بأنَّه المسيح الدَّجال ولا غيره، وإنما أوحي إليه بصفات الدجال، وكان في ابن صياد قرائن محتملة، فلذلك كان النبي ﷺ لا يقطع بأنه الدجال ولا غيره، ولهذا قال لعمر رضي اللَّه عنه: إن يكن هو فلن تستطيع قتله، وأما احتجاجه هو (أي: ابن صياد) بأنه مسلم والدجال كافر، وبأنه لا يولد للدجال، وقد ولد له هو، وألا يدخل مكة والمدينة وأن ابن صياد دخل المدينة وهو متوجه إلىٰ مكة، فلا دلالة له فيه؛ لأن النبي ﷺ إنما أخبر عن صفاته وقت فتنته وخروجه في الأرض.

ومن اشتباه قصته وكونه أحد الدجاجلة الكذابين: قوله للنبي ﷺ: «أتشهد أني رسول اللَّه؟» ودعواه: أنه يأتيه صادق وكاذب، وأنه يرىٰ عرشًا فوق الماء، وأنه لا يكره أن يكون هو الدجال، وأنه يعرف موضعه، وقوله: «إني لأعرفه وأعرف مولده وأين هو الآن؟» وانتفاخه حتىٰ ملأ السكة.

وأما إظهاره الإسلام وحجه وجهاده وإقلاعه عما كان عليه: فليس بصريح في أنه غير الدجال. . .

ثم قال النووي رحمه اللَّه:

قال البيهقي في كتابه «البعث والنشور»: اختلف الناس في أمر ابن صياد اختلافًا كثيرًا هل هو الدجال؟ قال: ومن ذهب إلىٰ أنه غيره احتج بحديث تميم الداري في قصة الجساسة الذي ذكره مسلم - قال: ويجوز أن توافق صفة ابن صياد صفة الدجال كما ثبت في «الصحيح»: «أن أشبه الناس بالدجال عبد العزىٰ بن قطن» وليس كما قال، وكان أمر ابن صياد فتنة ابتلىٰ اللَّه تعالىٰ بها عباده، فعصم اللَّه تعالىٰ منها المسلمين، ووقاهم شرها.

قال: وليس في حديث جابر أكثر من سكوت النبي ﷺ لقول عمر، فيحتمل

أنه ﷺ كان كالمتوقف في أمره، ثم جاءه البيان أنه غيره كما صرح به في حديث تميم. هذا كلام البيهقي، وقد اختار أنه غيره، وقد قدمنا أنَّه صحَّ عن عمر وعن ابن عمر وجابر رضي اللَّه عنهم: أنه الدجال. واللَّه أعلم.

فإن قيل: كيف لم يقتله النبي ﷺ مع أنه ادَّعى بحضرته النبوة؟

فالجواب من وجهين؛ ذكرهما البيهقي وغيره:

أحدهما: أنه كان غير بالغ. واختار القاضي عياض هذا الجواب.

الثاني: أنه كان في أيام مهادنة اليهود وحلفائهم. وجزم الخطابي في «معالم السنن» بهذا الجواب الثاني، ثم أورد بعض كلام الخطابي الذي قدمنا ذكره.

* * *

حديث الجساسة

قال الإمام مسلم رحمه الله (٢٩٤٢):

حدثنا عبد الوارث بن عبد الصمد بن عبد الوارث وحجاج بن الشاعر، كلاهما عن عبد الصمد - واللفظ لعبد الوارث بن عبد الصمد حدثنا أبي، عن جدي، عن الحسين بن ذكوان، حدثنا ابن بريدة، حدثني عامر بن شراحيل الشعبي - شعب همدان -: أنه سأل فاطمة بنت قيس أخت الضحاك بن قيس - وكانت من المهاجرات الأول - فقال: حدثيني حديثًا سمعتيه من رسول اللَّه ﷺ لا تُسنديه إلى أحد غيره. فقالت: لئن شئتَ لأفعلن، فقال لها: أجل حدثيني. فقالت: نكحت ابن المغيرة، وهو من خيار شباب قريش يومئذٍ، فأُصيب في أول الجهاد مع رسول اللَّه ﷺ، فلمَّا تأيمتُ[1] خطبني عبد الرحمن بن عوف في نفرٍ من أصحاب رسول اللَّه ﷺ، وخطبني رسول اللَّه ﷺ على مولاه أسامة بن زيد، وكنت قد حدثت أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**من أحبَّني فليحبَّ أسامة**». فلما كلَّمني رسول اللَّه ﷺ قلت: أمري بيدك، فأنكحني من شئت، فقال: «**انتقلي إلى أم شريك**» - وأم شريك: امرأة غنية من الأنصار عظيمة النفقة في سبيل اللَّه ينزل عليها الضيفان -، فقلت: سأفعل. فقال: «**لا تفعلي. إن أم شريك امرأة كثيرة الضيفان؛ فإني أكره أن يسقط عنك خمارك أو ينكشف الثوب عن ساقيك فيرى القوم منك بعض ما تكرهين، ولكن انتقلي إلى ابن عمك، عبد اللَّه بن عَمرو بن أم مكتوم**» - وهو رجل من بني فهرٍ - فهر قريش، وهو من البطن الذي هي منه - فانتقلتُ إليه، فلمَّا انقضت عدتي سمعتُ نداء المنادي،

---

(١) «الأيِّم» هي: التي لا زوج لها.

منادي رسول اللَّه ﷺ ينادي: الصلاة جامعةً. فخرجت إلى المسجد فصليتُ مع رسول اللَّه ﷺ فكنتُ في صف النساء التي تلي ظهور القوم. فلما قضى رسول اللَّه ﷺ صلاته جلس على المنبر وهو يضحك فقال: «**فليلزم كل إنسان مصلاه**»، ثم قال: «**أتدرون لِم جمعتكم؟**» قالوا: اللَّه ورسوله أعلم. قال: «**إني واللَّه ما جمعتكم لرغبة ولا لرهبة، ولكن جمعتكم لأن تميمًا الداري كان رجلاً نصرانيًا فجاء فبايع وأسلم، وحدثني حديثًا وافق الذي كنت أحدثكم عن مسيح الدجال حدثني:**

أنه ركب في سفينة بحرية مع ثلاثين رجلاً من لخم وجذام، فلعب بهم الموج شهرًا في البحر، ثم أرفأوا إلى جزيرةٍ في البحر حتى مغرب الشمس، فجلسوا في أقرب(١) السفينة، فدخلوا الجزيرة فلقيتهم دابة أهلب(٢) كثير الشعر، لا يدرون ما قُبله من دُبره من كثرة الشعر، فقالوا: ويلك؛ ما أنت؟ فقالت: أنا الجساسة. قالوا: وما الجساسة؟ قالت: أيها القوم انطلقوا إلى هذا الرجل في الدير؛ فإنه إلى خبركم بالأشواق. قال: لما سمَّت لنا رجلاً فرقنا(٣) منها أن تكون شيطانة. قال: فانطلقنا سراعًا حتى دخلنا الدير، فإذا فيه أعظم إنسانٍ رأيناه قط خلقًا وأشده وثاقًا، مجموعةً يداه إلى عنقه، ما بين ركبتيه إلى كعبيهِ بالحديد، قلنا: ويلك! ما أنت؟

---

(١) قال النووي: («أقرب» - هو بضم الراء - وهي: سفينة صغيرة تكون مع الكبيرة كالجنيبة، يتصرف فيها ركاب السفينة لقضاء حوائجهم. الجمع «قوارب»، والواحد «قارب» بكسر الراء وفتحها، وجاء هنا «أقرب» وهو صحيح، لكنه خلاف القياس، وقيل: المراد بأقرب السفينة أخرياتها وما قرب منها للنزول).

(٢) «أهلب»: قال النووي: («الأهلب» غليظ الشعر كثيره).

(٣) «فرقنا»: أي: خِفنا.

قال: قد قدرتم على خبري؛ فأخبروني مَن أنتم؟ قالوا: نحن أناس من العرب ركبنا في سفينة بحرية، فصادفنا البحر حين اغتلم فلعب بنا الموج شهرًا، ثم أرفأنا إلى جزيرتك هذه، فجلسنا في أقربها فدخلنا الجزيرة، فلقيتنا دابة أهلب كثير الشعر لا يدرى ما قُبله من دُبره من كثرة الشعر، فقلنا: ويلك، ما أنت؟ فقالت: أنا الجساسة، قلنا: وما الجساسة؟ قالت: اعمدوا إلى هذا الرجل في الدير، فإنه إلى خبركم بالأشواق، فأقبلنا إليك سراعًا، وفزعنا منها ولم نأمن أن تكون شيطانة.

فقال: أخبروني عن نخل بيسان؟ قلنا: عن أي شأنها تستخبر؟

قال: أسألكم عن نخلها؛ هل يثمر؟ قلنا له: نعم.

قال: أما إنه يوشك أن لا تثمر.

قال: أخبروني عن بحيرة الطبرية؟

قلنا: عن أي شأنها تستخبر؟

قال: هل فيها ماء؟

قالوا: هي كثيرة الماء.

قال: أما إن ماءها يوشك أن يذهب.

قال: أخبروني عن عين زغر[١]؟

قالوا: عن أي شأنها تستخبر؟

قال: هل في العين ماء؟ وهل يزرع أهلها بماء العين؟

(١) «عين زغر» قال النووي: هي بلدة معروفة في الجانب القبلي من الشام.

قلنا له: نعم، هي كثيرة الماء، وأهلها يزرعون من مائها.

قال: أخبروني عن نبي الأميين ما فعل؟

قالوا: قد خرج من مكة ونزل يثرب.

قال: أقاتله العربُ؟

قلنا: نعم.

قال: كيف صنع بهم؟

فأخبرناه أنه قد ظهر على من يليه من العرب وأطاعوه.

قال لهم: قد كان ذلك؟

قلنا: نعم.

قال: أما إن ذاك خير لهم أن يطيعوه، وإني مخبركم عنِّي؛ إني أنا المسيح، وإني أوشك أن يؤذن لي في الخروج فأخرج أسير في الأرض، فلا أدع قرية إلا هبطتها في أربعين ليلة غير مكة وطيبة، فهما[1] محرمتان عليَّ كلتاهما، كلما أردتُ أن أدخل واحدة ـ أو: واحدة منهما ـ استقبلني ملك بيده السيف صلتًا[2] يصدني عنها، وإن على كل نقبٍ منها ملائكة يحرسونها.

قالت: قال رسول اللَّه ﷺ ـ وطعن بمخصرته في المنبر ـ: «هذه طيبة، هذه طيبة، هذه طيبة ـ يعني المدينة ـ ألا هل كنت حدثتكم ذلك»؟

فقال الناس: نعم.

---

(١) «طيبة» هي المدينة، ويقال لها: «طابة» أيضًا.

(٢) «صلتا» أي: مسلولاً.

«فإنَّه أعجبني حديث تميم أنه وافق الذي كنت أحدثكم عنه وعن المدينة ومكة. ألا إنه في بحر الشام أو بحر اليمن. لا بل من قبل المشرق، ما هو[1] من قِبل المشرق، ما هو من قبل المشرق، ما هو - وأومأ بيده إلى المشرق.

قالت: فحفظتُ هذا من رسول اللَّه ﷺ.

صحيح

وأخرجه أبو داود (٤٣٢٦)، والترمذي (٢٢٥٣) وقال: هذا حديث حسن صحيح، وابن ماجه (٤٠٧٤)، وعزاه المزي للنسائي.

(١) قال النووي: قال القاضي: «ما هو» زائدة صلة للكلام ليست بنافية، والمراد: إثبات أنه في جهات المشرق.
تمسك بعض أهل العلم بحديث تميم هذا، وبناءً عليه قالوا: إن «الدجال» غير «ابن صياد».
فقال البيهقي (كما نقل عنه الحافظ في «الفتح» ١٣/ ٣٢٦): (وبه تمسَّك مَن جزم بأن الدجال غير ابن صياد)، وطريقه أصح، وتكون الصفة التي في ابن صياد وافقت ما في الدجال).
وقال البيهقي أيضًا: (فيه: أن الدجال الذي يخرج في آخر الزمان غير ابن صياد، وكان ابن صياد أحد الدجالين الكذابين الذين أخبر النبي ﷺ بخروجهم، وقد خرج أكثرهم، وكأن الذي يجزمون بابن صياد هو الدجال لم يسمعوا بقصة تميم، وإلا فالجمع بينهما بعيد جدًا، إذ كيف يلتئم أن يكون من كان في أثناء الحياة النبوية شبه المحتلم ويجتمع به النبي ﷺ ويسأله أن يكون في آخرها شيخًا كبيرًا؟! [قال البيهقي: هذا الأخير بناء على رواية عنده فيها أنه - أي: في حديث تميم - شيخ، وقال الحافظ: سندها صحيح] مسجونًا في جزيرة من جزائر البحر موثقًا بالحديد يستفهم عن خبر النبي ﷺ هل خرج أو لا؟ فالأولى: أن يحمل على عدم الاطلاع.
وأما عمر: فيحتمل أن يكون ذلك منه قبل أن يسمع قصة تميم، ثم لمَّا سمعها لم يعد إلى الحلف المذكور.
وأما جابر[*]: فشهد حلفه عند النبي ﷺ، فاستصحب ما كان اطلع عليه من عمر =

(*) أورد الحافظ في «الفتح» (١٣/ ٣٢٧) ما يرد به على من زعم أن جابرًا لم يعلم بقصة تميم.

قال أبو داود رحمه اللّه (٤٣٢٨):

حدثنا واصل بن عبد الأعلىٰ، أخبرنا ابن فضيل، عن الوليد بن عبد اللّه بن جميع، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، عن جابر قال: قال رسول اللّه ﷺ ذات يوم على المنبر: «**إنه بينما أناس يسيرون في البحر فنفد طعامهم، فرفعت لهم جزيرة فخرجوا يريدون الخبر، فلقيتهم الجساسة**» قلت لأبي سلمة: وما الجساسة؟ قال: امرأة تجر شعر جلدها ورأسها، قالت: في هذا القصر - فذكر الحديث وسأل عن نخل بيسان وعن عين زغر، قال: هو المسيح»[1].

حسن

= بحضرة النبي ﷺ).

وقال الحافظ في «الفتح» (١٣/ ٣٢٨): (وأقرب ما يجمع به بين ما تضمنه حديث تميم، وكون ابن صياد هو الدجال: أن الدجال بعينه هو الذي شاهده تميم موثقًا، وأن ابن صياد شيطان تبدَّىٰ في صورة الدجال في تلك المدة إلى أن توجه إلى أصبهان، فاستتر مع قرينه إلى أن تجيء المدة التي قدَّر اللّه تعالىٰ خروجه فيها، ولشدة التباس الأمر في ذلك سلك البخاري مسلك الترجيح، فاقتصر على حديث جابر عن عمر في ابن صياد، ولم يخرِّج حديث فاطمة بنت قيس في قصة تميم).

(١) في هذا الحديث دليل على أن جابر بن عبد اللّه، وهو الذي كان يقسم أن ابن صياد هو الدجال - كان يعلم حديث الجسَّاسة.

هذا وعند أبي داود زيادة عقب هذا الحديث وهي: «فقال لي ابن أبي سلمة: إن في هذا الحديث شيئًا ما حفظته، قال: شهد جابر أنه - هو - ابن صياد»، قلت: فإنه قد مات؟ قال: وإن مات. قلت: فإنه أسلم؟ قال: وإن أسلم. قلت: فإنه قد دخل المدينة؟ قال: وإن دخل المدينة».

قلت: وقد تركنا إيرادها في متن الحديث لضعف راويها عمر بن أبي سلمة بن عبد الرحمن.

قال أبو داود رحمه اللَّه (٤٣٢٥):

حدثنا النفيلي، حدثنا عثمان بن عبد الرحمن، حدثنا ابن أبي ذئب، عن الزهري، عن أبي سلمة، عن فاطمة بنت قيس، أن رسول اللَّه ﷺ أخَّر العشاء الآخرة ذات ليلة ثم خرج فقال: «**إنه حبسني حديث كان يحدثنيه تميم الداري عن رجل كان في جزيرة من جزائر البحر، فإذا أنا بامرأة تجر شعرها قال: ما أنت؟ قالت: أنا الجساسة، اذهب إلى ذلك القصر. فأتيته فإذا رجل يجر شعره مُسلسَل في الأغلال، ينزو فيما بين السماء والأرض، فقلتُ: من أنت؟ قال: أنا الدجال، خرج نبي الأميين بعد؟ قلت: نعم. قال: أطاعوه أم عصوه؟ قلت: بل أطاعوه. قال: ذاك خير لهم**».

صحيح لشواهده[1]

* * *

(١) ففي إسناده عثمان بن عبد الرحمن وهو الطرائفي، وقد تكلَّم فيه بعض أهل العلم ووثَّقه آخرون، لكن يشهد للحديث ما تقدَّم من طريق الشعبي، عن فاطمة بنت قيس.

أصل اشتقاق الدجال

أصل «الدجل» هو التغطية، وقد أورد صاحب «لسان العرب» ما يفيد ذلك فقال رحمه اللَّه (ص١٣٢٩):

(دجل الدُّجيل والدجالة: القطران، و«الدجل»: شدة طلي الجرب بالقطران، ودجل البعير: طلاه به، وقيل: عمَّ جسمه بالهناء).

ثم قال رحمه اللَّه: (ودجل الرجل وسرج، وهو دجَّال كذب، وهو من ذلك؛ لأن الكذب التغطية، ثم قال: والداجل: المموه الكذاب، وبه سُمي الدجال، والدجال هو: المسيح الكذاب).

وقال أيضًا: الدجال المموه، يقال: «دجلت السيف»: موهته وطليته بماء الذهب).

وقال النووي في شرح خطبة مسلم (ص٦٦):

(«الدجالون» جمع دجال، قال ثعلب: كل كذاب فهو دجال، وقيل: الدجال المموه، يقال: «دجل فلان» إذا موه، و«دجل الحق بباطله» إذا غطاه، وحكى ابن فارس هذا الثاني عن ثعلب أيضًا).

وقال الحافظ في «الفتح» (١٣/ ٩١):

(الدجال هو فعَّال - بفتح أوله والتشديد - من الدجل وهو التغطية، وسُمي الكذاب دجالاً لأنه يغطي الحق بباطله، ويقال: «دجل البعير بالقطران» إذا غطاه، و«الإناء بالذهب» إذا طلاه.

وقال ثعلب: الدجال المموه: سيف مدجل إذا طلي.

وقال ابن دريد: سمي دجالاً لأنه يغطي الحق بالكذب، وقيل: لضربه نواحي الأرض، يقال: دجل - مخففًا ومشددًا - إذا فعل ذلك، وقيل: بل قيل ذلك لأنه يغطي الأرض. فرجع إلى الأول.

وقال القرطبي في «التذكرة»: اختلف في تسميته دجالاً على عشرة أقوال).

* * *

الحث على العمل الصالح تحسبًا للدجال

قال الإمام مسلم رحمه الله (٢٩٤٧):

حدثنا يحيىٰ بن أيوب وقتيبة بن سعيد وابن حجر، قالوا: حدثنا إسماعيل - يعنون: ابن جعفر - عن العلاء، عن أبيه، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**بادروا بالأعمال ستًا: طلوع الشمس من مغربها، أو**[١] **الدخان، أو الدجال، أو الدابة**[٢]**، أو خاصة أحدكم**[٣]**، أو أمر العامة**»[٤].

صحيح

* * *

---

(١) في رواية: (أو)، وفي رواية (و) بالواو، أما قوله: «بادروا بالأعمال ستًا» فمعناه - والله أعلم - اجتهدوا في الأعمال واسبقوا بها قبل أن تأتي عليكم إحدىٰ هذه الستة.

(٢) «الدابة»: هي التي تكلم الناس.

(٣) فسَّر بعض أهل العلم قوله: «خاصة أحدكم»، وفي رواية «خويصة أحدكم» بالموت.

(٤) «أمر العامة» فسَّرها بعض أهل العلم بالقيامة. والله أعلم.

من أين يخرج الدَّجال؟

قال ابن حبان رحمه اللَّه «موارد الظمآن» (١٩٠٤):

أخبرنا أبو يعلى، حدثنا أبو خيثمة، حدثنا يونس بن محمد[١] حدثنا صالح بن عمر، أنبأنا عاصم بن كليب، عن أبيه قال: سمعت أبا هريرة يقول: أحدثكم ما سمعت من رسول اللَّه ﷺ الصادق المصدوق: «**إن الأعور الدجال مسيح الضلالة، يخرج من قِبل المشرق في زمان اختلاف من الناس وفرقة، فيبلغ ما شاء اللَّه أن يبلغ من الأرض في أربعين يومًا، اللَّه أعلم ما مقدارها، اللَّه أعلم ما مقدارها** - مرتين - **وينزل عيسى ابن مريم فيؤمهم، فإذا رفع رأسه من الركعة قال: سمع اللَّه لمن حمده، قتل اللَّه الدجال وأظهر المؤمنين**».

صحيح

* * *

(١) يونس بن محمد: هو أبو محمد المؤدب، وهو غير «يونس بن محمد» الصدوق؛ فهذا الأخير وإن كان يلقَّب بالصدوق فهو كذَّاب.

من صفات الدجال

قال أبو داود رحمه اللَّه (٤٣٢٠):

حدثنا حيوة بن شريح، حدثنا بقية [١]، حدثني بحير، عن خالد بن معدان، عن عمرو بن الأسود، عن جنادة بن أبي أمية، عن عبادة بن الصامت، أنه حدثهم أن رسول اللَّه ﷺ قال: «**إني قد حدَّثتكم عن الدجال حتى خشيتُ أن لا تعقلوا إن المسيح الدجال: رجل قصير، أفحج** [٢]**، جعد، أعور، مطموس العين، ليس بناتئة ولا جحراء** [٣]**؛ فإن ألبس عليكم فاعلموا أن ربَّكم ليس بأعور**».

صحيح

وعزاه المزي للنسائي.

❊ ❊ ❊

(١) «بقية» صرَّح بما يفيد السماع من شيخه، وشيخه «بحير» شامي ثقة، وبقية روايته عن الشاميين مستقيمة، وأما ما يخشى من تسويته فالواسطة مذكورة وتطمئن النفس إلى عدم تسويته هنا، لكثرة الرجال بينه وبين عبادة بن الصامت رضي اللَّه عنه.

(٢) قال الخطابي: «الأفحج»: الذي إذا مشى باعد بين رجليه، وفي «اللسان»: «الفحج»: تباعد ما بين أوساط الساقين في الإنسان والدابة، وقيل: تباعد ما بين الفخذين. وقيل: تباعد ما بين الرِّجلين، والنعت «أفحج»، والأنثى «فحجاء»، وقد فحج فحجًا وفحجة، وفي الحديث: «أنَّه بال، فلما فحج رجليه - أي: فرقهما». والأفحج الذي في رِجليه اعوجاج، ورجل أفحج بين الفحج، وهو الذي تتدانى صدور قدميه وتتباعد عقباه وتتفحج ساقاه.

(٣) قال الخطابي: «والجحراء» التي قد انخسفت فبقي مكانها غائرًا كالجحر، يقول: «إن عينه سادَّة لمكانها مطموسة»، أي: ممسوحة ليست بناتئة ولا منخسفة.

جملة علامات الدجال وما معه

قال الإمام أحمد رحمه اللَّه (٥/ ٤٣٤):

حدثنا محمد بن جعفر، ثنا شعبة، عن سليمان، عن مجاهد، عن جنادة بن أبي أمية أنه قال: أتيت رجلاً من أصحاب النبي ﷺ فقلت له: حدثني حديثًا سمعته من رسول اللَّه ﷺ في الدجال، ولا تحدثني عن غيرك وإن كان عندك مصداقًا؟ فقال: سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «**أنذرتكم فتنة الدجال، فليس من نبي إلا أنذره قومَه، أو أُمته، وإنَّه: آدم، جعد، أعور عينه اليسرى، وأنه يمطر ولا ينبت الشجر، وأنه يُسلط على نفس فيقتلها ثم يحييها ولا يسلط على غيرها، وإنه معه جنة ونار، ونهر وماء وجبل خبز، وإن جنته نار، وناره جنة، وإنه يلبث فيكم أربعين صباحًا، يرد فيها كل منهل، إلا أربع مساجد: مسجد الحرام، ومسجد المدينة، والطور، ومسجد الأقصى، وإن شكل عليكم أو شبه فإن اللَّه عز وجل ليس بأعور**».

صحيح

* * *

صفة عين الدجال

قال الإمام مسلم رحمه الله (٢٩٣٤):

حدثنا محمد بن عبد الله بن نمير ومحمد بن العلاء، وإسحاق بن إبراهيم (قال إسحاق: أخبرنا وقال الآخران: حدثنا) أبو معاوية، عن الأعمش، عن شقيق، عن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ: «**الدجال أعور العين اليسرى**[١]، **جفال الشعر**[٢] **معه جنة ونار، فناره جنَّة، وجنَّتُه نار**».

صحيح

وأخرجه ابن ماجه (٤٠٧١).

قال الإمام أحمد رحمه الله (٥/ ٣٨):

حدثنا يحيى بن سعيد، عن عيينة، حدثني أبي، عن أبي بكرة قال: قال رسول الله ﷺ: **الدجال أعور بعين الشمال، بين عينيه مكتوب: كافر، يقرؤه الأُميّ والكاتب**».

صحيح

قال الإمام أحمد رحمه الله (٥/ ١٢٣ ـ ١٢٤):

حدثنا سليمان بن داود، ثنا شعبة، عن حبيب بن الزبير، قال: سمعت عبد الله بن أبي الهذيل، سمع ابن أبزى، سمع عبد الله بن خباب، سمع أبيًا

(١) في حديث ابن عمر المتقدم المتفق عليه: «أن العور في العين اليمنى»، فلذلك رجَّحه بعض أهل العلم كما أشار الحافظ ابن حجر «فتح الباري» (١٣/ ٩٧) وابن عبد البر، وجمع بينهما آخرون كما أوردناه في الحديث السابق.

(٢) «جفال الشعر» أي: كثير الشعر.

يحدث، أن رسول الله ﷺ ذكر الدجال فقال: **«إحدى عينيه كأنها زجاجة خضراء، وتعوَّذوا بالله تبارك وتعالى من عذاب القبر»**.

صحيح[١]

قال الإمام البخاري رحمه الله (٣٤٣٩):

حدثنا إبراهيم بن المنذر، حدثنا أبو ضمرة، حدثنا موسى، عن نافع، عن عبد الله: ذكر النبي ﷺ يومًا بين ظَهْري[٢] الناس المسيح الدجال، فقال: **«إن الله ليس بأعور، ألا إنَّ المسيح الدجال أعور العين اليمنى، كأن عينه عنبة طافية»**[٣].

---

(١) وقد رواه أحمد أيضًا (٥/ ١٢٤) بإسنادٍ صحيح من طريق «ابن أبزى عن أُبيّ» بدون واسطة، وهذا إذا لم يكن يفيد فإنه لا يضر، وذلك لأن عبد الرحمن بن أبزى قد روى عن أُبي بن كعب أيضًا.

(٢) قال الحافظ: (أي: جالسًا وسط الناس، والمراد: أنه جلس بينهم مستظهرًا لا مستخفيًا، أو معناه: أن ظهرًا منهم قدامه وظهرًا خلفه، وكأنهم حفوا به من جانبيه فهذا أصله. ثم كثر حتى استعمل في الإقامة بين قوم مطلقًا، ولهذا زعم بعضهم أن لفظة «ظهراني» في هذا الموضع زائدة).

(٣) قال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ: «فتح الباري» (٦/ ٤٨٥): («طافية»: أي بارزة، وهو من «طفا الشيء يطفا» بغير همز إذا علا على غيره، وشبهها بالعِنَبة التي تقع في العنقود بارزة عن نظائرها).

وقال النووي ـ رحمه الله ـ (١/ ٤١٠): (وأما قوله ﷺ: «أعور العين اليمنى كأنها عنبة طافية» فروي بالهمز وبغير همز ـ يعني طافئة وطافية ـ، فمن همز معناه: ذهب ضوؤها، ومن لم يهمز معناه: ناتئة بارزة. ثم إنه جاء هنا: «أعور العين اليمنى»، وجاء في رواية أخرى: «أعور العين اليسرى»، وقد ذكرهما جميعًا مُسلم في آخر الكتاب وكلاهما صحيح.

قال القاضي عياض ـ رحمه الله ـ: روينا هذا الحرف عن أكثر شيوخنا بغير همز، وهو الذي صححه أكثرهم، قال: وهو الذي ذهب إليه الأخفش، ومعناه: ناتئة كنتوء حبة =

. . . .

= العنب من بين صواحبها، قال: وضبطه بعض شيوخنا بالهمز، وأنكره بعضهم ولا وجه لإنكاره، وقد وصف في الحديث بأنه ممسوح العين وأنها ليست جحراء ولا ناتئة بل مطموسة، وهذه صفة حبة العنب إذا سال ماؤها، وهذا يصحح رواية الهمز.

وأما ما جاء في الأحاديث الأخر: «جاحظ العين وكأنها كوكب»، وفي رواية: «لها حدقة جاحظة كأنها نخاعة في حائط» فتصحح رواية ترك الهمزة، ولكن يجمع بين الأحاديث وتصحح الروايات جميعًا بأن تكون المطموسة والممسوحة والتي ليست بجحراء ولا ناتئة هي العوراء الطافئة بالهمز، وهي العين اليمنى كما جاء هنا، وتكون الجاحظة والتي كأنها كوكب وكأنها نخاعة هي الطافية بغير همز وهي العين اليسرى كما جاء في الرواية الأخرى، وهذا جمع بين الروايات في الطافئة بالهمز وبتركه، وأعور العين اليمنى واليسرى لأن كل واحدة منهما عوراء، فإن الأعور من كل شيء المعيب، لا سيما ما يختص بالعين، وكلتا عيني الدجال معيبة عوراء: إحداهما بذهابها، والأخرى بعيبها.

قال النووي: هذا آخر كلام القاضي وهو في نهاية من الحسن، والله أعلم).

وأورد الحافظ ابن حجر كلام القاضي عياض هذا ثم قال «فتح الباري» (١٣/ ٩٧): (وقال القرطبي في «المفهم»: حاصل كلام القاضي: أن كل واحدة من عيني الدجال عوراء، إحداهما بما أصابها حتى ذهب إدراكها، والأخرى بأصل خلقها معيبة، لكن يبعد هذا التأويل أن كل واحدة من عينيه قد جاء وصفها في الرواية بمثل ما وصفت به الأخرى من العور فتأمله، وأجاب صاحب القرطبي في «التذكرة»: بأن الذي تأوله القاضي صحيح، فإن المطموسة وهي التي ليست ناتئة ولا جحراء هي التي فقدت الإدراك، والأخرى وصفت بأن عليها ظفرة غليظة، وهي جِلْدة تغشى العين، وإذا لم تقطع عميت العين، وعلى هذا فالعور فيهما لأن الظفرة مع غلظها تمنع الإدراك، أيضًا: فيكون الدجال أعمى أو قريبًا منه، إلا أنه جاء ذكر الظفرة في العين اليمنى في حديث سفينة، وجاء في العين الشمال في حديث سمرة فالله أعلم.

قال الحافظ: قلت: وهذا هو الذي أشار إليه شيخه بقوله: «إن كل واحدة منهما جاء وصفها بمثل ما وصفت الأخرى»، ثم قال في «التذكرة»: يحتمل أن تكون كل واحدة منهما عليها ظفرة، فإن في حديث حذيفة: «أنَّه ممسوح العين عليها ظفرة غليظة»، قال: وإذا كانت الممسوحة عليها ظفرة فالتي ليست كذلك أولى، قال: وقد فسرت الظفرة =

«وأراني الليلة عند الكعبة في المنام، فإذا رجل آدم[١] كأحسن ما يرى من

= بأنها لحمة كالعلقة. قلت: وقع في حديث أبي سعيد عند أحمد: «وعينه اليمنى عوراء جاحظة لا تخفى، كأنها نخاعة في حائط مجصص، وعينه اليسرى كأنها كوب دري»، فوصف عينيه معًا، ووقع عند أبي يعلى من هذا الوجه: «أعور ذو حدقة جاحظة لا تخفى، كأنها كوكب دري»، ولعلها أبين لأن المراد بوصفها بالكوكب شدة اتقادها، وهذا بخلاف وصفها بالطمس، ووقع في حديث أبي بن كعب عند أحمد والطبراني: «إحدى عينيه كأنها زجاجة خضراء» وهو يوافق وصفها بالكوكب، ووقع في حديث سفينة عند أحمد والطبراني: «أعور عينه اليسرى، بعينه اليمنى ظفرة غليظة»، والذي يتحصل من مجموع الأخبار: أن الصواب في طافية أنه بغير همز، فإنها قيدت في رواية الباب بأنها اليمنى، وصرح في حديث عبد الله بن مغفل وسمرة وأبي بكرة: بأن عينه اليسرى ممسوحة والطافية هي البارزة وهي غير الممسوحة، والعجب ممن يجوِّز رواية الهمز في (طافية) وعدمه مع تضاد المعنى في حديث واحد، فلو كان ذلك في حديثين لسهل الأمر، وأما «الظفرة» فجائز أن تكون في كلتا عينيه؛ لأنه لا يضاد الطمس ولا النتوء، وتكون التي ذهب ضوؤها هي المطموسة والمعيبة مع بقاء ضوئها هي البارزة، وتشبيهها بالنخاعة في الحائط المجصص في غاية البلاغة، وأما تشبيهها بالزجاجة الخضراء وبالكوكب الدري فلا ينافي ذلك، فإن كثيرًا ممن يحدث له في عينه النتوء يبقى معه الإدراك، فيكون الدجال من هذا القبيل والله أعلم.

(١) «آدم» أي: أسمر. قاله الحافظ في «الفتح»، إلا أنه قد ورد في حديث أبي هريرة عند البخاري (٣٤٣٧) أن النبي ﷺ نعت عيسى فقال: «ربعة أحمر، كأنما خرج من ديماس» - يعني: الحمام -، وفي رواية ابن عباس عند البخاري أيضًا (٣٤٣٨) أن النبي ﷺ قال في عيسى: «إنه أحمر جعد، عريض الصدر».

وقد حاول الحافظ الجمع بقوله: بأنه أحمر لونه بسبب كالتعب، وهو في الأصل أسمر.

قلت: وهو جمع ضعيف، والذي يبدو: أن الذي يصار إليه هو ترجيح رواية على أخرى، واتفاق أبي هريرة وابن عباس على أنه أحمر أولى من رواية ابن عمر وأرجح.

وأيضًا فإن في تفسير «الآدم» في «اللسان» أقوال أخرى بالإضافة إلى الأسمر، ففيه: «... وقيل: هو البياض الواضح».

قلت: فالأبيض من الممكن من إرهاقه وتعبه أن يصير إلى الحمرة والله أعلم.

أدم الرجال، تضرب لمته بين منكبيه رجل الشعر[١] يقطر رأسه ماءً، واضعًا يديه على منكبي رجلين يطوف بالبيت، فقلت: من هذا؟ فقالوا: هذا المسيح ابن مريم. ثم رأيت رجلاً وراءه جعدًا قططًا[٢] أعور عين اليمنى، كأشبه من رأيت بابن قطن، واضعًا يديه على منكبي رجلٍ يطوف بالبيت[٣] ، فقلت: مَن هذا؟ قالوا: المسيح الدجال».

صحيح

تابعه عبيد اللّه عن نافع .

وأخرجه مسلم (١٦٩) .

❊ ❊ ❊

(١) أي : مرجل شعره قد سرَّحه ودهنه .

(٢) القطط : هو شديد جعودة الشعر .

(٣) قال القاضي عياض - كما نقل عنه النووي (١/ ٤٠٩) : (وعلى هذا يحمل ما ذكر من طواف الدجال بالبيت ، وأن ذلك رؤيا ، إذ قد ورد في «الصحيح» «أنه لا يدخل مكة ولا المدينة» ، مع أنه لم يذكر في رواية مالك طواف الدجال ، وقد يقال : إن تحريم دخول المدينة عليه إنما هو في زمن فتنته . واللّه أعلم) .
وقال الحافظ ابن حجر «فتح الباري» (١٠/ ٣٥٨) : (وغلط من استدل بهذا الحديث على أن الدجال يدخل مكة أو المدينة ، إذ لا يلزم من كون النبي ﷺ رآه في المنام بمكة أنه دخلها حقيقة . ولو سلم أنه رؤي في زمانه ﷺ بمكة فلا يلزم أن يدخلها بعد ذلك إذا خرج في آخر الزمان .
وقد استدل على ابن صياد أنه ما هو الدجال بكونه سكن المدينة ، ومع ذلك فكان عمر وجابر يحلفان على أنه هو الدجال) .
وقال في «الفتح» (٦/ ٤٨٨) : (وفيه دلالة على أن قوله ﷺ : «إن الدجال لا يدخل المدينة ولا مكة» أي : في زمن خروجه ، ولم يرد بذلك نفي دخوله في الزمن الماضي واللّه أعلم) .

تحذير الأنبياء صلوات اللَّه وسلامه عليهم أممهم من الدجال

قال الإمام البخاري رحمه اللَّه (٧١٣١):

حدثنا سليمان بن حرب، حدثنا شعبة، عن قتادة، عن أنس رضي اللَّه عنه قال: قال النبي ﷺ: **«ما بعث نبي إلا أنذر أمته الأعور الكذاب، ألا إنه أعور، وإن ربكم ليس بأعور، وإن بين عينيه مكتوب: كافر»**.

صحيح

وأخرجه مسلم (٢٩٣٣)[١]، وأبو داود (٤٣١٦)، والترمذي (٢٢٤٢). وقال: هذا حديث صحيح.

* * *

(١) في رواية لمسلم: «مكتوب بين عينيه: ك ف ر»، وفي أخرى من طريق شعيب بن الحجاب، عن أنس بن مالك قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «الدجال ممسوح العين، مكتوب بين عينيه: كافر، ثم تهجَّاها: ك ف ر، يقرؤه كل مسلم».

الدجال مكتوب بين عينيه «كافر»(١)

قال الإمام أحمد رحمه اللَّه (٥/ ٤٣٣):

حدثنا عبد الرزاق، أنا معمر، قال: قال الزهري: وأخبرني عمر بن ثابت الأنصاري، أنه أخبره بعض أصحاب النبي ﷺ، أن رسول اللَّه ﷺ قال يومئذٍ للناس وهو يحذرهم فتنة الدجال: «**تعلمون أنه لن يرى أحدٌ منكم ربَّه عز وجل حتى يموت، وإنه مكتوب بين عينيه: كافر. يقرؤه مَن كره عمله**».

صحيح

وأخرجه مسلم (ص٢٢٤٥)، والترمذي (٢٢٣٥)، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

* * *

(١) وانظر جملة الأحاديث المتقدمة.

كبر خلق الدجال وعظم فتنته

قال الإمام مسلم رحمه الله(٢٩٤٦):

حدثني زهير بن حرب، حدثنا أحمد بن إسحاق الحضرمي، حدثنا عبد العزيز ـ يعني ابن المختار ـ حدثنا أيوب، عن حميد بن هلال، عن رهطٍ ـ منهم: أبو الدهماء وأبو قتادة ـ قالوا: كنا نمر على هشام بن عامر، نأتي عمران بن حصين فقال ذات يوم: إنكم لتجاوزوني إلى رجال ما كانوا بأحضر لرسول الله ﷺ مني ولا علم بحديثه مني، سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة خلقٌ أكبر من الدجال»**.

صحيح

قال الإمام أحمد رحمه الله (٥/ ٣٨٩):

حدثنا وهب بن جرير، ثنا أبي، قال: سمعت الأعمش، عن أبي وائل، عن حذيفة قال: ذُكر الدجال عند رسول الله ﷺ فقال لنا[١]: **«لفتنة بعضكم أخوف عندي من فتنة الدجال، ولن ينجو أحد مما قبلها إلا نجا منها، وما صنعت فتنة منذ كانت الدنيا صغيرة ولا كبيرة[٢] إلا لفتنة الدجال»**.

صحيح

* * *

(١) وفي رواية أحمد: «لانا» والمعنى بها لا يستقيم، وما أوردناه هو الصواب. والله أعلم.
(٢) «ولا كبيرة» في لفظ أحمد: «ولا كبير»، والصواب ما أثبتناه. والله أعلم.

عظم فتنة الدجال

قال الإمام مسلم رحمه الله (٢١٣٧ ص ٢٢٥٠):

حدثنا أبو خيثمة زهير بن حرب، حدثنا الوليد بن مسلم، حدثني عبد الرحمن بن يزيد بن جابر، حدثني يحيىٰ بن جابر الطائي - قاضي حمص - حدثني عبد الرحمن بن جبير، عن أبيه جبير بن نفير الحضرمي، أنه سمع النواس بن سمعان الكلابي /ح/. وحدثني محمد بن مهران الرازي - واللفظ له -، حدثنا الوليد بن مسلم، حدثنا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر، عن يحيىٰ بن جابر الطائي، عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير، عن أبيه جبير بن نفير، عن النواس بن سمعان قال: ذكر رسول الله ﷺ الدجال ذات غداة فخفَّض فيه ورفع[١]، حتىٰ ظنناه في طائفة النخل، فلما رحنا عرف ذلك فينا، فقال: «**ما شأنكم؟**» قلنا: يا رسول الله، ذكرت الدجال غداةً فخفَّضتَ فيه ورفعتَ، حتىٰ ظنناه في طائفة النخل؟ فقال: «**غير الدجال أخوفني عليكم**[٢]**، إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم، وإنْ يخرج ولست فيكم فامرؤ حجيج نفسه، والله خليفتي**

(١) قوله: «فخفَّض فيه ورفَّع» قال النووي - رحمه الله -: (هو بتشديد الفاء فيهما، وفي معناه قولان: أحدهما: أنَّ خفَّض بمعنىٰ: حقَّر، وقوله: «رفَّع» أي: عظَّمه وفخمه، فمن تحقيره وهوانه علىٰ الله تعالىٰ عوره، منه قوله ﷺ: «هو أهون علىٰ الله من ذلك»؛ وأنه لا يقدر علىٰ قتل أحد إلا ذلك الرجل، ثم يعجز عنه، وأنه يضمحل أمره ويقتل بعد ذلك هو وأتباعه، ومن تفخيمه وتعظيم فتنته والمحنة به هذه الأمور الخارقة للعادة، و«أنه ما من نبي إلا وقد أنذره قومه».
والوجه الثاني: أنه خفَّض من صوته في حال الكثرة فيما تكلَّم فيه، فخفض بعد طول الكلام والتَّعب ليستريح ثم رفع ليبلغ صوته كل أحد).

(٢) نقل النووي - رحمه الله - عن شيخه الإمام أبي عبد الله بن مالك قوله: (وأما معنىٰ الحديث: ففيه أوجه، أظهرها: أنه من أفعل التفضيل، وتقديره: «غير الدجال أخوف =

على كل مسلم، إنه شاب قطط، عينه طافئة، كأني أشبهه بعبد العزى بن قطن، فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف، إنه خارج خلة بين[(١)] الشأم والعراق، فعاث[(٢)] يمينًا وعاث شمالاً، يا عباد اللَّه فاثبتوا» قلنا: يا رسول اللَّه، وما لبثه في الأرض؟ قال: **«أربعون يومًا، يوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم كجمعة، وسائر أيامه كأيامكم»**، قلنا: يا رسول اللَّه، فذلك اليوم الذي

مخوفاتي عليكم» ثم حذف المضاف إلى الياء، ومنه: «أخوف ما أخاف على أُمتي: الأئمة المضلون» معناه: أن الأشياء التي أخافها على أمتي أحقها بأن تخاف الأئمة المضلون.

والثاني: بأن يكون «أخوف من أخاف» بمعنى: خوف، ومعناه: غير الدجال أشد موجبات خوفي عليكم.

والثالث: أن يكون من باب وصف المعاني بما يوصف به الأعيان على سبيل المبالغة، كقولهم في الشعر الفصيح: «شعر شاعر»، و«خوف فلان أخوف من خوفك» وتقديره: خوف غير الدجال أخوف خوفي عليكم، ثم حذف المضاف الأول ثم الثاني). هذا آخر كلام الشيخ رحمه اللَّه.

وقوله: «أنه شاب قطط»: أي: شديد جعودة الشعر، مباعد للجعودة المحبوبة.

(١) قال النووي: (هكذا في نسخ بلادنا «خلة» بفتح الخاء المعجمة واللام وتنوين الهاء، وقال القاضي: المشهور في «حلة» بالحاء المهملة ونصب التاء، يعني: غير منونة، قيل: معناه: سمت ذلك وقبالته.

وفي كتاب «العين»: الحلة موضع حزن وصخور، قال: ورواه بعضهم: «حلة» بضم اللام وبهاء الضمير، أي: نزوله وحلوله.

قال: وكذا ذكره الحميدي في «الجمع بين الصحيحين» قال: وذكره الهروي: «خلة» بالخاء المعجمة وتشديد اللام المفتوحتين، وفسَّره: بأنه ما بين البلدين. هذا آخر ما ذكره القاضي، وهذا الذي ذكره عن الهروي هو الموجود في نسخ بلادنا، وفي «الجمع بين الصحيحين» أيضًا ببلادنا، وهو الذي رجَّحه صاحب «نهاية الغريب» وفسَّره بالطريق بينهما).

(٢) قال النووي: (العيث: الفساد أو أشد الفساد، والإسراع فيه).

كسنةٍ، أتكفينا فيه صلاة يوم؟ قال: «**لا، اقدروا له قدره**»[١]، قلنا: يا رسول اللَّه؛ وما إسراعه في الأرض؟ قال: «**كالغيث استدبرته الريح، فيأتي على القوم فيدعوهم فيؤمنون به ويستجيبون له، فيأمر السماء فتمطر والأرض فتنبت، فتروح عليهم سارحتهم أطول ما كانت ذرًا وأسبغه ضروعًا، وأمده خواصر**[٢]**، ثم يأتي القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله، فينصرف عنهم فيصبحون ممحلين ليس بأيديهم شيء من أموالهم، ويمر بالخربة فيقول لها: أخرجي كنوزك. فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل**[٣]**، ثم يدعو رجلاً ممتلئًا**

---

(١) قال عياض: (هذا حكم مخصوص بذلك اليوم، شرعه لنا صاحب الشرع، قالوا: ولولا هذا الحديث ووكلنا إلى اجتهادنا لاقتصرنا فيه على الصلوات الخمس عند الأوقات المعروفة في غيره من الأيام.

ومعنى «اقدروا له قدره»: أنه إذا مضى بعد طلوع الفجر قدر ما يكون بينه وبين الظهر كل يوم فصلُّوا الظهر، ثم إذا مضى بعده قدر ما يكون بينها وبين العصر فصلوا العصر، وإذا مضَى بعد هذا قدْر ما يكون بينها وبين المغرب فصلوا المغرب، وكذا العشاء والصبح ثم الظهر ثم العصر ثم المغرب، وهكذا حتى ينقضي ذلك اليوم، وقد وقع فيه صلوات سنة فرائض كلها مؤداة في وقتها.

وأما الثاني الذي كالشهر والثالث الذي كجمعة فقياس اليوم الأول أن يقدر لهما كاليوم الأول على ما ذكرناه والله أعلم.

(٢) قوله: «تروح» معناه: «ترجع»، والسارحة: هي الماشية التي تسرح، أي: تذهب أول النهار إلى المرعى.

وأما «الذرى»: فبضم الذال المعجمة، وهي: الأعالي، و«الأسنمة» جمع ذروة بضم الذال وكسرها.

وقوله: «وأسبغه» بالسين المهملة والغين المعجمة، أي: أطوله، لكثرة اللبن، وكذا «أمده خواصر» لكثرة امتلائها من الشبع.

(٣) قوله: «كيعاسيب النحل»: هي ذُكور النحل، هكذا فسَّره ابن قتيبة وآخرون، قال القاضي: المراد: جماعة النحل لا ذكورها خاصة، لكنه كنَّى عن الجماعة باليعسوب وهو أميرها؛ لأنه متى طار تبعته جماعته. والله أعلم.

شبابًا فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين رمية الغَرَض (١)، ثم يدعوه فيقبل ويتهلل وجهه يضحك، فبينما هو كذلك إذْ بعث اللَّه المسيح ابن مريم، فينزل عند المنارة البيضاء ـ شرقي دمشق بين مهرودتين (٢)ـ واضعًا كَفَّيه على أجنحة ملكين، إذا طأطأ رأسه قطر، وإذا رفعه تحدَّر منه جمان كاللؤلو (٣)، فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات ونفسه ينتهي حين ينتهي طرفه، فيطلبه حتى يدركه بباب لدٍّ فيقتله، ثم يأتي عيسى ابن مريم قوم قد عصمهم اللَّه منه (٤)، فيمسح عن وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة، فبينما هو كذلك إذ أوحى اللَّه إلى عيسى إني قد أخرجت عبادًا لي لا يدان (٥) لأحد بقتالهم، فحرِّز عبادي إلى الطور. ويبعث اللَّه يأجوج ومأجوج، وهم من كل حدب ينسلون، فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها، ويمر آخرهم فيقولون: لقد كان بهذه مرة ماءً (٦). ويحصر نبي اللَّه عيسى وأصحابه، حتى

---

(١) «جزلتين» أي: قطعتين، ومعنى «رمية الغرض»: أنه يجعل بين الجزلتين مقدار رميته.

(٢) وأما «المهرودتان»: فروي بالدال المهملة والذال المعجمة، والمهملة أكثر، والوجهان مشهوران للمتقدمين والمتأخرين من أهل اللغة والغريب وغيرهم، وأكثر ما يقع في النسخ بالمهملة كما هو المشهور، ومعناه: لابس مهرودتين، أي: ثوبين مصبوغين بورس ثم بزعفران. وقيل: هما شِقتان، و«الشقة»: نِصف الملاءة.

(٣) «الجمان» بضم الجيم وتخفيف الميم، هي: حبات من الفضة تصنع على هيئة اللؤلؤ الكبار، والمراد: يتحدر منه الماء على هيئة اللؤلؤ في صفائه، فسمى الماء جمانًا لشبهه في الصفاء.

(٤) أي: قد عصمهم اللَّه من الدجال.

(٥) «اليدان» تثنية يد قال العلماء: معناه: لا قدرة ولا طاقة، يقال: «ما لي بهذا الأمر يد وما لي به يدان» لأن المباشرة والدفع إنما يكون باليد، وكأن يديه معدومتان لعجزه عن دفعه، ومعنى «حرزهم إلى الطور» أي: ضمهم واجعله لهم حرزًا.

(٦) في رواية لمسلم بعد قوله: «ماء»: «.. ثم يسيرون حتى ينتهوا إلى جبل الخمر -: وهو =

يكون رأس الثور لأحدهم خيرًا من مائة دينار لأحدكم اليوم، فيرغب نبي اللَّه عيسى وأصحابه[١] فيرسل اللَّه عليهم النغف[٢] في رقابهم، فيصبحون فَرْسَى[٣] كموت نفسٍ واحدة، ثم يهبط نبي اللَّه عيسى، وأصحابه إلى الأرض، فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلا ملأه زهمهم ونتنهم[٤]، فيرغب نبي اللَّه عيسى وأصحابه إلى اللَّه، فيرسل اللَّه طيرًا كأعناق البخت، فتحملهم فتطرحهم حيث شاء اللَّه، ثم يرسل اللَّه مطرًا لا يكن منه بيت مدر ولا وبرٍ[٥]، فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلفة[٦]، ثم يقال للأرض: أنبتي ثمرتك، وردي بركتك. فيومئذٍ تأكل العصابة من الرمانة ويستظلون

= جبل بيت المقدس - فيقولون: قد قتلنا من في الأرض، هلمَّ فلنقتل من في السماء، فيرمون بنشابهم إلى السماء - أي: بسهامهم - فيرد اللَّه عليهم نشابهم مخضوبة دمًا».
قال النووي في شرح «جبل الخمر» قال: (والخمر هو الشجر الملتف الذي يستر من فيه، وقد فسَّره في الحديث: «بأنه جبل بيت المقدس»).

(١) أي: يرغبون إلى اللَّه، يدعون اللَّه عز وجل.

(٢) هو دود يكون في أنوف الإبل والغنم.

(٣) «فرسى»: أي قتلى.

(٤) «الزهم والنتن»: أي الدسم والرائحة الكريهة.

(٥) أي: لا يمنع من نزول المطر بيت المدر، وهو الطين الصلب، و«لا وبر»: وهو الخيام المصنوعة من وبر الأنعام.

(٦) قال النووي: (الزُّلفة: بضم الزاي وإسكان اللام وبالفاء، وروى «الزَّلفة» بفتح الزاي واللام وبالفاء، وقال القاضي: روى بالفاء والقاف وبفتح اللام وبإسكانها وكلها صحيحة، قال في «المشارق»: والزاي مفتوحة، واختلفوا في معناه، فقال ثعلب وأبو زيد وآخرون: كالمرآة، وحكى صاحب «المشارق» هذا عن ابن عباس أيضًا شبهها بالمرآة في صفائها ونظافتها».
وقيل: كمصانع الماء أي: أن الماء يستنقع فيها، حتى تصير كالمصنع الذي يجتمع فيه الماء.
وقال أبو عبيد: معناه كالإجانة الخضراء، وقيل: كالصحفة، وقيل: كالروضة.

بقحفها[١]، ويبارك اللَّه في الرسل، حتى إن اللقحة[٢] من الإبل لتكفي الفئام[٣] من الناس، واللقحة من البقر لتكفى القبيلة من الناس، واللقحة من الغنم لتكفي الفخذ[٤] من الناس، فبينما هم كذلك إذ بعث اللَّه ريحًا طيبة، فتأخذهم تحت آباطهم فتقبض روح كل مؤمنٍ وكل مسلمٍ، ويبقى شرار الناس يتهارجون فيها تهارج الحمر[٥]، فعليهم تقوم الساعة.

صحيح

وأخرجه الترمذي (٢٢٤٠)، وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من حديث عبد الرحمن بن يزيد بن جابر، وأبو داود مختصرًا (٤٣٢١)، وابن ماجه (٤٠٧٥)، وعزاه المزي للنسائي.

* * *

(١) القحفة: هي مقعر القشر شبهها بقحف الرأس، وهو الذي فوق الدماغ، وقيل: ما انفلق من جمجمته وانفصل.

(٢) «اللقحة»: القريبة العهد بالولادة، و«اللقوح»: ذات اللبن وجمعها لقاح.

(٣) «الفئام»: الجماعة الكثيرة من الناس.

(٤) «الفخذ»: هم الجماعة من الأقارب، وهُم دون البطن، والبطن دون القبيلة. نقله النووي عن أهل اللغة، ونقل عن عياض أنه قال: قال ابن فارس: الفخذ هنا بإسكان الخاء لا غير، فلا يقال إلا بإسكانها، بخلاف الفخذ التي هي العضو فإنها تكسر وتسكن.

(٥) «يتهارجون تهارج الحمر»: أي يجامع الرجال النساء بحضرة الناس كما يفعل الحمير، ولا يكترثون لذلك، و«الهرْج» بإسكان الراء: الجماع، يقال: هرج زوجته أي: جامعها، يهرجها بفتح الراء وضمها وكسرها.

ومن فتن الدجال

قال الإمام البخاري رحمه الله (٧١٣٠):

حدثنا عبدان، أخبرني أبي، عن شعبة، عن عبد الملك، عن ربعي، عن حذيفة، عن النبي ﷺ قال في الدجال: «**إن معه ماءً ونارًا، فناره ماء بارد، وماؤه نار**».

قال أبو(١) مسعود: أنا سمعته من رسول الله ﷺ.

صحيح

وأخرجه مسلم (ص٢٢٤٩)، وأبو داود (٤٣١٥).

قال الإمام أحمد رحمه الله (٥/ ٢٢١):

حدثنا أبو النضر، ثنا حشرج، حدثني سعيد بن جهمان، عن سفينة مولى رسول الله ﷺ قال: خطبنا رسول الله ﷺ فقال: «**ألا إنه لم يكن نبي قبلي إلا قد حذَّر الدجالَ أُمتَه، هو أعور عينه اليسرى، بعينه اليمنى ظفرة غليظة، مكتوب بين عينيه: «كافر»، يخرج معه واديان أحدهما جنة والآخر نار، فناره جنة وجنته نار، معه ملكان من الملائكة يشبهان نبيين من الأنبياء، لو شئت**

(١) في رواية البخاري (مع «الفتح» ١٣/ ٩١): ابن مسعود والصواب ما أثبتناه، وفي «صحيح مسلم» (٢٩٣٤، و٢٩٣٥) من طريق: ربعي بن حراش، عن عقبة بن عمرو أبي مسعود الأنصاري قال: انطلقت معه إلى حذيفة بن اليمان، فقال له عقبة: حدثني ما سمعت من رسول الله ﷺ في الدجال. قال: «إن الدجال يخرج وإن معه ماءً ونارًا، فأما الذي يراه الناس ماءً فنار تحرق، وأما الذي يراه الناس نارًا فماء بارد عذب، فمن أدرك ذلك منكم فليقع في الذي يراه نارًا؛ فإنه ماء عذب طيب». فقال عقبة: وأنا قد سمعته تصديقًا لحذيفة.

سميتهما بأسمائهما وأسماء آبائهما؛ واحد منهما عن يمينه والآخر عن شماله، وذلك فتنة، فيقول الدجال: ألستُ بربكم؟ ألستُ أحيي وأميت؟ فيقول له أحد الملكين: كذبت. ما يسمعه أحد من الناس إلا صاحبه، فيقول له(١) : صدقت. فيسمعه الناس، فيظنون إنما يصدق الدجال، وذلك فتنته، ثم يسير حتى يأتي المدينة فلا يؤذن له فيها، فيقول: هذه قرية ذلك الرجل. ثم يسير حتى يأتي الشام فيهلكه الله عز وجل عند عقبة أفيق».

إسناده حسن(٢)

وأخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٦٤٤٥).

* * *

---

(١) أي: يقول للملك الذي كذَّب الدجال: «صدقت» أي: صدقت في قولك: إن الدجال كاذب.

(٢) وفي إسناده سعيد بن جمهان: وثقه بعض أهل العلم، وقال البخاري: في حديثه عجائب، ولعل هذا هو الذي حدا بالحافظ ابن كثير - رحمه الله - أن يقول: إسناده لا بأس به ولكن في متنه نكارة وغرابة. والله أعلم.

وماذا مع الدجال؟

قال الإمام مسلم رحمه الله (ص٢٢٤٩):

حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا يزيد بن هارون، عن أبي مالك الأشجعي، عن ربعي بن حراش، عن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ: «**لأنا أعلم بما مع الدجال منه، معه نهران يجريان، أحدهما رأي العين ماء أبيض، والآخر رأي العين نار تأجج، فإما أدركن أحد فليأتِ النهر الذي يراه نارًا، وليغمص ثم ليطأطئ رأسه فيشرب منه، فإنه ماء بارد، وإن الدجال ممسوح العين، عليها ظفرة غليظة، مكتوب بين عينيه: «كافر»، يقرؤه كل مؤمن كاتب وغير كاتبٍ**».

صحيح

وتقدم تخريجه.

قال الإمام البخاري رحمه الله (٣٣٣٨):

حدثنا أبو نعيم، حدثنا شيبان، عن يحيى، عن أبي سلمة، سمعت أبا هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ألا أحدثكم حديثًا عن الدجال، ما حدث به نبيٌّ قومَه: إنه أعور، وإنه يجيء معه بمثال الجنة والنار، فالتي يقول إنها جنة هي النار، وإني أنذركم كما أنذر به نوحٌ قومه**».

صحيح

وأخرجه مسلم (٢٩٣٦).

* * *

هوان الدجال على اللَّه

قال الإمام البخاري رحمه اللَّه (٧١٢٢):

حدثنا مسدد، حدثنا يحيى، حدثنا إسماعيل، حدثني قيس، قال: قال لي المغيرة بن شعبة: ما سأل أحدٌ النبيَّ ﷺ عن الدجال ما سألته، وإنه قال لي: «**ما يضرك منه؟**» قلت: لأنهم يقولون: إن معه جبل خبزٍ ونهر ماءٍ. قال: «**بل هو أهون على اللَّه من ذلك**»[1].

صحيح

وأخرجه مسلم (٢٩٣٩)، وابن ماجه (٤٠٧٣).

* * *

(١) قال النووي - رحمه اللَّه - «شرح مسلم» (٥/ ٧٩٥): (قال القاضي: معناه: هو: أهون على اللَّه من أن يجعل ما خلقه اللَّه تعالى على يده مضلاً للمؤمنين، ومشككًا لقلوبهم، بل إنما جعله ليزداد الذين آمنوا إيمانًا، ويثبت الحجة على الكافرين والمنافقين ونحوهم، وليس معناه: أنه ليس معه شيء من ذلك).

الدجال لا يدخل المدينة

قال الإمام البخاري رحمه الله (١٨٨١):

حدثنا إبراهيم بن المنذر، حدثنا الوليد، حدثنا أبو عَمرو، حدثنا إسحاق، حدثني أنس بن مالك رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**ليس من بلدٍ إلا سيطؤه الدجال**(١)، **إلا مكة والمدينة، ليس له من نقابها نقب إلا عليه الملائكة صافين يحرسونها، ثم ترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفاتٍ**(٢)؛ **فيخرج الله كل كافرٍ ومنافق**».

صحيح

وأخرجه مسلم (٢٩٤٣)، وعزاه المزي للنسائي.

قال الإمام البخاري رحمه الله (١٨٨٠):

حدثنا إسماعيل، قال: حدثني مالك، عن نعيم بن عبد الله المجمر، عن أبي

---

(١) قال الحافظ في «الفتح» (٤/ ٩٦): (قوله: «ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال» هو على ظاهره وعمومه عند الجمهور، وشذ ابن حزم فقال: المراد ألا يدخله بعثُه وجنوده، وكأنه استبعد إمكان دخول الدجال جميع البلاد لقصر مدته، وغفل عمَّا ثبت في «صحيح مسلم»: «أن بعض أيامه يكون قدر السَّنة»).

(٢) قال الحافظ: (أي: يحصل لها زلزلة بعدأخرى ثم ثالثة، حتى يخرج منها من ليس مخلصًا في إيمانه، ويبقى بها المؤمن الخالص، فلا يسلط عليه الدجال، ولا يعارض هذا ما في حديث أبي بكرة: «أنه لا يدخل المدينة رعب الدجال»، لأن المراد بالرعب: ما يحدث من الفزع من ذكره والخوف من عتوه، لا الرجفة التي تقع بالزلزلة لإخراج من ليس بمخلص، وحمل بعض العلماء الحديث الذي فيه: أنها تنفي الخبث على هذه الحالة دون غيرها، وقد تقدَّم أن الصحيح في معناه: أنه خاص بناس وبزمان، فلا مانع أن يكون هذا الزمان هو المراد، ولا يلزم من كونه مرادًا نفي غيره. والله أعلم).

هريرة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**على أنقاب**[١] **المدينة ملائكة، لا يدخلها الطاعون ولا الدجال**».

صحيح

وأخرجه مسلم (١٣٧٩)[٢]، وعزاه المزي للنسائي.

قال الإمام البخاري رحمه اللَّه (١٨٧٩):

حدثنا عبد العزيز بن عبد اللَّه، قال: حدثني إبراهيم بن سعد، عن أبيه، عن جده، عن أبي بكرة رضي اللَّه عنه، عن النبي ﷺ قال: «**لا يدخل المدينة رعب المسيح الدجال، لها يومئذٍ سبعة أبوابٍ، على كل باب ملكان**».

صحيح

قال الإمام أحمد رحمه اللَّه (٥/ ٤١):

حدثنا عبد الرزاق، أنا معمر، عن الزهري، عن طلحة بن عبد اللَّه بن عوف[٣] عن أبي بكرة قال: أكثر الناس في مُسيلمة قبل أن يقول رسول اللَّه ﷺ فيه شيئًا، فقام رسول اللَّه ﷺ خطيبًا فقال: «**أما بعدُ، ففي شأن هذا الرجل الذي قد أكثرتم فيه، وإنه كذاب من ثلاثين كذابًا يخرجون بين يدي الساعة،**

---

(١) المراد بالأنقاب هنا المداخل، وفي «اللسان»: النَّقب، و«النُّقب»: الطريق، وقيل: الطريق الضيق في الجبل.

(٢) في رواية لمسلم (١٣٨٠) من طريق: العلاء، عن أبيه، عن أبي هريرة: أن رسول اللَّه ﷺ قال: «يأتي المسيح من قِبَل المشرق همته المدينة، حتى ينزل دبر أُحد ثم تصرف الملائكة وجهه قبل الشام، وهنالك يهلك».

(٣) وقد أخرجه أحمد (٥/ ٤٦) من طريق: طلحة بن عبد اللَّه بن عوف، أن عياض بن مسافع أخبره، عن أبي بكرة. . .، «وعياض بن مسافع»: مجهول. فاللَّه أعلم.

وإنه ليس من بلدة إلا يبلغها رعب المسيح إلا المدينة، على كل نقب من نقابها ملكان يَذُبَّان عنها رعبَ المسيح».

إسناده صحيح

* * *

موقف للدجال عند أبواب المدينة

قال الإمام البخاري رحمه اللَّه (٧١٣٢):

حدثنا أبو اليمان، أخبرنا شعيب، عن الزهري، أخبرني عبيد اللَّه بن عبد اللَّه بن عتبة ابن مسعود، أن أبا سعيد قال: حدثنا رسول اللَّه ﷺ يومًا حديثًا طويلاً عن الدجال، فكان فيما يحدثنا به أنه قال: «**يأتي الدجال ـ وهو محرم عليه أن يدخل نقاب المدينة ـ فينزل بعض السباخ التي تلي المدينة، فيخرج إليه يومئذ رجل هو خير الناس ـ أو: من خيار الناس ـ فيقول: أشهد أنك الدجال الذي حدثنا رسول اللَّه ﷺ حديثه. فيقول الدجال: أرأيتم إن قتلت هذا ثم أحييته، هل تشكُّون في الأمر؟ فيقولان: لا، فيقتله ثم يحييه، فيقول: واللَّه ما كنت فيك أشد بصيرة مني اليوم، فيريد الدجال أن يقتله فلا يُسلط عليه**».

صحيح

وأخرجه مسلم (٢٩٣٨)[1]، وعزاه المزي للنسائي.

---

(١) عقب هذه الرواية في «صحيح مسلم»: («قال أبو إسحاق: يقال: إن هذا الرجل هو الخضر عليه السلام»، قال النووي: «أبو إسحاق هذا هو: إبراهيم بن سفيان راوي الكتاب عن مسلم، وكذا قال معمر في «جامعه» في إثر هذا الحديث كما ذكره ابن سفيان، وهذا تصريح منه بحياة الخضر عليه السلام، وهو الصحيح»).
كذا قال النووي رحمه اللَّه، وما صححه فيه نظر قوي.
فقد استدلَّ غيره بجملة أدلة ترد هذا القول الذي قاله معمر وابن سفيان منها: حديث رسول اللَّه ﷺ: «ما من نفس منفوسة يأتي عليها من اليوم مائة عام وهي على ظهر الأرض».
ومنها: ما قاله بعض أهل العلم من أنه: ولو كان الخضر حيًا لشهد مع الرسول ﷺ مغازيه.

قال الإمام مسلم رحمه الله (ص٢٢٥٦):

حدثني محمد بن عبد الله بن قهزاذ ـ من أهل مرو ـ حدثنا عبد الله بن عثمان، عن أبي حمزة، عن قيس بن وهب، عن أبي الوداك، عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «**يخرج الدجال فيتوجه قبله رجل من المؤمنين، فتلقاه المسالح ـ مسالح الدجال ـ فيقولون له: أين تعمد؟ فيقول: أعمد إلى هذا الذي خرج**».

قال: «**فيقولون له: أو ما تؤمن بربنا؟ فيقول: ما ربنا خفاءٌ. فيقولون: اقتلوه. فيقول بعضهم لبعضٍ: أليس قد نهاكم ربكم أن تقتلوا أحدًا دونه**»؟

قال: «**فينطلقون به إلى الدجال، فإذا رآه المؤمن قال: يا أيها الناس، هذا الدجال الذي ذكر رسول الله ﷺ**».

قال: «**فيأمر الدجال به فيُشبَّح**[1] **فيقول: خذوه وشجوه، فيوسع ظهره وبطنه ضربًا**».

قال: «**فيقول: أو ما تؤمن بي**»؟

قال: «**فيقول: أنت المسيح الكذاب**».

قال: «**فيؤمن به فيؤشر بالمئشار**[2] **من مَفْرِقه حتى يفرق بين رجليه**».

= وأقوى من هذا أن يقال: إنه لم يرد نص صحيح يفيد أن الخضر حيٌّ.
وما قاله معمر هنا معضل مقطوع كما هو واضح، والله أعلم.

(١) «فيشبح»: قال النووي: (أي مدوه على بطنه، أما «الشج: فهو الجرح في الرأس والوجه»).

(٢) «فيؤشر»: قال النووي ـ رحمه الله ـ: و«المئشار» بهمزة بعد الميم، وهو الأفصح، ويجوز «المنشار».

قال: «**ثم يمشي الدجال بين القطعتين ثم يقول له: قم. فيستوي قائمًا**».

قال: «**ثم يقول له: أتؤمن بي؟ فيقول: ما ازددت فيك إلا بصيرة**».

قال: «**ثم يقول: يا أيها الناس، إنه لا يفعل بعدي بأحد من الناس**».

قال: «فيأخذه الدجال ليذبحه، فيجعل ما بين رقبته إلى تَرْقُوته[1] **نُحَاسًا، فلا يستطيع إليه سبيلاً»**.

قال: «**فيأخذ بيديه ورجليه فيقذف به، فيحسب الناس أنما قذفه إلى النار، وإنما ألقي في الجنة**».

فقال رسول اللَّه ﷺ: «**هذا أعظم الناس شهادةً عند رب العالمين**».

صحيح

* * *

(١) الترقوة: هي العظم الذي بين ثغرة النحر والعاتق.

يوم الخلاص

قال الإمام أحمد رحمه الله (٤/ ٣٣٨):

حدثنا يونس، ثنا حماد - يعني: ابن سلمة - عن سعيد الجريري، عن عبد الله بن شقيق[١]، عن محجن بن الأدرع: أن رسول الله ﷺ خطب الناس فقال: **«يوم الخلاص، وما يوم الخلاص؟ يوم الخلاص، وما يوم الخلاص؟! يوم الخلاص، وما يوم الخلاص؟»** ثلاثًا. فقيل له: وما يوم الخلاص؟ قال: **«يجيء الدجال فيصعد أُحُدًا، فينظر المدينة فيقول لأصحابه: أترون هذا القصر الأبيض؟ هذا مسجد أحمد، ثم يأتي المدينة فيجد بكل نقب منها ملكًا مُصلتًا، فيأتي سبخة الحرف فيضرب رواقه، ثم ترجف المدينة ثلاث رجفات، فلا يبقى منافق ولا منافقة ولا فاسق ولا فاسقة إلا خرج إليه، فذلك يوم الخلاص»**.

صحيح لشواهده

وأخرجه الحاكم (٤/ ٥٤٣)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي.

* * *

(١) وقد اختلف على عبد الله بن شقيق في هذا الحديث على أوجه:
منها أنه رُوي عنه عن محجن رضي الله عنه كما هنا، وكما عند الحاكم (٤/ ٥٤٣).
ومنها: أنه رُوي عنه عن رجاء بن أبي رجاء الباهلي كما عند أحمد (٤/ ٣٣٨)، و«رجاء» هذا: الصواب فيه أنه مجهول.
ومنها: أنه رُوي عن عبد الله بن سراقة عن أبي عبيدة مختصرًا كما عند الحاكم (٤/ ٥٤٢).
وعلى كلٍّ؛ فللحديث شواهد صحيحة أوردناها في هذا الكتاب.

بنو تميم أشد الناس على الدجال

قال الإمام البخاري رحمه الله (٤٣٦٦):

حدثني زهير بن حرب، حدثنا جرير، عن عمارة بن القعقاع، عن أبي زرعة، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لا أزال أحب بني تميم بعد ثلاث سمعتهن من رسول الله ﷺ يقولها فيهم: «**هم أشد أمتي على الدجال**»[١].

وكانت فيه سبية عند عائشة فقال: «**أعتقيها فإنها من ولد إسماعيل**».

وجاءت صدقاتهم فقال: «**هذه صدقات قوم أو قومي**».

صحيح

وأخرجه مسلم (٢٥٢٥).

* * *

(١) قال الحافظ في «الفتح» (٥/ ١٧٢): (في رواية الشعبي عن أبي هريرة عند مسلم: «هم أشد الناس قتالاً في الملاحم» وهي أعم من رواية أبي زرعة، ويمكن أن يحمل العام في ذلك على الخاص، فيكون المراد بالملاحم: أكبرها وهو: قتال الدجال، أو: ذكر الدجال؛ ليدخل غيره بطريق الأولى).

أكثر أتباع الدجال من النساء

قال الإمام أحمد رحمه الله (٢/ ٦٧):

حدثنا أحمد بن عبد الملك، ثنا محمد بن سلمة، عن محمد بن إسحاق، عن محمد بن طلحة، عن سالم، عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «**ينزل الدجال في هذه السبخة بمر قناة فيكون أكثر من يخرج إليه النساء، حتى إن الرجل ليرجع إلى حميمه وإلى أمه وابنته وأخته وعمته فيوثقها رباطًا مخافة أن تخرج إليه، ثم يسلط الله المسلمين عليه فيقتلونه ويقتلون شيعته، حتى إن اليهودي ليختبئ تحت الشجرة أو الحجر فيقول الحجر أو الشجرة للمسلم: هذا يهودي تحتي فاقتله**».

صحيح لغيره[1]

* * *

(١) وله شاهد عند أحمد (٥/ ١٦) من حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه مرفوعًا، وآخر عند ابن ماجه (٤٠٧٧) من حديث أبي أمامة رضي الله عنه مرفوعًا.

اليهود أتباع الدجال

قال الإمام مسلم رحمه الله (٢٩٤٤):

حدثنا منصور بن أبي مزاحم، حدثنا يحيى بن حمزة، عن الأوزاعي، عن إسحاق بن عبد الله، عن عمه أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: «**يتبع الدجال من يهود أصبهان سبعون ألفًا عليهم الطيالسة**»[١].

صحيح

* * *

(١) الطيالسة: نوع من أنواع الثياب.

فرار الناس من الدجال

قال الإمام مسلم رحمه اللَّه (٢٩٤٥):

حدثني هارون بن عبد اللَّه، حدثنا حجاج بن محمد، قال: قال ابن جريج، حدثني أبو الزبير، أنه سمع جابر بن عبد اللَّه يقول: أخبرتني أم شريك، أنها سمعت النبي ﷺ يقول: «**ليفرنَّ الناسُ من الدجال في الجبالِ**».

قالت أم شريك: يا رسول اللَّه، فأين العرب يومئذٍ؟ قال: «**هُم قليلٌ**».

صحيح

وأخرجه الترمذي (٣٩٣٠)، وقال: هذا حديث حسن غريب.

* * *

لبث الدجال في الأرض

قال الإمام أحمد رحمه الله (٥/ ٤٣٤ ـ ٤٣٥):

حدثنا محمد بن جعفر، ثنا شعبة، عن سليمان، عن مجاهد، عن جنادة بن أبي أمية أنه قال: أتيت رجلاً من أصحاب النبي ﷺ فقلت: له: حدثني حديثًا سمعته من رسول الله ﷺ في الدجال ولا تحدثني عن غيرك، وإن كان عندك مصدقًا. فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**أنذرتكم فتنة الدجال، فليس من نبي إلا أنذره قومه أو أُمته، وإنه آدم، جعد، أعور عينه اليسرى، وإنه يمطر ولا ينبت الشجرة، وإنه يسلط على نفس فيقتلها ثم يحييها ولا يسلط على غيرها، وإنه معه جنة ونار ونهر وماء وجبل خبز، وإن جنته نار، وناره جنة، وإنه يلبث فيكم أربعين صباحًا يرد فيها كل منهل إلا أربع مساجد: مسجد الحرام، ومسجد المدينة، ومسجد الطور، والأقصى، وإن شكل عليكم أو شبه فإن الله عز وجل ليس بأعور**».

صحيح

قال الإمام مسلم رحمه الله (٢٩٤٠):

حدثنا عبيد الله بن معاذ العنبري، حدثنا أبي، حدثنا شعبة، عن النعمان بن سالم قال: سمعت يعقوب بن عاصم بن عُروة بن مسعود الثقفي يقول: سمعت عبد الله بن عمرو، وجاءه رجل فقال: ما هذا الحديث الذي تحدث به؟ تقول: إن الساعة تقوم إلى كذا وكذا، فقال: سبحان الله! ـ أو: لا إله إلا الله، أو كلمة نحوها ـ لقد هممت ألا أحدث أحدًا شيئًا أبدًا، إنما قلتُ: إنكم سترون بعد قليل أمرًا عظيمًا يحرق البيت ويكون ويكون، ثم قال: قال رسول الله ﷺ: «**يخرج**

الدجـال في أمتي فيـمكث أربعين ـ لا أدري أربعين يومًا أو أربعين شهـرًا أو أربعين عـامًا ؟ **ـفيبـعث اللَّه عيسى ابن مريم كـأنه عروة بن مسعـود، فيطلبه فيهلكه، ثم يمكث الناس سبع سنين ليس بين اثنين عداوة، ثم يرسل اللَّه ريحًا باردة من قِبل الشأم، فـلا يبقى على وجه الأرض أحدٌ في قلبه مـثقال ذرةٍ من خير أو إيمان إلا قبضته، حتى لو أن أحدكم دخل في كبد[١] جبلٍ لدخلته عليه حتى تقبضه»** . قال : سمعتها من رسول اللَّه ﷺ، قال : **«فيبقى شرار الناس في خفة الطيـر وأحلام السباع[٢]، لا يعرفون معروفًا ولا ينكرون منكرًا، فيتمثل لهم الشيطان فيـقول: ألا تستجيـبون؟ فيقولون: فـما تأمرنا؟ فيأمـرهـم بعبادة الأوثان، وهم في ذلك دارٌ[٣] رزقهم، حسن عيـشهم، ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه أحدٌ إلا أصغى ليتًا[٤] ورفع ليتًا.**

قال: وأول من يسمـعه: رجل يلوط[٥] حوض إبله. قال: فيـصعق ويصعق

---

(١) كبد جبل : أي : وسط جبل .

(٢) قال النووي ـ رحمه اللَّه ـ (٥/ ٧٩٧) : (قوله ﷺ : «فيبقى شرار الناس في خفة الطير وأحلام السباع» .

قال العلماء : معناه يكونون في سرعتهم إلى الشرور وقضاء الشهوات والفساد كطيران الطير ، وفي العدوان وظلم بعضهم بعضًا في أخلاق السباع العادية) .

(٣) أي : أن اللَّه يدر عليهم الرزق بوفرة .

(٤) قال النووي ـ رحمه اللَّه ـ (قوله ﷺ : «أصغى ليتًا ورفع ليتًا» : «الليت بكسر اللام وآخره مثناة فوق ، وهي : صفحة العنق ، وهي جانبه ، وأصغى : أمال) .

(٥) قال النووي : (أي : يطينه ويصلحه) .

وقال الحافظ في «الفتح» (١١/ ٣٥٧) : (ألاط حوضه إذا مدره أي : جمع حجارة فصيَّرها كالحوض ثم سد ما بينها من الفرج بالمدر ونحوه لينحبس الماء ، وقد يكون للحوض حروق فيسدَّها بالمدر قبل أن يملأه) .

الناس، ثم يرسل اللَّه ـ أو قال: **يُنزل اللَّه ـ مطرًا كأنَّه الطلُّ**[١] ـ أو: الظل (نعمان الشاك) ـ **فتنبت منه أجساد الناس، ثم ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون.**

ثم يقال: يا أيها الناس؛ هلم إلى ربكم وقفوهم إنهم مسئولون. قال: ثم يقال: أخرجوا بعث النار، فيقال: مِن كم؟ فيقال: مِن كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين.

قال: فذاك يوم يجعل الولدان شيبًا، وذلك يوم يكشف عن ساقٍ».

صحيح

وعزاه المزي للنسائي.

* * *

(١) قال النووي: (قال العلماء: الأصح: «الطل» بالمهملة، وهو الموافق للحديث الآخر: «أنه كمني الرجال»).

الحثُّ على الفرار من الدجال والبعد عنه

قال أبو داود رحمه اللّه (٤٣١٩):

حدثنا موسىٰ بن إسماعيل، حدثنا جرير، حدثنا حميد بن هلال، عن أبي الدهماء، قال: سمعت عمران بن حصين يحدث قال: قال رسول اللّه ﷺ: **«من سمع بالدجال فلينأ عنه، فواللّه إن الرجل ليأتيه وهو يحسبن أنه مؤمن فيتبعه مما يبعث به من الشبهات** - أو: **لما يبعث به من الشبهات»**. هكذا قال.

إسناده صحيح

وأخرجه أحمد (٤/ ٤٣١)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٥٣١)، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد علىٰ شرط مسلم ولم يخرجاه، وسكت عليه الذهبي.

* * *

حرز من الدجال

قال الإمام مسلم رحمه الله (٨٠٩):

وحدثنا محمد بن المثنى، حدثنا معاذ بن هشام، حدثني أبي، عن قتادة، عن سالم بن أبي الجعد الغطفاني، عن معدان بن أبي طلحة اليعمري، عن أبي الدرداء: أن النبي ﷺ قال: «**مَن حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عُصم من الدجال**».

إسناده صحيح[1]

وحدثنا محمد بن المثنى وابن بشار، قالا: حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة /ح/ . وحدثني زهير بن حرب، حدثنا عبد الرحمن بن مهدي، حدثنا همام.

جميعًا: عن قتادة بهذا الإسناد قال شعبة: «من آخر الكهف»، وقال همام: «من أول الكهف» كما قال هشام.

والحديث أخرجه: أبو داود (٤٣٢٣)، وأشار أيضًا إلى الخلاف هل هو من أول سورة الكهف أو من آخرها؟

وأخرجه الترمذي (٢٨٨٦) من طريق شعبة، عن قتادة، عن سالم بن أبي الجعد، عن معدان بن أبي طلحة، عن أبي الدرداء، عن النبي ﷺ قال: «**من قرأ ثلاث آيات من أول الكهف عصم من فتنة الدجال**»، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

وأخرجه النسائي في «عمل اليوم والليلة» (٩٤٩، ٩٥٠، ٩٥١).

(١) وقد صحَّ الإسناد إلى أبي الدرداء أيضًا مرفوعًا: «من قرأ عشر آيات من سورة الكهف عُصم من الدجال».

حرز آخر من الدجال

قال الإمام أحمد رحمه اللَّه (٥/ ٣٧٢):

حدثنا سليمان بن حرب، ثنا حماد بن زيد، عن أيوب، عن أبي قلابة قال: رأيت رجلاً بالمدينة وقد طاف الناس به وهو يقول: قال رسول اللَّه ﷺ، قال رسول اللَّه ﷺ، فإذا رجل من أصحاب النبي ﷺ، قال: فسمعته وهو يقول: **«إن من بعدكم الكذَّاب المضل، وإن رأسه من بعده حبك حبك حبك**[١] ثلاث مرات - **وإنه سيقول: أنا ربكم. فمن قال: لست ربنا لكن ربنا اللَّه عليه توكلنا وإليه أنبنا نعوذ باللَّه من شرك. لم يكن عليه سلطان»**[٢].

صحيح

وأخرجه أحمد أيضًا (٥/ ٤١٠).

* * *

(١) في «اللسان»: (.. وفي الحديث في صفة الدجال: «رأسه حبك» أي: شعر رأسه متكسر من الجعودة، مثل الماء الساكن أو الرمل إذا هبت عليهما الريح فيتجعدان ويصيران طرائق، وفي رواية أخرىٰ: «محبك الشعر» بمعناه).

(٢) في رواية أحمد (٥/ ٤١٠): (... ونعوذ باللَّه منك. قال: فلا سبيل له عليه).

الاستعاذة من الدجال

قال الإمام البخاري رحمه اللَّه (٨٣٢):

حدثنا أبو اليمان قال: أخبرنا شعيب، عن الزهري، قال: أخبرنا عروة بن الزبير، عن عائشة زوج النبي ﷺ أخبرته، أن رسول اللَّه ﷺ كان يدعو في الصلاة: «**اللَّهُمَّ إني أعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال، وأعوذ بك من فتنة المحيا وفتنة الممات. اللَّهم إني أعوذ من المأثم والمغرم**».

فقال له قائل: ما أكثر ما تستعيذ من «المغرم»؟ فقال: «**إن الرجل إذا غرم حدَّث فكذب، ووعد فأخلف**».

صحيح

وأخرجه مسلم (٥٨٩)، وأبو داود (٨٨٠)، والنسائي (٣/ ٥٦).

قال الإمام مسلم رحمه اللَّه (٥٨٨):

وحدثني زهير بن حرب، حدثنا الوليد بن مسلم، حدثني الأوزاعي، حدثنا حسان بن عطية حدثني محمد بن أبي عائشة، أنه سمع أبا هريرة يقول: قال رسول اللَّه ﷺ: «**إذا فرغ أحدكم من التشهد الآخر فليتعوذ باللَّه من أربع: من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن شر المسيح الدجال**».

صحيح

وحدثنيه الحكم بن موسى، حدثنا هقل بن زياد / ح/ . قال: وحدثنا علي بن خشرم، أخبرنا عيسى - يعني: ابن يونس - جميعًا: عن الأوزاعي بهذا الإسناد، وقال: «**إذا فرغ أحدكم من التشهد**» ولم يذكر: «**الآخر**».

وأخرجه أبو داود (٩٨٣)، والنسائي (٣/ ٥٨)، وابن ماجه (٩٠٩).

قال الإمام مسلم رحمه الله (٥٩٠):

وحدثنا قتيبة بن سعيد، عن مالك بن أنس - فيما قرئ عليه - عن أبي الزبير، عن طاوس، عن ابن عباس: أن رسول الله ﷺ كان يعلّمهم هذا الدعاء كما يعلمهم السورة من القرآن، يقول: «**قولوا: اللَّهم إنا نعوذ بك من عذاب جهنم، وأعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات**».

صحيح

قال مسلم بن الحجاج[1]: بلغني أن طاووسًا قال لابنه: أدعوت بها في صلاتك؟ فقال: لا. قال: أعد صلاتك؛ لأن طاووسًا رواه عن ثلاثة أو أربعة - أو كما قال.

وأخرجه[2]: أبو داود (١٥٤٢)، والترمذي (٣٤٩٤)، وقال: هذا حديث حسن صحيح. والنسائي (٤/ ١٠٤).

---

(١) لا يخفى أن هذا السند ضعيف، أي: القدر الأخير وهو قوله: «بلغني»؛ وذلك لأنه معضل.

(٢) أعني بقول: «وأخرجه» أصل الحديث، ليس قوله: «قال مسلم». وهذا لا يخفى.

قال الإمام البخاري رحمه اللّه (٤٧٠٧):

حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا هارون بن موسى أبو عبد اللّه الأعور، عن شعيب، عن أنس بن مالك رضي اللّه عنه، أن رسول اللّه ﷺ كان يدعو[١] : «**أعوذ بك من البخلِ، والكسل، وأرذل العمر، وعذاب القبر، وفتنة الدجال، وفتنة المحيا والممات**».

صحيح

وأخرجه مسلم (ص٢٠٨٠).

* * *

(١) في بعض روايات الصحيح: «اللَّهُمَّ إني أعوذ...».

مصرع الدجال

قال الحاكم رحمه اللّٰه «المستدرك» (٤/ ٥٢٩):

أخبرنا أبو عبد اللّٰه محمد بن يعقوب الحافظ رحمه اللّٰه تعالىٰ، ثنا يحيىٰ بن محمد بن يحيىٰ، ثنا مسدد، ثنا معاذ بن هشام، حدثني أبي، عن قتادة، عن أبي الطفيل قال: كنت بالكوفة، فقيل: خرج الدجال. قال: فأتينا علىٰ حذيفة بن أسيد وهو يحدث. فقلت: هذا الدجال قد خرج.

فقال: اجلس. فجلستُ فأتىٰ علىٰ العريف.

فقال: هذا الدجال قد خرج وأهل الكوفة يطاعنونه.

قال: اجلس، فجلس، فنودي: إنها كذبة صباغ.

قال: فقلنا: يا أبا سريحة، ما أجلستنا إلا لأمرٍ؛ فحدِّثنا.

قال: إن الدجال لو خرج في زمانكم لرمته الصبيان بالخذف، ولكن الدجال يخرج في بغضٍ من الناس وخفة من الدين وسوءِ ذات بين، فَيَرِدُ كل منهل فتطوىٰ له الأرض طي فروة الكبش، حتىٰ يأتي المدينة فيغلب علىٰ خارجها ويمنع داخلها، ثم جبل إيلياء فيحاصر عصابة من المسلمين، فيقول لهم الذين عليهم: ما تنتظرون بهذه الطاغية أن تقاتلوه حتىٰ تلحقوا باللّٰه أو يفتح لكم؟ فيأتمرون أن يقاتلوه إذا أصبحوا، فيصبحون ومعهم عيسىٰ ابن مريم، فيقتل الدجال ويهزم أصحابه، حتىٰ إن الشجر والحجر والمدر يقول: يا مؤمن؛ هذا يهودي عندي فاقتله.

قال: وفيه ثلاث علامات:

هو أعور، وربكم ليس بأعور.

ومكتوب بين عينيه: «كافر» يقرأه كل مؤمن أمي وكاتب.

ولا يسخر له من المطايا إلا الحمار؛ فهو رجس على رجس.

ثم قال: أنا لغير الدجال أخوف عليَّ وعليكم.

قال: فقلنا: ما هو يا أبا سريحة؟

قال: فتنٌ كأنها قطع الليل المظلم.

قال: فقلنا: أي الناس فيها شر؟

قال: كل خطيب مصقع وكل راكب موضع.

قال: فقلنا: أي الناس فيها خير؟

قال: كل غني خفي.

قال: فقلت: ما أنا بالغنيّ ولا بالخفيّ.

قال: فكُن كابنِ اللبون؛ لا ظهر فيركب، ولا ضرع فيحلب.

موقوف(١)

قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي.

قال ابن حبان رحمه اللَّه (١٩٠٥):

أخبرنا عمران بن موسى بن مجاشع، حدثنا عثمان بن أبي شيبة، حدثنا

---

(١) وفي بعض رجاله كلام يسير، ففي إسناده «معاذ بن هشام»: فيه كلام، ينزل بحديثه إلى درجة الحسن، وفيه «قتادة»: مدلس وقد عنعن، إلا أن الراوي عنه هو هشام بن أبي عبد اللَّه الدستوائي، وهو من أروى الناس عنه ومن أثبت الناس فيه.

الحسن بن موسى الأشيب، حدثنا شيبان، عن يحيى بن أبي كثير، عن الحضرمي ابن لاحق، عن أبي صالح، عن عائشة قالت:

دخل عليَّ رسول اللَّه ﷺ وأنا أبكي، فقال: «**ما يبكيك؟**».

فقلت: يا رسول اللَّه، ذكرتُ الدجالَ.

قال: «**لا تبكين، فإن يخرج وأنا حي أكفيكموه، وإن مِتُّ فإن ربكم ليس بأعور، وإنه يخرج معه اليهود، فيسير حتى ينزل بناحية المدينة وهي يومئذ لها سبعة أبواب، على كل باب ملكان فيخرج اللَّه شرار أهلها، فينطلق يأتي لُدًّا، فينزل عيسى ابن مريم فيقتله، ثم يلبث عيسى في الأرض أربعين سنة إمامًا عدلاً وحكمًا مقسطًا**».

صحيح[1]

* * *

(١) وكلُّ ما يشوبه عنعنة يحيى بن أبي كثير، ولكن مظنة تدليسه هنا بعيدة لدي، وأيضًا؛ فلأغلبِ الحديث شواهد.

نزول عيسى عليه السلام آخر الزمان

قال الإمام البخاري رحمه الله (٣٤٤٨):

حدثنا إسحاق، أخبرنا يعقوب بن إبراهيم، حدثنا أبي، عن صالح، عن ابن شهاب، أن سعيد بن المسيب سمع أبا هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«والذي نفسي بيده، ليوشكن[١] أن ينزل فيكم[٢] ابن مريم حكمًا[٣] عدلاً؛ فيكسر الصليب[٤]، ويقتل الخنزير[٥]** ....،

---

(١) قال الحافظ في «الفتح» (٦/ ٤٩١): (قوله: «ليوشكن» أي: ليقربن، أي: لا بد له من ذلك سريعًا).

(٢) قوله: («أن ينزل فيكم» أي: في هذه الأمة، فإنه خطاب لبعض الأمة ممن لا يدرك نزوله).

(٣) («حكمًا» أي: حاكمًا، وفي بعض الروايات: «إماما مقسطًا»، و«المقسط»: العادل، بخلاف «القاسط» فهو: الجائر. وفي رواية لمسلم من طريق: عطاء بن ميناء، عن أبي هريرة مرفوعًا بنحوه، وفيه من الزيادة: «ولتتركن القلاص - وهي من الإبل كالفتاة من النساء والحدث من الرجال - فلا يسعى عليها، ولتذهبن الشحناء والتباغض والتحاسد».

(٤) قال النووي رحمه الله «شرح مسلم» (١/ ٣٧٠): (وقوله ﷺ: «فيكسر الصليب» معناه: يكسره حقيقةً ويبطل ما تزعمه النصارى من تعظيمه).

(٥) قال النووي: (فيه دليل على تغيير المنكرات وآلات الباطل، وقتل الخنزير من هذا القبيل، وفيه دليل للمختار من مذهبنا ومذهب الجمهور: أنَّا إذا وجدنا الخنزير في دار الكفر أو غيرها وتمكنَّا من قتله قتلناه، وإبطالٌ لقول من شذَّ من أصحابنا وغيرهم فقال: يترك إذا لم يكن فيه ضراوة).

وقال الحافظ في «الفتح» (٦/ ٤٩١): (يستفاد منه تحريم اقتناء الخنزير، وتحريم أكله، وأنه نجس؛ لأن الشيء المنتفع به لا يشرع إتلافه).

وقال رحمه الله «الفتح» (٥/ ١٢١): (وفيه إشارة إلى: أن من قتل خنزيرًا أو كسر صليبًا لا يضمن؛ لأنه فعل مأمورًا به، وقد أخبر عليه الصلاة والسلام بأن عيسى عليه السلام سيفعله، وهو إذا نزل كان مقررًا لشرع نبينا ﷺ.

ويضع الحـرب(١) ....،

= ولا يخفى أن محمل جواز كسر الصليب إذا كان مع المحاربين، أو الذمي إذا جاوز به الحد الذي عوهد عليه، فإذا لم يتجاوز وكسره مُسلم كان متعديًا؛ لأنهم على تقريرهم على ذلك يؤدون الجزية، وهذا هو السر في تعميم عيسى عليه السلام كسر كل صليب، لأنه لا يقبل الجزية، وليس ذلك منه نسخًا لشرع نبينا محمد ﷺ، بل الناسخ هو شرعنا على لسان نبينا لإخباره بذلك وتقريره).

(١) في بعض روايات «الصحيحين»: («ويضع الجزية» قال النووي رحمه الله: الصواب في معناه: أنه لا يقبلها ولا يقبل من الكفار إلا الإسلام، ومن بذل منهم الجزية لم يكف عنه بها، بل لا يقبل إلا الإسلام أو القتل، هكذا قاله الإمام أبو سليمان الخطابي وغيره من العلماء رحمهم الله تعالى.

وحكى القاضي عياض رحمه الله عن بعض العلماء معنى هذا، ثم قال: وقد يكون فيض المال هنا من وضع الجزية، وهو ضربها على جميع الكفرة، فإنه لا يقاتله أحد فتضع الحرب أوزارها، وانقياد جميع الناس له إما بالإسلام، وإما بإلقاء يد فيضع عليه الجزية ويضربها، وهذا كلام القاضي وليس بمقبول، والصواب ما قدمناه وهو أنه لا يقبل منه إلا الإسلام.

فعلى هذا قد يقال: هذا خلاف حكم الشرع اليوم، فإن الكتابيَّ إذا بذل الجزية وجب قبولها ولم يجز قتله، ولا إكراهه على الإسلام، وجوابه: أن هذا الحكم ليس بمستمر إلى يوم القيامة، بل هو مقيد بما قَبل عيسى عليه السلام، وقد أخبرنا النبي ﷺ في هذه الأحاديث الصحيحة بنسْخه، وليس عيسى عليه السلام هو الناسخ، بل نبينا ﷺ هو المبين للنسخ، فإن عيسى يحكَم بشرعنا، فدلَّ على أن الامتناع من قبول الجزية في ذلك الوقت هو شرع نبينا محمد ﷺ).

هذا وقد نقل الحافظ ابن حجر في «الفتح» (٦/ ٤٩٢) عن ابن بطال قوله: (وإنما قبلناها - أي: الجزية - قبل نزول عيسى للحاجة إلى المال، بخلاف زمن عيسى فإنه لا يحتاج فيه إلى المال، فإن المال في زمنه يكثر حتى لا يقبله أحد، ويحتمل أن يقال: إن مشروعية قبولها من اليهود والنصارى لما في أيديهم من شبهة الكتاب وتعلقهم بشرع قديم بزعمهم، فإذا نزل عيسى عليه السلام زالت الشبهة بحصول معاينته، فيصيرون كعبدة الأوثان في انقطاع حجتهم وانكشاف أمرهم، فناسب أن يُعَامَلُوا معاملتهم في عدم قبول الجزية منهم. هكذا ذكره بعض مشايخنا احتمالاً والله أعلم).

ويفيض المالُ حتى لا يقبله أحد(١) ، **حتى تكون السجدة الواحدة خير من الدنيا وما فيها**»(٢) .

ثم يقول أبو هريرة : واقرأوا إن شئتم ﴿ **وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا** ﴾ [النساء : ١٥٩] .

صحيح

وأخرجه مسلم (١٥٥) .

* * *

(١) قال النووي رحمه الله «شرح مسلم» (١/ ٣٧١) : (معناه : أن المال يكثر وتنزل البركات ، وتكثر الخيرات بسبب العدل وعدم التظالم وتفيء الأرض أفلاذ أكبادها كما جاء في الحديث الآخر ، وتقل أيضًا الرغبات لقصر الآمال وعلمهم بقرب الساعة ، فإن عيسى ﷺ علم من أعلام الساعة . والله أعلم) .

(٢) قال النووي رحمه الله : (وأما قوله : «حتى تكون السجدة الواحدة خيرًا من الدنيا وما فيها» فمعناه - والله أعلم - : أن الناس تكثر رغبتهم في الصلاة وسائر الطاعات ، لقصر آمالهم وعلمهم بقرب القيامة وقلة رغبتهم في الدنيا لعدم الحاجة إليها ، وهذا هو الظاهر من معنى الحديث .

وقال القاضي عياض رحمه الله : معناه : أن أجرها خير لمصليها من صدقته بالدنيا وما فيها ؛ لفيض المال حينئذ ، وهوانه وقلة الشح وقلة الحاجة إليه للنفقة في الجهاد . قال : و«السجدة» هي السجدة بعينها ، أو تكون عبارة عن الصلاة . والله أعلم) .

إمامة المهدي لعيسى عليه السلام

قال الإمام البخاري رحمه الله (٣٤٤٩):

حدثنا ابن بكير، حدثنا الليث، عن يونس، عن ابن شهاب، عن نافع - مولى أبي قتادة الأنصاري -، أن أبا هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم؟!**»(١).

صحيح

وأخرجه مسلم (ص١٣٦، ١٣٧ - ترتيب محمد فؤاد).

---

(١) اختلف على الزهري بعض الاختلاف في متن هذا الحديث، وهاك بيانه:
١ - رواه يونس عن الزهري . . . به، كما هنا: «وإمامكم منكم».
٢ - رواه ابن أخي ابن شهاب عنه . . . ، بلفظ: «كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وأمَّكم؟!».
٣ - رواه ابن أبي ذئب عن ابن شهاب . . . به، بلفظ: «فأمكم منكم»، فقال الوليد بن مسلم: راوي هذا الحديث عن ابن أبي ذئب فقلت لابن أبي ذئب: إن الأوزاعي حدثنا عن الزهري عن نافع عن أبي هريرة «وإمامكم منكم»؟ قال ابن أبي ذئب: تدري ما «أمكم منكم»؟. قلت: تخبرني. قال: فأمَّكم بكتاب ربكم تبارك وتعالى وسنة نبيكم ﷺ.
قلت: ولهذا الاختلاف على الزهري يُصار إلى حديث جابر عند مسلم وهو سالم من الإشكالات، ولفظه . . . «فينزل عيسى ابن مريم ﷺ، فيقول أميرهم: تعال صلِّ لنا. فيقول: لا، إن بعضكم على بعض أمراء؛ تكرمة الله هذه الأمة». ولهذه اللفظة الأخيرة شاهد عند أحمد (٣/ ٣٦٨) من حديث جابر، وآخر من حديث عثمان بن أبي العاص عند أحمد (٤/ ٢١٧).
وشاهد ثالث عند ابن ماجه (٤٠٧٧) من حديث أبي أمامة رضي الله عنه مرفوعًا، وفيه: «. . . وإمامهم رجل صالح، فبينما إمامهم قد تقدَّم يصلي بهم الصبح، إذ نزل عليهم عيسى ابن مريم الصبح، فرجع ذلك الإمام ينكص يمشي القهقرى. ليتقدم عيسى =

قال الإمام مسلم رحمه اللَّه (١٥٦):

حدثنا الوليد بن شجاع وهارون بن عبد اللَّه، وحجاج بن الشاعر، قالوا: حدثنا حجاج - وهو ابن محمد - عن ابن جريج، قال: أخبرني أبو الزبير، أنه سمع جابر بن عبد اللَّه يقول: سمعت النبي ﷺ يقول: «**لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة**».

قال: «**فينزل عيسى ابن مريم ﷺ فيقول أميرهم: تعالَ صلِّ لنا؟ فيقول: لا، إن بعضكم على بعض أمراء، تكرمة اللَّهِ هذه الأمة**».

صحيح

* * *

= بالناس، فيضع عيسى يده بين كتفيه ثم يقول له: تقدم فصلِّ؛ فإنها لك أقيمت. فيصلي بهم إمامهم. . . » الحديث.
فدلَّ ذلك على أن إمام هذه الأمة منها.

إهلال عيسى عليه السلام بالحج والعمرة

قال الإمام مسلم رحمه الله (١٢٥٢):

وحدثنا سعيد بن منصور وعمرو الناقد وزهير بن حرب، جميعًا: عن ابن عيينة قال سعيد: حدثنا سفيان بن عيينة، حدثني الزهري، عن حنظلة الأسلمي قال: سمعت أبا هريرة رضي الله عنه يحدث عن النبي ﷺ قال: «**والذي نفسي بيده؛ ليهلَّنَّ ابن مريم بفج الروحاء حاجًا أو معتمرًا، أو ليثنينهما**»[١].

صحيح

وأخرجه أحمد (٢/ ٢٤٠).

* * *

(١) «ليثنينهما» أي: ليقرن بينهما. قال النووي: (وهذا يكون بعد نزول عيسى عليه السلام من السماء في آخر الزمان، وأما: «فج الروحاء» فبفتح الفاء وتشديد الجيم، قال الحافظ أبو بكر الحارثي: هو بين مكة والمدينة. قال: وكان طريق رسول الله ﷺ إلى بدر وإلى مكة عام الفتح وعام حجة الوداع).

صفة عيسى عليه السلام وما معه من الأمان

قال الإمام أحمد رحمه الله (٢/ ٤٠٦):

حدثنا عفان، قال: ثنا همام، قال: أنا قتادة[١]، عن عبد الرحمن بن آدم، عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: **«الأنبياء إخوة لعَلاَّت[٢]، أمهاتهم شتى ودينهم واحد، وأنا أولى الناس بعيسى ابن مريم، لأنه لم يكن بيني وبينه نبي، وإنه نازل، فإذا رأيتموه فاعرفوه: رجلاً مربوعًا إلى الحمرة والبياض، عليه ثوبان ممصران[٣]، كأنَّ رأسه يقطر وإن لم يصبه بلل، فيدق الصليبَ، ويقتل الخنزيرَ، ويضع الجزيةَ، ويدعو الناسَ إلى الإسلام، فيُهلك الله في زمانه المللَ**

---

(١) وإن كان في إسناده قتادة ـ مدلس وقد عنعن ـ إلا أن الراوي عنه «همام» وهو من أروى الناس عنه ومن أثبت الناس فيه، وقد رواه عنه أيضًا «سعيد» وهو من أثبت الناس فيه.

(٢) في رواية: «والأنبياء أولاد علات»: قال الحافظ في «الفتح»: (و«العلات» بفتح المهملة: الضرائر، وأصله: أن من تزوج امرأة ثم تزوج أخرى كأنه علَّ منها، و«العَلَل»: الشرب بعد الشرب، و«أولاد العَلات»: الإخوة من الأب وأمهاتهم شتى، وقد بينه في رواية عبد الرحمن فقال: «أمهاتهم شتى ودينهم واحد» وهو من باب التفسير، كقوله تعالى: ﴿إن الإنسان خلق هلوعًا إذا مسَّه الشرُّ جزوعًا، وإذا مسَّه الخير منوعًا﴾ [المعارج: ١٩ ـ ٢١] ومعنى الحديث: أن أصل دينهم واحد، وهو التوحيد، وإن اختلفت فروع الشرائع، وقيل: المراد أن أزمنتهم مختلفة.

(٣) قال الخطابي: (قال الشيخ: «الممصر من الثياب»: الملون بالصفرة، وليست صفرته بالمشبعة. وفي «اللسان» ـ نقلاً عن أبي عبيد ـ قال: الثياب الممصرة التي فيها شيء من صُفرة ليست بالكثيرة. وقال شمر: «الممصر من الثياب»: ما كان مصبوغًا فغسل. وقال أبو سعيد: «التمصير في الصبغ»: أن يخرج المصبوغ مبقعًا لم يستحكم صبغه، و«التمصير في الثياب»: أن تتمشق تخرقًا من غير بلًى، وفي حديث عيسى عليه السلام: «ينزل بين ممصرتين، الممصرة من الثياب: التي فيها صفرة خفيفة»، ومنه الحديث: «أتى عليٌّ طلحةَ رضي الله عنهما وعليه ثوبان ممصران».

كلها، إلا الإسلام، ويهلك اللَّه في زمانه المسيحَ الدجال، وتقع الأمنة[١] على الأرض، حتى ترتع الأُسـودُ مع الإبل، والنِّمارُ مع البـقرِ، والذئابُ مع الغنمِ، ويلعب الصبيانُ بالحيـاتِ لا تضرهم، فيمكث أربعين سنة، ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون».

إسناده حسن[٢]

وأخرجه أبو داود (٢٣٢٤) مختصراً، وابن جرير الطبري في «التفسير» رقم (١٠٨٣٠).

* * *

(١) أي: الأمن.

(٢) وقد صحح الحافظ ابن حجر إسناده. «فتح الباري» (٦/ ٤٩٣).

وصية من رسول الله ﷺ لمن لقي عيسى عليه السلام

قال الإمام أحمد رحمه الله (٢/ ٢٩٨):

حدثنا محمد بن جعفر[1] ، ثنا شعبة، عن محمد بن زياد، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ أنه قال: «**إني لأرجو إن طال بي عُمرٌ؛ أن ألقى عيسى ابن مريم عليه السلام، فإن عجل بي موت فمن لقيه منكم فليقرِئه مِنِّي السلامَ**».

صحيح

* * *

(١) وقد رواه يزيد بن هارون، عن شعبة، عن محمد بن زياد، عن أبي هريرة.. موقوفًا، وأخرجه أحمد (٢/ ٢٩٨، ٢٩٩)، ومحمد بن جعفر أثبت في شعبة من غيره.

قول الله عز وجل
﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾

اختلف أهل التأويل في تفسير هذه الآية على وجوه:

أولها وأقواها: أن الضمير في قوله تعالى: ﴿لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ﴾ أي بعيسى ﷺ والضمير في قوله تعالى: ﴿قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ أي: قبل موت عيسى ﷺ.

ومن القائلين بهذا القول ابن عباس رضي الله عنهما، فقد صحَّ عنه (كما عند ابن جرير الطبري: ١٠٧٩٤، ١٠٧٩٥) أنه قال في قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ قال: قَبل موت عيسى ابن مريم.

ومنهم أيضًا: أبو هريرة رضي الله عنه: ففي حديث أبي هريرة المذكور في هذا الباب والذي فيه: «**والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم...**»، وفي آخره: «**واقرأوا إن شئتم: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾**» ما يشعر بأن أبا هريرة رضي الله عنه يرى ما يراه ابن عباس رضي الله عنهما، ويتأيد ذلك بما عزاه الحافظ ابن كثير إلى ابن مردويه من طريق محمد بن أبي حفصة، عن الزهري، عن سعيد، عن أبي هريرة مرفوعًا... فذكر الحديث، وفي آخره موت عيسى ابن مريم، يعيدها أبو هريرة ثلاث مرات.

ومن القائلين بهذا الرأي أيضًا: أبو مالك، فقد صحَّ عنه عند ابن جرير

الطبري (١٠٧٩٦) في قوله تعالى: ﴿إلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ قال: «ذلك عند نزول عيسى ابن مريم، لا يبقى أحد من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به».

ومن القائلين بهذا الرأي أيضًا: الحسن البصري، فعند ابن جرير بإسناد صحيح إلى الحسن أنه قال: «قَبل موت عيسى، والله إنه الآن لحيٌّ عند الله، ولكن إذا نزل آمنوا به أجمعون»، وصح نحو ذلك أيضًا عن قتادة.

وصحَّ عن ابن زيد أنه قال: «إذا نزل عيسى ابن مريم فقتل الدجال لم يبق يهودي في الأرض إلا آمن به، قال: فذلك حين لا ينفعهم إيمان».

وهذا القول (أي: أن المراد أن الضمير في قوله تعالى: ﴿لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ﴾ وفي قوله تعالى: ﴿قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ المراد به: عيسى في الموضعين، هو الذي اختاره ابن جرير الطبري وابن كثير وغيرهما من أهل العلم، كما سنذكر ذلك بعد قليل إن شاء الله.

القول الثاني: أن الضمير في قوله تعالى: ﴿لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ﴾ أي: بعيسى، والضمير في قوله تعالى: ﴿قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ أي: موت الكتابي نفسه، وذلك لأن من نزل به الموت من أهل الكتاب لا يموت حتى يتجلى له ما كان جاهلاً، فيؤمن عند ذلك بعيسى ﷺ.

روي معنى ذلك من وجهين ضعيفين عن ابن عباس قد يرتقيان بمجموعهما إلى الصحة، حاصلهما: أنه لا يموت يهودي حتى يؤمن بعيسى ﷺ.

ولكن القول الأول عن ابن عباس رضي الله عنهما أصح.

وأورد ابن جرير رحمه الله جملة آثارٍ، في كل منها مقال توضح أن المعنى: لا يموت صاحب كتاب حتى يؤمن بعيسى ﷺ.

وقال النووي رحمه اللَّه «شرح مسلم» (١/ ٣٧٢):

وأما قوله: ثم يقول أبو هريرة: «اقرأوا إن شئتم ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾» ففيه دلالة ظاهرة على أن مذهب أبي هريرة في الآية أن الضمير في (موته) يعود على عيسى عليه السلام، ومعناها: وما من أهل الكتاب يكون في زمن عيسى عليه السلام إلا من آمن به وعلم أنه عبد اللَّه وابن أَمَته.

وهذا مذهب جماعة من المفسرين، وذهب كثيرون - أو الأكثرون - إلى أن الضمير يعود على الكتابي، ومعناها: وما من أهل الكتاب أحد يحضره الموت إلا آمن عند الموت قبل خروج روحه بعيسى ﷺ وأنه عبد اللَّه وابن أمته، ولكن لا ينفعه هذا الإيمان لأنه في حضرة الموت وحالة النزع، وتلك الحالة لا حكم لما يفعل أو يقال فيها، فلا يصح فيها إسلام ولا كفر، ولا وصية ولا بيع ولا عتق، ولا غير ذلك من الأقوال، لقول اللَّه تعالى: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الآنَ﴾ [النساء:١٨] وهذا المذهب أظهر، فإن الأول يخص الكتابي وظاهر القرآن عمومه لكل كتابي في زمن عيسى وقبل نزوله، ويؤيد هذا قراءة من قرأ: ﴿**قبل موتهم**﴾.

القول الثالث: أن الضمير في قوله تعالى: ﴿لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ﴾ أي: بمحمد ﷺ.

قال ابن جرير الطبري رحمه اللَّه: وأولى الأقوال بالصحة والصواب: قول من قال: «تأويل ذلك: وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى»، وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب من غيره من الأقوال؛ لأن اللَّه جل ثناؤه حكم لكل مؤمن بمحمد ﷺ بحكم أهل الإيمان في الموارثة والصلة عليه وإلحاق صغار أولاده بحكمه في الملة. فلو كان كل كتابي يؤمن بعيسى قبل موته لوجَب

أن لا يرث الكتابي إذا مات على ملته إلا أولاده الصغار، أو البالغون منهم من أهل الإسلام، إن كان له ولد صغير أو بالغ مسلم، وإن لم يكن له ولد صغير ولا بالغ مسلم كان ميراثه مصروفًا حيث يصرف مال المسلم يموت، ولا وارث له، وأن يكون حكمه حكم المسلمين في الصلاة عليه وغسله وتقبيره؛ لأن من مات مؤمنًا بعيسى فقد مات مؤمنًا بمحمد وبجميع الرسل، وذلك أن عيسى صلوات اللَّه عليه جاء بتصديق محمد وجميع المرسلين صلوات اللَّه عليهم، فالمُصدِّق بعيسى والمؤمن به مُصدِّق بمحمد وبجميع أنبياء اللَّه ورسله، كما أن المؤمن بمحمد مؤمن بعيسى وبجميع أنبياء اللَّه ورسله، فغير جائز أن يكون مؤمنًا بعيسى من كان بمحمدٍ مكذبًا.

وأقرَّ ابن كثير رحمه اللَّه ما قاله ابن جرير ووافقه عليه، لكنه رد ما احتج به ابن جرير لدفع القول الآخر، فقال رحمه اللَّه:

ولا شك أن هذا الذي قاله ابن جرير هو الصحيح؛ لأن المقصود من سياق الآي في تقرير بطلان ما ادعته اليهود من قتل عيسى وصلبه وتسليم من سلم لهم من النصارى الجهلة ذلك، فأخبر اللَّه أنه لم يكن الأمر كذلك، وإنما شبه لهم فقتلوا الشبه وهم لا يتبينون ذلك، ثم إنه رفعه إليه، وإنه باقٍ حي، وإنه سينزل قبل يوم القيامة كما دلت عليه الأحاديث المتواترة التي سنوردها إن شاء اللَّه قريبًا، فيقتل مسيحَ الضلالة ويكسر الصليبَ ويقتل الخنزيرَ ويضع الجزية - يعني: لا يقبلها من أحد ومن أهل الأديان، بل لا يقبل إلا الإسلام أو السيف، فأخبرت هذه الآية الكريمة أنه يؤمن به جميع أهل الكتاب حينئذٍ ولا يتخلف عن التصديق به واحد منهم، ولهذا قال: ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ ﴾ قبل موت عيسى عليه السلام، الذي زعم اليهود ومن وافقهم من النصارى أنه قتل وصلب

﴿ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً ﴾ أي: بأعمالهم التي شاهدها منهم قبل رفعه إلى السماء وبعد نزوله إلى الأرض.

فأما من فسَّر هذه الآية بأن المعنى أن كل كتابي لا يموت حتى يؤمن بعيسى أو بمحمد عليهما الصلاة والسلام فهذا هو الواقع، وذلك أن كل أحد عند احتضاره ينجلي له ما كان جاهلاً به فيؤمن به، ولكن لا يكون ذلك إيمانًا نافعًا له إذا كان قد شاهد الملك كما قال تعالى في أول هذه السورة ﴿ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ ﴾ الآيتين، وهذا يدل على ضعف ما احتج به ابن جرير في رد هذا القول حيث قال: ولو كان المراد بهذه الآية هذا لكان كل من آمن بمحمد ﷺ أو بالمسيح ممن كفر بهما يكون على دينهما، وحينئذ لا يرثه أقرباؤه من أهل دينه؛ لأنه قد أخبر الصادق: «أنه لا يؤمن به قبل موته»، فهذا ليس بجيد، إذْ لا يلزم من إيمانه في حالة لا ينفعه إيمانه أن يصير بذلك مسلمًا، ألا ترى قول ابن عباس: «ولو تردَّىٰ من شاهق أو ضرب سيفًا أو افترسه سبع، فإنه لا بد أن يؤمن بعيسى»؟ فالإيمان به في هذه الحال ليس بنافع، ولا ينقل صاحبه عن كفره لما قدمناه. والله أعلم.

ومن تأمَّل هذا جيدًا وأمعن النظر اتضح له أنه هو الواقع، لكن لا يلزم منه أن يكون المراد بهذه الآية، هذا المراد بها ما ذكرناه من تقرير وجود عيسى عليه السلام وبقاء حياته في السماء، وأنه سينزل إلى الأرض قبل يوم القيامة ليكذب هؤلاء وهؤلاء من اليهود فالنصارى، الذين تباينت أقوالهم فيه وتصادمت وتعاكست وتناقضت وخلت عن الحق، ففرط هؤلاء اليهود، وأفرط هؤلاء النصارى، تنقصه اليهود بما رموه به وأمَّه من العظائم، وأطراه النصارى بحيث ادعوا فيه ما ليس فيه، فرفعوه في مقابلة أولئك عن مقام النبوة إلى مقام الربوبية، تعالى الله عما يقول هؤلاء وهؤلاء علوًا كبيرًا وتنزه وتقدَّس لا إله إلا هو.

* * *

عيسى عليه السلام يقتل الدجال

قال الإمام مسلم رحمه الله (٢٨٩٧):

حدثني زهير بن حرب، حدثنا معلى بن منصور، حدثنا سليمان بن بلال، حدثنا سهيل، عن أبيه، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تقوم الساعة حتى ينزل الروم بالأعماق أو بدابق[1]، فيخرج إليهم جيش من المدينة من خيار أهل الأرض يومئذ، فإذا تصافّوا قالت الروم: خلوا بيننا وبين الذين سبوا منّا نقاتلهم.**

فيقول المسلمون: لا واللّه، لا نخلّي بينكم وبين إخواننا.

فيقاتلونهم، فينهزم ثلث لا يتوب اللّه عليهم أبدًا، ويقتل ثلثهم أفضل الشهداء عند اللّه، ويفتتح الثلث لا يفتنون أبدًا، فيفتتحون قسطنطينية[2]، فبينما هم يقتسمون الغنائم قد علقوا سيوفهم بالزيتون إذ صاحَ فيهم الشيطان: إن المسيح قد خلفكم في أهليكم. فيخرجون؛ وذلك باطل، فإذا جاءوا الشام خرج، فبينما هم يعدون للقتال يسوون الصفوف إذْ أقيمت الصلاة، فينزل عيسى ابن مريم ﷺ فأمَّهم، فإذا رآه عدو اللّه ذابَ كما يذوب المِلحُ في الماء، فلو تركه لانذاب حتى يهلك، ولكن يقتله اللّه بيده، فيريهم دمه في حربته».

صحيح

* * *

(١) «الأعماق»، و«دابق»: موضعان بالشام بقُرب حلب.

(٢) هي مدينة مشهورة مِن أعظم مدائن الروم.

قول اللَّه عز وجل

﴿وإنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ فَلا تَمْتَرُنَّ بِهَا﴾(١)

أقوال أهل العلم في الآية الكريمة:

أورد ابن جرير الطبري رحمه اللَّه («تفسير الطبري» ٢٥/ ٥٤) :جملة آثار عن ابن عباس والحسن وقتادة وأبي مالك وغيرهم، ـ وهذه الآثار صحيحة إليهم وإن كان في بعضها إلىٰ ابن عباس نظر، لكن هناك منها أسانيد صحيحة إلىٰ ابن عباس أيضًا ـ تدور هذه الآثار علىٰ أن المراد من قوله تعالىٰ: ﴿ وَإِنَّهُ **لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ** ﴾ [الزخرف: ٦١] هو: نزول عيسىٰ ابن مريم، وأن نزوله آخر الزمان إلىٰ الأرض علم ـ أي: دليل ـ علىٰ قرب قيام الساعة.

وقال ابن جرير مُقَدِّمًا لهذا القول: اختلف أهل التأويل في «الهاء» التي في قوله تعالىٰ: ﴿ وَإِنَّهُ ﴾ وما المعني بها؟ فقال بعضهم: هي من ذكر عيسىٰ عليه السلام وهي عائدة عليه، وقالوا معنىٰ الكلام: وأن عيسىٰ ظهوره علم يعلم به مجيء الساعة؛ لأن ظهوره من أشراطها، ونزوله إلىٰ الأرض دليل علىٰ فناء الدُّنيا وإقبال الآخرة.

---

(١) الآيات التي قبلها تُشعر بمعناها إلىٰ حدٍّ ما وهي: ﴿ولَمَّا ضُرِبَ ابن مَرْيَمَ مثلاً إذا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصدون. وقالوا ءآلِهَتُنا خيرٌ أَمْ هُو ما ضَرَبُوهُ لك إلا جَدَلاً بل هُم قومٌ خَصِمُونَ. إنْ هو إلا عَبدٌ أنعمنا عَلَيهِ وجعلْناهُ مثلاً لِبَنِي إسرائيل. ولو نشاءُ لجعلنا منكُم ملائكةً في الأرضِ يخلُفُونَ. وإنَّه لعلمٌ للسَّاعةِ فلا تمتَرُنَّ بِها واتَّبِعونِ هذا صراطٌ مستقيم﴾ [الزخرف: ٥٧ ـ ٦١].

وأورد ابن جرير قولاً آخر وهو: أن المراد من الهاء في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ﴾ «القرآن»، وقال القائلون بهذا الرأي: معنى الكلام: وأن هذا القرآن لعلم للساعة يعلمكم بقيامها ويخبركم عنها وعن أهوالها.

قلت (القائل مصطفى): وهذا القول الأخير قول ضعيف، والقول الأول - وهو أن الهاء في قوله تعالى ﴿وَإِنَّهُ﴾ ترجع إلى عيسى - هو الصحيح، وهو الذي سار عليه جمهور المفسرين كما تقدم عن ابن عباس رضي الله عنهما وغيره، وهو الذي اختاره الحافظ ابن كثير في «تفسيره»، وانتصر له الشنقيطي أشدَّ الانتصار.

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله (٤/ ١٣٢):

الصحيح أنه عائد على عيسى عليه الصلاة والسلام؛ فإن السياق في ذكره، ثم المراد بذلك: نزوله قبل يوم القيامة، كما قال تبارك وتعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ أي: قبل موت عيسى عليه الصلاة والسلام، ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً﴾ ويؤيد هذا المعنى القراءة الأخرى ﴿وَإِنَّهُ لَعَلَمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾ أي: أمارة ودليل على وقوعها.

قال مجاهد[1]: ﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾ أي: آية للساعة: خروج عيسى ابن مريم عليه السلام قبل يوم القيامة، وهكذا رُوي عن: أبي هريرة، وابن عباس، وأبي العالية، وأبي مالك، وعكرمةَ، والحسنِ، وقتادةَ، والضحاكِ، وغيرِهم.

(١) هذا الأثر عن مجاهد أخرجه ابن جرير الطبري رحمه الله في «التفسير» (٢٥/ ٥٤) من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد، وقد تكلَّم بعض أهل العلم في رواية ابن أبي نجيح عن مجاهد في التفسير بما يضعفها. هذا، والآثار الواردة عن غير مجاهد - والتي قدمنا ذكر القائلين بها - تشهد لقول مجاهد رحمه الله.

وقد تواترت الأحاديث عن رسول اللّه ﷺ أنه أخبر بنزول عيسى عليه السلام قبل يوم القيامة إمامًا عادلاً وحكمًا مُقسطًا.

وقال الشنقيطي رحمه اللّه «أضواء البيان» (٧/ ٢٦٣):

التحقيق: أن الضمير في قوله تعالى: ﴿**وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ**﴾ راجع إلى عيسى، لا إلى القرآن، ولا إلى النبي ﷺ، ومعنى قوله: ﴿**لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ**﴾ ـ على القول الحق الصحيح الذي يشهد له القرآن العظيم والسنة المتواترة ـ هو: أن نزول عيسى في آخر الزمان حيًا عِلمٌ للساعةِ، أي: علامة لقرب مجيئها؛ لأنه من أشراطها الدالة على قربها.

وإطلاق «علم للساعة» على «نفس عيسى» جارٍ على أمرين كلاهما أسلوب عربي معروف:

أحدهما: أن نزول عيسى المذكور لما كان علامة لقربها كانت تلك العلامة سببًا لعلم قربها، فأطلق في الآية المسبب وأريد السبب.

وإطلاق المسبب وإرادة السبب أسلوب عربي معروف في القرآن، وفي كلام العرب ومن أمثلته في القرآن: قوله تعالى: ﴿**وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ رِزْقًا**﴾ [غافر: ١٣] فالرزق مسبب عن المطر، والمطر سببه، فأطلق المسبب الذي هو الرزق وأريد سببه الذي هو المطر؛ للمُلابسة القوية التي بين السبب والمسبب، ومعلوم أن البلاغيين ومن وافقهم يزعمون أن مثل ذلك من نوع ما يسمونه «المجاز المرسل»، وأن الملابسة بين السبب والمسبب من علاقات «المجاز المرسل» عندهم.

والثاني من الأمرين: أن غاية ما في ذلك: أن الكلام على حذف مضاف، والتقدير: وإنه لذو علم للساعة، أي: وإنه لَصاحب إعلام الناس بقرب

مجيئها، لكونه علامة لذلك.

وحذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه كثير في القرآن وفي كلام العرب، وإليه أشار في الخلاصة بقوله:

وما يلي المضاف يأتي خلفًا عنه في الإعراب إذا ما حذفا

وهذا الأخير أحد الوجهين اللذين وجه بهما علماء العربية النعت بالمصدر، كقولك: «زيد كرم، وعمرو عدل» أي: ذو كرم وذو عدل، كما قال تعالى: ﴿**وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ**﴾ وقد أشار إلى ذلك في «الخلاصة» بقوله:

ونعتوا بمصدر كثيرًا فالتزموا الإفراد والتذكيرا

أما دلالة القرآن على هذا القول الصحيح، ففي قوله تعالى في سورة النساء: ﴿**وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاَّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ**﴾ أي: ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى، وذلك صريح في أن عيسى حي وقت نزول آية النساء هذه، وأنه لا يموت حتى يؤمن به أهل[1] الكتاب.

ومعلوم أنهم لا يؤمنون به إلا بعد نزوله إلى الأرض.

فإن قيل: قد ذهب جماعة من المفسرين من الصحابة فمن بعدهم إلى أن الضمير في قوله: ﴿**قَبْلَ مَوْتِهِ**﴾ راجع إلى الكتابيّ، أي: إلا ليؤمنن به الكتابي قبل موت الكتابي.

فالجواب: أن يكون الضمير راجعًا إلى عيسى يجب المصير إليه دون القول الآخر؛ لأنه أرجح منه من وجوه أربعة:

الأول: أنه ظاهر القرآن المتبادر منه، وعليه تنسجم الضمائر بعضها مع

---

(١) الصواب أن يقال: بعض أهل الكتاب؛ لقوله تعالى: ﴿وإن من أهل الكتاب﴾.

بعض، والقول الآخر بخلاف ذلك.

وإيضاح هذا أن اللَّه تعالىٰ قال: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ﴾، ثم قال تعالىٰ: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ﴾ أي: عيسىٰ، ﴿وَمَا صَلَبُوهُ﴾ أي: عيسىٰ، ﴿وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ أي: عيسىٰ، ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ أي: عيسىٰ، ﴿لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ﴾ أي: عيسىٰ، ﴿مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ﴾ أي: عيسىٰ، ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ أي: عيسىٰ، ﴿بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ﴾ أي: عيسىٰ، ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ﴾ أي: عيسىٰ، ﴿قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ أي: عيسىٰ، ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ أي: يكون هو - أي عيسىٰ - عليهم شهيداً.

فهذا السياق القرآني الذي ترىٰ ظاهراً ظهوراً لا ينبغي العدول عنه في أن الضمير في قوله: ﴿قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ راجعٌ إلىٰ «عيسىٰ».

الوجه الثاني: من مرجحات هذا القول: أنه علىٰ هذا القول صحيح، فمفسر الضمير ملفوظ مُصرَّح به في قوله تعالىٰ: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ﴾، وأما علىٰ القول الآخر؛ فمفسر الضمير ليس مذكوراً في الآية أصلاً، بل هو مقدَّر تقديره: ما من أهل الكتاب أحد إلا ليؤمنن به قبل موته. أي: موت أحد أهل الكتاب المقدر.

ومما لا شك فيه أن ما لا يحتاج إلىٰ تقدير أرجح وأولىٰ مما يحتاج إلىٰ تقدير.

الوجه الثالث: من مرجحات هذا القول الصحيح: أنه تشهد له السنة النبوية المتواترة؛ لأن النبي ﷺ قد تواترت عنه الأحاديث بأن عيسىٰ حيٌّ الآن، وأنه سينزل في آخر الزمان حكمًا مقسطًا، ولا ينكر تواتر السنة بذلك إلا مكابر.

وأورد الشنقيطي كلامَ ابنَ كثير الذي قدمنا ذكره، ثم قال الشنقيطي:

(وهو - أي: ابن كثير - صادق في تواتر الأحاديث بذلك).

وأما القول بأن الضمير في قوله: ﴿قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ راجع إلى الكتاب، فهو خلاف ظاهر القرآن، ولم يقم عليه دليل من كتاب ولا سنة.

الوجـــه الرابع: هو أن القول الأول الصحيح واضح. لا إشكال فيه، ولا يحتاج إلى تأويل ولا تخصيص، بخلاف القول الآخر فهو مشكل، لا يكاد يصدق إلا مع تخصيص والتأويلات التي يروونها فيه عن ابن عباس وغيره ظاهرة البعد والسقوط؛ لأنه على القول بأن الضمير في قوله: ﴿قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ راجع إلى عيسى، فلا إشكال ولا خفاء ولا حاجة إلى تأويل ولا إلى تخصيص.

وأما على القول بأنه راجع إلى الكتابي، فإنه مشكل جدًا بالنسبة لكل من فاجأه الموت من أهل الكتاب، كالذي يسقط من عالٍ إلى أسفل، والذي يقطع رأسه بالسيف وهو غافل، والذي يموت في نومه، ونحو ذلك، فلا يصدق هذا العموم المذكور في الآية على هذا النوع من أهل الكتاب إلا إذا ادعى إخراجهم منه بمخصص، ولا سبيل إلى تخصيص عمومات القرآن إلا بدليل يجب الرجوع إليه من المخصصات المتصلة أو المنفصلة، وما يذكر عن ابن عباس من أنه سئل عن الذي يقطع رأسه من أهل الكتاب؟ فقال: إن رأسه يتكلم بالإيمان بعيسى، وأن الذي يهوي من عالٍ إلى أسفل يؤمن به وهو يهوي لا يخفى بعده وسقوطه، وأنه لا دليل عليه ألبتة[1]، كما ترى.

وبهذا كله تعلم أن الضمير في قوله: ﴿قَبْلَ مَوْتِهِ﴾ راجع إلى عيسى، وأن تلك الآية من سورة النساء تبين قوله تعالى هنا: ﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾، كما

(١) ينبغي إثبات هذا القول إلى ابن عباس أولاً، ولا أراه يثبت عنه رضي الله عنه.

ذكرنا. فإن قيل: إن كثيراً ممن لا تحقيق عندهم يزعمون أن عيسىٰ قد توفي ويعتقدون مثل ما يعتقده ضُلال اليهود والنصارىٰ، ويستدلون علىٰ ذلك بقوله تعالىٰ: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران: ٥٥]، وقوله ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المائدة: ١١٧]؟

فالجواب: أنه لا دلالة في إحدىٰ الآيتين ألبتة علىٰ أن عيسىٰ قد توفي فعلاً، أما قوله: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾: فإن دلالته المزعومة علىٰ ذلك منفية من أربعة وجوه:

الأول: أن قوله: ﴿مُتَوَفِّيكَ﴾ حقيقة لغوية في أخذ الشيء كاملاً غير ناقص، والعرب تقول: تُوفي فلا ندينه، يتوفاه فهو متوفٍ له، إذا قبضه وحازه إليه كاملاً من غير نقص، فمعنىٰ: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ في الوضع اللغوي: أي: حائزك إليّ كاملاً بروحك وجسمك.

ولكن الحقيقة العرفية خصصت التوفي المذكور بقبض الروح دون الجسم، ونحو هذا مما دار بين الحقيقة اللغوية والحقيقة العرفية فيه لعلماء الأصول ثلاثة مذاهب:

الأول: هو تقديم الحقيقة العرفية، وتخصيص عموم الحقيقة اللغوية بها، وهذا هو المقرر في أصول الشافعي وأحمد، وهو المقرر في أصول مالك، إلا أنهم في الفروع ربما لم يعتمدوه في بعض المسائل، وإلىٰ تقديم الحقيقة العرفية علىٰ الحقيقة اللغوية أشار في «مراقي السعود»: بقوله:

واللفظ محمول على الشرعي إن لم يكن فمطلق العرفي
فاللغوي على الجلي ولم يجب بحث عن المجاز في الذي انتخب

المذهب الثاني: هو تقديم الحقيقة اللغوية على العرفية، بناءً على أن العرفية وإن ترجحت بعرف الاستعمال فإن اللغوية مترجحة بأصل الوضع، وهذا القول مذهب أبي حنيفة رحمه الله.

المذهب الثالث: أنه لا تقدم العرفية على اللغوية ولا اللغوية على العرفية، بل يحكم باستوائهما، ومعادلة الاحتمالين فيهما، فيحكم على اللفظ بأنه مجمل لاحتمال هذه واحتمال تلك، وهذا اختيار ابن السبكي ومن وافقه، وإلى هذين المذهبين الأخيرين أشار في «مراقي السعود» بقوله:

ومذهب النعمان[1] عكس ما مضى والقول بالإجمال فيه مرتضى

وإذا علمت هذا فاعلم: أنه على المذهب الأول الذي هو تقديم الحقيقة اللغوية على العرفية، فإن قوله تعالى: ﴿**إِنِّي مُتَوَفِّيكَ**﴾ لا يدل إلا على أنه قبضه إليه بروحه وجسمه، ولا يدل على الموت أصلاً، كما أن توفي الغريم لدينه لا يدل على موت دينه.

وأما على المذهب الثاني: «وهو تقديم الحقيقة العرفية على اللغوية» فإن لفظ التوفي حينئذٍ يدل على الجملة على الموت.

ولكن سترى ـ إن شاء الله ـ أنه وإن دل على ذلك في الجملة لا يدل على أن عيسى قد توفي فعلاً، وقد ذكرنا في كتابنا «دفعَ إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب في سورة آل عمران». وجه عدم دلالة الآية على موت عيسى فعلاً، أعني: قوله تعالى: ﴿**إِنِّي مُتَوَفِّيكَ**﴾، فقلنا ما نصه:

---

(١) يعني: أبا حنيفة.

والجواب على هذا من ثلاثة أوجه:

الأول: أن قوله تعالىٰ: ﴿**مُتَوَفِّيكَ**﴾ لا يد علىٰ تعيين الوقت، ولا يدل علىٰ كونه قد مضىٰ، وهو متوفيه قطعًا يومًا ما، ولكن لا دليل علىٰ أن ذلك اليوم قد مضىٰ، وأما عطفه ﴿**وَرَافِعُكَ إِلَيَّ**﴾ علىٰ قوله: ﴿**مُتَوَفِّيكَ**﴾، فلا دليل فيه لإطباق جمهور أهل اللسان العربي علىٰ أن «الواو» لا تقتضي الترتيب ولا الجمع، إنما تقتضي مطلق التشريك.

وقد ادعىٰ السيرافيُّ والسهيليُّ إجماعَ النحاة علىٰ ذلك، وعزاه لأكثر المحققين وهو الحق، خلافًا لما قاله قطرب والفراء وثعلب وأبو عَمرو الزاهد وهشام والشافعي من أنها تفيد الترتيب لكثرة استعمالها فيه، وقد أنكر السيرافي ثبوت هذا القول عن الفراء وقال: «لم أجده في كتابه».

وقال ولي الدين: أنكر أصحابنا نسبة هذا القول إلىٰ الشافعي؛ (حكاه عنه صاحب «الضياء اللامع»).

وقوله ﷺ: «أبدأ بما بدأ اللَّه به» - يعني: الصفا - لا دليل فيه علىٰ اقتضائها الترتيب، وبيان ذلك هو ما قاله الفهري كما ذكره عنه صاحب «الضياء اللامع»، وهو: «أنها كما أنها لا تقتضي الترتيب ولا المعية فكذلك لا تقتضي المنع منهما، فقد يكون العطف بها مع قصد الاهتمام بالأول، كقوله ﴿**إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ**﴾ [البقرة: ١٥٨] الآية بدليل الحديث المتقدم»(١).

وقد يكون المعطوف بها مرتبًا كقول حسان:

هجوتَ محمدًا وأجبتُ عنه

---

(١) يعني: حديث «أبدأ بما بدأ اللَّه به»، وفيه: أن الرسول ﷺ إنما بدأ بالصفا قبل المروة.

على رواية «الواو»[1].

وقد يراد بها المعية، كقوله: ﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ﴾، وقوله: ﴿وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾، ولكن لا تحمل على الترتيب ولا على المعية إلا بدليل منفصل.

الوجه الثاني: أن معنى: ﴿مُتَوَفِّيكَ﴾ أي: مُنيمُك ورافعك إليَّ، أي: في تلك النَّومة، وقد جاء في القرآن إطلاق الوفاة على النوم في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ﴾ [الأنعام: ٦٠]، وقوله: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾ [الزمر: ٤٢]، وعزى ابن كثير هذا القولَ للأكثرين، واستدل بالآيتين المذكورتين.

الوجه الثالث: أن «متوفيك» اسم فاعل، «توفاه»: إذا قبضه وحازه إليه، ومنه قوله: «توفى فلان دينه» إذا قبضه إليه، فيكون معنى «متوفيك» على هذا: قابضك منهم إليَّ حيًا، وهذا القول هو اختيار ابن جرير.

وأما الجمع بأنَّه توفَّاه ساعات أو أيامًا ثم أحياه فلا معول عليه، إذْ لا دليل عليه. اهـ. من «دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب».

وقد قدمنا في هذا البحث أن دلالة قوله تعالى: ﴿مُتَوَفِّيكَ﴾ على موت عيسى فعلاً منفية من أربعة وجوه، وقد ذكرنا منها ثلاثة من غير تنظيم:

أولها: أن ﴿مُتَوَفِّيكَ﴾ حقيقة لغوية في أخذه بروحه وجسمه.

الثاني: أن ﴿مُتَوَفِّيكَ﴾ وصف محتمل للحال والاستقبال والماضي، ولا

---

(١) فهناك رواية: «هجوت محمدًا فأجبت عنه» بالفاء، ورواية بالواو.

دليل في الآية على أن ذلك التوفي قد وقع ومضى، بل السنة المتواترة والقرآن دالان على خلاف ذلك كما أوضحنا في هذا المبحث.

الثـالث: أنه توفي النوم، وقد ذكرنا الآيات الدالة على أن النوم يطلق عليه الوفاة، فكلٌّ من النوم والموت يصدق عليه اسم «التوفي»، وهما مشتركان في الاستعمال العرفي. فهذه الأوجه الثلاثة ذكرناها كلها في الكلام الذي نقلنا من كتابنا: «دفع إيهام الاضطراب»، وذكرنا الأول منها بانفراده لنبين مذاهب الأصوليين فيه.

وأما قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾ الآية، فدلالته على أن عيسى مات منفية من وجهين:

الأول منهما: أن عيسى يقول ذلك يوم القيامة، ولا شك أن يموت قبل يوم القيامة، فإخباره يوم القيامة بموته لا يدل على أنه الآن قد مات كما لا يخفى.

والثاني منهما: أن ظاهر الآية أنه توفي رفع وقبض للروح والجسد لا توفي موت.

وإيضاح ذلك: أن مقابلته لذلك التوفي بالديمومة فيهم في قوله: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾ الآية [المائدة: ١١٧] تدل على ذلك؛ لأنه لو كان توفي الموت لقال: ﴿مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾، لأن الذي يقابل بالموت هو الحياة كما في قوله: ﴿وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ [مريم: ٣١].

أما التوفي المقابل بالديمومة فيهم فالظاهر أنه توفي انتقال عنهم إلى موضع آخر، وغاية ما في ذلك هو حمل اللفظ على حقيقته اللغوية مع قرينة صارفة عن

قصد العرفية، وهذا لا إشكال فيه.

وأما الوجه الرابع من الأوجه المذكورة سابقًا: أن الذين زعموا أن عيسىٰ قد مات قالوا: إنه لا سبب لذلك الموت، إلا أن اليهود قتلوه وصلبوه، فإذا تحقق نفي هذا السبب وقطعهم أنه لم يمت بسبب غيره تحققنا أنه لم يمت أصلاً، وذلك السبب الذي زعموه منفي يقينًا بلا شك؛ لأن اللَّه جل وعلا قال: ﴿**وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ**﴾ [النساء: ١٥٧]، وقال تعالىٰ: ﴿**وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ**﴾ [النساء: ١٥٧]، وضمير ﴿**رَّفَعَهُ**﴾ ظاهر في رفع الجسم والروح معًا. كما لا يخفىٰ.

وقد بيَّن اللَّه جل وعلا مستند اليهود في اعتقادهم أنهم قتلوه بأن اللَّه ألقىٰ شبهه علىٰ إنسان آخر، فصار من يراه يعتقد اعتقادًا جازمًا أنه عيسىٰ، فرآه اليهود لما أجمعوا علىٰ قتل عيسىٰ، فاعتقدوا لأجل ذلك الشبه الذي أُلقي عليه اعتقادًا جازمًا أنه عيسىٰ فقتلوه.

فهم يعتقدون صدقهم في أنهم قتلوه وصلبوه، ولكن العليم اللطيف الخبير أوحىٰ إلىٰ نبيه في الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه؛ أنهم لم يقتلوه ولم يصلبوه.

فمحمد ﷺ والذين اتبعوه عندهم علم من اللَّه بأمر عيسىٰ، لم يكن عند اليهود ولا النصارىٰ، كما أوضحه تعالىٰ بقوله: ﴿**وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ**﴾ [النساء: ١٥٧].

والحاصل: أن القرآن العظيم علىٰ التفسير الصحيح والسنة المتواترة عن النبي

ﷺ كلاهما دالٌّ على أن عيسى حيّ، وأنه سينزل في آخر الزمان، وأن نزوله من علامات الساعة، وأن معتمد الذين زعموا أنهم قتلوه ومن تبعهم هو إلقاء شبهه على غيره، واعتقادهم الكاذب أن ذلك المقتول الذي شبه بعيسى هو عيسى، وقد عرفت دلالة الوحي على بطلان ذلك، وأن قوله: ﴿مُتَوَفِّيكَ﴾ لا يدل على موته فعلاً، وقد رأيت توجيه ذلك من أربعة وجوه، وأنه على المقرر في الأصول في المذاهب الثلاثة التي ذكرنا عنهم، ولا إشكال في أنه لم يمت فعلاً.

أما على القول بتقديم الحقيقة اللغوية فالأمر واضح؛ لأن الآية على ذلك لا تدل على الموت.

وأما على القول بالإجمال فالمقرر في الأصول أن المجمل لا يحمل على واحدٍ من معنييه ولا معانيه، بل يطلب المراد منه بدليل منفصل، وقد دل الكتاب هنا والسنة المتواترة على أنه لم يمت وأنه حي، وأما على القول بتقديم الحقيقة العرفية على الحقيقة اللغوية فإنه يجاب عنه من أوجهٍ:

الأول: أن التوفي محمول على النوم، وحمله عليه يدخل في اسم الحقيقة العرفية.

الثاني: أنَّا وإن سلمنا أنه توفي موت؛ فالصيغة لا تدل على أنه قد وقع فعلاً.

الثالث: أن القول المذكور بتقديم العرفية محله فيما إذا لم يوجد دليل صارف عن إرادة العرفية[1] اللغوية، فإن دل على ذلك دليل وجب تقديم اللغوية قولاً واحداً.

---

(١) كذا هي موجودة، والذي يبدو أن الصواب: «العرفية إلى اللغوية».

وقد قدمنا مراراً دلالة الكتاب والسنة المتواترة على إرادة اللغوية هنا دون العرفية، واعلم: بأن القول بتقديم اللغوية على العرفية محله فيما إذا لم تُتَناس اللغوية بالكلية، فإن أميتت الحقيقة اللغوية بالكلية وجب المصير إلى العرفية إجماعًا، وإليه أشار في «مراقي السعود» بقوله:

أجمع إن حقيقة تمات على التقدم له الإثبات

فمن حلف ليأكلن من هذه النخلة فمقتضى الحقيقة اللغوية أنه لا يبر يمينه حتى يأكل من نفس النخلة لا من ثمرتها، ومقتضى الحقيقة العرفية: أنه يأكل من ثمرتها لا من نفس جذعها، والمصير إلى العرفية هنا واجب إجماعًا؛ لأن اللغوية في مثل هذا أميتت بالكلية، فلا يقصد عاقل ألبتة الأكل من جذع النخلة، أما الحقيقة اللغوية في قوله تعالى: ﴿**إِنِّي مُتَوَفِّيكَ**﴾ فإنها ليست من الحقيقة المماتة كما لا يخفى، ومن المعلوم في الأصول: أن العرفية تسمى حقيقة عرفية ومجازاً لغويًا، وأن اللغوية تسمى عندهم حقيقة لغوية ومجازاً عرفيًا، وقد قدمنا مراراً أنا أوضحنا أن القرآن الكريم لا مجاز فيه على التحقيق في رسالتنا المسماة: «منع جواز المجاز في المنزل للتعبد والإعجاز».

فاتضح مما ذكرنا كله أن آية الزخرف هذا تبينها آية النساء المذكورة، وأن عيسى لم يمت، وأنه ينزل في آخر الزمان، وإنما قلنا: إن قوله تعالى هنا: ﴿**وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ**﴾ أي: علامة ودليل على قرب مجيئها؛ لأن وقت مجيئها بالفعل لا يعلمه إلا اللَّه، وقد قدمنا الآيات الدالة على ذلك مراراً وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: ﴿**فَلا تَمْتَرُنَّ بِهَا**﴾ أي: لا تشكن في قيام الساعة فإنه لا شك فيه.

وقد قدمنا الآيات الموضحة له مراراً، كقوله تعالى: ﴿**وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لاَّ رَيْبَ فِيهَا**﴾ [الحج:٧]، وقوله: ﴿**لِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لا رَيْبَ**

فيه فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ [الشورى: ٧]، وقوله: ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لا رَيْبَ فِيهِ﴾ [النساء: ٨٧]، وقوله: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لاَّ رَيْبَ فِيهِ﴾ [آل عمران: ٢٥]، إلى غير ذلك من الآيات.

* * *

ذكر يأجوج ومأجوج(١)

قال اللَّه تعالىٰ: ﴿قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ [الكهف: ٩٤].

وقال سبحانه: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ﴾ [الانبياء: ٩٦، ٩٦].

قال الإمام البخاري رحمه اللَّه (٦٥٣٠):

حدثني يوسف بن موسىٰ، حدثنا جرير، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي سعيد قال: قال رسول اللَّه ﷺ: «**يقول اللَّه: يا آدم. فيقول: لبيك وسعديك والخير في يديك. قال: يقول: أخرج بعثَ النار. قال: وما بعث النار؟ قال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين، فذاك حين يشيب الصغير،**

---

(١) قال الحافظ في «الفتح» (٦/ ٣٨٦): (ويأجوج ومأجوج قبيلتان من ولد يافث بن نوح) ثم قال رحمه اللَّه: (وقد أشار النووي وغيره إلىٰ حكاية من زعم أن آدم نام فاحتلم فاختلط منيه بالتراب فتولَّد منه ولد يأجوج ومأجوج من نسله، وهو قول منكر جدًا، لا أصل له إلا عن بعض أهل الكتاب.
وذكر ابن هشام في «التيجان»: أن أمة منهم آمنوا باللَّه فتركهم ذو القرنين لما بنىٰ السد بأرمينية، فسموا الترك لذلك).
وقال ابن كثير رحمه اللَّه (٣/ ١٠٤): (وقد حكىٰ النووي في «شرح مسلم» عن بعض الناس: أن يأجوج ومأجوج خلقوا من مني خرج من آدم، فاختلط بالتراب فخلقوا من ذلك، فعلىٰ هذا يكونون مخلوقين من آدم وليسوا من حواء، وهذا قول غريب جدًا، لا دليل عليه لا من عقل ولا من نقل، ولا يجوز الاعتماد هاهنا علىٰ ما يحكيه بعض أهل الكتاب لما عندهم من الأحاديث المفتعلة. واللَّه أعلم).
وفي قوله: «أخرج بعث النار من ذريتك» دليل علىٰ أنهم من ذرية آدم. واللَّه أعلم).

وتضع كل ذات حمل حملها، وترى الناس سكارى، وما هم بسكارى، ولكن عذاب اللَّه شديد» .

فاشتد ذلك عليهم ، فقالوا : يا رسول اللَّه ، أينا ذلك الرجل؟

قال : «**أبشروا؛ فإن من يأجوج ومأجوج ألفًا ومنكم رجل**» .

ثم قال : «**والذي نفسي بيده إني لأطمع أن تكونوا شطر أهل الجنة، إن مثلكم في الأمم كمثل الشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود ـ أو: كالرقمة في ذراع الحمار**».

صحيح

وأخرجه : مسلم (٢٢٢)، وعزاه المزي للنسائي .

أخرج مسلم (٢١٣٧ ص ٢٢٥٠) حديث النواس بن سمعان الكلابي عن رسول اللَّه ﷺ . . . فذكر الحديثَ وفيه : «**فبينما هو كذلك، إذ أوحى اللَّه إلى عيسى: إني قد أخرجتُ عبادًا لي، لا يدان**[١] **لأحد بقتالهم، فحرز عبادي إلى الطور. ويبعث اللَّه يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون، فيمرُّ أوائلهم على بحيرة طبرية، فيشربون ما فيها، ويمر آخرهم فيقولون: لقد كان بهذه مرة ماء**[٢] **: ويحصر نبي اللَّه عيسى وأصحابه، حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيرًا من مائة دينار لأحدكم اليوم، فيرغب نبي اللَّه عيسى وأصحابه إلى اللَّه، فيرسل اللَّه طيرًا كأعناق البخت، فتحملهم فتطرحهم حيث شاء**

---

(١) في رواية لمسلم : «فإني قد أنزلت عبادًا لي لا يد لأحد بقتالهم» .

(٢) في رواية لمسلم : «ثم يسيرون حتى ينتهوا إلى جبل الخمر ، وهو جبل بيت المقدس ، فيقولون : لقد قتلنا من في الأرض ، هَلُمَّ فلنقْتُلْ من في السماء . فيرمون بنشابهم إلى السماء فيرد اللَّه عليهم نشابهم مخضوبة دمًا» .

اللَّه، ثم يرسل اللَّه مطرًا لا يكن منه بيت مـدرٍ ولا وبرٍ فيغسل الأرض، حتى يتركها كالزلفة» . . . الحديث .

صحيح

تقدم تخريجه .

قال الإمام البخاري رحمه اللَّه (٧١٣٦):

حدثنا موسى بن إسماعيل ، حدثنا وهيب ، حدثنا ابن طاوس ، عن أبيه ، عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ قال : «**يفتح الردم** ـ ردم يأجوج ومأجوج ـ **مثل هذه، وعقد وهيب تسعين**».

صحيح

وأخرجه مسلم (٢٨٨١) .

قال الإمام البخاري رحمه اللَّه (٧١٣٥):

حدثنا أبو اليمان ، أخبرنا شعيب ، عن الزهري / ح/ . وحدثنا إسماعيل ، حدثني أخي ، عن سليمان ، عن محمد بن أبي عتيق عن ابن شهاب ، عن عروة بن الزبير ، أن زينب ابنة أبي سلمة حدثته ، عن أم حبيبة بنت أبي سفيان ، عن زينب ابنة جحش : أن رسول اللَّه ﷺ دخل عليها يومًا فزعًا يقول : «**لا إله إلا اللَّه، ويل للعرب من شر قد اقترب، فُتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه** ـ وحلّق بإصبعيه الإبهام والتي تليها» .

قالت زينب ابنة جحش : فقلت : يا رسول اللَّه ، أفنهلك وفينا الصالحون؟ قال : «**نعم، إذا كثُرَ الخَبثُ**» .

صحيح

وأخرجه مسلم (٢٨٨٠)، والترمذي (٢١٨٧)، وقال: هذا حديث حسن صحيح، وابن ماجه (٣٩٥٣) ببعض الخلاف في السند.

وعزاه المزي للنسائي.

قال الإمام أحمد رحمه الله (٣/ ٧٧):

حدثنا يعقوب، ثنا أبي، عن محمد بن إسحاق، قال: حدثني عاصم بن عمر بن قتادة الأنصاري ثم الظفري، عن محمد بن لبيد - أحد بني عبد الأشهل - عن أبي سعيد الخدري قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يفتح يأجوج ومأجوج يخرجون على الناس كما قال الله عز وجل: ﴿مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ﴾ فيغشون الأرض، وينحاز المسلمون عنهم إلى مدائنهم وحصونهم، ويضمون إليهم مواشيهم، ويشربون مياه الأرض، حتى إن بعضهم ليمر بالنهر فيشربون ما فيه حتى يتركوه يبسًا، حتى إنَّ من بعدهم ليمر بذلك النهر فيقول: قد كان هاهنا ماء مرةً. حتى إذا لم يبق من الناس أحد إلا في حصنٍ أو مدينة قال قائلهم: هؤلاء أهل الأرض قد فرغنا منهم بقي أهل السماء.**

قال: ثم يهز أحدهم حربته، ثم يرمي بها إلى السماء، فترجع مختضبة دمًا للبلاء والفتنة، فبينا هم على ذلك إذ بعث الله دودًا في أعناقهم كنغف الجراد الذي يخرج في أعناقهم، فيصبحون موتى، لا يسمع لهم حسًا فيقول المسلمون: ألا رجل يشري نفسه فينظر ما فعل هذا العدو؟

قال: فيتجرد رجل منهم لذلك محتسبًا لنفسه، قد أظنها على أنه مقتول، فينزل فيجدهم موتى بعضهم على بعض، فينادي: يا معشر المسلمين؛ ألا أبشروا، فإن الله قد كفاكم عدوكم، فيخرجون من مدائنهم وحصونهم

ويسرحون مواشيهم، فما يكون لها راعي إلا لحومهم، فتشكر عنه كأحسن ما تشكر عن شيء من النبات أصابته قط».

حسن

وأخرجه ابن ماجه (٤٠٧٩)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٢٤٥)، (٤/ ٤٨٩)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي، وابن حبان في «صحيحه» (موارد الظمآن ١٩٠٩).

قال الإمام أحمد رحمه الله (٢/ ٥١٠):

حدثنا روح حدثنا سعيد بن أبي عروبة، عن قتادة، ثنا أبو رافع، عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «**إن يأجوج ومأجوج ليحفرن السد كل يوم، حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذي عليهم: ارجعوا، فستحفرونه غدًا. فيعودون إليه كأشد ما كان، حتى إذا بلغت مدتهم وأراد الله عز وجل أن يبعثهم إلى الناس حفروا، حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذي عليهم: ارجعوا فستحفرونه غدًا - إن شاء الله - ويستثني، فيعودون إليه وهو كهيئته حين تركوه فيحفرونه ويخرجون على الناس فينشفون المياه ويتحصّن الناس منهم في حصونهم، فيرمون بسهامهم إلى السماء، فترجع وعليها كهيئة الدم، فيقولون: قهرنا أهل الأرض وعلونا أهل السماء. فيبعث الله عليهم نغفًا في أقفائهم، فيقتلهم بها**». فقال رسول الله ﷺ: «**والذي نفس محمد بيده، إن دواب الأرض لَتَسْمَنُ شُكرًا من لحومهم ودمائهم**».

إسناده صحيح[1]

---

(١) وقال الحافظ ابن كثير في «التفسير» (٣/ ١٠٥): وإسناده جيد قوي، ولكن متنه في رفعه =

= نكارة؛ لأن ظاهر الآية يقتضي: أنهم لم يتمكنوا من ارتقائه ولا من نقبه؛ لإحكام بنائه وصلابته وشدته، ولكن هذا قد روي عن كعب الأحبار أنهم قبل خروجهم يأتونه فيلحسونه حتى لا يبقى منه إلا القليل، فيقولون كذلك فيصبحون وهو كما كان فيلحسونه ويقولون: غداً نفتحه. ويلهمون أن يقولوا: إن شاء الله. فيصبحون وهو كما فارقوه فيفتحونه.

وهذا متَّجه، ولعل أبا هريرة تلقَّاه من كعب الأحبار؛ فإنه كان كثيراً ما يجالسه ويحدثه، فحدث به أبو هريرة فتوهم بعض الرواة أنه مرفوع فرفعه، والله أعلم.

هذا وقد تكلم ابن كثير بكلام أوسع من هذا في «البداية والنهاية» باب: ذكر أمتي يأجوج ومأجوج (٢/ ١٠٢ طبعة دار الكتب العلمية) فقال: فإن قيل: فما الجمع بين قوله تعالى: ﴿فما اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبا﴾ [الكهف: ٩٧] وبين الحديث الذي رواه البخاري ومسلم عن زينب بنت جحش أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: استيقظ رسول الله ﷺ من نوم محمراً وجهه وهو يقول: «لا إله إلا الله ويل للعرب من شر قد اقترب فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه» (وحلق تسعين) قلت: يا رسول الله، أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: «نعم، إذا كثر الخبث».

وأخرجاه في «الصحيحين» من حديث وهيب عن ابن طاوس عن أبيه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذا ـ وعقد تسعين» فالجواب: إما على قول من ذهب إلى أن هذا إشارة إلى فتح أبواب الشر والفتن وأن هذا استعارة محضة وضرب مثل فلا إشكال، وأما على قول من جعل ذلك إخباراً عن أمر محسوس كما هو الظاهر المتبادر فلا إشكال؛ لأن قوله: ﴿فما اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبًا﴾ أي في ذلك الزمان لأن هذه صيغة خبر ماض فلا ينفي وقوعه فيما يستقبل بإذن الله لهم في ذلك قدراً وتسليطهم عليه بالتدريج قليلاً قليلاً حتى يتم الأجل وينقضي الأمر المقدور فيخرجون كما قال تعالى: ﴿وهم من كل حدب ينسلون﴾.

ولكن الحديث الآخر أشكل من هذا وهو ما رواه الإمام أحمد في «مسنده» قائلا: حدثنا روح.. (فذكر حديث الباب الذي قدمناه عند أحمد ٢/ ٥١٠) ثم قال رحمه الله: فقد أخبر في هذا الحديث أنهم كل يوم يلحسونه حتى يكادوا ينذرون شعاع الشمس من ورائه لرقته. فإن لم يكن رفع هذا الحديث محفوظًا وإنما هو مأخوذ عن كعب الأحبار كما قاله بعضهم فقد استرحنا من المؤنة، وإن كان محفوظًا فيكون محمولاً على أن =

وأخرجه ابن ماجه (٤٠٨٠)، والترمذي (٣١٥٣)، وقال: هذا حديث حسن غريب إنما نعرفُهُ من هذا الوجه مثل هذا.

وأخرجه الحاكم (٤/ ٤٨٨)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي.

= صنيعهم هذا يكون في آخر الزمان عند اقتراب خروجهم كما هو المروي عن كعب الأحبار، أو يكون المراد بقوله: ﴿وما استطاعوا له نقبا﴾: أي نافذًا منه، فلا ينفي أن يلحسوه ولا ينفذوه والله أعلم، وعلى هذا فيمكن الجمع بين هذا وبين ما في «الصحيحين» عن أبي هريرة: «فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه ـ وعقد تسعين ـ» أي: فتح فتحًا نافذًا فيه، والله أعلم.

قال ابن العربي رحمه الله (كما نقل عنه الحافظ في «الفتح» (١٣/ ١٠٩): (في هذا الحديث ثلاث آيات:

الأولى: أن الله منعهم أن يوالوا الحفر ليلاً ونهارًا.

الثانية: منعهم أن يحاولوا الرقي على السد بسلم أو آلة، فلم يلهمهم ذلك ولا علمهم إياه.

ويحتمل: أن تكون أرضهم لا خشب فيها ولا آلات تصلح لذلك، وتعقَّب الحافظ هذه بقوله: وهو مردود؛ فإن في خبرهم عند وهب في المبتدأ أن لهم أشجارًا وزروعًا، وغير ذلك من الآيات، فالأول أولى.

وأخرجه ابن أبي حاتم وابن مردويه من طريق ابن عَمرو بن أوس عن جده ـ رفعه ـ: «إن يأجوج ومأجوج لهم نساء يجامعون ما شاءوا، أو شجر يلقحون ما شاءوا...» الحديث.

الثالثة: أنه صدَّهم عن أن يقولوا: «إن شاء الله»، حتى يجيء الوقت المحدود.

قال الحافظ: قلت: وفيه أنهم أهل صناعة وأهل ولاية وسلاطة ورعية تطيع من فوقها، وأن فيهم من يعرف الله ويقر بقدرته ومشيئته.

ويحتمل أن تكون تلك الكلمة تجري على لسان ذلك الوالي من غير أن يعرف معناها فيحصل المقصود ببركتها).

قال ابن ماجه رحمه الله (٤٠٧٦):

حدثنا هشام بن عمار، ثنا يحيى بن حمزة، ثنا ابن جابر، عن يحيى بن جابر الطائي، حدثني عبد الرحمن بن جبير بن نفير، عن أبيه، أنه سمع النواس بن سمعان يقول: قال رسول الله ﷺ: **«سيوقد المسلمون من قصي[١] يأجوج ومأجوج ونشابهم[٢] وأترستهم[٣] سبع سنين»**.

صحيح

* * *

(١) «القسي» جمع «قوس».
(٢) «النشاب» هي: السهام.
(٣) أترستهم: أي تروسهم.
(٤) وقد ذكره الترمذي في حديث النواس بن سمعان الطويل في ذكر الدجال (حديث رقم ٢٢٤٠) من طريق: عليّ بن حجر أخبرنا الوليد بن مسلم. وعبد الله بن عبد الرحمن ابن يزيد بن جابر، عن يحيى بن جابر الطائي، عن عبد الرحمن بن نفير، عن أبيه جبير ابن نفير، عن النواس بن سمعان الكلابي - فذكر الحديث مرفوعًا. وفيه نحو هذا القدر.


سائر الأشراط الكُبْرَى للسَّاعة

أول الآيات خروجًا طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة على الناس ضحى

قال الإمام مسلم رحمه الله (٢٩٤١):

حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا محمد بن بشر، عن أبي حيان، عن أبي زرعة[١]، عن عبد الله بن عَمرو قال: حفظت من رسول الله ﷺ حديثًا لم أَنْسَه بعدُ، سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**إن أول الآيات خروجًا: طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة على الناس ضحى، وأيهما ما كانت قبل صاحبتها فالأخرى على إثرها قريبًا**»[٢].

صحيح

وأخرجه أبو داود (٤٣١٠)، وابن ماجه (٤٠٦٩).

❋ ❋ ❋

(١) وقد رُوي هذا الحديث من طريق: حماد بن سلمة، عن أبي حيان، عن الشعبي، عن عبد اللَّه بن عَمرو. ووهَّم فيه أبو حاتم حمادَ بنَ سلمة، وصوَّب روايةَ أبي حيان عن أبي زرعة، عن عبد اللَّه بن عَمرو مرفوعًا.

(٢) في رواية لمسلم: «... جلس إلى مروان بن الحكم بالمدينة ثلاثة نفر من المسلمين، فسمعوه وهو يحدث عن الآيات، أن أولها خروجًا: الدجال» فقال عبد اللَّه بن عمرو: لم يقل مروان شيئًا، قد حفظتُ من رسول اللَّه ﷺ حديثًا لم أنسه بعد، سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول... فذكر بمثله.

أما أول الآيات خروجًا، فهاك بيانها:

في حديث عبد الله بن عمرو المتقدم: أن رسول الله ﷺ قال: «**إن أول الآيات خروجًا: طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة على الناس ضحى، وأيهما كانت قبل صاحبتها فالأخرى على إثرها قريبًا**» فهذا الحديث يفيد أن أول الآيات خروجًا: إما طلوع الشمس من مغربها، أو خروج الدابة على الناس ضحى.

وهذا معناه: أن كلا من هاتين الآيتين: (طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة) قبل خروج الدجال، ولكن يعكر على هذا أن الشمس إذا طلعت من مغربها لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرًا، كما قال النبي ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا رآها الناس آمن من عليها، فذاك حين لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرًا**».

إلا أنه قد ورد أن عيسى بعد الدجال، وفي زمن عيسى لا يقبل من أحد إلا الإيمان، وتوضع الجزية، ويصير الدِّين واحدًا، فدل هذا على أن هناك من يؤمن في زمن عيسى، ومن ثَمَّ يكون فيه إشعار أن نزول عيسى وخروج الدجال قبل طلوع الشمس من مغربها، وهذا مما يعارض حديث عبد الله بن عمرو الذي فيه إن أول الآيات خروجًا: طلوع الشمس من مغربها. فكيف حلَّ أهلُ العلم هذا الإشكال؟!.

ذهب فريق من أهل العلم إلى: أن عدم الانتفاع بالإيمان يكون عند ظهور الآية فقط (أي: طلوع الشمس من مغربها) أو بعدها بقليل، ولكن إذا طال الأمد بعد

ظهور الآية وآمن ناس بعد ذلك نفعهم هذا الإيمان .

ذكْر من قال ذلك :

قال القرطبي رحمه الله في «التذكرة» كما نقل عنه في «الفتح» (١١/ ٣٥٤) : (. . . فلو امتدت أيام الدنيا بعد ذلك (أي : بعد الآية) إلىٰ أن ينسىٰ هذا الأمر أو ينقطع تواتره ويصير الخبر عنه آحادًا ، فمن أسلم حينئذ أو تاب قبل منه) .

وقال البيهقي في كتاب «البعث والنشور» (نقلاً عن «الفتح» ١١/ ٣٥٤) : (إن كان في علم الله أن طلوع الشمس سابق احتمل أن يكون المراد نفي النفع عن أنفس القرن الذين شاهدوا ذلك ، فإذا انقرضوا وتطاول الزمان وعاد بعضهم إلىٰ الكفر عاد تكليفه الإيمان بالغيب ، وكذا في قصة الدجال : لا ينفع إيمان من آمن بعيسىٰ عند مشاهدة الدجال وينفعه بعد انقراضه .

وإن كان في علم الله طلوع الشمس بعد نزول عيسىٰ احتمل أن يكون المراد بالآيات في حديث عبد الله بن عمرو آيات أخرىٰ غير الدجال ونزول عيسىٰ ، إذ ليس في الخبر نص علىٰ أنه يتقدم عيسىٰ) .

قلت : نصّ حديث ابن عمرو علىٰ أن أول الآيات طلوع الشمس من مغربها ، ولكن قد تعقب الحافظ ابن حجر هذا الوجه من الجمع ، فقال (١١/ ٣٥٤) : (هذا هو المعتمد (أي : قول البيهقي) والأخبار الصحيحة تخالفه) ، ثم أورد جملة آثار تدل علىٰ أن الشمس إذا طلعت من المغرب أغلق باب التوبة ولم يفتح بعد ذلك ، وأن ذلك لا يختص بيوم الطلوع ، بل يمتد إلىٰ يوم القيامة .

قال : ويؤخذ منه أن طلوع الشمس من مغربها أول الإنذار بقيام الساعة .

هذا وقد جمع بعض أهل العلم بنوع آخر من الجمع ، فقال الطيبي (كما نقل

عنه في «الفتح» (١١/ ٣٥٢): (الآيات أمارات للساعة، إما على قربها وإما على حصولها، فمن الأول: الدجال، ونزول عيسى، ويأجوج ومأجوج، والخسف.

ومن الثاني: الدخان، وطلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة، والنار التي تحشر الناس.

قلت: فعلى هذا يكون طلوع الشمس من مغربها أول الآيات باعتبار معين.

وإلى هذا جنح الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (١١/ ٣٥٣) فقال: فالذي يترجح من مجموع الأخبار: أن خروج الدجال أو الآيات العظام المؤذنة بتغير الأحوال العامة في معظم الأرض، وينهي ذلك بموت عيسى ابن مريم، وأن طلوع الشمس من المغرب هو أول الآيات العظام المُؤْذِنة بتغير أحوال العالم العلوي، وينتهي ذلك بقيام الساعة، ولعل خروج الدابة يقع في ذلك اليوم الذي تطلع فيه الشمس من المغرب. والله أعلم.

* * *

ذكر الدابة(١)

وقول الله عزو جل: ﴿ وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لا يُوقِنُونَ ﴾ [النمل: ٨٢].

تقدم في حديث حذيفة بن أسيد رضي الله عنه أنه قال: اطَّلع علينا رسول الله ﷺ ونحن نتذاكر الساعة، فقال: «**ما تذاكرون؟**» قالوا: نذكر الساعة. قال: «**إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات**» فذكر الدخان والدجال والدابة، و...

أخرجه مسلم

وتقدم في حديث عبد الله بن عمرو قال: حفظتُ من رسول الله ﷺ حديثًا لم أنسه بعدُ، سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**إن أول الآيات خروجًا: طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة على الناس ضحى، وأيهما ما كانت قبل صاحبتها فالأخرى على إثرها قريبًا**».

أخرجه مسلم

وتقدم في حديث أبي هريرة (باب: الحث على العمل الصالح تحسبًا للدجال): أن رسول الله ﷺ قال: «**بادروا بالأعمال ستًا: طلوع الشمس من مغربها..، أو الدابة...**».

أخرجه مسلم

---

(١) قال الحافظ ابن كثير رحمه الله (٣/ ٣٧٤): (هذه الدابة تخرج في آخر الزمان عند فساد الناس وتركهم أوامر الله وتبديلهم الدين الحق، يُخرج الله لهم دابة من الأرض. قيل: من مكة، وقيل من غيرها).

هذا وقد ورد في هذا الباب جملة أحاديث ضعيفة، منها:

ما أخرجه الطيالسي في «مسنده» رقم (١٠٦٩) عن طلحة بن عمرو وجرير بن حازم، فأما طلحة فقال: أخبرني عبد الله بن عبيد بن عمير الليثي: أن أبا الطفيل حدثه، عن حذيفة بن أسيد الغفاري أبو سريحة، وأما جرير فقال: عن عبد الله ابن عُمير، عن رجل من آل عبد الله بن مسعود. وحديث طلحة أتمها وأحسن، قال: ذكر رسول الله ﷺ الدابة فقال: «**لها ثلاث خرجات من الدهر، فتخرج في أقصى البادية ولا يدخل ذكرها القرية** - يعني: مكة - **ثم تكمن زمانًا طويلاً، ثم تخرج خرجةً أخرى دون ذلك، فيعلو ذكْرها أهل البادية، ويدخل ذكرها القرية** - يعني: مكة»، قال رسول الله ﷺ: «**ثم بينما الناس في أعظم المساجد على الله حرمة خيرها وأكرمها المسجد الحرام لم يرعهم إلا وهي ترغو بين الركن والمقام، تنفض عن رأسها التراب، فارفضّ الناس معها شتى ومعًا، وثبت عصابة من المؤمنين، وعرفوا أنهم لن يعجزوا الله، فبدأت بهم فجلت وجوههم حتى تجعلها كأنها الكوكب الدري، وولت في الأرض، لا يدركها طالب ولا ينجو منها هارب، حتى إن الرجل ليتعوذ منها بالصلاة فتأتيه من خلفه. فتقول: يا فلان يا فلان، الآن تصلي؟ فيُقبل عليها فتسمه في وجهه، ثم ينطلق، ويشترك الناس في الأموال ويصطحبون في الأمصار، يُعرف المؤمن من الكافر حتى إن المؤمن يقول: يا كافر؛ اقْضني حقي. وحتى إن الكافر يقول: يا مؤمن، اقْضني حقي**».

قلتُ: وهذا إسناد ضعيف جدًا، فيه ثلاث علل:

العلة الأولى: طلحة بن عمرو، وهو: ابن عثمان الحضرمي المكي، وقد أطبق أهل العلم على تضعيفه.

العلة الثانية: كون جرير (وهو أثبت بلا شك من طلحة) روى الحديث عن عبد الله بن عبيد عن رجل من آل عبد الله بن مسعود وهذا الرجل مبهم.

العلة الثالثة: كون الحديث روي موقوفًا ببعضه عند ابن جرير الطبري في «التفسير» (١٠/ ١١).

حديث آخر ضعيف:

قال ابن جرير الطبري (٢٠/ ١١): حدثنا عصام بن رواد بن الجراح، قال: ثنا أبي، قال: ثنا سفيان بن سعيد الثوري، قال: ثنا منصور بن المعتمر، عن ربعي ابن حراش، قال: سمعت حذيفة بن اليمان يقول: قال رسول الله ﷺ. . وذكر الدابة. فقال حذيفة: قلت: يا رسول الله، مِن أين تخرج؟ قال: «**من أعظم المساجد حرمة على الله، بينما عيسى يطوف بالبيت ومعه المسلمون، إذ تضطرب الأرض تحتهم تحرك القنديل وينشق الصفا مما يلي المسعى، وتخرج الدابة من الصفا، أول ما يبدو رأسها ملمعة ذات وبر وريش، لم يدركها طالب ولن يفوتها هارب، تسم الناس، مؤمن وكافر، أما المؤمن فتترك وجهه كأنها كوكب دري وتكتب بين عينيه: مؤمن، وأما الكافر فتكتب بين عينيه نكتة سوداء: كافر**».

قلتُ: وآفة هذا الحديث «عصام بن رواد» ضعيف.

وأيضًا: أبوه رواد بن الجراح قد روى هذا الحديث عن سفيان الثوري، وفي روايته عن سفيان الثوري ضعف.

وقد روى بنحو هذا الإسناد، استعجبه أهلُ العلم واستنكروه، ولأنه في باب الفتن، فنورده مع التنبيه على أنه ضعيف لا يثبت عن رسول الله ﷺ.

قال ابن جرير الطبري رحمه الله («التفسير» ٢٢/ ٧٢ ـ ٧٣) آخر تفسير سورة سبأ: حدثنا عصام بن رواد بن الجراح، قال: ثنا أبي، قال: ثنا سفيان بن سعيد، قال: ثني منصور بن المعتمر، عن ربعي بن حراش، قال: سمعت حذيفة ابن اليمان، يقول: قال رسول الله ﷺ: «**وذكر فتنة تكون بين أهل المشرق والمغرب ـ قال: فبينما هم كذلك إذ خرج عليهم السفياني من الوادي اليابس في فوره ذلك، حتى ينزل دمشق، فيبعث جيشين: جيشًا إلى المشرق وجيشًا إلى المدينة، حتى ينزلوا بأرض بابل في المدينة الملعونة والبقعة الخبيثة، فيقتلون أكثر من ثلاثة آلاف، ويبقرون بها أكثر من مائة امرأة، ويقتلون بها ثلاثمائة كبش من بني العباس، ثم ينحدرون إلى الكوفة، فتلحق ذلك الجيش منها على الفئتين، فيقتلونهم لا يفلت منهم مخبر، ويستنقذون ما في أيديهم من السبي والغنائم، ويخلي جيشه التالي بالمدينة فينتهبونها ثلاثة أيام ولياليها، ثم يخرجون متوجهين إلى مكة، حتى إذا كانوا بالبيداء بعث الله جبريل فيقول: يا جبرائيل، اذهب فأبدهم. فيضربها برجْله ضربة يخسف الله بهم، فذلك قوله في سورة سبأ: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ﴾ الآية، ولا ينفلت منهم إلا رجلان: أحدهما بشير والآخر نذير، وهما من جهينة، فلذلك جاء القول: وعند جهينة الخبر اليقين**».

حدثنا محمد بن خلف العسقلاني قال: سألت روّاد بن الجراح عن هذا الحديث الذي حدّث به عنه عن سفيان الثوري، عن منصور، عن ربعي، عن حذيفة، عن النبي ﷺ عن قصةٍ ذكرها في الفتن؟ قال: فقلت له: أخبرني عن هذا الحديث، سمعته من سفيان الثوري؟ قال: لا. قلت: فقرأته عليه؟ قال: لا. قلت: فقرئ عليه وأنت حاضر؟ قال: لا. قلت: فما قصته؟ فما خبره؟

قال: جاءني قوم فقالوا: معنا حديث عجيبٌ - أو كلام هذا معناه، نقرؤه وتسمعه؟ قلت لهم: هاتوه. فقرءوه عليَّ، ثم ذهبوا فحدثوا به عني - أو كلام هذا معناه.

قلت (القائل مصطفى): فهذا مما يؤيد ضعف رواية رواد عن سفيان. والله أعلم.

وأخرج ابن جرير الطبري أيضًا من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**تخرج الدابة ومعها خاتم سليمان وعصا موسى، فتجلو وجه المؤمن بالعصا، وتختم أنف الكافر بالخاتم، حتى إن أهل البيت ليجتمعون فيقول هذا: يا مؤمن، ويقول هذا: يا كافر**».

قلتُ: وإسناده ضعيف، أيضًا ففيه: عليّ بن زيد، وهو: ابن جدعان، وهو ضعيف.

وأخرج ابن ماجه (٤٠٦٧) من حديث بريدة رضي الله عنه، قال: ذهب بي رسول الله ﷺ إلى موضع بالبادية قريب من مكة، فإذا أرض يابسة حولها رمل، فقال رسول الله ﷺ: «**تخرج الدابة من هذا الموضع، فإذا فتر في شبر**».

قلت: وإسناده ضعيف جدًا، ففي إسناده خالد بن عبيد أبو تميلة وهو ضعيف جدًا.

وأخرج أحمد (٥/ ٢٦٨) من طريق: حجين بن المثنى، ثنا عبد العزيز - يعني: ابن أبي سلمة الماجشون، عن عُمر بن عبد الرحمن بن عطية بن دلاف المزني - لا أعلمه إلا حدثه عن أبي أمامة يرفعه إلى النبي ﷺ قال: «**تخرج الدابة،**

فتسم الناس على خراطيمهم، ثم يغمرون فيكم، حتى يشتري الرجل البعير فيقول: ممن اشتريته؟ فيقول: اشتريته من أحد المخطمين».

قلتُ: وفي إسناده عُمر بن عبد الرحمن بن عطية بن دلاف، لم يوثقه معتبر، أما قول من قال: «إن مالكًا روىٰ عنه، ورواية مالك عنه توثيق له» فهذا القول مما لا يلاقىٰ عندنا قبولاً سريعًا، فنحن الآن علىٰ جهالة الرجل. والحديث ضعيف.

هذا وقد أورد ابن جرير الطبري رحمه الله وكذلك الحافظ ابن كثير جملةَ آثار في هذا الباب توضّح من أين تخرج الدابة وصفتها وما معها وما تعمل إلىٰ غير ذلك، وفي أغلب الأسانيد التي ذكروها نظر، ولم نقف علىٰ شيء مرفوع يُعول عليه في هذا الباب. والله أعلم.

* * *

قول الله عز وجل

﴿ .. أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا﴾

أكثر أقوال أهل التفسير على: أن المراد بقوله تعالى: ﴿ .. **أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ** .. ﴾ هو: طلوع الشمس من مغربها.

فبعد أن أورد ابن جرير الطبري كمًّا هائلاً من الآثار في ذلك قال رحمه الله (٨/ ٧٦):

(وأولى الأقوال في ذلك بالصواب: ما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله ﷺ، أنه قال ذلك حين تطلع الشمس من مغربها، وقال رحمه الله: وأما قوله: ﴿ **أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا** ﴾ فإنه يعني: أو عملت في تصديقها بالله خيراً من عمل صالح تصدق قبله وتحققه من قبل طلوع الشمس من مغربها لاينفع كافراً لم يكن آمن بالله قبل طلوعها، كذلك إيمانه بالله أن آمن وصدق بالله ورسله، لأنها حالة لا تمتنع نفس من الإقرار بالله لعظيم الهول الوارد عليهم من أمر الله، فحكم إيمانهم كحكم إيمانهم عند قيام الساعة، وتلك حال لا يمتنع الخلق من الإقرار بوحدانية الله؛ لمعاينتهم من أهوال ذلك اليوم ما ترتفع معه حاجتهم إلى الفكر والاستدلال والبحث والاعتبار، ولا ينفع من كان بالله ورسله مصدقًا ولفرائض الله مضيعًا غير مكتسب بجوارحه لله طاعة، إذا هي طلعت من مغربها أعماله إن عمل وكسبه إن اكتسب؛ لتفريطه الذي سلف قبل طلوعها في ذلك.

ونقل الحافظ ابن حجر في «فتح الباري» (١١/ ٣٥٣) عن الجمهور أنهم

يفسرون المراد «بالبعض» في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾ بأنه: طلوع الشمس من المغرب.

وها نحن نورد بعض الأحاديث والآثار في ذلك:

قال ابن جرير الطبري رحمه الله (٨/ ٧٥):

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا ابن أبي عدي، عن شعبة، عن سليمان، عن أبي الضحى، عن مسروق، قال: قال عبد الله: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا﴾ قال: طلوع الشمس من مغربها مع القمر، كأنهما بعيران مقرونان.

موقوف صحيح

* * *

طلوع الشمس من مغربها

قال الإمام البخاري رحمه الله (٤٦٣٥):

حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا عبد الواحد، حدثنا عمارة، حدثنا أبو زرعة، حدثنا أبو هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا رآها الناس آمن من عليها، فذاك حين لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل**».

صحيح

وأخرجه مسلم (ص ١٣٧)، وأبو داود (٤٣١٢)، وابن ماجه (٤٠٦٨).

وعزاه المزي للنسائي.

قال الإمام البخاري رحمه الله (٦٥٠٦):

حدثنا أبو اليمان، أخبرنا شعيب، حدثنا أبو الزناد، عن عبد الرحمن، عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت فرآها الناسُ آمنوا أجمعون، فذاك حين لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرًا، ولتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما، فلا يتبايعانه ولا يطويانه، ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته، فلا يطعمه، ولتقومن الساعة وهو يُليط حوضه، فلا يسقي فيه، ولتقومن الساعة وقد رفع أحدكم أكلته إلى فِيه، فلا يطعمها**».

صحيح

وانظر: «صحيح مسلم» (١٥٧).

قال الإمام مسلم رحمه الله (١٥٨):

وحدثنا أبو بكر بن أبي شيبة وزهير بن حرب، قالا: حدثنا وكيع /ح/ وحدثنيه زهير بن حرب، حدثنا إسحاق بن يوسف الأزرق، جميعًا: عن فضيل ابن غزوان /ح/ وحدثنا أبو كريب محمد بن العلاء (واللفظ له) حدثنا ابن فضيل، عن أبيه، عن أبي حازم، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرًا: طلوع الشمس من مغربها، والدجال[1]، ودابة الأرض»**.

صحيح

وأخرجه الترمذي (٣٠٧٢) وقال: حديث حسن صحيح.

قال الإمام البخاري رحمه الله (٣١٩٩):

حدثنا محمد بن يوسف، حدثنا سفيان، عن الأعمش، عن إبراهيم التيمي، عن أبيه، عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ لأبي ذر حين غربت

(١) قد يرد هنا إشكال مضمونه: أن الدجال يأتي قبل عيسى عليه السلام، وفي زمن عيسى لا يقبل إلا الإيمان، فلا تقبل جزية من أحد، ويصير الدِّين واحدًا، فكيف يلتئم هذا مع القول بأن الدجال إذا خرج لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرًا؟

والجواب عن هذا الإشكال: من وجهين:

الأول: أن مدة الدجال مرتبطة بنزول عيسى، فالمراد بقوله: «الدجال» أي: بعد ظهور الدجال وعيسى عليه السلام، فبعد عيسى عليه السلام لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرًا.

الثاني: أن بخروج الدجال لا يستفيد أحدٌ ممن لم يكن آمن قبل خروجه، فالدجال لا يزيد الناس إلا فتنة، ويكون ذلك مقيدًا بوقت خروج الدجال، وبعده من آمن بعيسى ينفعه إيمانه. والله أعلم.

الشمس: «**أين تذهب؟**» قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «**فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش فتستأذن فيؤذن لها، ويوشك أن تسجد فلا يُقبل منها، وتستأذن فلا يؤذن لها، فيقال لها: ارجعي من حيث جئت. فتطلع من مغربها، فذلك قوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾**»(١).

صحيح

وأخرجه مسلم (ص ١٣٩)، وأبو داود (٤٠٠٢)، والترمذي (٢١٨٦) وقال: هذا حديث حسن صحيح.

وعزاه المزي للنسائي.

قال الإمام مسلم رحمه الله (١٥٩):

حدثنا يحيى بن أيوب وإسحاق بن إبراهيم، جميعًا: عن ابن علية، قال ابن أيوب: حدثنا ابن علية، حدثنا يونس، عن إبراهيم بن يزيد التيمي - (سمعه فيما أعلم)(٢)، عن أبيه، عن أبي ذر: أن النبي ﷺ قال: يومًا: «**أتدرون أين تذهب هذه الشمس؟**» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «**إن هذه تجري حتى تنتهي إلى مستقرها تحت العرش، فتخر ساجدةً، فلا تزال كذلك حتى يُقال لها: ارتفعي، ارجعي من حيث جئتِ. فترجع فتصبح طالعةً من مطلعها، ثم تجري حتى تنتهي إلى مستقرها تحت العرش، فتخر ساجدةً، ولا تزال كذلك حتى يُقال لها: ارتفعي ارجعي من حيث جئتِ. فترجع فتصبح طالعةً من مطلعها، ثم**

(١) وانظر الحديث الذي يليه، فهو أصرح في المقصود.

(٢) وهذا التردد لا يضر؛ فأصل الحديث مجزومٌ به كما في الرواية السابقة.

تجـري لا يستنكر النـاس منها شـيئًـا، حـتى تنتهي إلـى مسـتقـرها ذاك، تحت العرش، فـيقال لهـا: ارتفعي أصبـحي طالعة من مغـربكِ. فتصـبح طالعة من مغـربها» فقال رسول الله ﷺ: **«أتدرون متى ذاكم؟ ذاك حين لا ينفع نفـسًا إيمانها لـم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرًا»**.

صحيح

وانظر تخريج الحديث المتقدم.

* * *

متى تنقطع التوبة(١)

قال الإمام أحمد رحمه الله (١/ ١٩٢):

حدثنا الحكم بن نافع، ثنا إسماعيل بن عياش، عن ضمضم بن زرعة، عن شريح ابن عبيد، يرده إلى مالك بن يخامر، عن ابن السعدي: أن النبي ﷺ قال: «**لا تنقطع الهجرة ما دام العدو يقاتل**». فقال معاوية وعبد الرحمن بن عوف وعبد الله بن عمرو بن العاص: إن النبي ﷺ قال: «**إن الهجرة خصلتان: إحداها: أن تهجر السيئات، والأخرى: أن تهاجر إلى الله ورسوله، ولا تنقطع الهجرة ما تُقُبِّلت التوبة، ولا تزال التوبةُ مقبولة، حتى تطلع الشمس من المغرب، فإذا طلعت طُبع على كل قلبٍ بما فيه، وكفَى الناس العمل**».

حسن(٢)

وأخرجه ابن جرير الطبري (٨/ ٧٢).

قال الإمام مسلم رحمه الله (٢٧٠٣):

حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا أبو خالد (يعني: سليمان بن حيان) / ح/ وحدثنا ابن نمير حدثنا أبو معاوية / ح/ وحدثني أبو سعيد الأشج، حدثنا حفص، (يعني: ابن غياث) كلهم عن هشام / ح/ وحدثني أبو خيثمة زهير بن حرب (واللفظ له)، حدثنا إسماعيل بن إبراهيم، عن هشام بن حسان، عن محمد بن سيرين، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**من تاب قبل أن**

---

(١) أي: التوبة من البشر كلهم، أما التوبة المتعلقة بالأشخاص، فتقبل توبة كل عبد ما لم يغرغر، أو إذا كان في حكم من يغرغر، كما هو مبسوط في مظانه.

(٢) وقد حسَّن إسناده أيضًا الحافظ ابن كثير في «التفسير» (٢/ ١٩٥).

تطلع الشمس من مغربها تابَ الله عليه».

قال الترمذي رحمه الله (٣٦٠٢):

حدثنا أحمد بن عبدة الضبي، أخبرنا حماد بن زيد، عن عاصم ، عن زر بن حبيش قال: أتيت صفوان بن عسَّال المُرادي فقال لي: ما جاء بك؟ قلتُ: ابتغاء العلم. قال: بلغني أن الملائكة تضع أجنحتها لطالب العلم رضًا بما يفعل. قال: قلت له: إنه حاك - أو: حكَّ - في نفسي شيء من المسح على الخفين، فهل حفظت من رسول الله ﷺ فيه شيئًا؟ قال: نعم، كنا إذا كنا سفرًا أو: مسافرين - أمرنا أن لا نخلع خفافنا ثلاثًا إلا من جنابة، ولكن من غائط وبول ونوم. قال: فقلت: هل حفظت من رسول الله ﷺ في الهوى[٢] شيئًا؟ قال: نعم، كنا مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره فناداه رجل كان في آخر القوم بصوت جهوريّ[٣] أعرابي جلف جافٍ فقال: يا محمد، يا محمد؟ فقال له القومُ: مَهْ؛ إنك قد نُهيتَ عن هذا. فأجابه رسولُ الله ﷺ على نحوٍ من صوته: هاؤم[٤]. فقال: الرجل يحب القوم ولمَّا يلحق بهم؟ قال: فقال رسول الله ﷺ: **«المرء مع من أحب»**. قال: زر: فما برح يحدثني، حتى حدثني: «أن الله عز وجل جعل بالمغرب بابًا عرضه مسيرة سبعين عامًا للتوبة، لا يغلق حتى تطلع الشمس من

وقد توبع عاصم، تابعه زبيد عن زر عند ابن جرير الطبري عقب هذا الحديث، ولفظه: «للتوبة باب بالمغرب مسيرة سبعين عامًا - أو أربعين عامًا - فلا يزال كذلك حتى يأتي بعض آيات ربك».

الهوى: هو الحب.

جهوري: أي عالٍ.

هاؤم: أي: تعالَ.

قبله»، وذلك قول الله تبارك وتعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا﴾ الآية.

حسن

وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

وأخرجه ابن جرير الطبري في «التفسير» (٨/ ٧٢)، وابن ماجه مختصراً (٤٠٧٠).

وعزاه المزي للنسائي.

* * *

أول أشراط الساعة

النار التي تخرج وتحشر الناس من المشرق إلى المغرب

قال الإمام البخاري رحمه الله (٣٣٢٩):

«حدثنا محمد بن سلام، أخبرنا الفزاري، عن حميد، عن أنس رضي الله عنه، قال: بلغ عبد الله بن سلام مَقْدَمِ النبي ﷺ المدينة، فأتاه فقال: إني سائلك عن ثلاثٍ لا يعلمهن إلا نبي، قال: ما أول أشراط الساعة؟ وما أول طعامٍ يأكله أهل الجنة؟ ومن أي شيء ينزع الولد إلى أبيه؟ ومن أي شيء ينزع إلى أخواله؟ فقال رسول الله ﷺ: «**خبرني بهن آنفًا جبريل**»، قال: فقال عبد الله: ذاك عدو اليهود من الملائكة. فقال رسول الله ﷺ: «**أما أول أشراط الساعة: فنار تحشر الناس من المشرق**[1] **إلى المغرب، وأما أول طعام يأكله أهل الجنة:**

---

(١) واضح هنا أن النار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب، وقد ورد في حديث حذيفة بن أسيد الغفاري - وهو هنا في هذا الكتاب -: «أن النار تخرج من اليمن»، وفي رواية: «أنها تخرج من قعر عدن»، فكيف الجمع بين هذه وتلك؟

قال الحافظ في «الفتح» (١١/ ٣٧٨): (وقد أشكل الجمع بين هذه الأخبار، وظهر لي في وجه الجمع: أن كونها تخرج من قعر عدن لا ينافي حشرها الناس من المشرق إلى المغرب، وذلك: أن ابتداء خروجها من قعر عدن، فإذا خرجت انتشرت في الأرض كلها.

والمراد بقوله: «تحشر الناس من المشرق إلى المغرب»: إرادة تعميم الحشر لا خصوص المشرق والمغرب، أو: أنها بعد الانتشار أول ما تحشر أهل المشرق، ويؤيد ذلك: أن ابتداء الفتن دائمًا من المشرق، وأما جعل الغاية إلى المغرب: فلأن الشام بالنسبة إلى المشرق مغرب).

قال: (ويحتمل أن تكون النار في حديث أنس كناية عن الفتنة المنتشرة التي أثارت الشر العظيم والتهبت كما تلتهب النار، وكان ابتداؤها من قبل المشرق حتى خرب معظمه =

فزيادة كبد حوت، وأما الشبه في الولد، فإن الرجل إذا غشي المرأةَ فسبقها ماؤه كان الشبه له، وإذا سبق ماؤها كان الشبه لها». قال: أشهد أنك رسول الله، ثم قال: يا رسول الله، إن اليهود قومٌ بُهتٌ إن علموا بإسلامي قبل أن تسألهم بهتوني عندك. فجاءت اليهودُ ودخل عبد الله البيتَ، فقال رسول الله ﷺ: **«أي رجلٍ فيكم عبدُ الله بن سلام؟»** قالوا: أعلمنا وابن أعلمنا، وأخبرنا وابن أخبرنا، فقال رسول الله ﷺ: **«أفرأيتم إن أسلم عبد الله؟»** قالوا: أعاذه الله من ذلك. فخرج عبد الله إليهم، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، فقالوا: شرُّنا وابنُ شرِّنا ووقعوا فيه».

صحيح

= وانحشر الناس من جهة المشرق إلى الشام ومصر، وهما من جهة المغرب، كما شوهد ذلك مراراً من المغول في عهد جنكيز خان، ومن بعده.

والنار التي في الحديث الآخر على حقيقتها. والله أعلم).

تنبيه: ورد في حديث أنس هذا: أن أول أشراط الساعة نار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب، وفي حديث عبد الله بن عمرو (باب: أول الآيات خروجًا من هذا الكتاب): أن أول الآيات خروجًا: طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة على الناس ضحًى» فكيف الجمع بين الحديثين؟

وجه الجمع ـ والله أعلم ـ: تنزيل كل حديث على أحوال خاصة، بمعنى: أن أول التغييرات في العالم العلوي: طلوع الشمس من المغرب، وأول آيات العالم السفلي: نار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب، أو باعتبار آخر، كما نقله الحافظ في «الفتح» (١١/ ٣٥٣) حيث قال: (قال الحاكم أبو عبد الله: الذي يظهر: أن طلوع الشمس من المغرب يغلق باب التوبة، فتخرج الدابة تميز المؤمن من الكافر تكميلاً للمقصود من إغلاق باب التوبة، وأول الآيات المؤذنة بقيام الساعة: النار التي تحشر الناس. والله أعلم).

قال الطيالسي رحمه الله «المسند» (حديث ٢٠٥٠ ص ٢٧٣):

حدثنا حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أنس، عن النبي ﷺ قال: «**أول شيء يحشر الناس: نارٌ تحشرهم من المشرق إلى المغرب**».

صحيح

قال الإمام البخاري رحمه الله (٦٥٢٢):

حدثنا معلى بن أسد، حدثنا وهيب، عن ابن طاوس، عن أبيه، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**يحشر**[(١)] **الناس على ثلاث طرائق راغبين وراهبين، واثنان على بعير، وثلاثة على بعير، وأربعة على بعير، وعشرة على بعيرٍ، ويحشر بقيتهم النار، تقيل معهم حيث قَالُوا: وتبيتُ معهم حيث بَاتُوا، وتصبح معهم حيث أصبحوا، وتمسي معهم حيث أمسوا**».

صحيح

وأخرجه مسلم (٢٨٦١)، النسائي (٤/ ١١٥-١١٦).

---

(١) قال القرطبي رحمه الله (كما نقل عنه الحافظ في «الفتح» (١١/ ٣٧٨): (الحشر: الجمع وهو أربعة: حشران في الدنيا، وحشران في الآخرة، فالذي في الدنيا:
أحدهما: المذكور في سورة الحشر في قوله تعالى: ﴿هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر﴾ [الحشر: ٢].
والثاني: الحشر المذكور في أشراط الساعة، الذي أخرجه مسلم من حديث حذيفة بن أسيد -رفعه-: «إن الساعة لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات»..
ثم قال رحمه الله:
والحشر الثالث: حشر الأموات من قبورهم وغيرها بعد البعث جميعًا إلى الموقف، قال الله عز وجل: ﴿وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدًا﴾ [الكهف: ٤٧].
والرابع: حشرهم إلى الجنة أو النار. انتهى ملخصًا.
قلت: والحشر الذي في هذا الحديث اختلف فيه، فذهب الخطابي وعياض والطيبي =

قال الحاكم رحمه الله «المستدرك» (٤/ ٤٥٨):

حدثنا علي بن حمشاذ العدل، ثنا هشام بن علي السيرافي، ثنا عبد الله بن رجاء العراقي(١)، ثنا همام، عن قتادة، عن المهلب بن أبي صفرة، عن عبد الله ابن عمرو رضي الله عنهما، قال: تبعث نار تسوق الناس من مشارق الأرض إلى مغاربها، كما يساق الجمل الكسير لها، ما تتخلف منهم إذا قالوا(٢) قالت، وإذا باتوا باتت.

موقوف حسن(٣)

وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي.

قال الإمام أحمد رحمه الله (٥/ ١٦٤):

حدثنا يزيد، أنا الوليد بن جميع القرشي، ثنا أبو الطفيل عامر بن واثلة، عن حذيفة بن أسيد قال: قام أبو ذر فقال: يا بني غفار، قولوا ولا تختلفوا، فإن الصادق المصدوق حدثني: «**أن الناس يحشرون على ثلاثة أفواج: فوج راكبين**

= وغيرهم إلى أن المراد بالحشر في هذا الحديث: إنما هو الحشر من القبور، وانتصر كل فريق لرأيه من عدة وجوه.

وعلى كلٍّ، فسواء كان المراد بالحشر هنا أنه بين يدي الساعة أو الحشر من القبور، فقد صحَّ من طرق لا يتطرق إليها الاحتمال أن قبل الساعة نارًا تحشر الناس من المشرق إلى المغرب، والله أعلم.

(١) في «التقريب»: الغداني.

(٢) قالوا: من القيلولة.

(٣) وقد روي هذا مرفوعًا عند الحاكم (٤/ ٥٤٨) وقال الحاكم هناك: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وقال الذهبي: صحيح.

طاعمين كاسين، وفوج يمشون ويسعون، وفوج تسحبهم الملائكة على وجوههم وتحشرهم إلى النار» ، فقال قائل منهم: هذان قد عرفناهما، فما بال الذين يمشون ويسعون؟ قال: «**يلقي الله الآفة على الظهر**[١]، **حتى لا يبقى ظهر حتى إن الرجل ليكون له الحديقة المعجبة فيعطيها بالشارف**[٢] **ذات القتب فلا يقدر عليها**».

صحيح

قال الإمام البخاري رحمه الله (١٣/ ٧٨):

حدثنا أبو اليمان، أخبرنا شعيب، عن الزهري، عن سعيد بن المسيب، أخبرني أبو هريرة: أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء أعناق الإبل بِبُصْرَى**»[٣].

صحيح

وأخرجه مسلم (٢٩٠٢).

* * *

(١) أي: ظَهر الدواب (الجمل أو الفرس).

(٢) الشارف من الإبل.

هذا وقد استدل بعض أهل العلم بهذا القدر من الحديث على أن هذا الحشر يكون في الدنيا، فقال الحافظ: (وقد تبين من حديث أبي ذر ما دل على أنه في الدنيا لا بعد البعث في الحشر إلى الموقف، إذْ لا حديقة هناك، ولا آفة تلقى على الظهر حتى يعز ويقل).

(٣) بُصرىٰ: هي بلدٌ بالشام.

قال الحافظ في «الفتح» (١٣/ ٧٨): (قال القرطبي في «التذكرة»: قد خرجت نار بالحجاز بالمدينة، وكان بدؤها زلزلة عظيمة في ليلة الأربعاء بعد العتمة الثالث من جمادىٰ الآخرة سنة أربع وخمسين وستمائة، واستمرت إلىٰ ضحىٰ النهار يوم الجمعة فسكنت، وظهرت النار بقريظة بطرف الحرة، ترىٰ في صورة البلد العظيم عليها سور =

= محيط عليه شراريف وأبراج ومآذن، وترىٰ رجالاً يقودونها، لا تمر علىٰ جبل إلا دكته وأذابته، ويخرج من مجموع ذلك مثل النهر أحمر وأزرق له دوي كدوي الرعد، يأخذ الصخور بين يديه، ينتهي إلىٰ محط الركب العراقي، واجتمع من ذلك ردم صار كالجبل العظيم فانتهت النار إلىٰ قرب المدينة، ومع ذلك فكان يأتي المدينة نسيم بارد، وشوهد لهذه النار غليان كغليان البحر.
وقال لي بعض أصحابنا: رأيتها صاعدة في الهواء من نحو خمسة أيام. وسمعت: أنها رؤيت من مكة ومن جبال بصرىٰ.
وقال النووي: تواتر العلم بخروج هذه النار عند جميع أهل الشام، وقال أبو شامة في «ذيل الروضتين»: وردَتْ في أوائل شعبان سنة أربع وخمسين كتب من المدينة الشريفة، فيها شرح أمر عظيم حدث بها، فيه تصديق لما في «الصحيحين»، فذكر هذا الحديث، قال: فأخبرني بعض من أثق به ممن شاهدها: أنه بلغه أنه كتب بتيماء علىٰ ضوئها الكتب فمن الكتب. . . فذكر نحو ما تقدم.
ومن ذلك: أن في بعض الكتب: ظهر في أول جمعة من جمادىٰ الآخرة في شرقي المدينة نار عظيمة، بينها وبين المدينة نصف يوم، انفجرت من الأرض وسال منها وادٍ من نار حتىٰ حاذىٰ جبل أحد.
وفي كتاب آخر: انبجست الأرض من الحرة بنار عظيمة، يكون قدرها مثل مسجد المدينة وهي برأي العيد من المدينة، وسال منها واد يكون مقداره أربع فراسخ وعرضه أربع أميال يجري علىٰ وجه الأرض، ويخرج منه مهاد وجبال صغار.
وفي كتاب آخر: ظهر ضوؤها إلىٰ أن رأوها من مكة، قال: ولا أقدر أصف عظمها ولها دوي.
قال أبو شامة: ونظم الناس في هذا أشعاراً ودام أمرها ثم خمدت. والذي ظهر لي: أن النار المذكورة في حديث الباب هي التي ظهرت بنواحي المدينة، كما فهمه القرطبي وغيره، وأما النار التي تحشر الناس فنار أخرىٰ، وقد وقع في بعض بلاد الحجاز في الجاهلية نحو هذه النار التي ظهرت بنواحي المدينة في زمن خالد بن سنان العبسي، فقام في أمرها حتىٰ أخمدها، ومات بعد ذلك في قصة له ذكرها أبو عبيدة معمر بن المثنىٰ في كتاب «الجماجم» ـ وأوردهما الحاكم في «المستدرك» من طريق يعلىٰ بن مهدي، عن أبي عوانة، عن أبي يونس، عن عكرمة، عن ابن عباس: أن رجلاً من بني عبس يقال له: خالد بن سنان، قال لقومه: إني أطفئ عنكم نار الحدثان ـ فذكر القصة، وفيها: «فانطلق وهي تخرج من شق جبل من حرج يقال لها: حرج أشجع» فذكر القصة في دخوله الشق =

إلى أين المسير عند خروج النار؟

قال الإمام أحمد رحمه الله (٢/ ٨):

حدثنا الوليد ثنا الأوزاعي، أن يحيى بن أبي كثير حدثه، أن أبا قلابة حدثه، عن سالم بن عبد الله بن عمر، عن عبد الله بن عمر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**تخرج نار من حضرموت ـ أو: بحضرموت ـ فتسوق الناس**» قلنا: يا رسول الله، ما تأمرنا؟ قال: «**عليكم بالشام**».

صحيح

وأخرجه أحمد أيضًا (٢/ ٥٣، ٩٩، ١١٩)، وأبو يعلى (٩/ ٤٠٥).

والترمذي (٢٢١٧) وقال: هذا حديث حسن غريب صحيح.

قال الإمام أحمد رحمه الله (٥/ ٥):

ثنا يحيى، عن بهز، حدثني أبي، عن جدي، قال: قلت: يا رسول الله، أين تأمرني؟ خِرْ لي. فقال بيده نحو الشام[١]، وقال: «**إنكم محشورون رجالاً وركبانًا، وتجرون على وجوهكم**». حسن[٢]

وأخرجه الترمذي (٣١٤٤).

= والنار كأنها جبل سقر، فضربها بعصاه حتى أدخلها وخرج).
قلت (والقائل مصطفى): وليس في هذه الأخبار ما يعول عليه، وذلك لعدم وجود مستند صحيح إلى من رآها والله أعلم.

(١) في رواية لأحمد (٥/ ٣): قال: «تحشرون هاهنا ـ وأومأ بيده إلى نحو الشام ـ مشاة وركبانًا، وعلى وجوهكم، تعرضون على الله وعلى أفواهكم الفدام، وأول ما يعرب عن أحدكم: فخذه...».

(٢) وقال الحافظ في «الفتح» (١١/ ٣٨٠): وإسناده قوي.

الحث على العمل وإن قربت الساعة

قال الإمام أحمد رحمه الله (٣/ ١٩١):

حدثنا بهز، ثنا حماد، ثنا هشام بن زيد، قال: سمعت أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن قامت الساعة وبيدِ أحدكم فَسيلةٌ فإن استطاع أن لا يقوم حتى يغرسها فليفعلْ**».

صحيح

وأخرجه أحمد أيضًا (٦/ ١٨٣ ـ ١٨٤)، والطيالسي في «مسنده» (٢٠٦٨)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٤٧٩).

* * *

الريح اللينة قبل الساعة

قال الإمام مسلم رحمه الله (١١٧):

حدثنا أحمد بن عبدة الضبي، حدثنا عبد العزيز بن محمد وأبو علقمة الفروي، قالا: حدثنا صفوان بن سليم، عن عبد الله بن سلمان، عن أبيه، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله يبعث ريحًا من اليمن، ألين من الحرير، فلا تدع أحدًا في قلبه** - قال أبو علقمة: **مثقال حبة**، وقال عبد العزيز: **مثقال ذرة** - **من إيمان إلا قبضته**»[١].

صحيح لغيره[٢]

---

(١) قال النووي رحمه الله «شرح مسلم» (١/ ٣٢٠): (وأما معنى الحديث: فقد جاءت في هذه النوع أحاديث منها: «لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض: الله الله».
ومنها: «لا تقوم على أحد يقول: الله الله».
ومنها: «لا تقوم إلا على شرار الخلق».
وهذه كلها وما في معناها على ظاهرها.
وأما الحديث الآخر: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق إلى يوم القيامة» فليس مخالفًا لهذه الأحاديث، لأن معنى هذا أنهم لا يزالون على الحق حتى تقبضهم هذه الريح اللينة قرب القيامة، وعند تظاهر أشراطها، فأطلق في هذا الحديث بقاءهم إلى قيام الساعة على أشراطها ودنوها المتناهي في القرب. والله أعلم).
ثم قال رحمه الله: (وأما قوله ﷺ: «ريحًا ألين من الحرير» ففيه - والله أعلم - إشارة إلى الرفق بهم والإكرام لهم. والله أعلم).
وجاء في هذا الحديث: «يبعث الله ريحًا من اليمن»، وفي حديث آخر ذكره مسلم في آخر الكتاب عقب أحاديث الدجال: «ريحًا من قبل الشام».
ويجاب عن هذا بوجهين: أحدهما: يحتمل أنهما ريحان شامية ويمانية.
ويحتمل أن مبدأها من أحد الإقليمين، ثم تصل الآخر وتنتشر عنده، والله أعلم.

(٢) ففيه عبد الله بن سلمان، وكأن حديثه لا يرتقي إلى الصحة استقلالاً، لكن له شاهد من حديث عبد الله بن عمرو، وقد تقدَّم.

قيام الساعة على شرار الخَلْقِ

قال الإمام البخاري رحمه الله (٧٠٦٦):

حدثنا محمد بن بشار، حدثنا غندر، حدثنا شعبة، عن واصل، عن أبي وائل، عن عبد الله ـ وأحسبه رفعه ـ قال: «بين يدي الساعة أيام الهَرْج، يزول فيها العلم ويظهر فيها الجهل».

صحيح

قال أبو موسى: و«الهرج»: القتل بلسان الحبشة.

وقال أبو عوانة: عن عاصم، عن أبي وائل، عن الأشعري: «أنه قال لعبد الله: تعلم الأيام التي ذكر النبي ﷺ أيام الهرج».

وقال ابن مسعود[1]: سمعت النبي ﷺ يقول: «**من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء**».

---

(١) قال الحافظ: هو بالسند المذكور «فتح الباري» (١٣/ ١٩).
(قال ابن بطال: هذا وإن كان لفظه لفظ العموم، فالمراد به الخصوص، ومعناه: أن الساعة تقوم في الأكثر والأغلب على شرار الناس، بدليل قوله: «لا تزال طائفة من أمتي على الحق حتى تقوم الساعة»، فدل هذا الخبر أن الساعة تقوم أيضًا على قوم فضلاء).
قال الحافظ: (قلت: ولا يتعين ما قال، فقد جاء ما يؤيد العموم المذكور، كقوله في حديث ابن مسعود أيضًا ـ رفعه ـ: «لا تقوم الساعة إلا على شرار الناس» أخرجه مسلم، ولمسلم أيضًا من حديث أبي هريرة ـ رفعه ـ: «إن الله يبعث ريحًا من اليمن ألين من الحرير، فلا تدع أحدًا في قلبه مثقال ذرة من إيمان إلا قبضته».
وله في آخر حديث النواس بن سمعان الطويل في قصة الدجال وعيسى ويأجوج ومأجوج: «إذْ بعث الله ريحًا طيبة، فتقبض روح كل مؤمن ومسلم، ويبقى شرار الناس يتهارجون تهارج الحمر، فعليهم تقوم الساعة».

قال الإمام مسلم رحمه الله (٢٩٤٩):

حدثنا زهير بن حرب، حدثنا عبد الرحمن (يعني: ابن مهدي) حدثنا شعبة، عن علي بن الأقمر، عن أبي الأحوص، عن عبد الله، عن النبي ﷺ قال: «**لا تقوم الساعة إلا على شرار الناس**».

صحيح

قال الإمام أحمد رحمه الله (٦/ ٤٩٩):

حدثنا علي بن ثابت، قال: حدثني عبد الحميد بن جعفر الأنصاري، عن أبيه، عن علباء السلمي قال: إن رسول الله ﷺ يقول: «**لا تقوم الساعة إلا على حثالة الناس**».

حسن

وأخرجه الحاكم في «المستدرك» (٤/ ٤٩٥ - ٤٩٦) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال الذهبي: صحيح.

قال الإمام أحمد رحمه الله (١/ ٤٠٥):

حدثنا معاوية، حدثنا زائدة، عن عاصم بن أبي النجود، عن شقيق، عن عبد الله، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن من شرار الناس مَن تدركه**

= وقد اختلفوا في المراد بقوله: «يتهارجون» فقيل: يتسافدون. وقيل: يتثاورون. والذي يظهر أنه هنا بمعنى: يتقاتلون، أو لأعم من ذلك، ويؤيد حمله على التقاتل حديث الباب، ولمسلم أيضًا: «لا تقوم الساعة على أحد يقول: اللَّه اللَّه»، وهو عند أحمد بلفظ: «على أحد يقول: لا إله إلا اللَّه»، والجمع بينه وبين حديث: «لا تزال طائفة»: حمل الغاية في حديث: «لا تزال طائفة» على وقت هبوب الريح الطيبة التي تقبض روح كل مؤمن ومسلم، فلا يبقى إلا الشرار، فتهجم الساعة عليهم بغتة.

الساعة وهم أحياء ومَن يتخذ القبور مساجد».

صحيح لغيره[١]

وأخرجه أحمد أيضًا (١/ ٤٣٥) وابن حبان «موارد الظمآن» (٣٤٠).

* * *

(١) فله شاهد عند أحمد (١/ ٤٥٤) من حديث ابن مسعود أيضًا.

لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض: الله الله

قال الإمام مسلم رحمه الله (١٤٨):

حدثني زهير بن حرب، حدثنا عفان، حدثنا حماد، أخبرنا ثابت، عن أنس أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض: الله الله**»[١].

صحيح

* * *

(١) قال النووي رحمه الله «شرح مسلم» (١/ ٣٦٠): (أما معنى الحديث: فهو أن القيامة تقوم على شرار الخلق، كما جاء في الرواية الأخرى: «وتأتي الريح من قبل اليمن فتقبض أرواح المؤمنين» عند قرب الساعة).

آخر من يُحشر من الناس

قال الإمام البخاري رحمه الله (١٨٧٤):

حدثنا أبو اليمان، أخبرنا شعيب، عن الزهري، قال: أخبرني سعيد بن المسيب، أن أبا هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«تتركون المدينة على خير ما كان، لايغشاها إلا العواف**[١] -

يريد: عوافي السباع والطير - **وآخر من يُحشر: راعيان من مُزَيْنَةَ، يريدان المدينةَ، ينعقان بغنمهما فيجدانها وحشًا، حتى إذا بلغا ثنية الوداع خرًّا على وجوههما»**[٢].

صحيح

أخرجه مسلم (١٣٨٩ ص ١٠١٠).

* * *

(١) قال النووي: («العوافي» قد فسَّرها في الحديث الآخر بالسباع والطير).

(٢) قال النووي رحمه الله «شرح مسلم» (٣/ ٥٣٤): (وأما معنى الحديث؛ فالظاهر المختار: أن هذا الترك للمدينة يكون في آخر الزمان عند قيام الساعة، وتوضحه قصة الراعيين من مزينة، فإنهما يخران على وجوههما حين تدركهما الساعة، وهما آخر من يحشر، كما ثبت في «صحيح البخاري»، فهذا هو الظاهر المختار.
وقال القاضي عياض: هذا فيما جرى في العصر الأول وانقضى، قال: وهذا من معجزاته ﷺ، فقد تركت المدينة على أحسن ما كانت حين انتقلت الخلافة عنها إلى الشام والعراق، وذلك الوقت أحسن ما كانت للدِّين والدنيا، أما الدِّين: فلكثرة العلماء وكمالهم، وأما الدنيا: فلعمارتها وغرسها واتساع حال أهلها.

....

= قال: وذكر الأخباريون في بعض الفتن التي جرت بالمدينة، وخاف أهلها أنه رحل عنها أكثر الناس وبقيت ثمارها أو أكثرها للعوافي، وخلت مدةٌ ثم تراجع الناس إليها. قال: وحالها اليوم قريب من هذا، وقد خربت أطرافها هذا كلام القاضي والله أعلم.

ومعنى «ينعقان بغنمهما»: يصيحان.

قال النووي: (وقوله ﷺ: «فيجدانها وحشًا) وفي رواية البخاري: «وحوشًا» قيل معناه: يجدانها خلاء أي: خالية ليس بها أحد. قال إبراهيم الحربي: «الوحش من الأرض» هو الخلاء، والصحيح: أن معناه تجدانها ذات وحوش كما في رواية البخاري وكما قال ﷺ: «لا يغشاها إلا العوافي» ويكون وحشًا بمعنى وحوشًا وأصل الوحش: كل شيء توحش من الحيوان وجمعه وحوش، وقد يُعبر بواحده عن جمعه كما في غيره، وحكى القاضي عن ابن المرابط أن معناه: أن غنمهما تصير وحوشًا إما أن تنقلب ذاتها فتصير وحوشًا وإما أن تتوحش فتنفر من أصواتها، وأنكر القاضي هذا واختار أن الضمير في «يجدانها» عائد إلى المدينة لا إلى الغنم، وهذا هو الصواب، وقول ابن المرابط غلط والله أعلم.

أما القرطبي رحمه الله فكأنه جنح إلى أن الضمير في «يجدانها» يعود على الغنم فقال الحافظ في «الفتح» (٤/ ٩١): وقال القرطبي: القدرة صالحة لذلك. انتهى.

ثم قال الحافظ: ويؤيده أن في بقية الحديث أنهما يخران على وجوههما إذا وصلا إلى ثنية الوداع وذلك قبل دخولهما المدينة بلا شك فيدل على أنهما وجدا التوحش المذكور قبل دخول المدينة فيقوي أن الضمير يعود على غنمهما، وكأن ذلك من علامات قيام الساعة، ويوضح هذا رواية عمر بن شبة في «أخبار المدينة» من طريق عطاء بن السائب عن رجل من أشجع(*) عن أبي هريرة موقوفًا قال: آخر من يحشر رجلان رجل من مزينة وآخر من جهينة فيقولان: أين الناس؟ فيأتيان المدينة فلا يريان إلا الثعالب فينزل إليهما ملكان فيسحبانهما على وجوههما حتى يلقاهما بالناس.

وقوله: «خرا على وجوههما» أي: سقطا ميتين.

*** *** ***

(*) هذا الرجل مبهم فالأثر ضعيف.

قيام الساعة بغتة

قال الإمام مسلم رحمه الله (٢٩٥٤):

حدثني زهير بن حرب، حدثنا سفيان بن عيينة عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة يبلغ به النبي ﷺ قال: «**تقوم الساعة والرجل يحلب اللقحة فما يصل الإناء إلى فيه حتى تقوم، والرجلان يتبايعان الثوب فما يتبايعانه حتى تقوم، والرجل يلط في حوضه فما يصدر حتى تقوم**».

صحيح

* * *

الخاتمة

بحمد الله انتهى كتابنا «الصحيح المسند من أحاديث الفتن والملاحم وأشراط الساعة».

نسأل الله العظيم بعزته أن يعيذنا والمسلمين من الفتن ما ظهر منها وما بطن، وأن يصرف عن المسلمين وديارهم وأوطانهم كلَّ مكروه وسوء، وأن يوحد كلمتهم ويجمعهم على الحق إن ربنا لسميع الدعاء وإنه لغفور رحيم.

هذا وجزى الله خيراً من وجد استدراكًا فوافانا به ناصحًا لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم.

وإذا كان ثَمَّ نقص فيستدرك في طبعات لاحقة إن شاء الله.

ونسأل الله العظيم أن ينفع بهذا السِّفر الجليل الإسلام والمسلمين، وأن يجعله في ميزان حسناتنا يوم نلقاه.

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد ألا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

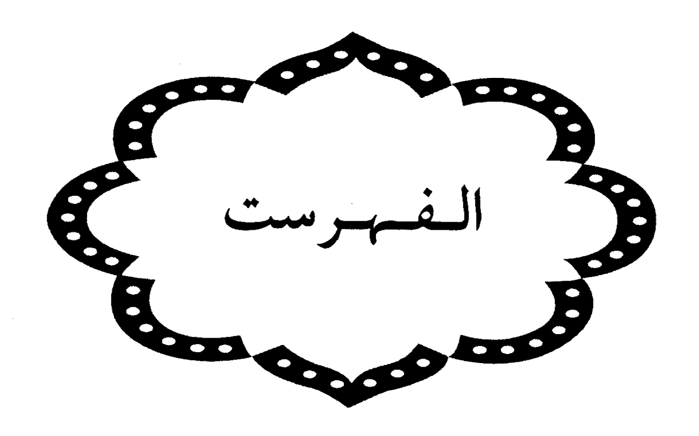
* * *

كتبه

أبو عبد الله

مصطفى بن العدوي

منية سمنود دقهلية


الفهرست

الفهرست



القاهرة ٤ ش العرب من الأربعين - جسر السويس
محطة الجراج خلف سنترال النزهة
ت: ٢٩٩٩٥٢٧ - ٠١٠٦٦٩٩٥٧٤٢ / فاكس: ٢٩٧٨٤٧٤